

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

الحرب العالمية الثانية

عرض مُصَوَّر

أعَدَّهُ وَحَقَّقَهُ على أوثق المصادر

رمضان لاوند

دار العلم للملايين



هذا الكتاب

* دراسة جديدة وتحقيق واف عن الحرب العالمية الثانية: أعم حرب سجَلها تاريخ البشرية، حرب قنابل النابالم وأسراب قاذفات القنابل وسلاح ف١ و ف٢.

* قصة انطلاق الشرارة الأولى من «دانزيغ» وما عقب ذلك من اكتساح بولندا وسحق فرنسا وعار دنكرك..

* تفصيل وافٍ لانقضاض اليابان على أسطول أميركا في بيرل هاربر على طريقة الانتحار الجنوني «هاراكيري» والمعارك الضارية التي نشبت في أدغال بورما ومستنقعات أنهار الصين، حيث اشتبك التنين الأصفر بأخيه الياباني في معركة لا تزال آثارها باقية..

* تحليل نفسية هتلر الظافر.. وكيف استبدت به نشوة النصر فهاجمت جحافله سهول أوكرانيا، مطبّقة سياسة الأرض المحروقة، وشعارها إفناء العرق السلافي العنيد..

* تصوير حيّ لحملة «رومل» الأسطورية على شمال إفريقية، وكيف سحق الجيش السابع ودقّ أبواب مصر، إلى أن تغيّر ميزان القوى فتغيّر معه وجه التاريخ..

* حكاية الحملة الديغولية على سوريا ولبنان ومناورات الإنكليز ضد الفيشيين..

* وأخيراً نزول الحلفاء في نورماندي وبزوغ نجم ايزنهاور. وقصة سقوط الدوتشي الدراماتيكية. صمود ستالينغراد.. انكفاء رونشتد.. دخول «جوكوف» برلين.. انتحار هتلر وايفا براون.. واستسلام البحرية الألمانية.. ثم قنبلة هيروشيما..

* شريط ناطق بالصور الملوّنة المعبّرة عن مآسي الحرب وويلاتها، وأكثرها مما لم ينشر قبل اليوم..

الناشر

5 281006 008121

الحرب العالمية الثانية

عرض مصور

طبعة جديدة
منقحة ومزيدة

أعده وحققه على أوثق المصادر

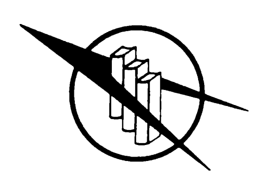
رمضان لاوند

دار العلم للملايين

دار العلم للملايين

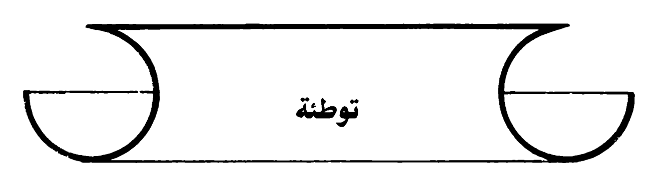
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو
ص.ب: ١٠٨٥ - تلفون: ٣٠٤٤٤٥ - ٧٠١٦٥٥
برقياً: ملاين - تلكس: ٢٣١٦٦ ملاين
بيروت - لبنان



الطبعة السابعة عشرة

تموز / يوليو ١٩٩٨



توطئة

الحرب في كل صورها وأشكالها محاولة انتحارية.

إنها إعلان عن إفلاس المتحاربين في وضع الحلول المناسبة للمعضلات الناشبة بينهم.

إنهم بهذه الحرب ينزلون بالحضارة من مستواها الأخلاقي الرفيع إلى مستوى شرعة الغاب.

والعدالة لا مكانة لها في هذه الشرعة. وهي تفقد من رصيدها في حياة المجتمع على قدر ما تسببه الحرب من الخراب والدمار وتحدثه من المضاعفات الهدامة.

والواقع أن الحروب التي عرفها النصف الأول من القرن العشرين هي أشد الحروب التاريخية وأكثرها تخريباً وأقلها احتراماً للمواثيق الإنسانية والقيم الأخلاقية.

إن إحراق المدن بالعشرات والمئات وتقتيل النساء والأطفال والشيوخ دون تمييز قد أصبحا في حروب القرن العشرين قاعدة يومية وظاهرة تتكرر في كل اشتباك وعند كل غارة...

ولا يمكن أن يرى الباحث في هذه الحروب غير علامة حاسمة على إفلاس أخلاقي وانتكاس حضاري وفضيحة مخزية لكل ما رددته وتردده أبواق الحضارة الغربية الحديثة. وهي بالتالي تصديق لكل النبوءات التي صدرت عن كبار رجال الفكر والفلاسفة الغربيين أنفسهم.

ولا يقلل من بشاعة هذه الحروب وآثارها غير الإنسانية، أن التكنيك الحديث والتقدم العلمي يستطيعان أن يمسحا آثار الخراب الذي تحدثه هذه الحروب بسرعة لم تعرف في القرون الخالية.

فالجريمة جريمة... والظلم والقسوة يبقيان ظلماً وقسوة مهما تكن قدرة الظالمين القساة على مسح آثار جرائمهم من الناحية المادية.

فالكارثة الحقيقية ليست في جانبها المادي وحسب. ولعل الجانب المادي أن يكون أقل جوانب الكارثة خطراً. إن الكارثة الحقيقية هي في النفوس.. في زوال الثقة في الإنسان وفي هدم الأحلام الذهبية التي بنتها أطماح الفلاسفة وصاغتها أيدي المصلحين ونفخت فيها من روحها قلوب الأنبياء والصديقين.

لقد انتهت الحرب العالمية الأولى لا ليتعظ بها الناس ولا ليوزعوا الحقوق بالقسطاس المستقيم؛ بل انتهت هذه الحرب ليضع المنتصرون بعدها بذور حرب جديدة. إنها بذور الحقد والخوف وانهيار الأعصاب والكفر بالقيم الأخلاقية والرغبة في ما في أيدي الآخرين من الثروات والأرزاق والأملاك...

ومؤتمر الصلح الذي عقد في فرساي كان في الحقيقة بداية هدنة إجبارية فرضتها هزيمة ألمانيا، فأصبح بها السلام هدنة قلقة متوترة تنتظر أول مناسبة للانفجار وللعودة بالعالم إلى حرب أشد هولاً وأكثر بشاعة وقسوة وتدميراً...

لقد سكتت الحرب في ألمانيا وانحنى الشعب الألماني أمام الغزاة من الحلفاء الغربيين وفي القلوب لوعة وفي النفوس حسرة وفي الأعماق تصميم على معاودة الكرة عندما تأتي الظروف المناسبة.

وقد أثبتت السنوات القليلة التي عقبت الحرب العالمية الأولى صحة هذه التقديرات. فلم يكد هتلر يظهر في ألمانيا ويعلن عن حق الألمان في الثأر والانتقام من المنتصرين والتحرر من قيود معاهدة فرساي، حتى اشرأبت نفوس الألمان إليه ومنحته التأييد والمساندة ووضعت تحت تصرفه كل ما يحتاج إليه حتى الدماء والأرواح. وتلاحقت الأحداث وركبت ألمانيا رأسها وهزتها أحلام النصر وامتلأت خيالات رجالها ونسائها بصور الانتقام.

وشاعت أفكار متطرفة وتغلب الهوس على النفوس فإذا بألمانيا تحول عبقرية أبنائها لصناعة الحرب المدمرة ثم تنطلق آلة الحرب لتعيد المأساة البشرية على صورة أكثر بشاعة وهولاً وتصميماً على تدمير قيم الخير وعناصر النبل في الإنسان...

وكانت الحرب العالمية الثانية أطول نفساً وأعنف أسلحة وأقدر على تحطيم أحلام البشرية في الأمن والاستقرار والطمأنينة والسلم...

وعندما دارت الدائرة على الغزاة الألمان وبقية دول المحور عاد الأمل إلى الشعوب ونبت في العقول والنفوس أفكار خضراء ورغبات حلوة.

ولكن الحرب العالمية الثانية لم تكد تضع أوزارها حتى بدأت بذور الشك والخوف والحقد تبرز من جديد قبل أن يجف الحبر الذي كتبت به صكوك السلام ومواثيق المستقبل. . .

لقد سكتت الحرب بين الحلفاء الغربيين والشرق السوفياتي من ناحية وبين قوات المحور من ناحية أخرى لتتفجر بعد ذلك بقليل حروباً محلية وحملات دعاوية ومناورات لسرقة الشعوب وعدواناً جديداً على الضعفاء ومؤامرات مكشوفة لإحياء خطط الاستعمار القديم. وكان نصيبنا نحن العرب من سيطرة روح الاستعمار وتشبثه بمواقعه العدوانية النصيب الأوفى. لقد فرضت علينا حرب عدوانية ظالمة هدامة تشرد بها مليون من أبناء فلسطين وأصابتنا بها كارثة عار لا تنسى أبداً. كارثة هي في نفسها بذرة جديدة لمدد لا ينقطع من التحريض على الانتقام والتربص للانقضاض على العدو الظالم. . .

لقد ثبت لنا أن الحرب العالمية الثانية بكل كوارثها الرهيبة لم تستطع أن تقنع الإنسان بضرورة التحرر نهائياً من كابوس الرغبة في القتل والتدمير. . .

فالشكوك اليوم بين المعسكرات العالمية أشد منها بالأمس. والأسلحة التي يستعملها الإنسان اليوم أشد تخريباً من أسلحة الأمس، واليأس من السلام اليوم هو أشد ظلمة منه بالأمس. . .

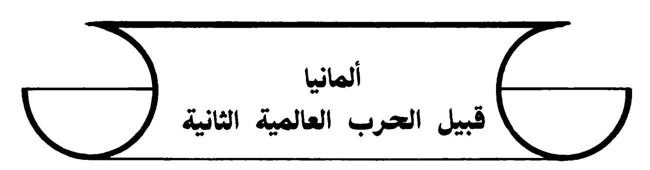
إنني إذ أقدم هذا الكتاب صوراً للحرب العالمية الثانية. . . صوراً يجد القارىء في كل لوحة من لوحاتها حكاية مؤلمة للخراب والموت والبؤس والجوع؛ إني أقصد بذلك إلى تذكير الإنسان بأن هذه الحرب وما سبقها من الحروب ليست غير عمليات انتحارية مجنونة لا نحصد منها غير اليأس وكفر الإنسان بأخيه الإنسان.

إن رجائي كبير في أن يوفق هذا الكتاب إلى إقناع القراء بالعمل على تجنب الحرب بكل وسيلة ممكنة. ولعل أروع الأساليب وأعظمها فعالية هو أسلوب العودة إلى الله واللجوء إلى الإيمان بالرحمن الرحيم والاستعانة به.

إن أردت إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

بيروت في ٧ - ٦ - ١٩٦٥

رمضان لاوند



ألمانيا
قبيل الحرب العالمية الثانية

تكاد الحرب العالمية الثانية أن تكون الحصيلة الطبيعية للحلول والمواقف والاتفاقات التي انتهت إليها الحرب العالمية الأولى.

إن التقسيمات السياسية التي وضعت في مؤتمر الصلح والقرارات الانتقامية التي اتخذت ضد ألمانيا القيصرية والمضاعفات الاقتصادية التي نجمت عن الحرب مع ما يرافقها من تضخم في النقد وجمود في الأعمال وجوع وفوضى وخوف وشعور عميق باليأس، كل ذلك سمح للشيوعية بأن تلعب دوراً كبيراً في تعبئة الجماهير وفي تحويل اليأس الجماعي إلى طاقة حقد مدمرة ضد الطبقات الحاكمة وأساليب التفكير والعمل والتقاليد السياسية في المجتمع الألماني.

كل الأحداث الخارجية والداخلية كانت تتعاون على جعل الوضع الداخلي الألماني أكثر سوءاً وأدعى إلى الخوف واليأس. ولا ننسى بالإضافة لما سبق أن حرمان ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى من مستعمراتها الموجودة وراء البحار قد شارك هو أيضاً في خلق الأوضاع الداخلية المتوترة.

والثابت أن القوة اليسارية العالمية ومن ورائها موسكو السوفياتية قد حاولت أن تلعب دوراً كبيراً في جر ألمانيا المهزومة، وشعبها المغلوب على أمره، وعمالها العاطلين عن العمل ممن يفترسهم اليأس وتلتهم المرارة أعصابهم؛ لقد حاولت هذه القوة اليسارية أن تجر ألمانيا إلى معسكرها الذي بدأ يثبت أقدامه ويفرض نفسه على العالم رغم كل المتاعب التي كان يواجهها من قبل الرأسمالية العالمية.

هذا الوضع الخطير دفع البرجوازية الألمانية إلى التفكير جدياً في إنقاذ الوضع. لقد كانت تشهد بعينها توالي معالم الانهيار وتحس أن ألمانيا تقترب من المعسكر اليساري في كل يوم رغم البطء الظاهر في خطواتها.

في تلك الأثناء وأمام الشعور بالمهانة الذي كان يشيع في نفوس أفراد الشعب الألماني بعد الهزيمة الساحقة في الحرب العالمية الأولى، أصبحت جماهير الشعب

الألماني دقيقة الحس مجروحة النفس مستعدة للاستجابة لأية دعوة عنيفة ملحة تحررها من شعورها بالهزيمة الذي يضغط على روحها ضغطاً شديداً.

كان الشعب الألماني آنذاك في حاجة إلى حكم من نوع جديد يستطيع أن يعيد إليه الثقة وأن يتولى عنه اتخاذ القرارات أمام المواقف الحاسمة.

في صميم هذا الوضع ظهرت حركة آدولف هتلر الشاب المتحمس الذي كان يؤمن بقدر ألمانيا، ويعتقد بأن في وسع بلاده أن تبلسم جراحها وتبني نهضتها الجديدة وتعيد الحياة إلى اقتصادها الوطني ثم إلى صناعتها بصورة خاصة. وكان يرى في الوقت نفسه أن الحركة اليسارية المتمثلة في الحزب الشيوعي هي دعوة لتكريس التفاهة والمهانة وقضاء على كل مقومات العنصر الألماني.

وطبيعي أن يبالغ هتلر في تمجيد ألمانيا وإظهار حقيقتها أمام شعبه على أنها حقيقة الأمة الممتازة والمختارة التي كتب لها القدر أن تحكم العالم كله وأن تكون سيدة الشعوب.

إن النازية التي كانت تردد هذه العقيدة وتوحي للألمان بأنهم أمة الأبطال وأنصاف الآلهة كانت الرد النفسي للشعور الوطني العام بالمهانة أمام الهزيمة التي جاء بعدها الفقر والحرمان والفوضى ثم المرارة.

وسكر الشعب الألماني بهذه الدعوة الجديدة. بل إنه اعتبرها استمراراً لأفكار بعض فلاسفته الذين ظهروا في القرن التاسع عشر. وشط الخيال ببعضهم فاعتبر هتلر أحد تلاميذ نيتشه الفيلسوف الألماني الذي أنهى حياته العصبية المضطربة في مستشفى من مستشفيات الأمراض العقلية. ونيتشه هو واضع الكتاب المعروف: «هكذا تكلم زرادشت». و«هكذا تكلم زرادشت» هو الكتاب الذي حاول صاحبه أن يحكي فيه حكاية الرجل الممتاز الذي يتفوق على نفسه والذي يشعر بالعزلة عن بقية الناس ويعتبرهم عبيداً أو أقناناً أو مخلوقات تافهة كتب عليها أن تعيش في الضلالة وأن تكون في خدمة الأقوياء.

ومهما يكن الأمر، ومهما تكن العلاقة بين آدولف هتلر الزعيم الألماني الجديد، وبين الفيلسوف نيتشه، فإن مما لا شك فيه أن هتلر كان يعتبر الشعب الألماني شعباً ممتازاً وسيداً بطبيعة تكوينه. لقد حاول أن يستنهض همة هذا الشعب وأن يدفع به دفعاً شديداً بمغامرات واسعة من أجل تدعيم وجوده الوطني واسترجاع المبادرة على الأقل وفي الدرجة الأولى في حياته الداخلية.

وقد ناصب هتلر العداء كل من كان يعتقد أنهم مصدر ضعف ألمانيا أو أنهم المتآمرون عليها. وكانت عداوته للشيوعية الحمراء مستمدة من هذه القاعدة التي اتخذها لنفسه.

هتلر في الحكم

ومرت سنوات تخللتها هزائم وانتصارات ثم انتهت أخيراً بنجاح الحزب النازي الذي يتزعمه هتلر في انتزاع الحكم والاستقلال به.

ولم يكد هتلر أن يشعر باستقرار الكرسي تحته حتى بدأ ينفّذ، بما عرف عنه من العنف والقسوة والتنظيم والإيمان بعظمة ألمانيا، كل خططه التي وضعها لتحقيق أهدافه. لم يكن شيء يمنعه عن تنفيذ ما يقرر تنفيذه. كان لا يتردد في أن يقتل وأن يعتقل وأن يشرد وأن يضرب بيد من حديد على كل من يضعه القدر أمامه. الشفقة والميوعة في اتخاذ القرارات لم يكن يعرفهما أبداً.

كان حلمه الذهبي في أن تصبح ألمانيا سيدة أوروبا، ثم القوة الأولى في العالم أشبه بالكابوس في نفسه. كان هذا الحلم يلاحقه ليل نهار ويضغط عليه ويملي عليه قراراته التي يتخذها من أجل ألمانيا العظيمة أو ما كان يسميه بالريخ الثالث. ريخ الألف عام.

إنه كان جاداً في بناء هذا الريخ ولذلك فإنه لم يكن يتسامح أبداً أمام كل من تسول له نفسه بمقاومة الريخ الثالث.

الوحدة الألمانية

وطبيعي أن يفكر هتلر في تحرير ألمانيا من القيود الدولية التي فرضت عليها في مؤتمر الصلح كتمهيد لتحقيق الوحدة الألمانية، ولذلك فإنه لم يعتم حتى شجب اتفاقية هذا المؤتمر التي كان يعتبرها المصدر الكبير للمهانة الألمانية.

وبعد أن شجب هذه الاتفاقية توقف قليلاً ليتبين ردود الفعل في العالم الغربي ولاسيما فرنسا وإنكلترا. ولم يحدث شيء يدل على وجود أي خطر أو على استعداد العالم الغربي للقيام بإجراءات مضادة لإيقافه عند حده.

ومن هنا بدأ هتلر يحقق أهدافه التي تتناول وحدة ألمانيا قبل كل شيء. لقد كان يستعيد الأجزاء التي اقتطعت من بلده واحداً واحداً دون أن يشعر بتغير الموقف



هتلر وتشمبرلين وبينهما المترجم

الغربي. كان على الضد من ذلك يحس إحساساً قوياً بخوف الغربيين وتنافسهم على إرضائه وتسابقهم إلى الاتفاق معه حتى كان مؤتمر ميونخ الذي أصبح في نظر الغربيين آية مهانة ومذلة لهم وأصبح تشمبرلين رئيس الحكومة الإنكليزية بسببه عنواناً على الاستخذاء.

وظن العالم أن هتلر سيكتفي بما استعاده من المناطق التي انتزعت من ألمانيا في نهاية الحرب العالمية الأولى. ولكن هتلر الذي مرت عليه سنوات وهو يعيد بناء جيش الريخ الثالث الكبير ويدعم الصناعة الثقيلة ويستغل العبقريات والكفاءات القومية من أجل بناء آلة الحرب الضخمة، لم يستقر ولم يهدأ.. ولم تمض أشهر قليلة حتى انقض على السودات، المقاطعة التشيكوسلوفاكية التي تسكنها أكثرية ألمانية ثم انقض على تشيكوسلوفاكيا كلها. وسكت العالم الغربي أيضاً لأنه لم يكن في وسعه كما لم يكن في وسع أية قوة في العالم أن تواجه الآلة الحربية الألمانية في ذلك الوقت.

ولكن الثابت أن الغربيين كالسوفيات كانوا يشعرون جميعاً بتزايد الخطر الألماني ويعدون أنفسهم للحاق بألمانيا في بناء اقتصادهم الحربي. مع العلم أن الشعوب الغربية لم تكن تريد الحرب ولم تكن تجد فيها أية ضرورة قومية كما هو شأن الشعب الألماني. كانت الشعوب الغربية تريد السلام بأي ثمن وكانت طبقاتها الحاكمة تجد

في هذا السلام فرصة لمضاعفة ثرواتها في أمبراطوريات بلادها الشاسعة. فلفرنسا مستعمراتها في إفريقيا وآسيا وإنكلترا مثل هذه المستعمرات، أما الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي فقد كان لهما من الأراضي الواسعة والثروات الضخمة ما يدفعهما إلى تجنب التفكير في إعلان حرب ضد هتلر. ولكن خطر هتلر جعل يتزايد. وكان الشيوعيون السوفيات أكثر إحساساً به. ذلك لأن حكم هتلر في ألمانيا قد بني على أنقاض الحزب الشيوعي الألماني الذي كان أقوى حزب في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى وكان يضم خمسة ملايين من الذكور والإناث المتحمسين لهذه الدعوة. يضاف إلى ذلك أن الشيوعية السوفياتية كانت الكابوس الكبير في خيال هتلر الذي يحلم باستمرار بالقضاء على قاعدتها موسكو والاستفادة من ثروات الشعوب السلافية.

بداية انهيار الوضع

الخلاف بين ألمانيا وبولونيا

لعل الأزمة التي نشبت بين ألمانيا النازية وبولونيا والمضاعفات التي رافقتها أن تكون نقطة اللارجوع في سير الأحداث نحو الحرب.

وقبل أن نتحدث عن هذه الأزمة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، يهمنا أن نسلط الأضواء على قضية طالما تناولها الكتاب بالنسبة لموقف القواد العسكريين الألمان من أطماح هتلر وأحلامه وخططه التوسعية.

هناك مؤرخون يؤكدون أن قواد هتلر كانوا يعارضون عند كل مغامرة جديدة من مغامراته ابتداءً من احتلاله للراين وانتهاءً بالأزمة البولونية التي انفجرت بها الحرب، مروراً باحتلاله للبلاد النمساوية وأرض تشيكوسلوفاكيا التي ضمها نهائياً إلى الريخ الثالث في شهر آذار من عام ١٩٣٩.

ويؤكد المؤرخون أن بعض هؤلاء القواد قد فكر في الفترة التي سبقت إعلان الحرب العالمية الثانية بالانقلاب عليه وبإسقاطه خوفاً من أن يجر بلاده إلى حرب مدمرة تقضي على شبابها وتحطم المنجزات والمكاسب التي حققتها.

وقد يكون هذا صحيحاً بالنسبة لأفراد معينين من القادة ولكنه ليس صحيحاً بالنسبة لمجموعة القواد على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم. إن هتلر لم يكن يحكم بلاده وهو في عزلة عن طبقات الشعب الألماني وفئاته المختلفة. إن الإحساس القومي العنصري العنيف الذي سبب كل المضاعفات المعروفة كان إحساساً يغمر الكثرة

الساحقة من أبناء الشعب ويهز الملايين هزاً فتنتشي به وتتأثر بأحلامه وأطماحه.

أما الفئة القليلة من القواد التي كانت ذكريات الحرب العالمية الأولى ما تزال تعيش في خيالها والتي كانت في الوقت نفسه تنفس على هتلر نجاحه انتزاع أكاليل الغار وهو المواطن الخارج من الدهماء مع أعوانه وأنصاره، أما هذه الفئة القليلة فإنها لم تلبث أن ضغطت على عواطفها وأحقادها الداخلية وسايرت هتلر وشاركته في تحقيق خططه وتنفيذ أغراضه.

إن الخلاف بين هؤلاء القادة وبين هتلر لم يكن خلافاً على حق ألمانيا في سيادة العالم، ولكنه خلاف حول من يجب أن يقود ألمانيا في الأساس. وتأتي المبررات التي سجلها المؤرخون وفي مقدمتها خوف هؤلاء القادة من نتائج المغامرات الهتلرية بمثابة التغطية الظاهرية لأحقادهم المحلية.

دانتزيغ والممر البولوني

قلنا ان هتلر كان يسعى إلى تحقيق الوحدة الألمانية ولذلك فإنه بادر إلى التفكير في ضم الممر البولوني ومدينة دانتزيغ الحرة ليصل بروسيا الشرقية الألمانية بالوطن الأم وليضم سكان دانتزيغ وهم من الألمان في كثرتهم الساحقة إلى بقية الشعب الألماني.

ولوحظ أن بولونيا قد حاولت بعد الحرب العالمية الأولى وبعد أن أعطيت حق الإشراف على مدينة دانتزيغ الحرة، وعقد اتحاد جمركي معها يعطيها منفذاً إلى بحر البلطيق ثم أعطيت الممر البولوني؛ لقد لوحظ أن بولونيا هذه المؤلفة من ٣٥ مليوناً من السكان قد حاولت التقرب من جارتيها الكبيرتين روسيا وألمانيا كما حاولت التقرب من فرنسا وبريطانيا.

وكانت بولونيا تشعر دائماً كلما تزايد النزاع الأيديولوجي بين النازية والشيوعية بأن أرضها ستكون ميدان الصراع بين هاتين القوتين الكبيرتين. لذلك سعى أقطاب الحكومات البولونية إلى التخفيف من خطر إحداهما بمصادقة الأخرى بالإضافة إلى عقد المحالفات مع الدول الغربية. وقد حصلت على ضماناتها المطلوبة من بريطانيا بينما كانت فرنسا قد عقدت معها معاهدة قديمة.

وعندما نقضت ألمانيا النازية ميثاق عدم الاعتداء مع بولونيا الذي سبق أن وقعته الدولتان عام ١٩٣٤، أصبحت بولونيا في وضع لا تحسد عليه. لقد أصبحت مرغمة

على الاستعداد لمواجهة خطر المستقبل لاسيما وان كل شيء كان يدل على أن هتلر ليس بالرجل الذي يتردد في تنفيذ أغراضه وأطماحه.

دانتزيغ

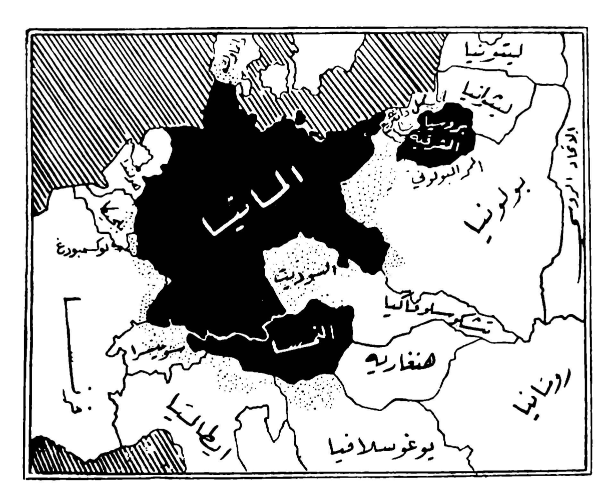
ما هي مدينة دانتزيغ؟ ولماذا انفجرت مسكلتها بهذا الشكل الحاد الذي عرف لها عام ١٩٣٩؟ الواقع أن دانتزيغ هي مدينة ألمانية. إذا نظرنا إليها من ناحية السكان فأكثريتهم تستعمل اللغة الألمانية وتنتمي إلى أصول ألمانية. ولكنها، أي المدينة، لم تكن ألمانية دائماً بل أصبحت كذلك بمرور الزمن نتيجة لتنفيذ خطة الاندفاع نحو الشرق التي هي القاعدة القديمة للسياسة الألمانية. أما من النواحي الاقتصادية والعسكرية والجغرافية فإن دانتزيغ ضرورة لازمة لبولونيا لا يمكنها الاستغناء عنها خوفاً من الاختناق. إنها باستثناء «جدينيا» المنفذ البولوني الوحيد إلى بحر البلطيق.

ومدينة دانتزيغ الحرة هي ما يعرف بالمدينة نفسها ثم منطقة تحيط بها وتشمل ساحل «زابوت» وهو مصيف جميل يرتاده هواة الرياضة البحرية كما يشمل بلدتي «تيجنسوف» و«نورتيش» وقرى تحيط بهما. أما مجموع السكان في المنطقة كلها فقد كان آنذاك ٤١٠ آلاف نسمة.

ولهذه المدينة الحرة دستورها الخاص الذي وضع لها بعد الحرب العالمية الأولى وعملتها الخاصة. ولكنها كانت مرتبطة ببولونيا في اتحاد جمركي. وكانت لها حكومتها الخاصة التي يعينها برلمان عدد أعضائه ٧٢ ويطلق على حكومتها اسم مجلس الشيوخ ويعتبر رئيس هذا المجلس الرئيس الأول لحكومة المدينة الحرة. وكان في المدينة مندوب سامٍ يمثل عصبة الأمم. ولم يسبق أن وقعت أزمة بين دانتزيغ وبين بولونيا التي كان لها حق الاحتفاظ بقوة عسكرية في خليج دانتزيغ، اللهم إلا إذا استثنينا حادثة واحدة وحسب. يبقى التمثيل الدبلوماسي للمدينة الحرة الذي وُكل إلى الحكومة البولونية.

وعندما نعلم أن مدينة دانتزيغ قائمة على نهر بولوني من منبعه إلى مصبه، نعني به نهر الفيستولا، وان تاريخ هذا النهر مرتبط بتاريخ البلاد التي يجري في أرضها، فإننا حين نقتطع الجزء الذي يسير منه في دانتزيغ نكون كمن يقطع وريداً في جسم بولونيا يحدث لها نزيفاً حتى الموت.

وإذا نوقش الموضوع من وجهة نظر المناداة بالمجال الحيوي فإن نظرة واحدة



خريطة الحرب في بولونيا وممر دانتزيغ

إلى الخارطة تؤكد أن دانتزيغ واقعة في نطاق المجال الحيوي لبولونيا حتى أن بروسيا الشرقية نفسها واقعة في هذا المجال. ومنطق المجال الحيوي هو المنطق الذي سوغت به ألمانيا النازية ضم بوهيميا ومورافيا في منتصف آذار من عام ١٩٣٩ إلى أراضيها.

ننتقل بعد هذا إلى بحث مبدأ تقرير المصير الذي يذكرنا بقول قاله ملك بروسيا «فريدريك الكبير» حين أعلن أن من يسيطر على مصب الفيستولا ودانتزيغ يكون له في بولونيا سلطان أعظم من سلطان ملك «فارسوفيا». فهل ان ألمانيا الهتلرية كانت تريد السيطرة على بولونيا تحت ستار المطالبة باستعادة دانتزيغ الألمانية والممر البولوني؟

وقد يظن البعض أن أهالي دانتزيغ كانوا راغبين مائة في المائة في الانضمام إلى الوطن الأم. الحقيقة أن أهالي دانتزيغ كانوا قلقين، فهم من ناحية يشعرون بأهمية وضعهم الممتاز من الوجهة الاقتصادية بسبب مرور الصادرات والواردات البولونية في مدينتهم، وهم من ناحية أخرى يتأثرون بضغط الدعاية السياسية والعواطف التي ألهبتها الحركة النازية آنذاك. لقد كانوا يريدون في أعماقهم أن يحافظوا على أوضاع مدينتهم

وأن يحكموها في الوقت نفسه وفقاً للمبادىء النازية.

أما الألمان أنفسهم فلم يكونوا يجدون لدانتزيغ هذه القيمة الاقتصادية الكبيرة. كل ما كانوا يفكرون فيه هو الاستيلاء عليها لفصل بولونيا عن بحر البلطيق بحيث يتحقق قول «فريدريك الكبير» ثم تدخل بولونيا في نطاق الحماية الألمانية. هكذا يبدو أن الفوز بدانتزيغ هو وسيلة ألمانية لتحقيق أغراض توسعية وحسب، بينما هو من وجهة النظر البولونية خطر داهم على بولونيا كلها.

وقد لوحظ أيضاً أن بولونيا قد فشلت في إقناع النازيين بإزالة التوتر بينها وبين بلادهم رغم أن وزير الخارجية البولوني الكولونيل بيك قد حاول المستحيل لجعل سياسة بلده موالية للألمان. وعندما توفي المارشال بيلسوديسكي رئيس الجمهورية البولونية وخلفه الجنرال سميغلي ريدز تطور الموقف قليلاً حين حاول هذا الأخير أن يتقرب من فرنسا وبريطانيا دون أن يقطع علاقته مع ألمانيا.

وقد فشلت كل محاولاته رغم أن بولونيا قد أيدت ألمانيا حين اجتاحت هذه الأخيرة الأرض التشيكوسلوفاكية بل ذهبت إلى أكثر من ذلك فطالبت ببعض الأرض التشيكوسلوفاكية التي احتلها الألمان.

ستالين

قلنا ان الاتحاد السوفياتي كان يحس بضغط الخطر النازي أكثر من إحساس الغربيين به. ولكن ستالين زعيم الاتحاد السوفياتي كان لا يرى في الحكومة الألمانية عدوة وحيدة له بل يعتبر كل الحكومات الرأسمالية عدوة لنظامه الشيوعي. ولذلك فإن الفرحة كانت تغمره وتشيع في نفسه حين يرى الأوضاع السياسية تنهار والعلاقات تتقطع بين ألمانيا والعالم الغربي.

وكان النفوذ الواسع الذي يتمتع به في بلاده قد سمح له بالمناورة وبأن يقامر على مستقبل بلاده حين عقد مع هتلر اتفاقية عدم اعتداء في شهر آب من عام ١٩٣٩. هذه الاتفاقية لم تترك حرية العمل لهتلر وحده بل سمحت لستالين بتوسيع حدود بلاده والسيطرة على جانب كبير من بولونيا والدول البلطيقية الثلاث ليتوانيا وإستونيا ولاتفيا.

كان ستالين يرى أن طريق الشيوعية إلى النصر لا يفتح نهائياً ما لم تقع الواقعة بين ألمانيا النازية ودول الغرب ولذلك فإنه لم يتردد في استدراج هتلر إلى الحرب وفي

التعهد بتزويده بكل ما يحتاج إليه من المواد الأولية والبترول والحبوب على أمل أن يبدأ نزاع الرأسماليين حتى ينهك بعضهم البعض الآخر، ولم يبخل ستالين على ألمانيا بما عنده حتى أنه كان يقدم المواد الأولية إلى ألمانيا بكميات أكبر من أن تحتمل روسيا حرمان نفسها منها.

حصة ستالين

وعندما انفجرت الحرب البولونية الألمانية لم يتردد السوفيات في اقتطاع حصتهم من الكعكة التي أعدها النازيون وخبزوها فقاسموهم انتصارهم وظفروا بما اتفقوا معهم على أخذه من الغنائم والأسلاب.

في اللحظات الأخيرة

لنعد إلى الأزمة الألمانية البولونية حول دانتزيغ والممر البولوني. لقد بادر هتلر إلى تقديم مذكرته المعروفة لحكومة فارسوفيا البولونية وطالب في هذه المذكرة بضم دانتزيغ والممر البولوني إلى بلاده. ورفضت فارسوفيا ولم تَلِنْ أمام أي ضغط أو تدخل فقد اعتبرت هذه المذكرة حكماً بالإعدام ووجدت من حقها أن تحافظ على حياتها. وهتلر ليس بالرجل الذي يفكر كثيراً في أمثال المطالعات التي يقدمها الجانب البولوني. كان منطقه بسيطاً جداً: الحرب أو تسليم دانتزيغ والممر البولوني. واضطرب العالم الغربي كله بينما كانت موسكو تنتظر وتتابع الأحداث. وبذل الغربيون كل جهد ممكن للحيلولة دون وقوع الحرب ولا سيما بعد الاتفاق الألماني الروسي.

وأرسل تشمبرلن رئيس الوزارة الإنكليزية مذكرة خاصة إلى هتلر في ٢٢ آب سنة ١٩٣٩ يطلب إليه فيها تجنيب أوروبا حرباً عالمية جديدة مدمرة. ثم أرسل إليه السيد دالاديه رئيس الوزارة الفرنسية مذكرة بمثل هذا المعنى في ٢٦ من الشهر نفسه، كما وجه الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت في الثالث والعشرين من آب نداءً إلى ملك إيطاليا يسأله التوسط في النزاع ثم أعقبه بنداء مثله إلى كل من هتلر ورئيس الجمهورية البولونية في اليوم التالي يناشدهما فيه تسوية الخلاف بالطرق السلمية.

وتتابع كبار العالم وعظماؤه يوجهون نداءاتهم الحارة متوسطين ملحين باسم السلام والمحبة وفي مقدمتهم البابا بيوس الثاني عشر الذي أصدر نداءه الخاص يحث فيه دول أوروبا على التمسك بالسلام. كما وقف كل من ليوبولد الثالث ملك بلجيكا وملكة هولندا ولهلمينا إلى جانب المنادين بالسلام.

وفي ٢٩ آب عادت لندن إلى تنظيم حملة سلمية جديدة فحاولت إقناع هتلر بفتح باب المفاوضات من جديد بينه وبين بولونيا. وقبل هتلر هذا الرجاء في اليوم نفسه واشترط أن ترسل بولونيا مندوباً من قبلها مزوداً بالصلاحيات الواسعة التي تسمح له بقبول الشروط الألمانية وعلى أن يصل إلى برلين في اليوم التالي. ورفضت بولونيا هذا الطلب رغم أنها حاولت الاتصال ببرلين في الحادي والثلاثين من آب بالطرق الدبلوماسية المعتادة.

وفي مساء ٣١ آب أذاع راديو برلين الشروط التي تقبل معها ألمانيا بإجراء المفاوضات على أساسها.

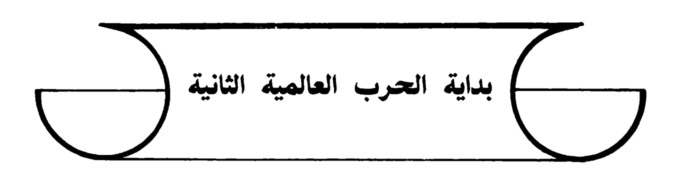
وعند ظهر اليوم الحادي والثلاثين تدخل موسوليني في النزاع القائم وأحاط الحكومتين الانكليزية والفرنسية علماً باستعداده للدعوة إلى مؤتمر تعقده الدول الأوروبية الكبرى من أجل التوسط في النزاع.

ولكن محاولة موسوليني باءت بالفشل لأن التعليمات التي أعطاها هتلر قبل الهجوم بيوم واحد لقواده العسكريين كانت تقضي بالانقضاض على بولونيا في تمام الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح أول أيلول.

ونام العالم كله مساء الحادي والثلاثين من آب وهو في قلق مضنٍ وخوف مقيم بينما كانت ٧٣ فرقة ألمانية بينها ١٥ فرقة مدرعةً حديثة و ٤٠٠٠ طائرة تستعد كلها وتنتظر في مواقعها ومطاراتها عند الحدود بانتظار ساعة الصفر.

وجاءت ساعة الصفر وانطلقت الطائرات وزأرت الدبابات وترددت أصوات المقاتلين وسارت عشرات الألوف من السيارات الشاحنة ترافقها المدافع من كل العيارات لتخترق أرض بولونيا وسماءها ولتحطم الخطوط الدفاعية التي كان البولونيون يظنون أنها قادرة على الصمود طويلاً أمام الهجوم الألماني.

وذهل العالم وشاع رعب رهيب وأحست الدنيا أن البشرية مقدمة على أحداثٍ ومفاجآت لا يعلم كيف تنتهي غير الله.



بداية الحرب العالمية الثانية

وأخيراً وقع ما كان يتخوف العالم منه. لقد انطلقت قوات هتلر صباح اليوم الأول من أيلول سنة ١٩٣٩ ترسل قنابلها وتملأ سماء بولونيا بطائراتها المطاردة والقاذفة.

لقد بدأت الحرب في الوقت الذي كان يظن فيه البولونيون أن هتلر مستعد لفتح باب المفاوضات من جديد. وسبق السيف العذل.

ولوحظ أن عيون هتلر ورجال المخابرات عنده قد انتشروا في الأماكن الحساسة من الأرض البولونية كما انتشروا في أوساط الأقليات الألمانية التي كانت تعمل لمصلحة النازية بصورة خاصة.

وبدأت الحرب دون إعلانٍ رسمي أو إنذار مسبق.

القضاء على الطيران البولوني

لم يمض يومان على بدء المعركة حتى كانت يد الفناء والتهديم قد اكتسحت الكثرة الساحقة من الطائرات البولونية. إن ألوفاً من الطائرات النازية قد قامت بهجومها المفاجىء في موجات متعاقبة وفي نظام دقيق فأمطرت المراكز الحساسة والمواقع العسكرية ولا سيما المطارات منها بعشرات الألوف من القنابل الكبيرة والصغيرة. وقد استطاعت الطائرات الغازية أن تحطم الطيران البولوني كله من الناحية العملية. وعندما تابعت القوات الألمانية المدرعة انطلاقتها الهجومية كانت واثقة من أن بولونيا قد فقدت سلاحها الجوي بصورة نهائية.

ولكي ندرك الفروق الشاسعة بين القوات الألمانية وقوات البولونيين يجب أن نذكر بأن ألمانيا قد وضعت على الجبهة البولونية ٤٠٠٠ طائرة من أحدث طراز بينما كانت بولونيا تملك ١٠٠٠ طائرة من طراز قديم.

كما يجب أن نذكر أيضاً بأن ألمانيا النازية، قد وضعت على الحدود البولونية

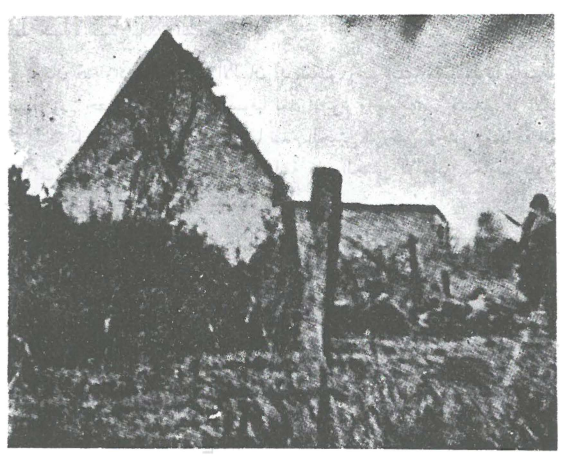
١٥ فرقة مدرعة ومزودة بأحدث أنواع الأسلحة وأقواها مقابل فرقة بولونية مدرعة واحدة ذات تسليح عادي.

ويجب أن نذكر أخيراً بأن ألمانيا النازية قد وضعت على الحدود البولونية ٥٨ فرقة من المشاة والفرق الآلية مقابل ٣٥ فرقة بولونية لا تكاد تملك نصف أسلحة الفرق الألمانية.

فرنسا وانكلترا تعلنان الحرب

وفي اليوم الثالث من أيلول قررت انكلترا إعلان الحرب. وقد خطب السيد تشمبرلن في الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر ذلك اليوم لإعلان هذا الخبر على العالم أمام مجلس العموم البريطاني وفاقاً للعهد الذي قطعته بريطانيا على نفسها لمساعدة بولونيا حين تتعرض هذه الأخيرة لخطر أجنبي

أما فرنسا فإنها بعد تردد استمر ساعات وتحت تأثير الضغط الإنكليزي عليها أعلنت الحرب على ألمانيا.



النار تشتعل في البيوت

ووقفت الامبراطورية الانكليزية كلها إلى جانب لندن فأعلنت الحرب على ألمانيا باستثناء حكومة ايرلندا التي اختارت الحياد ورفضت الدخول في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل.

هكذا بدأت الحرب ضيقة، ثم لم تلبث أن اتسعت بسرعة البرق الخاطف في اليوم الثالث من نشوبها وأصبح العالم كله فريسة سائغة لنارها المحرقة الهائلة.

بولونيا في الميدان

كان الجميع يعتقدون وفي مقدمتهم القيادات الفرنسية والإنكليزية أن بولونيا ستصمد أمام الهجوم الألماني عدداً من الأشهر كافياً لإعطاء الحلفاء الغربيين فرصة للاستعداد الواسع ثم للانقضاض على الحدود الغربية الألمانية.

ولكن الأيام الأولى للمعركة البولونية قد كذبت كل الظنون فما أسرع ما انهارت الخطوط الدفاعية البولونية القائمة عند الحدود. وكان انهيار الجيش البولوني بسرعة أدهشت أشد الناس تشاؤماً لأن هذا الانهيار تم بعد أيام معدوداتٍ من بداية الهجوم. الحقيقة أن الدنيا كلها قد ذهلت وأصابها العجب حين رأت دولة عدد شعبها ٣٣ مليوناً تسقط منهارة بمثل هذه السرعة.

وكان مما زاد الدهشة أن الألمان قد تمكنوا رغم المقاومة البولونية العنيفة من الوصول إلى حصون العاصمة فارسوفيا بعد أسبوع واحد فقط. وعندما مر الأسبوع الثاني كان كل شيء قد انتهى. وعندما تقدم الجيش الروسي ليحتل المساحة المتفق عليها من الأرض البولونية في اتفاقية سابقة كان الجيش الألماني يحارب فلولاً من البولونيين لا قوات عسكرية منظمة.

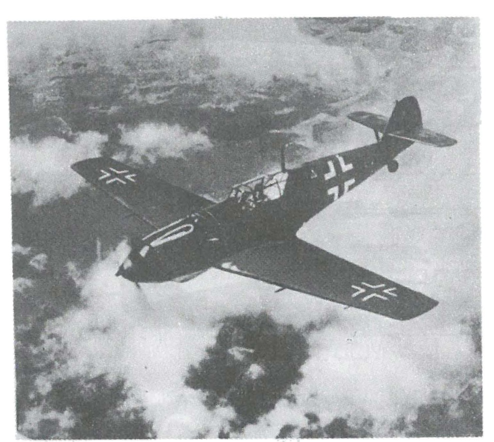
ونحن في غنىً عن القول بأن البولونيين قد دفعوا الثمن غالياً جداً وكان خراب العاصمة واحتراقها بفعل القنابل الألمانية المحرقة والمتفجرة بعض هذا الثمن.

الخطة الألمانية

لا خلاف بين الخبراء في أن الخطة العسكرية الألمانية التي نفذت في المعركة البولونية كانت من التنظيم والبراعة والدقة في المكان الأول. والمعروف أن القيادة الألمانية العليا قد خصصت ثلاثة جيوش للزحف على العاصمة فارسوفيا. الجيش الأول ينقض من بروسيا الشرقية



طائرات تصب قنابلها فوق المدن الآمنة



قنابل تصيب أهدافها

والثاني والثالث من الحدود الألمانية الشرقية بقيادة الجنرال فون رانستد.

ويقول النقاد الحربيون عن المعارك الأولى «إنه لما بدأ النازيون هجومهم ومزقوا خطوط الدفاع البولونية الأولى على طول الحدود المشتركة انتقل هؤلاء الأخيرون إلى تنفيذ عملية سحق واسعة تماماً كما يسحق المرء البيضة بعد نضوجها التام في الماء الحار.» وقد لاحظ النقاد أيضاً أن النازيين بعد اختراقهم لخطوط الدفاع البولونية لم يجدوا أمامهم قوة محترمة تستطيع مناهضتهم أو الصمود أمام زحفهم. ثم يؤكدون من ناحية ثالثة أن النازيين لم يقتصروا على استعمال أحدث الأسلحة وأقواها بل استعملوا أيضاً أدق الأنظمة والإدارات واعتمدوا أحدث الفنون العسكرية التي وصلوا بها إلى أعلى الدرجات. لقد قلبوا بهذه الفنون خطط الحرب فبعد أن كانت قوات المشاة هي العصب الرئيسي للحروب أصبحت قوة ثانوية وانتقلت الأولوية للفرق الميكانيكية المدمرة التي كانت بالتعاون مع موجات الطائرات القاذفة والمطاردة تدمر كل شيء أمامها وتكتسح كل العقبات ثم يأتي المشاة من ورائها ليدعموا الانتصارات التي سجلتها الفرق الميكانيكية.

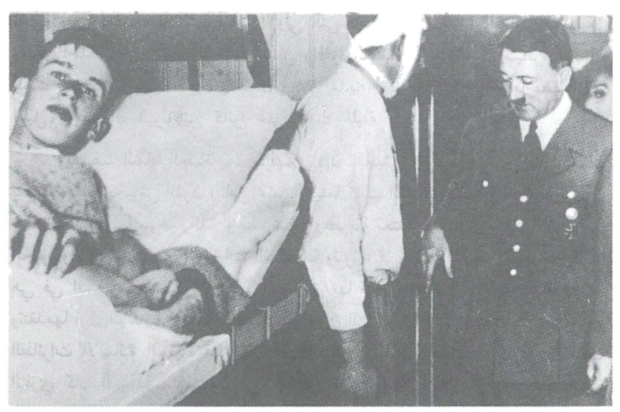
وكان من ثقة الألمان بأنفسهم أنهم كانوا ينقلون جنودهم من مكان لآخر دون أية

تغطية جوية لعلمهم بأن الهجمات الأولى التي قاموا بها قد أبادت القوات البولونية. ويذكر أحد الصحفيين الأميركيين الذين رافقوا الحملة الألمانية بأن سيطرة الألمان كانت من الشدة بحيث أنهم بعد أن احتلوا مدينة لودز قد تركوا أنوارها مضاءة في الليل، رغم أن البولونيين كانوا على أميال قليلة منها.

ويضيف النقاد العسكريون قولهم: «إن الجيش البولوني قد حارب الألمان بخطط خليقة بجيوش القرن الثامن عشر. فبينما كانت القوات الألمانية الزاحفة تتحرك بدقة الساعة دونما سرعة زائدة أو بطء شديد وبطريقة معتدلة تنتقل بها مئات الألوف من الجنود وآلاف الدبابات والسيارات المصفحة وتتوزع في أنحاء الأرض البولونية وكأنما هي في استعراض عسكري كبير، ثم تلحق بها فرق المؤونة والأغذية دقيقة منظمة وتتقدمها فرق الهندسة لإصلاح الجسور والطرق التي يكون المتراجعون قد هدموها أو الطائرات الألمانية المغيرة قد أمطرتها بقنابلها؛ بينما كل هذا يحدث في الجانب النازي كان البولونيون يعيشون في صميم الرعب القاتل فلا يدرون كيف تأتيهم الطعنات من كل جانب».



عربات مصفحة بولونية صغيرة



هتلر في بولونيا وهو يعود الجرحى في قطار حوّل إلى مستشفى

وفي الثامن من شهر أيلول كان فون رانستد قد وصل إلى أبواب العاصمة البولونية وبدأت مدافعه تدك خطوطها الدفاعية الخارجية.

وقد لوحظ أن الخطط النازية لكسب الحرب في بولونيا هي تلك التي جربت ونفذت في الحرب الأهلية الإسبانية. والفرق بينهما هو في اتساع المناورات وكميات السلاح وحسب.

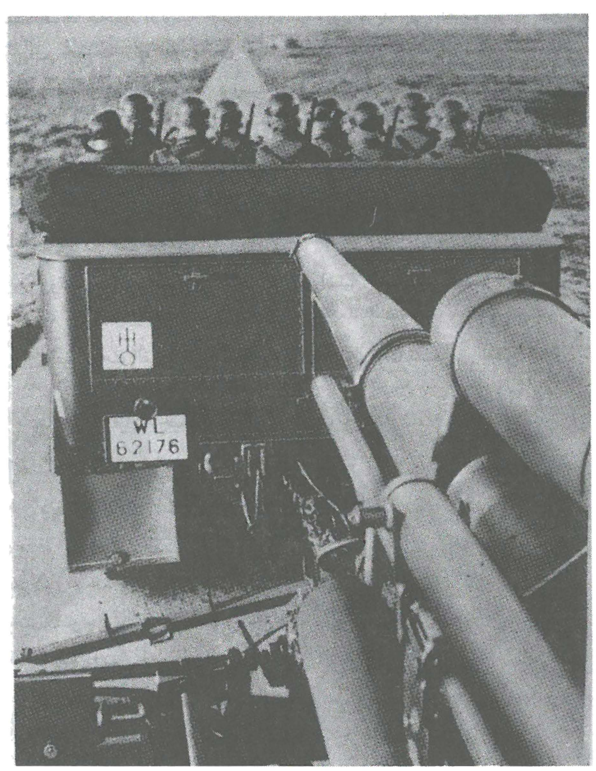
ويؤكد الخبراء العسكريون أنه إذا كانت هناك فروق ظاهرة بين حربي اسبانيا وبولونيا، ففي أن الحرب البولونية كانت تتميز من جانب النازيين بسرعة الزحف وقوة الحملات وتطبيق النظريات بحسم وحزم قوي.

والثابت أن القادة البولونيين قد قطعوا الأمل من إنقاذ أي جزء من أرض بلادهم بعد نهاية الأسبوع الأول، أي عند وصول جيش فون رانستد إلى ضواحي فارسوفيا العاصمة.

وكيف لا ييأس القادة البولونيون وهم الذين ظنوا في بعض الحالات أن مواقعهم العسكرية المحصنة تستطيع الصمود أسابيع أو أياماً كثيرة على الأقل، فإذا بهم يرون أنها لم تصمد أكثر من ساعات قليلة. ولو أن النازيين كانوا يعتمدون على مواد بترولية غنية لكانت حربهم أسرع ولكانت ضرباتهم أقوى وأشد وأمضى. لكن الواقع أن مسألة

البترول عند النازيين مسألة شائكة شغلت قيادة الجيش قبل المعركة وفي أثنائها.

ويقول النقاد العسكريون: إن من الأسباب التي ساعدت على سرعة الزحف النازي أن الطرقات كانت حسنة نسبياً. وأن الأمطار كانت منقطعة أو خفيفة بحيث ان أرض بولونيا بقيت جافة فسمحت للدبابات باجتياز المسافات الشاسعة دون أي عائق جدي.



الألمان يغزون بولونيا

وفيما يلي ننقل فقرات مما كتبه أحد المراسلين الحربيين عما شاهده في ٢٦ أيلول أي بعد ٢٦ يوماً من بداية الهجوم قال:

أخذ الجيش الألماني الذي حطم القلاع البولونية عند بداية هجومه وهي القلاع والحصون القائمة على الحدود، في ثمان وأربعين ساعة، والتي يزعم البولونيون أنها لا تقهر ولا تدمر، أخذ ينسحب من الأراضي التي احتلها شرقي بيزا ونهر «نارو» التي تقف عندها الحدود الروسية الألمانية الجديدة في طريقه إلى الغرب ليواجه الجيشين الفرنسي والإنكليزي المحتمىن بخط ماجينو الكبير.

أصبحت كل الطرق في بروسيا الشرقية مليئة بالسيارات والدبابات والمصفحات ممتدة في خط طويل يبلغ أميالاً عديدة. . .

الجيش الألماني المنتصر يعود الآن من حيث أتى ليعمل في جبهة جديدة.

هناك قطع من الجيش نقلت جواً من موانىء البلطيق وبعض آخر منها نقل بالسيارات والقطر الحديدية.

وكان إعجاب المراقبين الأجانب والمراسلين الصحفيين عظيماً لا بقوة الجيش وحسب بل بهذا النظام الدقيق الذي ظهر بعد النصر.

لقد شاءت القيادة في ذلك اليوم ـ ٢٦ أيلول ـ أن تستعرض بعض الفرق أمام



. . . ويحطمون حاجزاً من حواجز الحدود

الصحفيين والملحقين العسكريين الأجانب. وعندما مرت هذه الفرق أمامنا رأينا عجباً. . .

كانت أمامنا مشاهد لأروع منجزات الفن العسكري. وتعاقبت أمامنا أقوى الأسلحة وأمضاها وأشدها فتكاً في تاريخ الأسلحة. وقد بدت لنا الفرق وكأنها قطعة واحدة من الحديد. حتى المشاة كانوا يركبون السيارات الكبيرة التي لم أستطع تحديد عددها أبداً.

وكان بين الدبابات التي ظهرت في الاستعراض الكبير ما يزن ٧ أطنان أو يزن ٢٤ طناً. بالإضافة إلى أعداد هائلة من المصفحات الثقيلة والخفيفة التي تحمل المدافع الكبيرة والصغيرة، ومن ورائها سيارات تحمل الرشاشات وأسلحة مضادة للدبابات، ومن وراء هذه السيارات صفوف لا تكاد تنتهي من الجنود راكبي الدراجات البخارية. ولم أشاهد غير قطعة واحدة من المدفعية تجرها الخيول.

الجنود كلهم راكبون على اختلاف قطعاتهم. إنهم لا يمشون إلا في بعض شوارع المدن المحتلة للحفاظ على الأمن أو لقضاء عطلة.

الجيش البروسي

يبقى أن نتحدث قليلاً عن الجيش النازي الذي خرج من بروسيا الشرقية. فقد اقتحم الحدود البولونية في اليوم الأول وهاجم الحصون القائمة على نهر «نارو» في «توغرود». وقد تابع زحفه ليستولي على حصن «غرودنز»، وارتد إلى الشرق مرة أخرى باتجاه نهر «نارو» ومواقعه المحصنة.

كان ذلك في السابع من أيلول وقد وقفت القوات النازية أمام سلسلة من الحصون الهائلة التي تمتد لمسافة ٣٥ كلم. وهي عبارة عن حواجز من الأسمنت المسلح تبرز فوق كل أرض ليست فيها مستنقعات.

وقد أنشىء بعض هذه الحصون عام ١٩٣٩ بإشراف مهندسين فرنسيين وتشيكوسلوفاكيين.

وفي اليوم التالي تقدم النازيون نحو النهر واجتازته إحدى كتائبهم على زوارق من المطاط دون أن تنطلق رصاصة واحدة من البولونيين أول الأمر.



هتلر في موقف خطابي

وفجأة انطلق الرصاص ودوت القنابل وانقطع اتصال الألمان بكتيبتهم، ثم لم يعرف شيء عنها.

ورد الألمان على هذه النيران البولونية، بأستار كثيفة من القنابل من مختلف العيارات. واستمر هذا الوضع طوال النهار ثم تمكن المهاجمون من تعيين مواقع البولونيين فأصلوهم ناراً حامية وأسكتوا أسلحتهم كلها. وتوجهوا بعد ذلك بقذائفهم إلى توغرود فدمروها تدميراً.

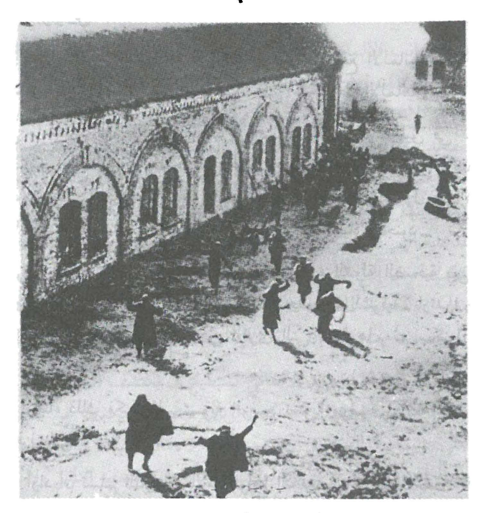
ومع ذلك فقد عجز النازيون عن اجتياز النهر. لأن نيران البولونيين عادت تحصد الكتائب التي تجتاز النهر حصداً.

وهنا قدم الألمان مدافعهم الكبيرة والبعيدة المدى وأخذوا يقصفون مواقع البولونيين دون شفقة أو رحمة فلا يبالون أين تقع القنابل. أشعلوا النار في كل شيء حتى ان الأرض قد قلبت وكأنما مرت بها سكة حراثة عملاقة. واضطر البولونيون أمام هذا الجحيم المستعر إلى الهرب وهم يصرخون كمن به مسّ من الجنون، وفقدوا أعصابهم ثم لم يعودوا يعرفون ما يريدون.

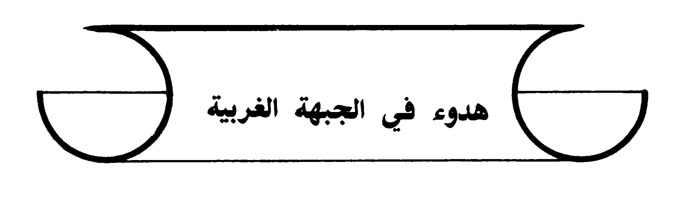
في هذه الأثناء تمكنت قوة نازية من اجتياز النهر تغطيها المدفعية. وراحت تهاجم المراكز القليلة الباقية بالقنابل اليدوية والنيران المحرقة. وفي مساء اليوم العاشر من أيلول كان الخط الدفاعي الذي يفتخر به البولونيون ويعرفونه باسم «نارو» قد أصبح أثراً بعد عين.



إحدى الدبابات الألمانية في معركة بولونيا



جنود بولونيون يستسلمون في فرسوفيا



هدوء في الجبهة الغربية

هتلر يريد السلام

تحقق لهتلر ما يريد.

لقد افترس بولونيا وازدردها لقمة سائغة تقريباً. لم يزعجه منها شيء. لقد تساقطت قطعاتها العسكرية كما يتساقط بيت من الكرتون....

ومع ذلك فقد بقيت فرنسا وانكلترا جامدتين لم تفعلا شيئاً من أجل إنجاد حلفائهما البولونيين.

لم تحلق أية طائرة فرنسية أو إنكليزية فوق المواقع الألمانية. ولم يحدث أي هجوم جدي من قبل الجيش الفرنسي على الخطوط الألمانية.

كل ما حدث أن طائرات انكليزية وفرنسية اكتفت بالتحليق في سماء ألمانيا لإلقاء المناشير ضد النازية وللتحريض على زعمائها وحسب. كما أن كتائب فرنسية صغيرة أغارت على الحدود الألمانية واحتلت بعض القرى التي تنازل عنها الألمان. ثم جمدت القوات الفرنسية وكأن شيئاً لم يتغير في حياة الجنود.

حتى إذا انتهت حرب بولونيا وتم تقسيم هذه الدولة الضحية بين العملاقين الألماني والروسي، واطمأن الألمان إلى سلامة حدودهم الشرقية، ارتدوا راجعين إلى حدودهم الغربية وردوا الفرنسيين عن القرى التي احتلوها، ثم سكنوا بدورهم لا يتقدمون ولا يتأخرون.

وفي أثناء ذلك فكر هتلر بتسوية الوضع تسوية مرضية شريفة على طريقته مع انكلترا وفرنسا.

لقد أراد أن تسلم الدولتان بالأمر الواقع الجديد. وأن تقتنعا بعبث الجهود التي قد تبذلانها من أجل الحرب.

وبينما كان هتلر يقوم باتصالاته من أجل إعادة السلم كانت قيادة جيشه تدرس نتائج الحرب في بولونيا وتعيد النظر في بعض تنظيماتها وتصلح ما فسد من أسلحتها وتصنع أنواعاً جديدة من الدبابات.

أما فرنسا!

هذا وفرنسا جامدة لا تتحرك... وما يدرينا لعلها وجدت مُتعة خاصة في الامتناع عن الحركة...

أو لعلها كانت تعتمد على حصون ماجينو التي استقرت خلفها ظناً منها أنها أقوى كثيراً من أن تقتحم من قبل قوات العدو. ولكن الحقيقة أن فرنسا بجمودها هذا قد خسرت الحرب سلفاً في الميدان النفسي. فبينما كان الألمان يأتون من بولونيا يجررون أذيال المجد ويحملون أكاليل الغار كان الجيش الفرنسي يخفي ضعفه وتفاهة أسلحته وراء الحصون كما يخفي ضياع روح المبادرة عنده بدعوى أن حصون ماجينو أمنع من عقاب الجو.

أما في الجانب الألماني فقد بنت ألمانيا حصون سغفريد وهي بشهادة الألمان أنفسهم أضعف وأقل منعة من حصون ماجينو. لقد كتب الجنرال الألماني فون مالينتين الذي عين قائداً لإحدى الفرق الألمانية في الجبهة الغربية يقول بعد زيارة قام بها لحصون سغفريد: «لقد نقلنا أوائل تشرين الأول بعد نهاية الحرب البولونية إلى الجبهة الغربية، وقد اغتنمت هذه الفرصة فزرت الحصون مستكشفاً فاحصاً. وكم كانت دهشتي حينما رأيتها أضعف كثيراً مما كنت أتصور. الحقيقة أن الحديث عنها كان نصيبه من الدعاية أكبر كثيراً من الحقيقة والواقع. وهنا أدركت معنى مغامرتنا في بولونيا وكيف أنها كانت أقرب إلى المقامرة. ولو حزم الفرنسيون أمرهم وهاجموا حصوننا بكل قوتهم لتمكنوا منا وأفسدوا علينا حربنا في بولونيا. وهناك أكثر من ذلك أن الجنود الذين كانوا يحمون حصوننا جنود من الدرجة الثانية ينقصهم الكثير من المرانة والتدريب».

من خلال ما كتبه هذا القائد الألماني نستطيع أن نكتشف الحالة النفسية للجيش الفرنسي آنذاك بل ولفرنسا كلها. وقد كتب برنارد فرغسون يتحدث عن الحالة النفسية المسيطرة على الشعب الفرنسي وجيشه يقول: «كان لسان حال الجميع جنوداً ومدنيين، دعونا نَعِشْ ودعوا الآخرين يعيشوا. هذا ما كان عليه الناس ولاسيما الذين يسكنون في بلاد السار. إن العشرين سنة التي مضت بعد الحرب العالمية الأولى قد

عودت الناس على الهدوء وأبعدتهم عن روح المغامرة وكرهت في نفوسهم الحرب والقتال والموت. إن بعضهم كان يفعل أكثر من ذلك، كان ينادي بعدم مهاجمة الألمان ما دام أن هؤلاء لا يريدون بفرنسا شراً، وعندما أقدمت قوة ألمانية صغيرة على احتلال قرية فرنسية عد الفرنسيون هذا الاحتلال تصرفاً بعيداً عن الذوق ولكنهم لم يشعروا أبداً بروح الاعتزاز والرغبة في رد التحدي الألماني بتحد مثله».

هذا بالنسبة للأوضاع النفسية العامة. أما المسؤولون في فرنسا فقد أمروا المصانع بالعمل ليلاً ونهاراً تماماً كما كان شأن المصانع الألمانية.

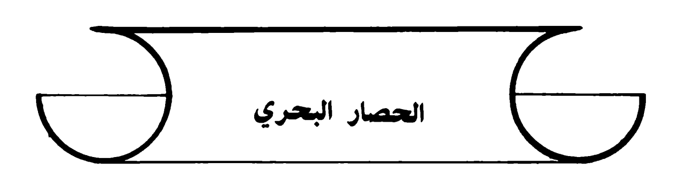
وقد ألقى هتلر في تلك الأثناء وعلى التحديد في اليوم السادس من تشرين الأول خطاباً في مدينة دانتزيغ دعا فيه إلى الصلح والسلام وعقد معاهدة عدم اعتداء بينه وبين الحلفاء على أن يتركوا له أوروبا لا يتدخلون في شؤونها وسياستها بعد أن فشلت سياستهم في تنظيمها، ومن الطبيعي أن هتلر كان يستهدف بهذا الخطاب الشعب الإنكليزي ليحرضه على حكومته فيمنعها من إرسال الجنود إلى الأرض الفرنسية. لكن لندن لم تتأثر بهذه المحاولة. وقد حدث العكس. فإن الحلفاء الإنكليز والفرنسيين حاولوا أن ينظموا أكبر حملة دعاوية ضد دكتاتورية هتلر وسياسته العسكرية في كل مكان من العالم ولاسيما في الولايات المتحدة. كما حاولوا في الوقت نفسه أن يحملوا موسوليني زعيم إيطاليا على اتخاذ موقف الحياد. يضاف إلى ذلك أن قيادة الجيش الإنكليزي أرسلت إلى فرنسا حملة عسكرية مؤلفة من ١٦٠ ألف جندي وضابط لمساعدة الجيش الفرنسي على رد القوات الألمانية. ويبدو أن العدوى قد انتقلت من الفرنسيين إلى الإنكليز فاتخذوا موقف المتربص المدافع ولم يفكروا بالحملة على الجيش الألماني. لكن الإنكليز من ناحية أخرى فرضوا حصاراً بحرياً على ألمانيا وحاولوا جهد طاقتهم أن يمنعوا وصول المعدات والأغذية إليها عن طريق البحر. هذا مع العلم أن روسيا وإيطاليا واسبانيا والبلاد الاسكندنافية والبلقان كانت تمد هتلر بما يحتاج إليه من المواد الأولية والأغذية.

وقرر هتلر تمزيق الطوق البحري وبدأ أركان حربه يعدون الخطط لضرب فرنسا والبلاد المجاورة لها.

ومضت الأيام ثم الأشهر كانت فيها القيادة الألمانية تجدد خططها البرية والجوية وتنظم قواتها العسكرية بينما كان قادة الحلفاء ينامون على الأمجاد، مطمئنين إلى أن هذه الحرب ستكون حرب خنادق وحصون لا حرب مدرعات برية وطائرات.

ومما يدل على استرخاء القيادة الفرنسية أن الجنرال غاملان قد أصدر في ١٤ تشرين الأول أمراً إلى الجيش الفرنسي يأمره فيه بإخلاء القرى الألمانية التي احتلها واللجوء إلى حصون ماجينو. ولكي ندرك هذا الهدوء العجيب الذي شاع في الأشهر التالية يجب أن نعلم بأن الجيش الإنكليزي لم يخسر خلالها غير ستة من جنوده الذين يبلغون ١٦٠ ألفاً. وكتبت الصحف يومذاك تقول: «لقد أخذ المدنيون في المدن يحسدون الجنود على النعيم الذي يعيشون فيه، إذ ينفقون نهارهم عابثين لاهين دون أن تطلق رصاصة من بندقية أي واحد منهم. وقيل أكثر من ذلك. قيل ان بعض وحدات الجيش كان يصرف وقته في تجهيز الألبسة للسكان المدنيين المهددين بخطر الغارات الجوية العدوة. يضاف إلى ما سبق أن شتاء عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ كان شتاءً شديد البرودة كثير العواصف، وقد ساعد هذا الشتاء على تهدئة الحالة وتجميد كل حركة. واكتفى الفريقان، الفريق الفرنسي بالوقوف خلف حصون ماجينو، والفريق الألماني بمراقبة الفرنسيين من وراء حصون سغفريد.

أما المعارك الجوية فلم يظهر لها أي أثر ولا بان لها أي خبر، كل ما حدث أن الإنكليز في بلادهم قد صرفوا هذه الفترة الطويلة في تحصين مطاراتهم وتطويرها من الناحية الفنية وإخلاء المدن الآهلة بالسكان من النساء والأطفال . ويؤكد المراقبون أن نشاط الطائرات كان وقفاً على عمليات التصوير الجوي واستكشاف المواقع المحصنة كما كانت هناك معركة منشورات تلقيها طائرات كل من الطرفين في سماء الطرف الآخر. ستة أشهر مرت على حرب بولونيا دون أن يعكر صفو أوروبا أي معكر ودون أن يفقد الطرفان غير عدد قليل من الطائرات لا يكاد يذكر.



الحصار البحري

وإذا كانت الحرب غير موجودة في تلك المدة جواً وبراً فقد كانت موجودة بكاملها نسبياً في ميادين البحار. لقد أخذ كل من الجانبين يعمل على تحطيم القوة البحرية التي يمتلكها الآخر تجارية كانت أو حربية.

فبادرت انكلترا إلى ضرب الحصار على المرافىء الألمانية تماماً كما فعلت في الحرب العالمية الأولى. أما أول باخرة إنكليزية غرقت بالسلاح الألماني فهي الباخرة «أثينا». لقد أرسلها الألمان إلى الأعماق في أول يوم من أيام الحرب. وكان إغراقها بمثابة إنذار للعالم كله بأن ألمانيا ستفرض حصارها على المرافىء الإنكليزية وانها ستغرق كل باخرة تحاول نقل البضائع إلى هذه المرافىء.

أما أول سفينة حربية إنكليزية غرقت فهي حاملة الطائرات «كوريجس»، لقد غرقت هذه السفينة الحربية في السابع عشر من أيلول. وأما السفينة الحربية الثانية التي أغرقتها غواصة ألمانية في عمل بطولي جريء فهي الدارعة الكبيرة «رويال أوك». لقد تم إغراقها في حوض سفن عائم في «سكابافلو» المرفأ المحصن تحصيناً قوياً، وتتابعت عمليات إغراق سفن الحلفاء حتى إذا انتهت سنة ١٩٣٩ بلغت خسائرهم في السفن البحرية والتجارية ثلاثة أرباع المليون من الأطنان. والخطر البحري الذي كانت القوات البحرية الإنكليزية تحسب حسابه هو خطر طرادات الجيب الألمانية. هذه الطرادات كانت تذكر الإنكليز بقصة الطراد الألماني «أمدن» في الحرب العالمية الأولى وكيف كان يسطو على السفن التجارية في البحار ويغرق كل ما صادفه في طريقه منها. من هذه الطرادات طراد الجيب الألماني «ادميرال غراف شبي» وهو أول ما ظهر من هذه السفن البحرية في عرض البحر. وقد تمكن من إغراق عدد من السفن التجارية قبل أن توفق ثلاث سفن إنكليزية سريعة حسنة التسليح إلى مطاردته وإنزال إصابات شديدة به ثم إجباره على الالتجاء إلى «مونتيفيديو» وهناك صدر الأمر من برلين إلى قائد الطراد بإغراقه حتى لا يتمكن الحلفاء من أسره والإفادة منه.

والواقع أن الحصار البحري الذي فرضه الإنكليز على ألمانيا كان شديداً دون

ريب. ولكنه لم يستطع أن يشل حركة الصادرات والواردات فيها كما لم يكن في استطاعته أن يحد من قوتها البحرية وهي التي جهزت نفسها بعدد كبير من السفن العائمة وبعدد أكبر من الغواصات.

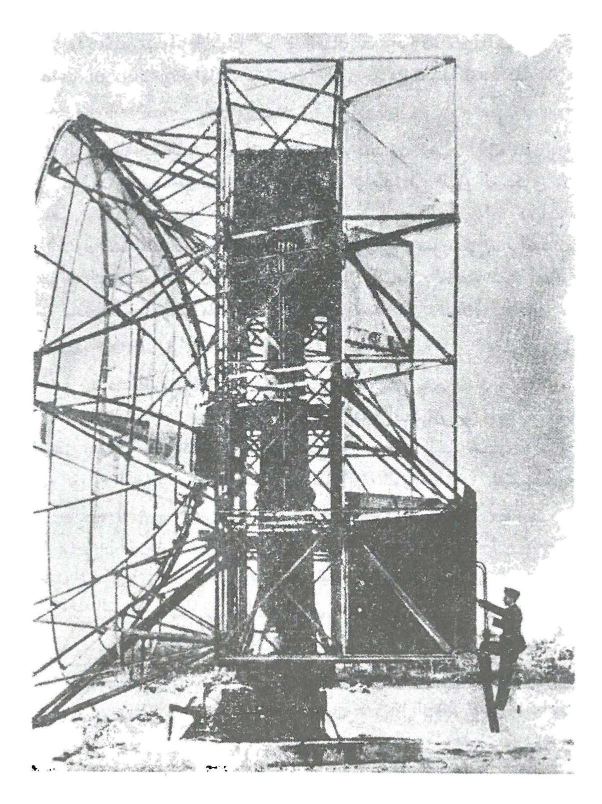
الشيء الوحيد الذي كان ينقص ألمانيا هو البترول الطبيعي، إنه منها كما يكون شعر شمشون من صاحبه. هو نقطة الضعف الوحيدة في البناء العسكري الألماني الضخم. ولذلك فقد عمل هتلر المستحيل من أجل الحصول على أكبر كميات ممكنة من البترول كما استورد كثيراً منه من روسيا السوفياتية وعمل على بناء عدد كبير من المصانع التي تنتج البترول الاصطناعي. يقابل ذلك أن الحلفاء كانوا أعظم موارد وأغزر مادة، فالبحار كلها مفتوحة أمامهم وأميركا تمدهم بالسلاح والأغذية وكل ما يحتاجونه لحربهم وبقائهم.

في تلك الأثناء كان الشعبان الإنكليزي والفرنسي يشعران أن حكومتيهما ليستا على مستوى المسؤولية. وانهما في حاجة إلى زعامة أصلب ورجال أشد مراساً وأقوى شكيمة. ولذلك أجرى تشمبرلن تعديلاً على وزارته فضم السيد ونستون تشرشل إليها وكلفه بوزارة البحرية. وكان انضمام تشرشل إلى الوزارة، وهو المعروف بعداوته الشديدة لسياسة هتلر، يعني في نظر الإنكليز انقطاع كل الخيوط بينهم وبين ألمانيا وابتداء مرحلة ليس فيها غير الدم والعرق والدموع والتضحيات. كما حدث في فرنسا تبدل وزاري كامل، فقد استقال دالادييه رئيس الوزارة في شهر آذار من عام ١٩٤٠ وحل محله السيد بول رينو وزير ماليته السابق.

عودة إلى روسيا

في هذه الأثناء لم تقف روسيا مكتوفة اليدين. لقد بدأت تحصن حدودها الجديدة التي مدتها إلى قلب الأرض البولونية تحصيناً شديداً لأنها لم تكن تثق بعهود هتلر ولا مواثيقه، وكانت تقصد من هذه التحصينات إلى توطيد مركزها في بحر البلطيق. ثم طلبت من دويلات هذا البحر الثلاث وهي: استونيا وليتوانيا ولاتفيا، منحها بعض الامتيازات الاقتصادية والبحرية فأجابتها الدويلات المذكورة إلى مطالبها.

أما إستونيا فقد وقعت في التاسع والعشرين من شهر أيلول سنة ١٩٣٩ معاهدة مع روسيا لتبادل المساعدة ووضعت تحت تصرفها عدداً من القواعد الجوية والبحرية. وأما ليتوانيا ولاتفيا فقد سمحتا في أول تشرين الأول للحاميات العسكرية الروسية



الرادار الإنكليزي

بالمرابطة في نقط معينة داخل أراضيهما. ولم تكد روسيا أن تحقق مطالبها لدى هذه الدويلات الثلاث حتى توجهت إلى فنلندا وتقدمت منها ببعض المطالب، ومنها التنازل عن بعض الجزر في خليج فنلندا وتسليمها ميناء بتسامو. وهو الميناء الوحيد الموجود في المنطقة المتجمدة الشمالية والذي لا تتجمد مياهه خلال الشتاء. كما

طلبت منها أيضاً التنازل عن النصف الشمالي لبرزخ كارليان الواقع بين بحيرة «لادوغا» وخليج فنلندا.

لكن فنلندا لم تكن لينة العريكة. لقد أبت قيادتها السياسية والعسكرية أن تنحني أمام الدولة الكبيرة وأن تستجيب لمطالبها. وانقضّت روسيا العملاقة على فنلندا الدولة الصغيرة. وصمدت فنلندا أمام العدوان بينما وقف العالم مندهشاً أمام هذه المبارزة الغريبة يتابع عمليات البسالة النادرة التي كان يقوم بها الفنلنديون والتي استمرت أربعة أشهر كاملة.

وأخيراً أرغمت فنلندا على الاستسلام فألقت سلاحها في أوائل آذار سنة ١٩٤٠. وعقدت صلحاً مع روسيا احتفظت معه باستقلالها بعد أن وافقت على التنازل عن بعض أراضيها الواقعة عند حدودها الشرقية وعن جزيرة «هانغو» ذات الموقع الاستراتيجي.

ومرت فترة أخرى أصبحت بعدها أراضي: إستونيا وليتوانيا ولاتفيا، امتداداً لأراضي الاتحاد السوفياتي. ثم أقدمت روسيا على انتزاع ولاية «باسارابيا» الرومانية ثم جلست بهدوء واستقرت لتهضم اللقم الجديدة التي ابتلعتها، واطمأنت إلى أن مواقعها الدفاعية قد أصبحت كاملة تامة. ثم راحت تعمل بعد ذلك على مضاعفة التحصينات وتدعيم المراكز الحساسة على امتداد ألفي كيلومتر من الشمال إلى الجنوب.

حروب جانبية

كل هذا جرى في الوقت الذي بقي فيه الصمت والهدوء مسيطرين على الجبهة الغربية وبقية الدول الأوروبية. وقبل أن نتحدث عن المعارك الحربية الجانبية التي بدأ بها هتلر توسعه في أوروبا الغربية، يهمنا أن نشير إلى حاجة ألمانيا الملحة إلى الحديد الخام الذي يخرج من مناجم السويد. وكانت ألمانيا تستورد هذه المادة للصناعة الحربية خلال شهور الشتاء ولاسيما حين يقفل الجليد ثغور بحر البلطيق، عن طريق الميناء النروجية «نارفيك». وكان من المفروض طبعاً أن تحاول بريطانيا حمل النروج على وقف عمليات نقل الحديد إلى ألمانيا عبر مياهها الإقليمية فتسد هذا الطريق البحري في وجه سفنها التجارية. وكانت ألمانيا تعرف ما يدور في الخفاء وكانت تستعد لتحطيم محاولات الإنكليز والقضاء على مؤامراتهم. وانتظرت حتى تؤاتيها الفرصة الملائمة. ولكن العالم الخارجي لم يكن يعرف ما يدور في نفوس الألمان. إنه لم يكن يعرف بأن ألمانيا تأخذ عدتها للقيام

بحروب محلية قبل أن توجه ضربتها القاضية إلى فرنسا ثم إلى بريطانيا.

لقد أرادت أن تشغل الناس والحلفاء بصورة خاصة عن يوم الهجوم الكبير بحملة تشنها على الدانمرك والنروج أولاً، ويكون نجاحها في هذه الحملة توكيداً جديداً لعجز الحلفاء عن إنجاد الدول الصغيرة ورد العدوان عنها.

وطبيعي أن هتلر لم يكن يفكر في غزو هاتين الدولتين الشماليتين فقط بل أدخل في حسابه أيضاً كلاً من بلجيكا وهولندا.

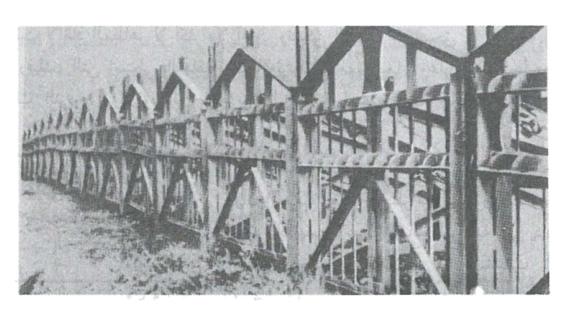
وأقبل اليوم الثامن من شهر نيسان عام ١٩٤٠ هادئاً ككل أيام السنة في النروج والدانمرك. ولم يكن أحد من سكان هاتين الدولتين يظن بأن ذلك اليوم سيكون يوماً مصيرياً بالنسبة له. حتى إذا جاء الليل صدرت الأوامر السرية إلى الطوابير الخامسة للعمل بينما كانت البواخر الألمانية المحملة بالأسلحة موجودة في أمكنة معينة من المرافىء الدانمركية. حتى إذا جاءت ساعة الصفر بدأ تنفيذ الخطط بإحكام وتنسيق وسرعة. ثم لم تمضِ ساعات حتى استولى هتلر على الدانمرك وتمكن من مدنها ومرافئها قبل أن يخرج الناس من ذهولهم. وكذلك الأمر بالنسبة للنروج. لقد أقبلت طائرات ألمانية أثناء الليل تحمل جنداً وسلاحاً إلى مطار أوسلو لمساعدة الطابور الخامس من سكانها ولتزويدهم بما يحتاجون إليه من الأسلحة والمؤن.

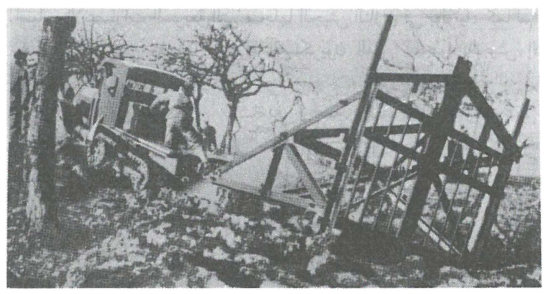
وكانت الطائرات تأتي على موجات كل موجة منها تنقل ثلاثة آلاف جندي من جنود الصاعقة، وبين كل موجة وأخرى تمضي ثلاث دقائق وحسب. حتى إذا أشرف النهار أصبحت المدينة في حوزة الألمان.

إن عملية المباغتة هذه لم تحدث فقط في العاصمة النروجية بل تكررت في الوقت نفسه في المرافىء الهامة. ولم يمضِ أسبوع واحد حتى كان الألمان قد استولوا على القسم الأكبر من بلاد النروج.

وحينما بادر الحلفاء إلى إرسال بعض سفنهم وجنودهم لمساعدة النروجيين وأنزلوا قوات لهم في مرفأ «نارفيك»، كانت المعركة قد انتهت تقريباً لأن هتلر أصبح في وضع يمكنه من إرسال أضعاف ما يرسله الحلفاء من الجند والسلاح. وبينما كانت المعارك الصغيرة تدور حول «نارفيك»، المرفأ النروجي النائي، بين قوات الألمان وجنود الحلفاء كان هتلر قد أمر قواته باحتلال بلجيكا وهولندا.

ويقول المؤرخ الكبير «فيشر» في كتابه الذي أرخ فيه لأوروبا المعاصرة واصفاً الحوادث المتتابعة منذ أوائل نيسان عام ١٩٤٠ ما يلي:





حواجز وحفر ضد الدبابات في بلجيكا

«كان الهدوء يخيم على ميادين الحرب البرية حين حدث فجأة ما لم يكن في حسبان أحد. لقد أغارت ألمانيا عشية التاسع من نيسان دونما إنذار سابق على الدانمرك.

وفي صباح اليوم التالي أنزل الألمان كتائبهم دون إنذار أيضاً فوق العاصمة وعلى طول السواحل النروجية. وقد قابل الحلفاء ذلك بزرع الألغام في مياه النروج الإقليمية لمنع السفن الألمانية من نقل الحديد الخام إلى بلادها.

وبسرعة مدهشة قضى الألمان على كل مقاومة في النروج باستثناء الشمال الأقصى حيث أنزل الحلفاء الإنكليز والفرنسيون قوات مشتركة في مرفأ «نارفيك» النروجي وفي «نارسس» لمقاومة الغزو الألماني. ولكن الحقيقة أن محاولة الحلفاء

كانت لإنقاذ المظاهر لا أكثر ولا أقل. وتمكن الألمان من سحق كل مقاومة إلا عند «نارفيك» التي استولى الحلفاء عليها وثبتوا أقدامهم فيها. وعلى الأثر لجأ «هاكون» ملك النروج ووزراؤه إلى الجزيرة البريطانية لينشئوا فيها حكومة حرة».

سقوط بلجيكا وهولندا

هكذا شعر الحلفاء أنه قد أحيط بهم من كل جانب. وأن الحرب القادمة أخطر مما يتصورون. ومع ذلك فإن قياداتهم ولاسيما القيادة الفرنسية التي كان على رأسها الجنرال «غاملان» قد استقبلت أحداث الحرب الجديدة بعقلية الحرب العالمية الأولى. فلم يكلف«غاملان»نفسه عناء البحث في أسباب الانتصارات السريعة التي سجلها الجيش النازي في بولونيا، كما لم يحاول أن يقرأ التقارير التي وضعها الخبراء العسكريون الذين أعجبوا بالجيش الألماني وتحدثوا طويلاً عن قواته المدرعة وخطوط مواصلاته وطريقة تموينه وفعالية طائراته، والدور الثانوي الذي تلعبه فرق المشاة في جيشه، وقيمة المناورة والسرعة، وتفاهة قدر الخنادق والحصون الثابتة. كل ذلك لم ينتبه له الجنرال «غاملان» ولم يعره انتباهه.

وعندما شنَّ الألمان هجماتهم الأولى على هولندا وبلجيكا وفرنسا معاً أظهروا بجلاء أنهم أقوى كثيراً من قوات الدول الثلاث وأكثر شباباً وحيوية.

وبدأت الطائرات الألمانية بأعدادها الهائلة تضرب المرافىء والحصون والجسور مدة ٤٨ ساعة ثم أخذ الجيش يزحف مجتازاً «نهر الموز» وقناة «ألبرت» بالقرب من حصن «لياج» المعـروف بمناعته وقوته.

أما الهجوم على هولندا فقد ظن الحلفاء معه بأن الألمان قد عدلوا عن خطط «شليفن» الحربية القديمة التي استعملوها في الحرب العالمية الأولى. ولكن الحقيقة أن الألمان قد اكتفوا بإدخال تعديلات على هذه الخطط لتتفق مع أساليبهم الحربية الجديدة. ولم تمضِ ساعات على مهاجمة ألمانيا لهولندا حتى أدرك الحلفاء عقم محاولاتهم لإنقاذها ذلك لأنها لم تكن قادرة على المقاومة بانتظار وصول النجدات إليها. لقد قام الألمان بحرب صاعقة كاملة. وكانت خططهم من الإحكام والبراعة بحيث أنها أدخلت الفوضى وأشاعت الذهول في كل طبقات الناس. وبينما كانت جيوشهم تخترق الحدود الهولندية كان المظليون من جنودهم يهبطون في مطار «نوتردام» وفوق الجسور الهامة والمراكز العسكرية الحساسة، فأصبح الجيش

الهولندي بين نارين: نار المظليين من ورائه ونار الجيوش الآتية عبر الحدود من أمامه. وعندما جاء اليوم الرابع عشر من أيار استسلم الجيش الهولندي.

وإذ كان الحلفاء قد نفضوا أيديهم من الجيش الهولندي فإنهم كانوا واثقين من مناعة الحصون البلجيكية. ولكن ما حدث قد أذهلهم وأدخل الخوف إلى قلوبهم. لقد سقط أعظم حصن من حصون مدينة «لياج» في أربعٍ وعشرين ساعة. هذا الحصن هو حصن «بن آمال». وانتشرت الإشاعات التي تحولت إلى أساطير حول سلاح ألماني جديد قادر على تفتيت أعظم الحصون وأقواها. لكن الواقع أنه لم يكن هناك سلاح جديد، وإذا سمحنا لأنفسنا باستعمال هذا التعبير قلنا إن السلاح الجديد هو سلاح التنظيم والدقة في التنفيذ والبراعة في التعاون بين القوى المختلفة.



جنود ألمان أنهكهم التعب

خلاصة ما حدث أن الألمان قد أنزلوا خلف حصون «بن آمال» قوات من المظليين قبل أن يأتي المساء، وكلفوهم نسف الحصون من الخلف بكميات من الديناميت والقنابل المدمرة. وعندما أحست الحامية بالخطر ونشطت للمقاومة كان قسم آخر من القوات الألمانية قد اجتاز نهر «الموز» وأصبح أمام الحصون، بينما كانت الطائرات المنقضة تمطر هذه الحصون بقنابلها حتى أسكتت نيرانها.

الحلفاء يحاولون انجاد بلجيكا

في تلك الأثناء كانت القوات الحليفة قد بادرت إلى إرسال عدد من فرقها لتساعد بلجيكا على الصمود أمام الغزاة الألمان، ولم يكن يخطر في بال الحلفاء أن بلجيكا لن تستطيع الصمود أمامهم. وعندما ظهرت لهم الحقيقة أخذوا يعملون المستحيل للوقوف في مكان ما، ينظمون فيه صفوفهم ويوطدون مراكزهم ثم يجابهون عدوهم بما يجمعون من السلاح والرجال. ولكن الغزاة الألمان لم يمكنوهم من ذلك فقد أرسلوا قواتهم الميكانيكية ودباباتهم الكثيرة تجوس خلال البلاد وتقسم جيوش الحلفاء من المشاة أقساماً عديدة، ليتمكن المشاة الألمان الزاحفون خلف دباباتهم وطائراتهم من القضاء على أعدائهم بسهولة.

في تلك الأثناء كان هناك ثلاثة جيوش فرنسية. جيشان يقود أحدهما الجنرال «هونتزيجر» ويقود الثاني «كوراب» يرابطان على طول نهر «الموز»، أما الجيش الثالث فيقوده «جيرو» وقد رابط به وراء «أنفرس»، على أن يرسل هذا الجيش عدداً من السيارات في اتجاه «بريدا» عملاً باتفاق سابق جرى مع السلطات الهولندية للالتقاء بالجنود الهولنديين المرتدين عن مستنقعات «بيل».

ولكن الهولنديين لم ينسحبوا إلى «بريدا» بل ارتدوا إلى شمال نهر «الموز» عندما علموا بجلاء القوات البلجيكية عن قناة «ألبرت» ثم استسلموا بعد أن مضت على دخولهم الحرب مائة ساعة فقط، ولذلك وجدت الفرقة الفرنسية التي أرسلها الجنرال «جيرو» إلى «بريدا» نفسها وحيدة ضعيفة أمام القوات الألمانية المدرعة التي تؤيدها وتساندها أعداد كبيرة من الطائرات المنقضة. فأرغمت الفرقة الفرنسية على الانسحاب إلى «انفرس».

أما الخطة الموضوعة بالاتفاق مع البلجيكيين فهي أن يصبح الجيش البلجيكي تابعاً للقيادة الفرنسية. ولكن القسم الأكبر من الجيش البلجيكي المرابط في خط «لياج ـ آرلو» قد عبر الخطوط الفرنسية دون أن يشترك في القتال وشاعت الفوضى في

صفوفه، مما دعا الجنرال «بلانشار» الفرنسي إلى توجيه نقد مر لهذه القوات البلجيكية التي امتنعت عن مساندة فرقه العسكرية.

كان الفرنسيون يعلمون أن هناك ثلاث ثغرات يستطيع الألمان أن يتغلغلوا عبرها إلى داخل البلاد.

الأولى: «السهل البلجيكي»، وقد طلب إلى جيش «كوراب» أن يدافع عنه.
الثانية: «مقاطعة دينان»، وقد أصدرت القيادة العليا لنخبة من الجنود باحتلال هذه المقاطعة. ولكن الذي حدث أن الأوامر الصادرة لم تنفذ بالدقة المطلوبة كما لم تكن الروح المعنوية عند رجال القوات المسلحة على مستوى المسؤولية، بالإضافة إلى فقر هذه القوات في المدافع المضادة للطائرات والأسلحة المضادة للدبابات.

المهم أن هذه القوات الحليفة لم تصل إلى أية من الثغرتين في الوقت المناسب فقد سبقها العدو إلى احتلال مواقع نهر «الموز» ثم عبره دون صعوبة في نقط مختلفة.

وأما الثغرة الثالثة فقد حشدت لها القيادة ثلاث فرق من القوات الاحتياطية. هذه الثغرة هي «ممر سيدان». الفرقة الأولى منها رابطت عند الجناح الأيسر من جيش الجنرال «كوراب»، وأما الفرقتان الأخريان فكانتا من فرق جيش الجنرال «هونتزيجر».

الجميع كانوا يعرفون أن تسليح هذه الفرق الاحتياطية تسليح رديء وان حالة ضباطها المعنوية كانت منخفضة بالإضافة إلى عدم خبرة هؤلاء الضباط بشؤون الحرب الحديثة.

كانت مهمة هذه الفرق هي الاحتفاظ «بسيدان» وهي بمثابة البوابة لفرنسا. وكان من مظاهر الغفلة والبطء والتخلف في التخطيط والتفكير في الجيش الفرنسي، ان قيادته قد وكلت هذه المنطقة الهامة إلى مثل هذه الفرق الهزيلة ثم حشدت إلى الجنوب ٦٣ فرقة من فرق الجيش العامل.

وانهارت الفرق الاحتياطية الثلاث أمام السلاح الألماني الرهيب وقد وجد رجالها منه نوعاً من الحرب لم يعرفوه من قبل ولم يتخيلوا يوماً أنهم سيعرفونه.

البلجيكيون يتراجعون

في صباح ١٩ أيار أرسل الجنرال «هونتزيجر» عدداً من الفرسان من سيدان إلى مونتميدي عبر منطقة الأردين البلجيكية لمساندة البلجيكيين بعد فراغهم من عمليات

النسف والتدمير التي عهد بها إليهم. ولكن البلجيكيين لم ينتظروا وصولهم فارتدت فرقتان من رماة «الأردين» كما تراجعت فرقتان أخريان من الفرسان باتجاه «نامور» وتركت الباب مفتوحاً لجنود العدو.

ونستون تشرشل رئيساً للحكومة

أمام هذه الأخطار المتزايدة التي سببها الغزو الألماني شعرت الأوساط الإنكليزية المسؤولة في لندن أن حكومة تشمبرلن لم تعد قادرة على مواجهة الأحداث، ولذلك فقد استقالت هذه الحكومة لتخلفها حكومة السيد «تشرشل» الذي قال لشعبه متحدثاً عن مسؤوليات الحرب: «ليس لدي ما أقدمه سوى الدماء والتعب والدموع والعرق». ثم قال أيضاً: «سنقاتل بكل قوانا. وإذا ما تساءل أحدٌ عن الهدف الذي نقصد إلى تحقيقه، قلت له: إنه النصر. النصر بأي ثمن... النصر بالرغم من جميع الأهوال والمتاعب التي سنواجهها».

وقوع الكارثة

وصح ما كان يتوقعه النقاد العسكريون والخبراء. ونجحت القيادة الألمانية في تحطيم كل الحواجز وبدأت الانتصارات الحاسمة التي سجلها الألمان في «ممر سيدان» حيث انهارت القوى الفرنسية وانكشفت هزيمتها عن فراغ في كل شيء: في التخطيط والإدارة وخطوط التموين والأسلحة وأخيراً في الروح المعنوية الهابطة.

لقد اعترف الفرنسيون أن جيشهم في «سيدان» كان دون سلاح وأن الممر لم يزرع بالألغام لتبطئة زحف العدو. وان الطائرات الفرنسية المطاردة قد اختفت أمام القاذفات الألمانية المنقضة وأن المدافع المضادة للدبابات كانت غير موجودة.

ويقول شهود عيان ان رجال الفرق الثلاث المكلفين بالحفاظ على ممر «سيدان» أخذوا يرتدون خوذاتهم المعدنية والهلع يزلزلهم ويهزهم هزاً عنيفاً وراح بعضهم يقول للبعض الآخر: «لقد وصل الألمان فلينقذ كل منا نفسه».

على أن الوقائع والنظرة الموضوعية تفرض على الباحث أن يعتدل في توجيه الاتهامات ويقتصد في تحميل هؤلاء الجنود مسؤولية الهزيمة الكارثة.

إن صفوف المدرعات الهائلة والطائرات التي كانت تملأ الجو قد وضعتهم أمام

مشهد رهيب لم يكن لهم به عهد من قبل، وإذا كانت الروح المعنوية لجنود الحلفاء في حالة انهيار فليس الخطأ خطأهم لأن قياداتهم لم تدربهم وتعدهم لمثل هذا العمل الخطير، كما أن الشعب الفرنسي كله كان في حالة من الاسترخاء واللامبالاة في البداية لا تسمح لهؤلاء الجنود بأن يفعلوا فوق الذي فعلوه.

ويميل بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأن وضع الاتحاد السوفياتي الذي سالم الألمان وتعاون معهم ودافع عن حربهم ووجه اتهاماته إلى ما كان يسميه البرجوازية العفنة في بلاد الحلفاء دفاعاً عن موقفه الجديد وعن اتفاقه مع ألمانيا في ٢٣ آب سنة ١٩٣٩؛ إن هذا البعض يميل إلى الاعتقاد بأن الاتحاد السوفياتي قد أثر عن طريق أنصاره من الشيوعيين الفرنسيين في إضعـاف روح المقاومة الفرنسية وتغذية تيارات اللامبالاة بالاضافة إلى تراخي السلطات الحاكمة عسكرية كانت أو مدنية.

لماذا نموت؟

ولماذا يجب أن نتعرض لنيران النازيين لإنقاذ دانتزيغ؟

وشاع مثل هذا الهمس في كل مكان . يرمي أصحابه به إلى إضعاف فرنسا وتثبيط همم الناس حتى أن بعضهم أخذ يردد قائلاً: لماذا نقاتل هتلر؟ أليس أنه أفضل من ستالين؟

وأخيراً وفي مساء ١٤ أيار وفي ١٥ منه استطاعت القوات الألمانية أن تخترق الجبهة الفرنسية عند سيدان وجيفيه ودينان.

تعديلات في القيادة الفرنسية

وشاع الخوف في نفوس الجميع وأحست السلطات الحاكمة ودوائر القيادة العسكرية العليا أن عليها أن تعيد النظر في توزيع قيادات الجيوش فاجتمع السيد دالادييه والجنرال غاملان خلال فترة الصباح في مقر قيادة الجنرال جورج.

وفي أثناء الاجتماع دق جرس التلفون في مكتب الجنرال وكان المتحدث عند الطرف الآخر هو الجنرال بيللو قائد الجيوش المتحالفة في بلجيكا. وفي هذه المكالمة الهاتفية طالب بيللو بعزل الجنرال كوراب وتعيين جيرو خلفاً له. ثم اقترح الجنرال جورج على الجنرال غاملان عزل هونتزيجر قائد جبهة سيدان، لكن غاملان وافق على تعيين جيرو مكان كوراب ورفض إقالة هونتزيجر.

أما جيرو فعندما توجه ليتسلم قيادة جيش كوراب لم يجد أمامه غير فلول من الجند شردتهم القوات الغازية، وأما هونتزيجر الذي رفض غاملان عزله بسبب كفاءته القيادية فإنه كان عند حسن الظن، إذ لم يعتم حتى أحرز نصراً عظيماً حين أنقذ قواته بمناورة بارعة أمام عدو يفوقه عدداً وعدة وتنظيماً.

وفي الشمال، أي في المنطقة الواقعة وراء الديل، لم يشتبك الألمان بالقوات البلجيكية والبريطانية الموجودة، بل شنوا هجوماً واسعاً على جيش الجنرال بلانشار بين الدايل ونامور.

والواقع أن قوات بلانشار لم تكن من طراز الفرق التي كان يقودها كوراب والتي تبخرت أمام ضغط العدو، ذلك لأنها مؤلفة من جنود عاملين ذوي خبرة قديمة ويتمتعون بروح معنوية عالية. وصمدت قوات بلانشار. وكان الظن أن تضعف انطلاقة الغزاة النازيين أو على الأقل أن تكبح من جماحهم. ثم لم تتراجع هذه القوات إلا حينما صدرت الأوامر من القيادة العليا بالتراجع العام. وانسحب بها بلانشار إلى المنطقة الإنكليزية فعمت الفوضى وشاع الخوف في النفوس.

سقوط فرنسا

قد يكون من المفيد في هذا الفصل أن نستعرض بعض ما كتبه القادة العسكريون والمدنيون الذين رافقوا معركة فرنسا من البداية إلى النهاية. وفيما يلي نقدم تلخيصاً لبعض ما كتبه الجنرال الألماني غودريان قائد الفرق المدرعة التي سحقت فرنسا. قال الجنرال في كتابه الذي تحدث فيه عن الفرق المدرعة ما خلاصته:

كانت القيادة الألمانية العليا تريد تنفيذ خطة شليفن التي أقرت في الحرب العالمية الأولى مع إدخال تعديلات عليها. ولكنني بالاتفاق مع الجنرال مانستاين عارضت هذه الخطة بعد النجاح الذي أحرزناه في حرب بولونيا. لقد ثبت لنا أن الفرق المدرعة الخفيفة قادرة على قلب الأوضاع وبالتالي انها العنصر الأساسي في القتال.

وعندما اجتمعت إلى مانستاين في تشرين الثاني من عام ١٩٣٩ لإعداد هجومنا المقبل على الجبهة الغربية شعرت أنه يرى رأيي في القوات المدرعة، حين اقترح أن تقوم الدبابات والفرق الآلية بالهجوم على بلجيكا ولوكسمبورغ باتجاه سيدان الفرنسية

ثم الانقضاض على حصون ماجينو في حركة جانبية. ووافقته دون أي اعتراض مشترطاً استخدام أكبر عدد ممكن من الدبابات.

ورفضت القيادة العليا وجهة نظرنا رغبة منها في الاحتفاظ بدباباتها الجديدة حتى تأتي الحاجة الماسة لاستعمالها. ولكن الأقدار لعبت لعبتها حين سقط طيار الماني فوق الأرض البلجيكية وكان يحمل معه تفاصيل خطة شليفن. ولم تدر القيادة العليا ما إذا كان هذا الطيار قد أحرق أوراقه أم أنها أخذت منه ساعة سقوطه. وعلى سبيل الاحتراز والتحفظ وجدت نفسها مرغمة على اعتماد الخطة التي وضعتها مع مانستاين.

كانت هذه الخطة تقضي باندفاع المدرعات الألمانية نحو نهر الموز بالقرب من سيدان. ثم اختلفنا مع القيادة فيما وراء ذلك: هل تنتظر المدرعات وصول المشاة إليها، أم أنها تتابع هجومها مجتازة هذا النهر؟ وبعد مناقشة طويلة تقرر أن تقوم قواتي المدرعة بالهجوم وهي مؤلفة من الفرق المدرعة الأولى والثانية والعاشرة، ثم فرقة رابعة من المشاة للمساعدة ولاحتلال المناطق التي تجتاحها الفرق الأولى.

أمام هتلر

وكان على كل قائد أن يستعرض خطته في مجلس أعلى يرئسه هتلر وعندما جاء دوري في الكلام قلت:

ـ في اليوم الأول أجتاز حدود دوقية لوكسمبورغ ثم انطلق باتجاه جنوب بلجيكا نحو سيدان، ثم اقطع نهر الموز وأقيم عند ضفته جسراً يمكن المشاة من اجتيازه. وستكون قواتي صفوفاً ثلاثة. أما في اليوم الأول فإنني أتوقع الوصول إلى الحدود البلجيكية ثم اقتحامها، وفي اليوم التالي أبلغ (نوف شاتو)، أما في اليوم الثالث فأكون عند نهر الساموا وأقطعه. وفي اليوم الرابع أصبح عند نهر الموز، أما في اليوم الخامس فاجتاز هذا النهر وأقيم فيه قاعدة تحميها قوة ألمانية.

وعندما سألني هتلر: وما الذي تفعله بعد ذلك؟ قلت: سوف أتقدم نحو الغرب صباح اليوم التالي وعلى القيادة العليا أن تقرر ما إذا كان يجب أن أتجه نحو أميان أو نحو باريس، وأنا أفضل بالطبع التوجه نحو أميان ثم متابعة الطريق حتى الوصول إلى بحر المانش. ورغم أن الجنرال بوش قد أعلن شكه في قدرتي على اجتياز نهر الموز ورفضت وجهة نظره امتنع هتلر عن التعليق على ما سمعه. وعندما تقرر البدء بالهجوم نفذت خطتي على النحو الذي استعرضته أمام هتلر ووصلت إلى ابفيل دون أن أنظر إلى الوراء.

سبب إيماني بفاعلية المدرعات

وأضاف غودريان يقول:

والحقيقة أن الحلفاء الذين أفادوا كثيراً من الدبابات في الحرب العالمية الأولى وغلبوا بها ألمانيا ثم ناموا بعد ذلك على أمجادهم، لم يحاولوا بعد الحرب تطوير هذا السلاح وذهب عنهم ما يمثله من فعاليات هادئة اعتقاداً منهم أن الحرب القادمة ستكون حرب استحكامات وخنادق لا حرب حركة ومناورات.

ويتابع غودريان عرضه للأحداث فيقول: وعندما أشرف ربيع عام ١٩٤٠ كنا على علم تام بالخطط العسكرية الفرنسية وأساليب القادة الفرنسيين التقليدية المختلفة كما كنا نعلم أن حصون ماجينو لا يمكن اختراقها إذا أتيناها من الوراء.

ويبدو أن الحلفاء كانوا مقتنعين بأننا سنطبق خطة شليفن في هذه الحرب فوضعوا خططهم المعاكسة على هذا الأساس. ولذلك دهشت من جمود الفرنسيين أمام حدودنا بينما كنا في حربنا مع بولونيا التي خضناها بالقسم الأكبر من قواتنا الضاربة. ولم يحاول الفرنسيون الاستفادة من هذه الفرصة الذهبية، مما جعلني شديد الاقتناع بسلامة خطتي التي تقضي بأن تهاجم الدبابات الجنوب البلجيكي باتجاه سيدان وأميان حتى بحر المانش.

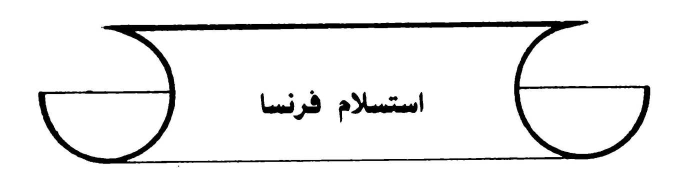
الهجوم الكبير

وفي تمام الساعة الخامسة من صباح اليوم العاشر من شهر أيار بدأ هجومنا على الحدود الفرنسية، ومضت فرقي الثلاث تنهب الأرض نهباً وفقاً للخطة الموضوعة.

في اليوم الأول حطمنا الخطوط الدفاعية الأولى. وفي اليوم الثاني تمكنا من الاستيلاء على الشاطىء الشمالي لنهر الموز ومن الاستيلاء على سيدان وقلعتها الأثرية. ثم اجتزناه إلى ضفته الثانية، واندفعت قواتي في الأرض الفرنسية لا تعترضها عقبة ولا يردها شيء. وأسقط في يد الفرنسيين حينما وجدونا في بلادهم وقد أسرنا عشرات الألوف من الرجال دون حرب أو قتال.

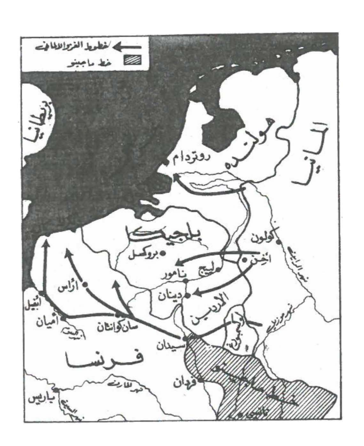
وفي عشرين أيار وصلنا إلى أميان ومنها إلى ابفيل ثم إلى مرافىء بحر الشمال حيث كانت القوات الانكليزية التي لم تصمد أمام دباباتنا وطائراتنا وفرقنا المنظمة.

والواقع أن الإنكليز قد أخذوا يفكرون سريعاً في الهروب من فرنسا التي اجتاحتها جيوشنا. وفي السابع والعشرين من أيار بدأت أكبر عملية إجلاء سببتها أبشع هزيمة من ناحية وأسرع انتصار من ناحية أخرى في ميناء دنكرك. واستمرت عملية الإجلاء عدة أيام تمكنت فيها القيادة الإنكليزية من إنقاذ ٣٣٤٠٠٠ من الجنود الإنكليز والفرنسيين وغيرهم وقد تركوا وراءهم كل معداتهم الحربية الثقيلة.



استسلام فرنسا

أمام هذه الكارثة تقررت إقالة الجنرال غاملان كقائد عام لقوات الحلفاء وعين مكانه الجنرال ويغاند الذي قضى اسبوعين في تعزيز المواقع الفرنسية في الشمال والشمال الشرقي. وفي تلك الأثناء كانت المصفحات الألمانية قد حولت وجهتها صوب الجنوب، وتمكنت من اختراق الخطوط الفرنسية في كل مكان ومزقت الجيش الفرنسي كل ممزق في كل نقطة اخترقتها. أمام هذه الكوارث المتتابعة لم يعد ويغاند قادراً على حماية الحكومة في باريس ولذلك فقد تقرر انتقالها أولاً إلى تور ثم إلى بوردو.



تبين هذه الخريطة تطور المعركة في بلجيكا وفرنسا

إيطاليا تعلن الحرب

وفي العاشر من شهر حزيران أعلن موسوليني زعيم إيطاليا الحرب على فرنسا لكي لا يفوته الظفر بنصيبه من الأسلاب، وقد أدرك أن الحرب الألمانية الفرنسية قد انتهت وأن المقاومة المنظمة قد اختفت.

وسقطت العاصمة الفرنسية في أيدي الألمان بعد خمسة أيام. وتلفتت الحكومة الفرنسية تسأل المعونة. لقد توجهت إلى لندن وواشنطن تسألهما إنجادها. ولكن صرخاتها ذهبت أدراج الرياح.

وفي ٢٦ حزيران سقطت حكومة بول رينو لتأتي حكومة المارشال بيتان الذي طلب من الألمان وقف القتال تمهيداً لعقد اتفاقية هدنة بين الدولتين المتحاربتين. واختار بيتان مدينة فيشي مقراً له ولحكومته. وقد استجاب الألمان لطلبه رغم أنهم كانوا قد احتلوا في تلك اللحظة نصف فرنسا.

وفي الثامن والعشرين من شهر حزيران وقع المندوبون الفرنسيون شروط الهدنة في (كومبياني) في الحافلة الحديدية نفسها وفي البقعة التي سبق للألمان أن وقعوا عليها وثيقة استسلامهم المذل للحلفاء في تشرين الثاني من عام ١٩١٨.

وكان من شروط هذه الهدنة أن يكون للألمان حق احتلال جميع الأراضي الفرنسية الواقعة في الشمال والغرب من خط يمتد من جنيف إلى تور ومن هناك جنوباً حتى الحدود الاسبانية بما في ذلك كل المرافىء الفرنسية الواقعة على بحر المانش والمحيط الأطلسي. كما كان من شروط الهدنة أن توافق فرنسا على نزع سلاحها وتسريح قواتها فيما عدا القوات الضرورية لحفظ الأمن، وأن تتحمل فرنسا نفقات الاحتلال وأن تبحر قطع الأسطول الفرنسي إلى مرافىء فرنسية معينة تجرد فيها من السلاح. وأعلنت ألمانيا في الوقت نفسه أنها لا تنوي استخدام قطع هذا الأسطول ضد انكلترا أو الاحتفاظ بها بعد إبرام الصلح بين البلدين. وأخيراً تعهدت فرنسا بإطلاق سراح كل الجنود الألمان ولكن ألمانيا تحتفظ بكل أسراها الفرنسيين.

الأحداث التفصيلية للأيام الأخيرة

فيما سبق حاولنا أن نستعرض صورة عاجلة للأحداث المؤسفة التي سببت كارثة الهزيمة للجيوش الإنكليزية والفرنسية. وهذه الكارثة لم تمر بأيامها السوداء دون أن



مدني يحتمي بالشجرة من قنابل الطائرات المغيرة

يحاول الإنكليز بذل آخر مجهود ممكن لتجميد فرنسا وتشجيعها على الوقوف أمام الغزاة. ولذلك لم يكد رئيس الحكومة الإنكليزية ونستون تشرشل يعرف بالنتائج الأولى للغزو النازي حتى طار إلى فرنسا في ١١ حزيران ليجتمع إلى رئيس حكومتها بول رينو. وقد تم الاجتماع فعلاً في مقر قيادة الجنرال ويغاند. واشترك في الاجتماع الجنرال ويغاند نفسه ثم المارشال بيتان والسير جون ديل.

وافتتح تشرشل الاجتماع معلناً أن حكومته تنتظر في القريب العاجل أن يشن الألمان على بريطانيا هجوماً كاسحاً. وأن حدوث هذا الهجوم سيخفف الضغط عن فرنسا.

وتابع كلامه شارحاً استعدادات الإنكليز للرد على الغزو الألماني فقال: إذا استطاع الجيش الفرنسي أن يصمد أمام الألمان حتى ربيع عام ١٩٤١ فإنه سيكون في وسع بلاده أن تحشد قوة تتراوح بين ٢٠ و٢٥ فرقة مسلحة بأحدث السلاح وأقواه. وظن تشرشل أن في كلامه هذا ما يساعده على اقناع الفرنسيين بالصمود طويلاً. ولكن ويغاند لم يلبث حتى شرح الموقف الحربي معلناً أن كل القوات الفرنسية العاملة منها والاحتياطية تخوض الحرب ضد العدو. ولكن العدو يفوقها عدداً وعدة وتنظيماً.

وطلب مساعدة الطائرات الإنكليزية. فوعده تشرشل خيراً.

وعاد ويغاند إلى الحديث مرة أخرى فقال: نحن نعيش الربع الأخير من الساعة الحاسمة. وليست هناك دلالة على احتمال كسبنا للمعركة. ولذلك أعود وأكرر بأن أية مساعدة تقدم إلينا الآن ستكون عظيمة الفائدة. وتابع يقول: ولنذكر جيداً أنه إذا احتل الألمان كل الأرض الفرنسية فإن أحداً لن يدري كيف تستطيع فرنسا أن تواصل القتال.

وهنا تدخل بول رينو الرئيس الفرنسي فقال: إن القائد الأعلى ويغاند قد قدم تقريره الشفهي بشأن الخطط الحربية لكن مواصلة القتال ليست من اختصاصه. إنها مسألة سياسية محض تستقل بها الحكومة.

ويبدو أن تشرشل قد شعر بخطورة الموقف في نظر الفرنسيين فأدار المناقشة على مستوى آخر، وسأل ما إذا كان في وسع المسلحين القيام بحرب عصابات منظمة في فرنسا إذا حدث أن انهارت القوات النظامية؟

وهنا تدخل المارشال بيتان وقال: هذه الحرب تجلب الخراب والدمار، وفرنسا غير قادرة على تحمل هذا الخراب. واسترد تشرشل المبادرة وراح يتحدث بطلاقة عن تصميم بريطانيا على القتال مهما تكن النتائج.

وعقد اجتماع آخر وجه فيه بول رينو إلى ويغاند وبيتان السؤال التالي:



العائلات الفرنسية تتراجع أمام الهجوم الألماني الكاسح

هل نستطيع في حالة انتهاء القتال فوق الأراضي الفرنسية أن نتفادى وقوع عدد كبير من قواتنا في الأسر وأن نرسل جيشاً فرنسياً إلى سويسرا؟ فكان جواب القائدين العسكريين بصوت واحد: كلا!

أما ويغاند فقد أصر على عقد هدنة مع الألمان. فأردف تشرشل مذكراً الجانب الفرنسي بالعهد الذي قطعه الشعبان الإنكليزي والفرنسي على القتال حتى النهاية. وانتهت الجلسة دون أن يتقرر شيء حاسم.

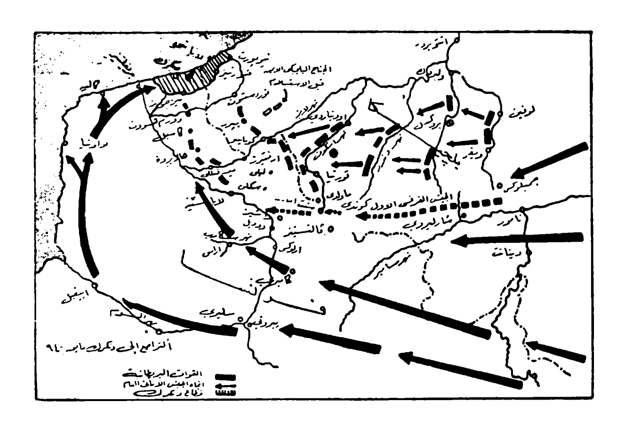
وعندما انعقد مجلس الوزراء بعد ذلك عاد ويغاند إلى المطالبة بعقد الهدنة وادعى أن كل القادة العسكريين يوافقون على ذلك لأنهم مقتنعون اقتناعاً تاماً بعجزهم عن الصمود أمام الغزاة. وختم مرافعته بقوله: إن الكف عن إطلاق النار هو الوسيلة الوحيدة للحفاظ على النظام في الجيش. أما إذا استمر القتال فإن الفوضى ستسود بين العسكريين وبين المدنيين أيضاً بالنظر إلى تضخم عدد اللاجئين الذين يهيمون على وجوههم دون زاد أو مال.

ووقف بول رينو إلى جانب ويغاند، ولكنه قبل أن يتخذ قراراً نهائياً دعاونستون تشرشل ليتحدث إليه فيما صار إليه وضع البلاد. وجاء تشرشل فقال له الرئيس الفرنسي: سأوجه نداءً أخيراً إلى روزفلت. وعندما امتنع تشرشل عن الجواب، تابع قائلاً: إنك تعلم أنني لن ألقي السلاح. وأريدك قبل مغادرتك لبلادنا أن تعدني بشيء واحد هو أن تبقى إنكلترا إلى جانب فرنسا فلا تتخلى عنها إذا حدث أن وقعت حكومة غير حكومتي وثيقة هدنة مع الألمان. وأجاب تشرشل بقوله: إن إنكلترا لا تضيع وقتها في إجراءات لا طائل من ورائها. وإذا كنت تصر على إرسال النداء فانتظر حتى يأتيك الجواب. ثم تغير صوت رئيس الحكومة البريطانية وتحيرت في عينيه الدموع وقال:

- إذا كسبت بريطانيا الحرب فإن فرنسا ستعود سيرتها الأولى.

ويؤكد بول رينو رغم اقتناعه بوجهة نظر ويغاند أنه قد عمل المستحيل من أجل نقل المقاومة الفرنسية إلى الشمال الافريقي واستمرار الحرب مع الحلفاء ولكنه أعلن أن المارشال بيتان والجنرال ويغاند قد خذلاه لأنهما كانا من دعاة التسليم.

وعقد اجتماع وزاري آخر عاد فيه ويغاند إلى تقرير الوقائع العسكرية كما يراها دون زيادة أو نقصان، وكان فيما يبدو خائفاً من حدوث ثورة شيوعية وتنظيم انقلاب مسلح في باريس ولذلك راح يقول بصوت مسرحي ان السيد توريز سيقيم وشيكاً في الإليزيه بباريس. والسيد توريز هو سكرتير الحزب الشيوعي، ومضى يتابع كلامه: إن



خريطة تبين لنا معركة فرنسا

على الوزراء أن يتحلوا بقدر كاف من الشجاعة فيبقوا في فرنسا مهما ساءت الحالة. إن بقاءهم سيشجع الفرنسيين على تحمل كثير من التضحيات. وأكد للجميع أن انتقال الحكومة الفرنسية لإحدى المستعمرات لن يساعد على حل المشكلة. وراح يتساءل قائلاً: هل تعتزم الحكومة بعد خروجها من فرنسا أن تعود إليها على طائرات تمطر مدنها بالقنابل أو على سفن تنسف بيوتها بالمدافع وتقتل المواطنين؟ إن هذه الخطة تدل على قصر نظر وجبن، وأنا كقائد عام أرفض أن أقتفي أثر الوزراء. فلن أغادر فرنسا حتى ولو كبلت قدماي بالحديد. وبدا ويغاند شديد العصبية لا يفكر إلا في شيء واحد هو تجنيب الفرنسيين ويلات القتل والتدمير. ونسي وهو يدافع عن وجهة نظره ان استقلال فرنسا وتحررها من الغزاة أمران يجب أن يقدما على كل اعتبار آخر.

وفكر بول رينو بإقالة ويغاند ولكنه خاف من أن تسبب هذه الإقالة استقالة المارشال بيتان وبعض الوزراء. وبعد مناقشة تقرير ويغاند وقف بيتان يقرأ بياناً سياسياً، جاء فيه: «إن القوات الفرنسية لا تستطيع النهوض وحدها بمسؤولية الدفاع عن مقاطعة بريتانيا وأنه يجب الاستعانة بقوات بريطانية جديدة». وقال أيضاً: «إنه من المستحيل أن تغادر الحكومة الفرنسية أرض الوطن دون أن تتهم بجريمة الفرار. إن واجب الحكومة هو البقاء فإذا خرجت من البلاد تعرضت لخطر فقدان سلطتها كحكومة مسؤولة. ومثل هذا التصرف أشبه شيء بتسليم فرنسا إلى العدو. ونحن ننتظر انبعاث البلاد من



هتلر يبتسم... لقد احتلت جيوشه فرنسا ودخلت باريس منتصرة

الداخل وبواسطة حكومة قائمة داخل الحدود لا بغزو تقوم به القوات المتحالفة تمطر فيه بلادنا حديداً وناراً. أما أنا فسأبقى إلى جانب أفراد الشعب الفرنسي أشاطرهم آلامهم وأحزانهم». كل هذه المناقشات التي أوردناها ملخصة من مذكرات بول رينو، تشير بوضوح إلى الأوضاع المتردية في داخل فرنسا وخصوصاً بعد أن وقع في أسر القوات الألمانية ما يقرب من مليون جندي.

الهدنة الفرنسية ـ الإيطالية

قلنا ان إيطاليا قد بادرت إلى إعلان الحرب على فرنسا في اليوم العاشر من حزيران. وقد ثبت أن المارشال بادوليو رئيس هيئة أركان الحرب الإيطالي قد عارض هذا التصرف وأيده فيه السيد تشيانو وزير الخارجية. واعتبر بادوليو إعلان الحرب في مثل ذلك الظرف عملاً شائناً ومعيباً ومضراً بالسمعة الأدبية الإيطالية. لا سيما وأن إعلان الحرب آنذاك كان بمثابة الضربة الغادرة لجيش مهزوم. وفعلاً بدأت القوات الإيطالية القائمة على الحدود بالهجوم على القوات الفرنسية ولكنها لم تتقدم خطوة

واحدة، حتى جاء اليوم السابع عشر من حزيران فسقطت فيه حكومة رينو وتسلم المارشال بيتان زمام السلطة وطالب بإيقاف القتال بانتظار عقد الهدنة.

وقد رأى هتلر مجاملة موسوليني والاجتماع به لتقليب وجوه الرأي في شروط الهدنة.

ويقول وزير خارجية موسوليني تشيانو:

لقد كان موسوليني قلقاً منزعجاً بسبب توقف القتال. كان يريد أن يحتل الأراضي الفرنسية كلها وأن يستولي على الأسطول الفرنسي. وفي ١٨ حزيران انفرد موسوليني وهتلر في غرفة واحدة وتبادلا الرأي في الطلب الذي قدمه المارشال بيتان. وحاول موسوليني التمسك بوجهة نظره في الاستيلاء على الأسطول الفرنسي واحتلال كل الأرض الفرنسية، ولكنه لم يلبث أن شعر بعد ذلك بأن دوره دور ثانوي وأن شريكه هتلر هو صاحب الكلمة الأخيرة.



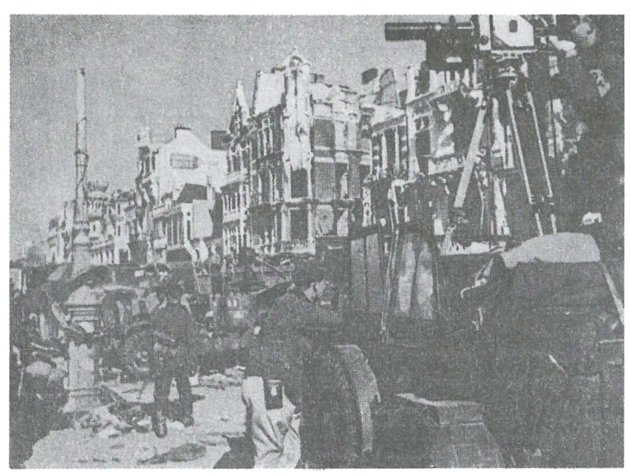
الجيش الألماني يمر تحت قوس النصر في باريس

وأخيراً تقرر أن يأتي مندوبون فرنسيون مفوضون في ٢٣ حزيران على طائرة ألمانية إلى روما لتوقيع شروط الهدنة مع الحكومة الإيطالية بعد أن وقعوا هذه الشروط نفسها أمام الألمان في اليوم السابق أي ٢٢ حزيران.

وقد لوحظ أن المارشال بادوليو لم يخف عواطفه الطيبة نحو الفرنسيين. فقد عاملهم بأدب ولطف عظيمين، وعندما جلس الجانب الإيطالي عند طرف مائدة طويلة بقي الفرنسيون واقفين ثم ردوا التحية الإيطالية الفاشستية بإحناء رؤوسهم.

وتولى المارشال بادوليو قراءة شروط الهدنة باللغة الإيطالية. وتبعه «رواتا» مدير قلم المخابرات في الجيش الإيطالي فقرأ الترجمة الفرنسية.

وهنا طلب الجنرال الفرنسي هونتزيجر رئيس الوفد الفرنسي وقائد مجموعة الجيوش الفرنسية الرابعة تأجيل الاجتماع ليبعث بتقريره عن الشروط إلى بوردو العاصمة الفرنسية المؤقتة. وتم الاتفاق على التأجيل، ووقف تشيانو وزير الخارجية الإيطالية ثم تقدم من الجنرال هونتزيجر وصافحه بلطف ظاهر مما أثار دهشة الجنرال لأنه لم يكن يتوقع مثل هذه الحركة. واستغرقت الجلسة ٢٥ دقيقة.



شوارع دنكرك المدمرة بالقنابل

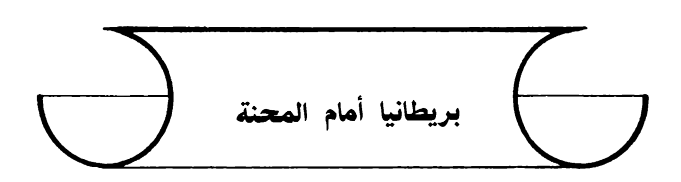
وفي ٢٤ حزيران وفي تمام الساعة السابعة والربع مساءً وقعت شروط الهدنة. وتم الاتفاق على أن يتوقف إطلاق النار بعد ٦ ساعات إلا إذا حدث ما ينقض ذلك.

هكذا انتهت جولة ألمانيا النازية الأولى في أوروبا الشرقية والغربية، وهي جولة سريعة لم تكن ذات شأن كبير بمعاركها واشتباكاتها الدامية بالنسبة للمعارك الكبرى التي عرفها العالم في السنوات التي تلت هذه الكارثة.

كل ما تحقق حتى تلك الأيام هو أن العالم الغربي قد استيقظ على تخلفه العسكري فبدأ يجمع قواه ويعبىء إمكاناته الهائلة ويقدم للحرب وقودها البشري ثم الاقتصادي والتكنيكي. وكانت معركة بريطانيا الجوية التي عقبت هزيمة الفرنسيين وجلاء الجيش البريطاني عبر دنكرك هي أول مفرق طريق تغيرت أو بدأت تتغير به مصائر الدنيا ومقدرات العالم.

وكان صراع سببه الحقد والغرور من ناحية والطمع والاستغلال ثم النوم على الأمجاد من ناحية أخرى.

إن ما جرى في تلك السنوات التاريخية الدامية حتى آخر قطرة في شرايين الناس، والتي نزفت فيها دماء ٣٥ مليوناً من الرجال والنساء والأطفال على الأقل، هو قصة الحضارة التي لم يستطع بناتها أن يكونوا على مستوى المعاني الرسالية فيها.



بريطانيا أمام المحنة

بعد شهر واحد تقريباً من ركوع فرنسا أمام الجيش الألماني، وبعد توقيعها وثيقة الاستسلام المهينة في كُومبياني، يقف هتلر ليقول في خطاب له أمام الريخشتاغ الألماني:

«في هذه الساعة يملي عليّ ضميري أن أوجه نداء إلى العقل والإدراك الحسن عند الشعب الإنكليزي وعند غيره من الشعوب. وإنني اعتبر نفسي في الموقف المناسب لإرسال مثل هذا النداء، فلا أرسله كعدو منهزم يلتمس منحة لنفسه، بل كمنتصر يتحدث باسم العقل. أنا لا أرى أي مبرر لاستمرار هذه الحرب...».

هذه فقرة من الخطاب الذي وجهه هتلر في ١٩ تموز من عام ١٩٤٠ إلى شعب الجزيرة البريطانية يعرض فيه عليه السلم؛ والجيش الألماني في تمام قوته وانتشائه بانتصاراته السريعة الصاعقة، بينما كانت الجزيرة البريطانية تقف وحيدة أمامه، محرومة من أسلحتها الثقيلة وتجهيزاتها العسكرية التي تركها جيش دانكرك المنهزم وراءه. ولكن قواتها البحرية والجوية كانت ما تزال سليمة تقريباً وكان على هذه القوات أن تواجه أكبر قوة عسكرية عرفها التاريخ حتى ذلك اليوم.

وطبيعي أن هتلر كان يعتمد في تحقيق نصره النهائي على أنصار السلام والدعاة إلى مفاوضات الصلح في بريطانيا نفسها. وقد بلغ من ثقته بنفسه وبصدق تقديراته أنه لم يكلف نفسه مشقة إعداد أية خطة واسعة لغزو الجزيرة البريطانية بالقوة.

في تلك الأيام كانت بريطانيا تستعرض احتمالات التصلب في الحرب أو الاستسلام... وكانت تعود بالذاكرة إلى امبراطوريتها المترامية الأطراف وتشهد الأخطار المحدقة بها عبر الجيش الألماني الفتي الجاثم فوق أوروبا كلها، فتشعر أن الاستسلام والركوع أمام الغازي الجديد لا يعنيان غير شيء واحد هو أن تتحول إلى محمية من محميات الأمبراطورية الهتلرية.

وبينما كان الألمان يطلقون مناطيد تجريبية من جهة السويد والولايات المتحدة

والفاتيكان، جاء جواب اللورد هاليفكس برفض العرض الذي تقدم به هتلر في خطابه. وكان هاليفكس يقول: إن بريطانيا لا تستطيع أن تقبل سلماً يترك بين أيدي الألمان أي جزء من الأراضي الأجنبية.

هكذا اختارت بريطانيا أن تدخل معركة المصير مع هتلر. ثم انتفض الشعب البريطاني فأطلق على لسان ونستون تشرشل، قائده في الحرب الضروس، العبارة التالية:

«انتهت معركة فرنسا. واعتقد أن معركة بريطانيا لن تتأخر كثيراً. إن مصير الحضارة المسيحية مرتبط بهذه المعركة، كما ترتبط بها حياة بريطانيا ومؤسساتنا



آثار الغارات الجوية على لندن

الكبرى وأمبراطوريتنا بالذات. كل عنف العدو وقوته سيقضيان علينا في الأيام القريبة القادمة. ان هتلر يعلم تمام العلم بأن عليه أن يهزمنا في جزيرتنا أو يخسر الحرب. فإذا استطعنا أن نصمد فستكون كل أوروبا حرة وسيشهد العالم انفتاح آفاق واسعة مشمسة. وإذا فشلنا فإن العالم كله بما فيه الولايات المتحدة، وكل ما نعرفه وما نحبه سيسقط في الظلمات، ظلمات سيجعل منها علم هدام فاسد شيئاً أكثر جهامة وأطول بقاء. وإذن لنكن على مستوى واجباتنا ولنتصرف بحيث يقال يوماً، إذا بقيت الامبراطورية والشعب البريطاني إلى ما بعد ألف عام: لقد كانت ساعة مجد لهم».

ووضع هتلر خطة الغزو التي أطلق عليها اسم «أوتاري» ولكن تنفيذ هذه الخطة كان يشترط السيادة في الجو والبحر ولا سيما في القطاعات التي سيجري فيها انزال القوات الغازية. كان في حاجة إلى أسطول بحري كبير قادر على نقل الجيش الألماني بمعداته الثقيلة وعلى تأمين المؤن اللازمة له. الجنود كانوا ينشدون قائلين: «نحن ذاهبون إلى بريطانيا».

وتقرر اللجوء إلى اللفتواف، الطائرات الألمانية التي يقودها غورنغ لتحطيم الطيران البريطاني وإضعاف بريطانيا قبل اجتياحها. وكان هتلر يأمل في أن يحطم معنويات الجماهير ويرغم الحكومة على الاستسلام. وكانت خطة «أوتاري» تقضي بتنظيم غارات جوية كاسحة بحيث تتأمن السيادة الجوية للألمان حتى إذا انتصف شهر أيلول كان الغزو ممكناً تحت ضوء القمر وفوق مدّ مرتفع. وفي هذه الأثناء يحاول الأسطول البحري تجميع أكبر عدد ممكن من الوحدات ويتدرب الجيش على القيام بعمليات برمائية.

وقد جرت المعركة على ثلاث مراحل. أما في المرحلة الأولى فقد أغارت الطائرات الألمانية على شواطىء بريطانيا الجنوبية والمناطق المعينة للغزو، قاذفةً قنابلها على السفن، والمستودعات والمؤسسات المرفأية. وكان الألمان يفكرون في استدراج المطاردات البريطانية على هذه الصورة ثم في عزلها. وأما المرحلة الثانية فهي تستهدف القيادة الجوية وطائراتها ومطاراتها بحيث تتم إبادة الأسطول الجوي الإنكليزي وتطهر السماء من طائراته المطاردة، ولما لم تستطع اللفتواف أن تحقق أهدافها في هاتين المرحلتين راحت تنقض انقضاضاً صاعقاً على المدن الكبيرة والمرافىء والمراكز الصناعية. فكانت بذلك المرحلة الثالثة للمعركة.

لقد استطاع الطيران الإنكليزي وهو يعد ١٤٧٥ طائرة أن يصمد أمام ٢٦٧٠ طائرة معادية. يضاف إلى ذلك أن الشعب البريطاني لم يستسلم للخوف. القاذفات



أحد البالونات الحاجزة فوق جسر لندن

الألمانية، دورنيا، هينكل، وشتوكا كانت تتلاحق في موجات فوق سماء بريطانيا ترافقها صفوف من طائرات مسر شمت المطاردة فتنطلق الطائرات الإنكليزية سبيتفاير وهاريكين وتعترض طريقها ثم تسقط منها المئات. الطائرات الألمانية التي سقطت كانت ضعف الطائرات الإنكليزية المسقطة. وبينما كان الطيران الإنكليزي قادراً على

الاستفادة من الطيارين الذين تحترق طائراتهم ويهبطون فوق أرض بلادهم بالمظلات كان الطيران الألماني يخسر طياريه الهابطين بمظلاتهم هناك.

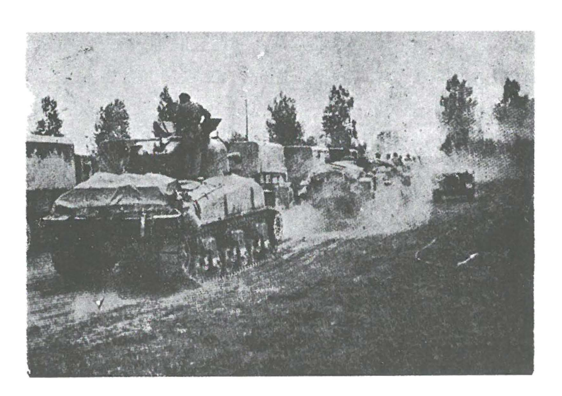
يضاف إلى ذلك أن حواجز المناطيد والمدافع المضادة للطائرات والتحسينات السرية التي أدخلت على أجهزة الرادار من قبل العلماء الإنكليز قد قدمت مساعدات ثمينة لطائرات سبيتفاير وهاريكين القليلة نسبياً في الفضاء.

والواقع أن احداثاً بطولية كثيرة قد جرت خلال أيام المعركة فوق بريطانيا من الجانبين الألماني والإنكليزي وأن شواهد متعددة قد أثبتت بأن الطرفين قد بذلا جهوداً جبارة من أجل انتزاع المبادرة وتركا في الميدان ضحايا كثيرة. أما الألمان فقد فقدوا بين تموز وتشرين أول من عام ١٩٤٠ ما لا يقل عن ١٧٣٣ طائرة بينما لم تتجاوز خسارة الأسطول الإنكليزي ٩١٥ طائرة للأسباب المذكورة قبل قليل.

في منتصف تموز كانت خطط الغزو قد وضعت. وفي بداية شهر آب، أُلغيت مأذونيات الضباط والجنود في الجيش الألماني، وفي أيلول أصبح عدد السفن التي جمعها هتلر ٣٠٠٠ بين كبيرة وصغيرة تنتظر في موانىء فرنسية وألمانية وهولندية وبلجيكية استعداداً لحمل الجنود الغزاة عبر بحر المانش.

ولكن اللفتواف لم تحقق أغراضها، فالمطارات البريطانية رغم الإصابات الشديدة التي نزلت بها كانت ما تزال قادرة على اعتراض المغيرين؛ أما المطارات والمؤسسات القائمة فوق الأرض فإنها لم تهدَم طبقاً للخطة الموضوعة. والواقع أن الطائرات والسفن الإنكليزية بقيت تشن الهجمات العنيفة على مواقع الألمان فوق الشاطىء الأوروبي قاذفةً قنابلها على السفن المعدة لحمل الجنود والموانىء التي ترسو فيها هذه السفن. أما المراكب الحليفة فقد كانت تصل إلى الموانىء البريطانية دون انقطاع وتفرغ فيها حمولاتها. والثابت أن الخسائر كانت كبيرة ولكن سفناً وطائرات جديدة كانت تخرج باستمرار وباعداد كبيرة من مصانع التجميع.

وبدلاً من أن يتابع الألمان عملياتهم الهجومية اقترفوا خطيئة استراتيجية كبيرة حين امتنعوا عن متابعة الغارات على الطائرات الإنكليزية ومؤسسات الطيران في البر البريطاني. لقد كان احتياطي الأسطول الجوي الإنكليزي في حالة نزيف شديد. وكان في وسع اللفتواف متابعة الهجوم حتى تطهر الفضاء من الطائرات المعادية. وعندما تتأمن لها السيادة في الجو يصبح في مكنتها تجميد السفن البحرية والقاذفات البريطانية ومن ثم قطع خطوط التموين والقضاء على القوافل المتجهة نحو الجزيرة. وفي هذه الحالة تركع بريطانيا على ركبتيها أو يصبح الغزو عملية نقل للجنود وحسب.



الدبابات البريطانية تحرس قوافل الإعاشة

ولكن غورنغ الذي يئس من القضاء على الطائرات الإنكليزية في الفضاء أطلق قاذفات قنابله فوق لندن. وقد تساءل المراقبون عن الغاية من هذا التحول؟ هل هي تحطيم معنويات الشعب؟ أم هي القضاء على المرفأ الذي تمر منه نسبة أربعين في المئة من الواردات إلى بريطانيا؟ كانت هناك غارات نهارية فوق التايمز في كل يوم دون انقطاع وغايتها إشاعة الخراب في كل مكان من المدينة. قنابل محرقة ومتفجرة تساقطت فوق لندن حتى أواسط تشرين الثاني ولا سيما الأحياء الكثيفة السكان عند الطرف الشرقي. وكما أن الخسائر الثقيلة قد أرغمت غورنغ على الامتناع عن متابعة المعركة ضد المطارات الإنكليزية فإن هذه الخسائر بالذات قد أوقفت سيل غاراته على لندن أيضاً. السبب بسيط جداً. فإذا كانت المصانع الألمانية قادرة على صنع طائرات مطاردة وقاذفة مكان تلك التي تتساقط فوق بريطانيا فإن إعداد الطيارين الذين تحتاج هذه الطائرات إليهم أمر غير سهل ولا يسير. ومن هنا أصبحت الغارات النهارية ليلية ابتداء من تشرين الثاني. ليلة بعد ليلة كانت القنابل الألمانية تتساقط فوق أحياء العاصمة. وكان الناس فيها يقضون لياليهم في انفاق المترو أو في المخابىء. فيواجه بعضهم الموت أو الجراح أو الاختناق تحت الأنقاض.

لقد كانت أياماً عصيبة. وكان المنتظر من الشعب أن يصمد فيها وهو أعزل من السلاح تماماً كما كان يصمد الطيارون في السماء ورجال السفن في البحر. ذلك لأن المعركة كانت في تلك الأوقات معركة جوية بحرية فقط.

وعند كل صباح كان المدنيون في لندن يخرجون إلى أعمالهم كالعادة، بانتظار مجيء ساعات الليل الرهيبة بينما تتابع السفن القادمة تفريغ حمولاتها، والمصانع دورانها ووسائل النقل تحركاتها العادية.

يضاف إلى ذلك أن عشرات الآلاف من المدنيين قد توزعوا مهمات الوقاية فكانت منهم فرق الإطفاء والرقابة التي تعلن عن اقتراب طائرات العدو والمتطوعة في رفع الأنقاض عن الضحايا وإزالة الخرائب، وكان منهم المهندسون والاختصاصيون الذين يتولون نزع كبسولات القنابل التي لم تنفجر أو ذات الانفجار المتأخر؛ كما كان منهم الأطباء والممرضات الذين يعنون بالمشوهين والجرحى.

حدث هذا كله والألمان يعتقدون أن الانتصار قد أصبح في متناول أيديهم، وفيما يلي نورد تأملات سجلها الرقيب الطيار «غوتفريدلسك» قال:

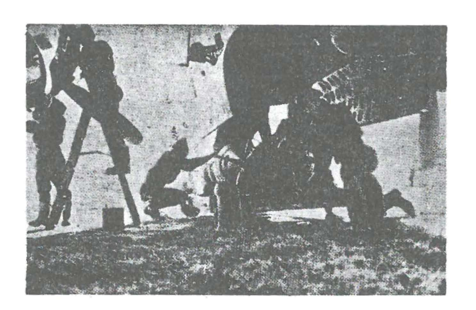
كنا في هذه المرة سنضرب مطارات لندن بالقنابل. وصعدنا إلى طائرتنا: أولاً: ليدرر ثم لومل وبعده زولدنر ثم أنا يتبعني الملازم الثاني. كانت هناك عشرون طائرة بما فيها طائرتنا، تتقدمنا أو تطير خلفنا تشكيلات كثيرة من المطاردات.

وكلما اقتربنا من المانش ونحن على ارتفاع ثلاثة آلاف متر كان الجو يتحسن. لقد كنا مثقلين بحمولتنا. وكنا نعرف أن تلك هي بداية النهاية. الحملة الكثيفة التي طالما انتظرناها على قلب الامبراطورية البريطانية قد بدأت وكان علينا في ذلك اليوم أن نحطم مطارات العدو، ومراكزه الكهربائية، وحظائره، ومستودعات ذخيرته وخزانات بتروله. لقد كان علينا في تلك الأيام أن نحطم مواقع بريطانيا الدفاعية.

وكانت تطير فوقنا عالياً مطاردتنا «مسر شمت»، لقد بلغنا فضاء كريدون ثم وصلنا إلى هدفنا الذي عين لنا. كان هذا الهدف على صورة مثلث وكان يتمدد على امتداد طابق كبير. القاذفات المتقدمة ألقت قنابلها. وبدت لنا إحدى الحظائر وقد أصيبت إصابة شديدة أما في ما سواها فلم تحدث أضرار تذكر.

وانقضت علينا طائرات سبيتفاير وهاريكين. وفي طرفة عين اختلطت بنا في دوامة عاصفة، بين المطاردات والقاذفات من طائراتنا.

عدد طائرات العدو كان أكثر مما ننتظر. إنني لم أكن أظن أن العدو يملك مثلما يملك من الطائرات، يضاف إلى ذلك أنه قد كان في وسع طائرات العدو أن تهبط إلى الأرض وتعيد ملء خزاناتها بالوقود ثم تعود إلى فضاء المعركة بينما كان زملاؤنا مقيدين بكمية الوقود التي يحملونها في خزانات طائراتهم. مطارداتنا كانت تقاتل كما يقاتل



طائرة بريطانية تشحن بالقنابل لتقوم بغارتها فوق ألمانيا

الأسود وقد تساقطت أمامها أكثر من هاريكين واحدة في هبوط عمودي وهي تحترق.

وقررنا أخيراً أن نتخلص من قنابلنا، ولكن زولدنر يقول: إنها لم تحدث أضراراً كثيرة. ومهما يكن الأمر فهي خير من لا شيء.

لن أنسى لندن أبداً. إنها المرة الأولى التي كنت أراها فيها وكنت جديراً بالمراهنة على أنها ستكون الأخيرة. كان ذلك يجري في غارتنا الثانية. السماء صافية الأديم. وعند هبوط الليل ارتفع ضباب خفيف. ومع ذلك فقد كنت قادراً على رؤية سطوح المدينة. رأيتها بأشكالها المتنافرة وبألوانها القوية. ثم رأيت شوارع الضواحي وهي أكبر حجماً وأكثر استقامة، ومن ورائها مصب التايمز بألوانه الخاصة. في تلك البرهة أسفت على أنني لم أزر هذه المدينة من قبل وأنا الذي لن أزورها بعد ذلك أبداً. وبينما كنت أطير فوق أكبر مدينة في العالم، كنت على ثقة تامة، وأنا القادر يومذاك على التنبؤ بالمستقبل، من أن هذه المشاهد كلها ستزول، وانه لن يبقى شيء من المدينة بعد أيام قليلة، حين يصدر الفوهرر قراره بإعدامها. إنه لن يبقى شيء غير أكوام من الخرائب.

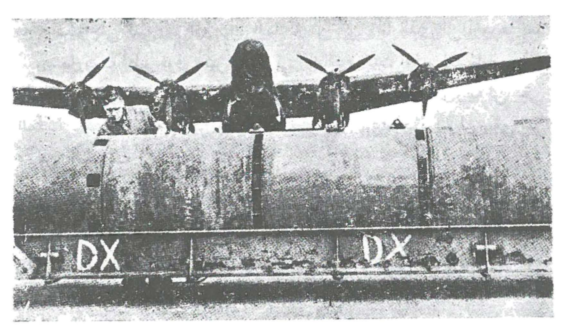
في هذه الأيام تكتب صفحة من التاريخ. وسيكون في وسعي القول بأنني قد شاركت في كتابتها. وسيقرأ الناس بعد عشرة أو عشرين عاماً في كتب التاريخ: أيلول ١٩٤٠ = هدم لندن. تماماً كما قرأنا في هذه الكتب تاريخ هدم قرطاجة أو حريق روما.

لندن تحترق. إنها تحترق مرة واحدة في مئة مكان تقريباً، وهي أشبه ما تكون

من الخرائب لا بالمدينة. إنني أفكر وأعود إلى التفكير ثانية في طيراني الأول فوق لندن، بينما لم تكن أية قنبلة من قنابلنا قد سقطت بعد، وفي الوقت الذي كانت ما تزال فيه هذه المدينة الكبيرة سليمة من كل أذى، والإنكـليز يتخيلون أنه ما من قوة في العالم تستطيع أن تفعل شيئاً ضدها. ثم أعود وأقول لنفسي: لعلهم قد غيروا الآن رأيهم.

لم تمر ليلة واحدة دون أن نشعل فيها الحرائق وسط المدينة، ما من ليلة لم يرتفع فيها اللهيب إلى السماء فيلونها بلون الدم. المدافع المضادة للطائرات تطلق قنابلها، الكشافات الضوئية تجتاح السماء، لكن ماذا عساها تصنع؟ نحن لا نترك هذا العمل. إننا نقوم به بكل أمانة. أمس كان الرائي يظن أن نهر التايمز نفسه يحترق. كل الأحواض والمستودعات تحترق، وفي كل دقيقة، تحدث الانفجارات ثقيلة أو خفيفة. ويرتفع قناع من الغبار والدخان فيغطي المدينة. سنتابع ملاحقاتنا لهم عن قرب، ولن ندعهم يستعيدون أنفاسهم. تشكيلاتنا الجوية تطير فوق لندن دون توقف. هذه الغارات مستمرة خلال شهر تقريباً. ان لندن مدينة تحتضر.

ولكن الحقيقة أن لندن كانت ترفض الموت. فإذا كانت المطاردات الإنكليزية عاجزة عن مقاومة قاذفات الليل فإن القاذفات الإنكليزية كانت تقوم بعمل كبير في ألمانيا كما كانت تقوم بعمليات انتقامية فوق مدن برلين، دوسلدورف، ميونخ، مانهيم، بريمن،ومدن أخرى غيرها. وينقض النازيون بدورهم على المراكز الصناعية الكبيرة



قنبلة زنة ٥٥٠٠ كلغ تحملها طائرة لانكستر بريطانية



تشرشل يتفقد آثار الغارات الألمانية في كوفنتري

والمرافىء الرئيسية العظمى، برمنغام، روشستر، بريستول، بلايموث، دوفر، سوثمبتون.

أما مدينة كوفنتري فقد هدمت خلال غارة من أشد الغارات عنفاً في ١٤ تشرين الثاني. وفي ٢٩ كانون أول تساقطت القنابل المحرقة فوق لندن وأحدثت ١٥٠٠ حريق؛ كان هذا الحريق أكبر كارثة عرفتها هذه المدينة منذ الحريق الكبير الذي حدث فيها عام ١٦٦٦. إن ٢٠٠ ألف طن من القنابل تساقطت فوق الأرض البريطانية خلال

تلك المعركة؛ وكانت حصيلتها ٤٠,٠٠٠ قتيل و٢٠٠,٠٠٠ جريح بين المدنيين. ومع ذلك صمدت بريطانيا واجتاح العالم آنذاك شعور غريب أمام ضخامة الهجوم الذي قام به الطيران الألماني.

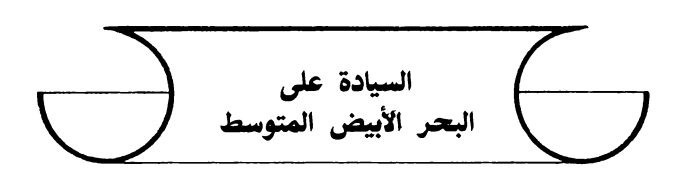
ولما لم تتحقق أهداف هذا الطيران حتى شهر أيلول، وبما أن خسائر الأسطول البحري الألماني في معركة النرويج كانت كبيرة، فقد قرر هتلر إرجاء موعد الغزو إلى تشرين الأول. ثم تقرر التأجيل مرة أخرى إلى ربيع ١٩٤١، وبانتظار تحسن الأحوال الجوية، تقرر التأجيل مرة ثالثة بعد القيام بالحملة التاريخية الكبرى على الاتحاد السوفياتي. وأخيراً دفن مخطط أوتاري نهائياً في كانون الثاني من عام ١٩٤٢.

وقد حاول الكثيرون أن يبحثوا عن الأسباب التي منعت هتلر من غزو بريطانيا. ولكن الجواب بقي سراً خفياً. هكذا استمرت محنة النار حتى ربيع ١٩٤١ بالنسبة للجزيرة البريطانية. ومنذ تلك الفترة أصبحت الغارات الجوية أشبه بالاختلاجات المتباعدة، ولا سيما بعد أن تحولت القوات الألمانية نحو الاتحاد السوفياتي.

والملاحظ أن غزو الاتحاد السوفياتي قد وضعت له خطة خاصة وأطلق عليها اسم (عمليات بارباروس). وحددت ساعة الصفر في شهر أيار من عام ١٩٤١. ومن هنا لم يفهم أحد سبب الاستمرار في الإغارة على بريطانيا والإعداد لغزوها من البحر. لعل الشيء الوحيد الذي يفسر موقف هتلر وعناده في الاستعداد لضرب بريطانيا وغزوها هو اعتقاده بأنها لن تصمد طويلاً بعد استسلام فرنسا وهزيمة جيوشها في دانكرك.

ويقدر بعضهم أن هتلر قد وثق ثقة تامة بأفكار غورنغ المغرورة التي كانت تؤكد بأن في وسع طائرات اللفتواف الألمانية إرغام بريطانيا على الركوع. وليس غريباً أن يقدر الألمان مثل هذه النهاية لبريطانيا فيما إذا وفق الريخ إلى تحطيم الحليف الأخير المحتمل للجزيرة البريطانية الذي هو الاتحاد السوفياتي. وإذا كان هتلر قد قرر الحملة على هذا الأخير فلأنه لم يكن يريد أن يشعر بحاجته إلى ستالين للحصول على الحبوب والبترول والمعادن التي كان يزوده بها الاتحاد السوفياتي.

ومهما يكن الأمر، فإن معركة هتلر في سهول روسيا هي التي انقذت بريطانيا. وسيتبين لنا أن هذه المغامرة الأخيرة هي التي حملت الخراب والدمار إلى ريخ الألف عام الذي كان يحلم به هتلر.



السيادة على البحر الأبيض المتوسط

بعد سقوط فرنسا السريع أمام صفوف الجيش الألماني غادر الجنرال ديغول أرض بلاده إلى الجزيرة البريطانية ليتابع منها كفاحه من أجل العودة، وقد جمع حوله الفرنسيين الأحرار وأقام حكومة مؤقتة في لندن. وقد أعلن كل من الكمرون وافريقيا الاستوائية الفرنسية وقوفها إلى جانبه. لكن افريقيا الشمالية ومستعمرات الشرق الأوسط والأسطول البحري بقيت كلها موالية لحكومة فيشي. وقد قرر الإنكليز خوفاً من أن يسيطر الألمان على الأسطول الفرنسي رغم تأكيداتهم المشددة للأميرال دارلان على عدم المس به، قرر الإنكليز أن يفعلوا شيئاً يحول دون حدوث هذا الاحتمال.

وطبيعي أن محاصرة أوروبا الهتلرية من البحر تبقى شيئاً نظرياً ما دام أن الأسطول الفرنسي لا يتعاون مع البريطانيين، يضاف إلى ذلك أن المواصلات البريطانية في البحر الأبيض المتوسط كانت مهددة بالخطر. وقد زاد الطين بلة حين دخلت إيطاليا الحرب بقواتها الجوية والبرية والبحرية. فإذا قدر للأسطول الفرنسي أن ينضم إلى الأسطولين الإيطالي والألماني فإن المحور سيتفوق حتماً على بريطانيا في الميدان البحري وستكون الطريق مفتوحة لغزوها أو على الأقل سيكون خنق مواصلاتها البحرية أمراً لا بد منه.

يضاف إلى هذا كله الضغط الكبير الذي يستطيع أن يقوم به الأسطول البحري الياباني في الشرق الأقصى، لاسيما وأن اليابانيين كانوا يطمعون في الهند الصينية ويقومون بتحركات عند شواطىء سنغفورة. هكذا قررت بريطانيا اغتيال حليفها القديم. وكان من حسن الحظ أن جانباً من الأسطول الفرنسي موجود في مرافىء إنكليزية، في بلايموث وبورتسماوث وكذلك في مصر. وفي ٣ تموز ١٩٤٠ استولى الإنكليز عن طريق المفاجأة على سفن كانت موجودة في بريطانيا ثم تم الاتفاق على تجريد السرب البحري الفرنسي الموجود في مصر.

ولكن أهم الوحدات كانت راسية في موانىء شمال أفريقية، في وهران، والجزائر، والدار البيضاء. ووحدات أخرى في دكار، ومدغشقر، والمارتينيك.



الجنرال ديغول يلجأ إلى إنكلترا متابعاً النضال باسم فرنسا الحرة

وقد أرسل سرب بحري بريطاني بقيادة الأميرال سومرفيل من جبل طارق إلى المرسى الكبير ووهران ، وكانت مهمته وضع القائد الفرنسي الأميرال جانسول، أمام أحد أمرين لا ثالث لهما: الانضمام إلى مرفأ بريطاني أو الانتقال إلى المارتينيك حيث تجرد سفنه من أسلحتها. وبما أن مهلة الإنذار هي ست ساعات، فقد أعلن سومرفيل أنه سيجد نفسه مرغماً على استعمال القوة لمنع هذه السفن من الوقوع في أيدي الأعداء فيما إذا مرت المهلة المعطاة دون جواب.

ورفض جانسول إنذار سومرفيل فحمل هذا الأخير عليه وهو يعرب عن أسفه، وقد أغرقت أكثرية السفن الفرنسية أو تركت في حالة عجز شديد وقتل قرابة ١٠٠٠ بحار. وقد استطاعت المدمرة (ستراسبورغ) وسفن أخرى من السرب أن تقتحم الحصار وتعود أدراجها إلى قاعدة طولون. وبعد ذلك بخمسة أيام، أي في ٨ تموز، أغارت طائرات البحرية البريطانية على الدارعة الفرنسية ريشيليو الراسية في دكار فأحدثت فيها أضراراً شديدة. أما الدارعة جان بار فقد جمدت في الدار البيضاء وهي التي لم ينته بناؤها بعد.

وفي اليوم التالي قطعت حكومة فيشي علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا.

وبقي أسطول فرنسي كبير منذ ذلك اليوم في قاعدة طولون وهو يشكل خطراً دائماً في المتوسط. والواقع أن الألمان لن يكون في وسعهم استخدام هذه السفن شأن الإنكليز بالطبع قبل عمليات النزول في افريقيا الشمالية كما أنهم لن يستعملوا السفن الراسية في الإسكندرية أو المتروكة تحت رقابة القوات الأميركية في المارتينيك. ان مناورة سومرفيل التي جرت في المرسى الكبير قد شطبت فرنسا كعنصر قوة في المتوسط. وهكذا استطاع الإنكليز أن يتوجهوا ضد الأسطول الإيطالي.

وفي شهر تشرين الثاني ١٩٤٠ فاجأ الأميرال كنينغهام قائد الأسطول البريطاني في المتوسط الشرقي، الأسطول الإيطالي وهو في قاعدته (تارانت). فاستطاع أن يخرج نصف السفن الإيطالية من المعركة مقابل خسارة طائرتين فقط. وبعد ذلك بخمسة أشهر، وبينما كان يقوم بتغطية قافلة متجهة نحو اليونان، انقض كنينغهام مرة أخرى على الأسطول الإيطالي الذي كان في مياه رأس ماتابان في البحر الأيوني. فأغرق ثلاث سفن جوالة وطرادين وأحدث أضراراً في سفن أخرى. واستطاع الإيطاليون أن ينجوا بأنفسهم ويلجأوا إلى قواعدهم. وهكذا أصبحت كفة الإنكليز بعد هذه المعركة أثقل من الكفة الإيطالية بصورة نهائية.

سيادة في الاطلانطيك

أراد هتلر قبل النزول الى الأرض البريطانية أن يحاصر الجزيرة. وطبيعي أن بريطانيا ستعتمد في مواردها بعد عزلتها عن أوروبا على أمبراطوريتها من ناحية والولايات المتحدة من ناحية أخرى. كان هتلر مصمماً على قطع الشريان الحيوي الهام الذي يتمثل في الاطلانطيكي ابتداء من كندا والولايات المتحدة. هكذا ستكون معركة الأطلانطيكي سلسلة من الغارات تشنها الغواصات الألمانية على القوافل في عرض البحر كما ستكون عمليات واسعة لزرع الألغام وهجمات جوية فوق مياه الشواطىء البريطانية.

أما بالنسبة لهتلر فإن سقوط فرنسا قد أزال كثيراً من العقبات. فالمطارات الفرنسية قائمة على بعد دقائق من المرافىء الإنكليزية والمواقع الحساسة. يضاف إلى ذلك أن قواعد الغواصات الفرنسية تزيد من مجال الغواصات الألمانية وتتيح لها إمكانية المناورة وصيد سفن الحلفاء على نطاق أوسع بحيث أنها تستطيع الوصول إلى الاطلانطيك الأوسط أي بعيداً عن المطاردات الإنكليزية. وكذلك زارعة الألغام

البحرية فإنها بانطلاقها من الموانىء الفرنسية تستطيع أن تملأ بألغامها مياه بحر المانش. يضاف إلى ذلك كله أن السفن الألمانية الماخرة فوق الماء تستطيع الانقضاض على قوافل الحلفاء التي تشكل الجسر التجاري في الاطلانطيك الشمالي.

والواقع أن خسائر الحلفاء تضاعفت بعد أن تزايد نشاط الغواصات الألمانية. وقد بلغت هذه الخسائر في السفن التجارية خلال شهر آذار عام ١٩٤١ ما زنة حمولتها نصف مليون طن فأصبح مجموع الخسائر منذ بداية الحرب ٧ ملايين من الأطنان. كان الألمان يغرقون ثلاث سفن مقابل كل سفينة تخرج من الورشات البحرية البريطانية أو الأميركية. هكذا أصبح الوضع شديد الخطورة. ووجد الحلفاء أنفسهم أمام أمرين لا ثالث لهما: إما زيادة عدد البواخر المبنية وإما وضع حد لغارات الغواصات المعادية. والأفضل هو تحقيق الأمرين معاً.

وقد تبنى الإنكليز لمواجهة الغواصات الألمانية الطريقة المتبعة في الحرب العالمية الأولى أي طريقة القوافل. وقد أثبتت هذه الطريقة فعاليتها في التقليل نسبياً من الخسائر. واستعانوا لحماية هذه القوافل بسفن حربية مرافقة، أو طائرات مواكبة وكان بين هذه السفن دوارع وطرادات وقوارب مسلحة ثم طائرات تنطلق من حاملات طائرات صغيرة أو من قواعد قائمة فوق الأرض اليابسة في جزر غرينلاند أو إيسلندا أو إيرلندا الشمالية وأخيراً في الشواطىء الغربية للجزيرة البريطانية. هكذا تتعاون القوات البحرية والجوية على حماية القوافل التجارية عبر المحيط الأطلانطيكي.

هذه الطريقة كانت تعتمد في الأساس على الطرادات وطائرات الاستكشاف. والبريطانيون لم يكونوا يملكون منها غير القليل جداً. وكانت قيادة الشواطىء مرغمة على التنازل عن قسم كبير من طائراتها للقيادة المقاتلة خلال معركة انكلترا كما أن الكثير من الطرادات قد غرق في النرويج ودنكرك أو خلال الدوريات العادية أو الطرق البحرية.

هذه الحرب في الاطلانطيك هي التي استدرجت الولايات المتحدة في الحقيقة ودفعتها إلى خوض المعركة ضد الألمان.

في أيار من عام ١٩٤٠ طلب تشرشل من الرئيس روزفلت أن يتنازل لبلاده عن ٥٠ أو ٦٠ طراداً أميركياً من الطراز القديم وعن أكثر عدد ممكن من طائرات الاستكشاف لتجنب الخطر الذي بدأت ترتسم معالمه بعد أن انضمت مئة غواصة إيطالية إلى الأسطول الألماني.

وقد كانت حجة تشرشل الرئيسية أن الأسطول البريطاني هو خط الدفاع الأول عن الولايات المتحدة، فإذا فقدت بريطانيا السيطرة على المحيط فإن مصالح الولايات المتحدة تصبح عرضة لأخطار جدية. وبعد مفاوضات طويلة وافق روزفلت في شهر أيلول من عام ١٩٤٠ على تزويد البريطانيين بخمسين طرادة متقاعدة مقابل تأجير القواعد البريطانية في «الأرض الجديدة» في جزر الأنتيل وغينيا البريطانية لمدة ٩٩ سنة. هذا الاتفاق اعتبر ساري المفعول دون أن يمر بالكونغرس.

نهاية «بسمارك»

وبينما كانت الغواصات الألمانية تنقض على القوافل التجارية في المياه الإنكليزية بالذات كانت الدوارع الألمانية تحدث بدورها في عرض المحيط خسائر كبيرة في هذه القوافل بالذات.

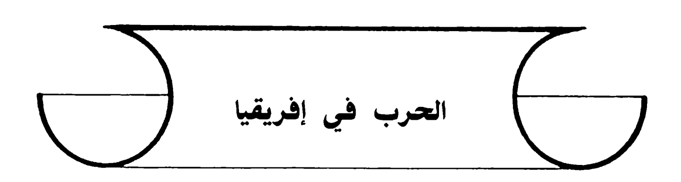
وفي أيار ١٩٤١ غادرت فخر الدوارع الألمانية بسمارك ـ حمولة ٤٥ ألف طن ـ مرفأ نرويجياً قرب برجن لغرض اغراق القوافل الإنكليزية في الاطلانطيك الشمالي. وكانت ترافقها السفينة الجوالة «برنس أوجن» يحميهما سور من الطرادات. وشاهدت طائرات استكشاف إنكليزية هذا الأسطول فأطلقت الأميرالية وراءها الدارعة «برنس أوف ويلز» والسفينة الجوالة المقاتلة «هود». وكان اللقاء بين الطرفين قرب شواطىء غرينلاند صباح الرابع والعشرين من أيار. كانت بسمارك تتمتع بتفوق في السرعة وفي التدريع وفي قوة نيرانها «بمدافعها ٣٨٠» بالنسبة للسفن الإنكليزية. ولم تمض دقائق حتى أصيبت السفينة «هود» ثم انفجرت. ثم لم ينج منها أحد تقريباً. أما «برنس أوف ويلز» فقد أحدثت أضراراً في «بسمارك» ولكنها أصيبت هي أيضاً إصابات شديدة واضطرت للانسحاب من المعركة. وحاولت بسمارك أن تبحر باتجاه «برست» بعد أن أصبحت دفتها في حالة سيئة وفقدت كمية من المازوت. ولكن الأميرالية البريطانية لم تلبث حتى انذرت كل سفنها الحربية التي كانت تمخر المناطق المجاورة حتى جبل طارق، وبدأت المطاردة. الأوامر كانت صريحة: ابحثوا عن «بسمارك» وأغرقوها.

وبعد مطاردة امتدت ألفي ميل تم اللقاء بين بسمارك وسرب إنكليزي على بعد ٤٠٠ ميل من برست. ووجدت بسمارك نفسها وحيدة أمام هذا السرب بعد أن انفصلت عنها «برنس أوجن» وبقية الطرادات المرافقة.

وبدأت معركة غير متكافئة بين الطرفين. فهاجمتها الدارعة «الملك جورج

الخامس» والدارعة «رودني» وانقضت عليها قاذفات القنابل بطوربيداتها منطلقة من حاملتي الطائرات «أرك رويال» و«فكتورياس» كما هاجمتها سفن جوالة وطرادات. ولكنها بقيت صامدة بالقدر الذي صمدت فيه مدافعها. وفي صباح ٢٧ أيار أغرقها طوربيد من الدارعة «دورتشاير»؛ فتنفس الإنكليز الصعداء.

هكذا كانت نهاية الدارعة الألمانية. وبغرقها أصيبت القوات البحرية الألمانية بهزيمة شديدة وشعرت القوات البحرية الإنكليزية بالنجاح العظيم.



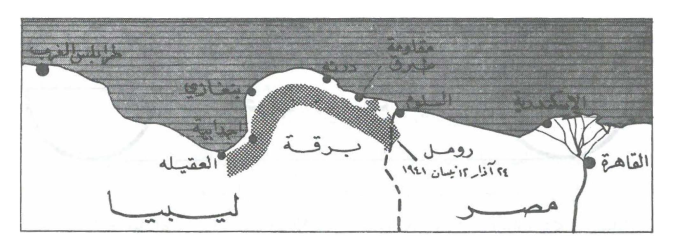
الحرب في إفريقيا

كانت أطماع موسوليني بعيدة الأغراض. لقد كان دكتاتور إيطاليا يفكر ويخطط لتحويل البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة إيطالية. وقد كانت الحرب العالمية الثانية التي فجرها هتلر فرصة ذهبية في تقديره لتنفيذ خطته. والمعروف أن موسوليني قد وضع حجر الأساس للأمبراطورية الجديدة التي يحلم بها حينما ضم الحبشة إلى جملة ممتلكات بلاده في عام ١٩٣٥، ثم دعم هذه الأمبراطورية بضم بلدان من افريقيا الشرقية الأريتريا والصومال الإيطالي. وقد زاد في تفاؤله بنجاح الخطة سقوط فرنسا وزوال الخطر منها من جهة تونس التابعة لحكومة فيشي العزلاء بالإضافة إلى زوال كل خطر عنه من شواطىء المتوسط الغربي.

بقي لتحقيق هذا الحلم أن يحطم الأسطول البريطاني في هذا البحر وأن ينطلق عبر البانيا حتى اليونان بحيث يستطيع أن يسيطر على كل القسم الشمالي من حوض المتوسط ثم يغزو مصر ليجمع بين يديه وتحت سلطانه شاطىء المتوسط الجنوبي وقناة السويس. هكذا تنفتح أمامه الطريق نحو الموصل وبترول الشرق الأوسط.

في شهر آب من عام ١٩٤٠ توجه الجيش الإيطالي الأول بقيادة نائب الملك في الحبشة الدوق أودست إلى الشمال باتجاه مصر، على امتداد النيل الأزرق مهدداً الخرطوم في السودان الإنكليزي ـ المصري. وفي الوقت نفسه كان الإيطاليون يغزون الصومال البريطاني، والصومال الفرنسي ثم يقفزون جنوباً إلى كينيا الإنكليزية خلال أسبوعين.

أما الجيش الثامن بقيادة الماريشال غرازياني فقد انطلق من ليبيا باتجاه الشرق. وفي ١٣ أيلول اجتازت دباباته وفرقه المدرعة الحدود المصرية. هذه المعركة، كان موسوليني قد استعد لها منذ زمن طويل ببناء طريق بين طرابلس الغرب والحدود المصرية طولها ١٦٠٠ كلم وبتحويل الموانىء الموجودة على امتداد هذا الطريق - بنغازي، درنة، طبرق، بردية، والسلوم - إلى قواعد صالحة لتموين جيوشه. وكان الإيطاليون متفوقين تفوقاً ساحقاً في السيارات المدرعة والمدافع والأسلحة المضادة



حملة رومل عام ١٩٤١

للدبابات والطائرات ولا سيما في عدد الجند: ٣٠٠ ألف جندي مقابل ٧٠ ألف إنكليزي أو من سكان الأمبراطورية.

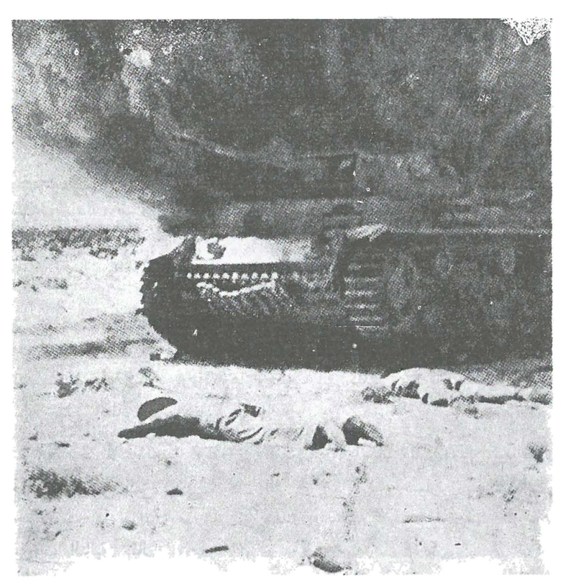
ولكن الإيطاليين لم يلبثوا أن توقفوا عند سيدي براني لمدة ثلاثة أشهر بعد أن أنزلت بهم الفرق الإنكليزية الخفيفة ضربات ساحقة بينما كانت تقوم هذه الأخيرة بتغطية تراجع القسم الأكبر من الجيش الإنكليزي إلى مرسى مطروح. وقد كان على موسوليني أن يهدد غرازياني بالإقالة ليرغمه على متابعة الغزو.

وفي هذه الأثناء لم يبق الإنكليز مكتوفي الأيدي. كان تشرشل قد أرسل نصف دباباته إلى افريقيا ودعم جنود المارشال ويفل بعناصر أمبراطورية من أوستراليا والهند وزيلاندا الجديدة، انضمت إليها بعد ذلك قوات من افريقيا الجنوبية وكتائب بولونية. وقد فعل هذا كله رغم استمرار خطر الغزو الألماني على بلاده. وفي ٦ كانون الأول أطلق ويفل في هجوم مفاجىء فرقه المدرعة الجديدة ضد الإيطاليين. والملاحظ أن الحرب هناك كانت من طراز مختلف عن تلك التي قام بها الإنكليز في فرنسا والفلاندر.

ولكي ندرك الفرق بين الحربين نورد فيما يلي وصفاً واقعياً لحرب افريقيا في تلك الفترة كتبه المراسل الحربي «آلان مورهد» قال:

كنت بدأت أدرك شيئاً فشيئاً أن الحرب في الصحراء أشبه ما تكون بالحرب في البحر. الرجال يتحركون مستعينين بالبوصلة، ولم تكن هناك حامية ثابتة، لولا عدد قليل من الحصون المتفرقة المتباعدة. كل سيارة شحن وكل دبابة كانت مستقلة استقلال الطراد في ماء البحر، وعلى كل سرب من الدبابات أو المدافع أن يقوم بتحركات واسعة جداً عبر الصحراء، تماماً كما يتحرك سرب من السفن قبل أن يختفي

وراء الأفق. احتلال الصحراء متعذر تعذر احتلال البحر. فقد يحتل موقع معين ليوم أو لأسبوع، وتنتشر الدوريات بسيارات ذات سلاسل مجهزة ببنادق رشاشة «برن» ومع سيارات مسلحة خفيفة. فإذا تم التلاقي مع العدو تناور قواتنا بحيث تختار المكان المناسب للانقضاض عليه، كما يناور أسطولان بحريان للدخول في المعركة. لم تكن هناك متاريس، ولا جبهة ثابتة. لقد كان في وسعنا أن نقوم بدورية على امتداد ٣٠٠ كلم وأن نعتبر المنطقة منطقة لنا. وكان في وسع الإيطاليين أن يفعلوا مثل ذلك عبر الصحراء المصرية دون أن يراهم أحد. والواقع أن هذه الدوريات لم تكن تعني شيئاً كثيراً. لقد كان غرضها جمع المعلومات عن طريق المراقبة الشخصية أو بأسر بعض من جنود العدو. وكانت تتميز بأنها تضع العدو في حالة قلق مستمر. المهم بالنسبة لقوات الصحراء هو الحركة: إذ لم يكن عليها أن تغزو مواقع أو مساحات معينة من الأرض بل أن تقاتل العدو. لقد كنا نطارد رجالاً لا بلاداً. تماماً كما تفعل السفينة



دبابة وقتلى في معركة الصحراء



السلاح الأبيض في حرب الصحراء

البحرية التي تطارد سفينة أخرى دون أن تعير مكانها من البحر أي اهتمام.

وانطلقت جيوش ويفل تساندها وحدات من الطيران والبحرية الإنكليزية تخرج الإيطاليين من مصر: عبر الشاطىء الليبي الخصيب. وفي شهر شباط استولت على السلوم، بردية، طبرق، درنة، بنغازي ثم لم تتوقف إلا عند العجيلة، أي عند الحدود الطرابلسية.

لقد كان ما جرى انتصاراً عظيماً للجيش الإنكليزي الأمبراطوري وهزيمة نكراء للماريشال غرازياني. وقد أوقع الإنكليز بالقوات الإيطالية خسائر في الرجال تبلغ ١٥٠ ألفاً بين قتيل وجريح وأسير. كما استولوا على كميات كبيرة جداً من المعدات والتجهيزات العسكرية، أو أبادوها. يضاف إلى ذلك أنهم قد أسقطوا أو أغرقوا أو أسروا ثلثي الطائرات والسفن الإيطالية.

١٩ جنرالاً فاشستيين وقعوا في الأسر. أما الإنكليز فلم يخسروا كما تقول رواية الحلفاء أكثر من ألفي رجل. وكان الفارق كبيراً بين الخسارتين بحيث أن المراسل الحربي للحلفاء، آلان مورهد لم يصدق أذنيه. وقد سجل بعض ما شاهده في الفقرات التالية. قال:

«أمام بوك ـ بوك وقعت أنظارنا فجأة على مشهد لا نكاد نصدقه، ليس فيه شيء

من الواقعية فنصدق عيوننا. فرقة كاملة من العدو تتوجه نحو الأسر. وكان غبار كثيف ينعكس عليه نور الشمس الغاربة فيعطيه لوناً وردياً، يرتفع من تحت الخطوات الثقيلة للأسرى الذين كانوا يسيرون أربعة أربعة في صف طويل جداً. لقد مرت المئات في البداية ثم أصبحت المئات ألوفاً حتى امتدت الأفعى البشرية امتداداً ضاعت معه أبعادها في الآفاق، ولم يكن هناك من يجد الوقت الكافي لعد هؤلاء الرجال: كانوا ستة آلاف، وربما كانوا سبعة آلاف. كلهم يلبسون زياً أخضر اللون مغطى بالغبار ويحملون على رؤوسهم قبعات من القماش. أما الذين كانوا يحرسونهم فبضعة من الجنود الإنكليز لا تزيد نسبتهم على واحد من ٥ لحماية أسير. وكان هؤلاء الحراس يسيرون على امتداد صفين بينهما تسير سيارة أو سيارتان من ذوات السلاسل مجهزة كل منهما ببندقية رشاشة طراز «برن». وكلمني الإيطاليون بحرية تامة حينما كنت أوجه سؤالاً معيناً إليهم، ولكنهم كانوا في حالة يأس حتى اللامبالاة بالإضافة إلى علامات الإرهاق البادية على أجسامهم. المشهد لم يكن فيه أي مظهر من مظاهر النصر ـ لقد كان مجرد مأساة من الجوع والهزيمة...

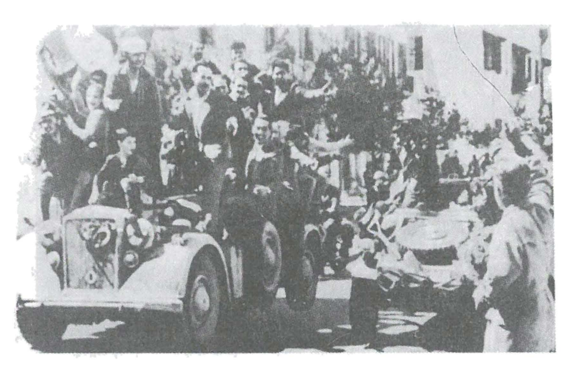


جنديان ألمانيان يتقيان عواصف الرمل في صحراء برقة

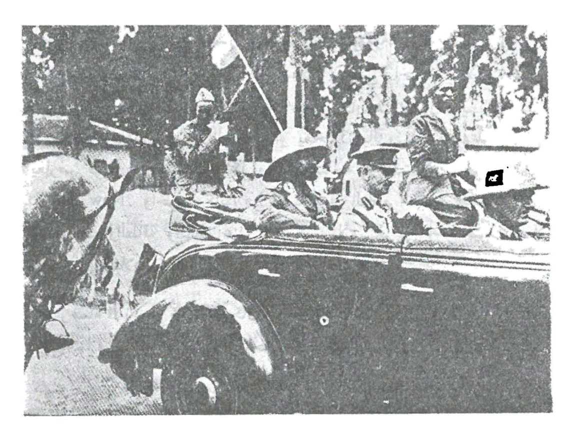
ولم يكتف ويفل بما فعله في ليبيا حتى طرابلس الغرب بل افتتح عام ١٩٤١ بهجوم واسع في افريقيا الشرقية. صفان إنكليزيان يدخلان إلى الأريتريا من الشرق، ثم تابعا سيرهما إلى الحبشة على امتداد النيل الأزرق. وكان هناك صفان إنكليزيان آخران قد انطلقا من كينيا متوجهين نحو الشرق في الصومال الإيطالي ونحو الشمال في الحبشة أيضاً. وأخيراً اجتاز صف خامس خليج عدن وطهّر الصومال البريطاني من الحاميات الإيطالية.

وقد تحقق هذا كله بثلاثين ألف جندي بريطاني وبمقاتلين من الأحباش. كل هؤلاء استطاعوا أن يتغلبوا على ٢٠٠ ألف مقاتل في جيش الدوق أودست. وتم الاستيلاء على الأريتريا والصومال الفرنسي والإنكليزي والإيطالي خلال أربعة أشهر. وفي الوقت نفسه احتلوا بمعاونة جيش الكونغو البلجيكي القسم الأكبر من الحبشة التي تحررت عاصمتها، أديس أبابا، في ٥ نيسان. وبعد ذلك بشهر واحد عاد الأمبراطور هيلاسيلاسي إلى عرشه. وفي ١٧ أيار استسلم من بقي من الجنود الإيطاليين مع قائدهم الدوق أودست.

أكثر الجنود والضباط من جيوش المئتي ألف مقاتل قتلوا أو وقعوا في الأسر. وبذلك تحرر خليج عدن والبحر الأحمر وهما الطريقان إلى المتوسط عبر قناة السويس، وتبخرت بهذا التحرر أمبراطورية موسوليني في افريقيا الشرقية.



الألمان يدخلون بنغازي



الامبراطور هيلاسيلاسي يعود إلى بلاده

الولايات المتحدة مصنع الديمقراطيات المتحالفة

الملاحظ أن الرأي العام الأميركي قد بقي منقسماً على نفسه لفترة طويلة بين منادين بالانعزال وبين دعاة إلى التدخل في الحرب. أما الأولون فقد كانوا يرفضون أن تدس الولايات المتحدة أنفها في حروب تجري في الخارج، أو أن تتحمل مسؤولية محالفات أجنبية. وأما الآخرون فقد كانوا مجمعين على أن مصالح عديدة توحد بين الولايات المتحدة وبين الأمم التي كانت تقاتل الجيوش النازية والفاشستية. وكانوا يعتبرون أن الديمقراطية التي هي نظام بلادهم مهددة بالخطر بسبب الحروب التي تشنها بلدان المحور.

الانعزاليون كانوا مجموعة متنافرة من الهيئات والأفراد وكانوا ينادون بالعزلة لأسباب مختلفة متعددة. وكان بينهم أنصار للفاشست من مثل أعضاء العصبة الجرمانية الأميركية التي يتزعمها فريتز كوهن، ومن مثل أصحاب القمصان الفضية الذين يتزعمهم وليام دادلي بللي، ثم أنصار الجبهة المسيحية وأنصار جمعية كو ـ كلوكس ـ كلان، يضاف إليهم عملاء أجانب يعملون لمصلحة النازيين والفاشيست. وكان بين هؤلاء الناس شيوعيون، أمناء على خطة الحزب ممن كانوا، حتى حزيران ١٩٤١، الشهر الذي انقض فيه هتلر على الوطن السوفياتي الأم، يقولون: هذه الحرب هي حرب الأمبرياليين والبورجوازيين ممن لا مصلحة لنا في تأييد أي فريق منهم.

يضاف إلى هؤلاء جميعاً أنصار السلام ودعاة التهدئة كالاشتراكي نورمان توماس الذين كانوا يعملون ضد الحرب حباً في السلام لا لشيء آخر، ثم الإيرلنديون الذين يكرهون بريطانيا بحكم تقاليدهم التاريخية. وأخيراً كان هناك ألمان وإيطاليون متأمركون يعطفون بحكم أصولهم على المحور أو يعجبون بالدوتشي أو بهتلر. ومن وراء هؤلاء يعارض فريق من الأميركيين كل ما كان يقترحه روزفلت لأنهم من أعداء «النظام الجديد» New deal. وآخرون كانوا من أنصار هذا النظام الجديد ولكنهم لا يريدون أن ينفق الوقت والطاقة والمال عند الأميركيين لأي غرض آخر غير الإصلاحات الاجتماعية في البلاد.

بين زعماء الانعزال كان الشيخان هويلر وناي، ثم الكولونيل ماك كورميك ووليم هيرست، وهما من أكبر أصحاب الصحف الأميركية ثم بطل الطيران تشارلز لندبرغ.

كثيرون من هؤلاء المجموعات والأفراد تحالفوا مع لجنة «أميركا أولاً» التي أنشئت في أيلول من عام ١٩٤٠.

وفي أثناء الصيف الخطير الحرج لعام ١٩٤٠، وبينما كانت انكلترا وحدها أمام اللفتواف من ناحية واحتمال غزو نازي من ناحية أخرى، بدأ الرأي العام الأميركي يطالب المسؤولين بتقديم مساعدات أكثر فعالية للجزيرة البريطانية. وبدأت الولايات المتحدة تدرك أنها إنما تساعد نفسها حين تساعد بريطانيا على مقاومة الهجوم النازي. وبما أن الإنكليز قد تركوا في دانكرك القسم الأكبر من تجهيزاتهم العسكرية فقد أرسلت الولايات المتحدة إليهم ٦٠٠ ألف بندقية و٩٠٠ مدفع ميدان وكميات كبيرة من الذخائر التي كانت تزيد عن حاجة جيوشها الوطنية.

وفي نهاية الصيف اقترع مجلس الكونغرس على تخصيص عدة مليارات من الدولارات لبناء أسطول بحري كبير وطيران قوي وجيش جبار، في الوقت نفسه الذي وضعت فيه خطة مشتركة مع كندا وهي دومنيون بريطاني وكانت في حالة حرب ضد المحور. وفي أيلول كان روزفلت قد تنازل عن ٥٠ طراداً قديماً للأسطول الإنكليزي الذي فقد نصف طراداته. وعندما تم الاتفاق الثلاثي بين ألمانيا وإيطاليا واليابان في الشهر نفسه زاد ذلك من مخاوف الأميركيين وضاعف من تصميمهم على الوقوف إلى جانب الإنكليز. يضاف إلى هذا كله أن شهر أيلول قد شاهد إجماع الكونغرس الأميركي تقريباً على تبني خدمة العلم. ففرض التدريب الإجباري لسنة كاملة على كل الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين ٢١ و٣٦. هذا القانون الجديد سمح للولايات

المتحدة بأن تملك جيشاً عدته ١,٢٠٠,٠٠٠ جندي واحتياطياً عدته ٨٠٠,٠٠٠ رجل.

وفي انتخابات الرئاسة التي جرت في تشرين الثاني من عام ١٩٤٠ أعيد انتخاب روزفلت رئيساً للبلاد للمرة الثالثة مما لم يسبق حدوثه أبداً في تاريخ الولايات المتحدة. وطبيعي أن روزفلت الديمقراطي كان كخصمه وندل ويلكي الجمهوري قد وضع في صميم برنامج سياسته الأجنبية فقرات تنص على تقديم مساعدات كاملة لبريطانيا.

وقد حاول الرئيس الأميركي روزفلت في مقابلة إذاعية جرت في ٢٩ كانون الأول خلال (محادثة عند زاوية الموقد) أن يحدد موقف الأمة الأميركية قال:

إذا سقطت بريطانيا العظمى فإن قوات المحور ستشرف إشرافاً تاماً على القارات الأوروبية، والآسيوية، والأفريقية والأوسترالية كما أنها ستسيطر على كل البحار. وسيكون في وسع هذه القوات أن توجه ضد نصف كرتنا الأرضية قوات بحرية وعسكرية هائلة. ونحن الأميركيين لا نبالغ إذا قلنا بأننا نعيش اليوم أمام فوهة مدفع، مدفع محشو بمتفجرات رهيبة من وجهة النظر الاقتصادية والعسكرية... إن علينا أن نصنع المزيد من الأسلحة والمراكب بكل ما نملك من الطاقة معتمدين على كل ما نملك من الأرصدة والإمكانيات المنتجة... إن علينا أن نكون مصنع الديمقراطيات الكبير.

إن شعوب أوروبا المشتغلة بالدفاع عن نفسها لا تطالبنا بالقتال مكانها. إنها تسألنا فقط أن نرسل إليها تجهيزات عسكرية. إنها تريد طائرات ودبابات ومدافع لتحافظ في الوقت نفسه على حرياتها وعلى أمننا الوطني. إنني أصر على إرسال الأسلحة إلى هذه الشعوب بكميات كافية وبأسرع ما يمكن لكي نتجنب نحن وأطفالنا قلق الحرب وآلامها تلك التي يصطلي بنارها الآخرون.

كان هناك عدد من العقبات يجب أن يتغلب عليها الأميركيون لتزويد الجزيرة البريطانية بالطائرات والدبابات والسفن والمدافع. صحيح أن الكونغرس الأميركي قد اقترع على قانون الحياد في عام ١٩٣٥ خلال حرب الحبشة لكي يحول دون توسع النزاع رافضاً تقديم الأسلحة والذخائر إلى المتقاتلين. وصحيح أيضاً أن هذا القانون كان بمثابة الكابوس بالنسبة للأحباش والحكومة الإسبانية وهم يقاومون العدوان الفاشيستي. أما في الشرق الأقصى فإن هذا القانون لم يمنع اليابانيين من أن يتزودوا بكل الأسلحة والمواد الأولية التي كانوا يحتاجون إليها لغزو الصين.

ولم تمض أيام قليلة على بداية الحرب العالمية الثانية حتى بادر روزفلت في شهر أيلول من عام ١٩٣٩ إلى المطالبة بإعادة النظر في قانون الحياد الذي كان يمنع الأميركيين من تزويد فرنسا وإنكلترا بالأسلحة، والمطالبة أيضاً بإعلان حالة الحصار المحدود في الولايات المتحدة. وبعد ذلك بشهرين وضع مجلس الكونغرس نظاماً آخر مكان ذلك القانون يكون بمقتضاه من حق الفريق الأجنبي أن يدفع وينقل ما يشتريه. وبذلك سمح هذا النظام للمتقاتلين بشراء أسلحة من الولايات المتحدة شرط أن يدفعوا نقداً وأن يتولوا هم أنفسهم نقل ما يشترون. وبما أن الإنكليز في ذلك الوقت لم تكن تنقصهم السفن والجنيهات الإسترلينية فقد لعب هذا التعديل في الحقيقة دوراً لمصلحة الحلفاء.

وفي المحادثة التي أجراها الرئيس روزفلت في ٢٩ كانون أول قال للعالم حقيقة موقف الأمة الأميركية. أما في ٦ كانون الثاني من عام ١٩٤١ فإنه قد أعلن مبرر هذا الموقف الأميركي والسبب الذي اختارته من أجله قال:

في الأيام القادمة ـ الأيام التي نريدها أكثر أمناً واستقراراً ـ يجب أن يتوج العالم بأربع حريات أساسية:

الحرية الأولى هي حرية التعبير ـ في كل مكان من العالم.

الحرية الثانية هي حرية العبادة ـ في كل مكان من العالم.

أما الثالثة فهي الحرية الاقتصادية. وأنا أفهم بالحرية الاقتصادية أن لكل دولة ـ في كل مكان من العالم ـ الحق في أن تكون لها الإمكانيات الكافية لتأمين الحاجات الحيوية لرعاياها. وأما الرابعة فهي التحرر من الخوف. وأفهم بالتحرر من الخوف ـ في كل مكان من العالم ـ الخوف من أي عدوان خارجي بحيث يصبح هذا العدوان متعذراً بتخفيض الأسلحة تخفيضاً هاماً وعلى أن يتم هذا التخفيض على المستوى العالمي.

هذا الإعلان الصادر عن الرئيس الأميركي كان يفرض على الولايات المتحدة أن تلتزم به وقد التزمت به فعلاً بالنسبة لوضع بريطانيا التي كانت تقاوم العدوان النازي وحدها تقريباً.

ولكن المؤسف أن الولايات المتحدة لم تلتزم بهذا الإعلان بالنسبة لأبشع عدوان ظهر في تاريخ العالم بعد ذلك. نعني به العدوان الصهيوني المجرم على شعب عربي آمن في فلسطين المحتلة. لقد شرد هذا الشعب العربي عام ١٩٤٨، وأرغم

مليون من أبنائه وبناته على الخروج من أرض الآباء والأجداد دون أن يتذكر الأميركيون إعلان رئيسهم الأسبق روزفلت. وهكذا يكون الأميركيون قد عملوا بمبدأ (صيف وشتاء على سطح واحد) فوزنوا بميزانين وقاسوا بمقياسين.

نعود مرة أخرى إلى الموقف البريطاني من الهجوم النازي. لقد كانت أموال بريطانيا تذوب وتتبخر وكان أسطولها التجاري يفقد في تلك الأيام العصيبة عدداً متزايداً من سفنه، ثم أصبح من المتعذر عليها أن تدفع وتنقل ما تشتريه بوسائلها الخاصة من الولايات المتحدة. وتوصل روزفلت إلى اضعاف موجة الانعزال التي كانت تجتاح الولايات المتحدة وأخذ يقنع الأميركيين شيئاً فشيئاً بضرورة تقديم المساعدة إلى الإنكليز. وبعبارة أخرى بجعل الولايات المتحدة مصنعاً للديمقراطيات في العالم.

ثلاثة أشياء كانت ذات أهمية أولية: المال والأرصدة، الأسلحة والذخيرة، السفن. وعندما بدأت الولايات المتحدة بتزويد بريطانيا بهذا كله انتقلت بسرعة من حالة الحياد إلى حالة عدم العدوان وبذلك اقتربت من حالة الحرب. في ١١ آذار ١٩٤١ أقر مجلس الكونغرس قانون (الإعارة والتأجير).

وفي مؤتمر صحفي عقد بعد ذلك حاول روزفلت أن يشرح معنى قانون (الإعارة والتأجير) فاستعمل صورة مألوفة قال:

لنفترض أن بيت جاري قد أخذت النار تلتهمه وانني أملك أنبوباً مائياً على بعد ١٠٠ أو ١٥٠ متراً من منزله. فإذا سمحت له بأخذ هذا الأنبوب للاستفادة منه بأن يضعه على صمام الماء فقد أساعده على إطفاء النار. وفي هذه الحالة أتساءل ماذا يجب أن أصنع؟ طبعاً لن أذهب إليه وأقول له أيها الجار ان ثمن أنبوبي هو ١٥ دولاراً فادفع لي إذاً هذا المبلغ. كلا أنا لا أريد هذه الدولارات الخمسة عشر. إن ما أريده هو، أن تعود إليّ ملكية هذا الأنبوب بعد أن تنطفىء النار.

هذا القانون الجديد كان يسمح لرئيس البلاد بإقراض أو تأجير المواد المطلوبة وبمنح التسهيلات اللازمة لكل أمة يعتبر الدفاع عنها شيئاً أساسياً لأمن الولايات المتحدة وسلامتها.

وخصصت اعتمادات كبيرة لتنفيذ هذا القانون قيمتها سبعة مليارات دولار. وبمقتضى هذا القانون أخذت السفن والطائرات والمدافع والدبابات طريقها إلى

بريطانيا دون أن يدفع ثمنها نقداً. وبقي على روزفلت أن يساعد الإنكليز على نقلها إلى بلادهم.

لا شك أن الوضع الجديد كان يسمح بتقديم مساعدات غير محدودة ولكنه مع ذلك لم يكن هو الحرب. وفي شهر آذار، أي في الشهر الذي وضع فيه قانون الإعارة والتأجير وضعت الولايات المتحدة يدها على كل سفن المحور الراسية في موانىء أميركية. وفي شهر نيسان استعملت سفن حربية أميركية للقيام بدوريات أمن مهمتها مرافقة القوافل المتوجهة إلى بريطانيا العظمى حتى بداية منطقة الحرب عينت حدودها بصورة تحكمية في وسط الطريق في المحيط الأطلنطي. هذا الإجراء خفف كثيراً من الأعباء عن كاهل الأسطول الإنكليزي البحري الذي أصبح عليه القيام بواجب المواكبة في النصف الغربي من المحيط وحسب. وفي أيار أعلن روزفلت حالة الحصار غير المحدود وقبلت الولايات المتحدة تدريب ٨٠٠٠ طيار إنكليزي في كل عام. وفي حزيران جمدت ممتلكات المحور في الولايات المتحدة ثم أبعد منها القناصل والصحفيون والهيئات السياحية.

وفي تموز وآب حلت القوات الأميركية محل الجيوش الإنكليزية الكندية في غرينلاند وإيسلندا وتولت الدفاع عن هاتين المنطقتين.

ولكن البحرية الألمانية لم تلبث أن اعترضت طريق السفن الأميركية فأغرقت بطوربيداتها ثلاثة طرادات أميركية كانت في دورية من دوريات الأمن. وفي أيلول أصدر روزفلت أمره لسفنه الحربية بالانقضاض على سفن المحور في داخل منطقة الدفاع الأميركية. وفي تشرين الثاني سمح الكونغرس الأميركي بتسليح السفن التجارية وبإرسالها إلى مناطق المعركة. هكذا كانت الولايات المتحدة تقترب من الحرب يوماً بعد يوم وهي تفعل ذلك مدركة السبب العميق لتصرفها كما أشار الرئيس روزفلت نفسه في خطاب ألقاه في ٢٧ أيار:

لا أحد يعلم متى يقرر الطغاة مهاجمتنا في بلادنا. ولكن ما نعرفه يجعلنا مقتنعين بأن انتظارهم حتى يصلوا إلى نوافذ بيوتنا هو عملية انتحار.

عندما يقترب عدوك في دبابة أو في قاذفة قنابل ثم تروح تنتظره حتى ترى بياض عينيه لتطلق النار عليه فأنت لن تعرف أبداً بماذا ضربت. إن حصوننا يمكن أن تكون غداً على بعد كثير من آلاف الكيلومترات من مدينة بوسطن.

إن بيننا من المتزمتين من يطالب بالحفاظ على السلم بأي ثمن ممكن خوفاً من

أن نفقد حرياتنا إلى الأبد. أقول لهؤلاء الناس: لم يحدث في تاريخ العالم أن أمة فقدت امتيازاتها الديمقراطية في معركة مظفرة تخوضها من أجل الدفاع عن الامتيازات. إننا يجب أن لا نجعل للخوف سبيلاً إلى نفوسنا، الخوف من خطر نستعد نحن اليوم لمقاومته. لقد أثبتت حريتنا بأنها جديرة بالبقاء بعد الحرب، ولكنها لا يمكن أبداً أن تبقى بعد الاستسلام. إن الشيء الوحيد الذي يجب أن نخاف منه هو الخوف نفسه.

ميثاق الأطلنطي

وبعد ذلك بشهرين، في ٩ آب ١٩٤١ على التحديد، وبينما كان الألمان يجتاحون الاتحاد السوفياتي بقوات عسكرية هائلة، وبعد أن انقضت ستة أسابيع على بداية هذا الاجتياح، أخذ التعاون الإنكليزي الأميركي يتزايد قوة بصورة ظاهرة خلال لقاء سري بين السيدين تشرشل وروزفلت في خليج بلاسانيتا الصغير من الأرض الجديدة. وكانت الغاية من هذا اللقاء إعلان المبادىء الكبيرة لسياسة الديمقراطيات في العالم. ومن ناحية أخرى أقبل كل من الرئيس والوزير الأول ورؤساء أركان حربهما على دراسة المسائل الجوهرية التي كان عليهم أن يواجهوها آنذاك، ولعل هذا أن يكون أعظم أهمّية من إعلان مبادئهما السياسية.

من هذه المسائل الجوهرية تموين بريطانيا العظمى، معركة الأطلنطي، مساعدة روسيا التي تتعرض للاجتياح والتهديد الياباني في الشرق الأقصى. وبالرغم من أنهم حاولوا الامتناع عن التعهد بما وراء الحدود التي سمح بها الكونغرس الأميركي، فقد تم الاتفاق على إعلان تصريح مشترك عرف باسم ميثاق الأطلنطي في ١٢ آب.

إن رئيس الولايات المتحدة في أميركا والوزير الأول السيد تشرشل، ممثلاً حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة، بعد لقائهما، يقدران وجوب التعريف ببعض المبادىء المشتركة للسياسة الوطنية لبلديهما. وهي المبادىء التي يبنيان عليها آمالهما في مستقبل أحسن للعالم كله.

١ ـ إن بلديهما لا يحاولان القيام بأية عملية توسعية أو غيرها.

٢ ـ إنهما غير راغبين في رؤية أي تغيير يجري في كيان أي بلد لا يكون متفقاً مع الإرادة الحرة للشعوب ذات العلاقة.

٣ ـ إنهما يحترمان حق كل الشعوب في اختيار نظام الحكم الذي يلائمها؛

ويتمنيان عودة السيادة والاستقلال لكل الشعوب التي حرمت منهما بالقوة.

٤ ـ إنهما سيبذلان كل جهودهما، مع احترامهما الفائق لالتزاماتهما القائمة، لوضع التسهيلات الكافية أمام كل الدول، كبيرها وصغيرها، المنتصر فيها والمنهزم، وعلى مستوى من المساواة في الحقوق، بالنسبة للتجارة وحقوقها في المواد الأولية الضرورية لرفاهيتها الاقتصادية.

٥ ـ إنهما يتمنيان إقامة أوثق تعاون اقتصادي بين كل الأمم، لتوفير أحسن شروط العمل من أجلها جميعاً، وضمان وضع اقتصادي أكثر ملاءمة وتحقيق الضمان الاجتماعي.

٦ ـ إنهما يأملان في إقامة سلام يزود الأمم كلها بوسائل العيش في طمأنينة تامة ضمن حدودها السياسية ويوفر لسكان كل البلاد التوكيدات اللازمة لقضاء أيامهم كلها في نجوة من الخوف والحاجة، بعد تحطيم الطغيان النازي.

٧ ـ لعل مثل هذا السلام أن يسمح لكل الناس باجتياز البحار والمحيطات دون أية عقبة.

٨ ـ إنهما يعتقدان أن على كل أمم العالم، لأسباب مادية وروحية، أن تتوصل إلى التخلي نهائياً عن استعمال القوة. علماً بأنه لا يمكن أن يكون هناك سلم دائم إذا بقيت الأسلحة أداة تستعمل على الأرض، وعلى البحر أو في الجو من قبل أمم تهدد أو تستطيع أن تهدد باللجوء إلى عمليات عدوانية خارج حدودها. وهما مقتنعان، بانتظار إقامة نظام أكثر اتساعاً واستمراراً لتحقيق الأمن العام، بأن تجريد مثل هذه الأمم من السلاح هو شرط أساسي. وانهما سيشجعان على اتخاذ كل الإجراءات التي تنتهي عملياً إلى تخفيف الأثقال المرهقة لعمليات التسلح بالنسبة للشعوب المحبة للسلام.

وقد اشترك الاتحاد السوفياتي وتسع حكومات أخرى تقيم في المنافي في التوقيع على هذا الإعلان، بعد ذلك بقليل. وقد كان هذا الإعلان، في تلك الساعات القاتمة عام ١٩٤١ بمثابة تشجيع لكل أولئك الذين كانوا يقاومون العدوان في العالم.

عاصفة في المتوسط

الحرب في بلاد البلقان

في خريف ١٩٤٠، كان موسوليني يحلم دائماً بتحقيق انتصارات في مصر وفي الشرق الافريقي. ورغبة منه في البرهنة على استقلاله بالنسبة لزميله الألماني، وسعياً منه في الوقت نفسه إلى الحفاظ على مصالحه الخاصة في بلاد البلقان، فقد انطلق عبر الحدود الألبانية بمئتي ألف جندي من جنوده لغزو بلاد اليونان، وكان ذلك في ٢٨ تشرين الأول. وبما أن اليونان كانت بلاداً ضعيفة محرومة من الناحية العملية من الطائرات والدبابات والسيارات المسلحة والمدافع، فإنها لم تستطع أن تقابل الفرق الإيطالية السبع والعشرين إلا بسبع عشرة فرقة. وكان الدوتشي موسوليني على مثل اليقين بأن انتصاره على اليونان سيكشف الهجمات المظفرة لحليفه الألماني. واندفعت الصفوف العسكرية الإيطالية مجتازة معابر «الباند» باتجاه اليونان نحو يانيني. لكن اليونانيين الذين أصلوا القوى الإيطالية بنار حامية من فوق قممهم، سببوا لها الخسائر الثقيلة وتوصلوا إلى إيقاف تقدمها إلى الأمام. وبعد ذلك بثلاثة أسابيع استطاع اليونانيون بهجماتهم المعاكسة أن يقذفوا بالإيطاليين إلى الجانب الآخر من الحدود الألبانية. وفي ٢١ تشرين الثاني كان اليونانيون قد استولوا على المستودع الرئيسي للتموين الايطالي، كوريتزا، وفي ٨ كانون أول احتلوا قاعدة أرجيرو كاسترو في جنوب البانيا. وفي نهاية السنة، وبينما كان الهجوم الايطالي قد جرى في جو فائق من الثقة والتفاؤل قبل ذلك بشهرين اثنين فقط، كان اليونانيون قد توصلوا إلى طرد الايطاليين مسافة ٦٥ كيلومتراً داخل الأراضي الألبانية كما أصبحوا يسيطرون على الموقف في أكثر من ربع البلاد.

أما هتلر، فقد دعم قواته العسكرية خلال خريف وشتاء ١٩٤٠ وأرغم المجر ورومانيا وبلغاريا على الانضمام إلى صفوف المحور استعداداً للحملة القادمة على الاتحاد السوفياتي. وقد تعرضت خططه العسكرية التي وضعها لتلك المنطقة لأخطار البلبلة بسبب الحملة التي تفرد موسوليني بالقيام بها هناك، وذلك باحياء خلافات الحدود والجنسيات القديمة بين شركائه الجدد الصغار. يضاف إلى ذلك أن هذه الحملة الإيطالية كانت سترغم تشرشل على إرسال قواته إلى اليونان بصورة حتمية، كما أنها ستزيد شكوك الاتحاد السوفياتي حول أغراض المحور في بلاد البلقان. ومع ذلك، فقد أرغم هتلر، بعد الحالة السيئة التي آلت إليها قوات الدوتشي الإيطالية،

على التدخل لإنقاذها رفعاً لمعنويات المحور من ناحية وحفاظاً على جناح قواته الجنوبي قبل الانقضاض على روسيا.

وقد حاول هتلر ما أمكنه العمل بالطرق الدبلوماسية والاقتصاد في استعمال قواته العسكرية من أجل معركة الاتحاد السوفياتي. ولكي يسيطر على اليونان بالسرعة القصوى، بادر إلى إغراء يوغوسلافيا بالانضمام إلى بلدان المحور بأن تعهد بالحفاظ على حدودها من ناحية كما وعدها مقابل تعاونها معه بتسليمها مرفأ سالونيك اليوناني. وكان الوصي على العرش الأمير بول وهو نازي النزعة ورئيس الحكومة ستكوفتش مساندين له، فوقعا في ٢٥ آذار ١٩٤١ معاهدة ثلاثية. ولم يمض يومان على توقيع هذه المعاهدة حتى انهارت الحكومة اليوغوسلافية بانقلاب عسكري وألغيت المعاهدة من طرف واحد. والواقع أن التظاهرات الجماهيرية التي جرت في الشوارع ضد خطة التعاون مع النازي هي التي أتاحت للجنرال الطيار سيموفتش فرصة إعداد هذا الانقلاب. وسيطر الجنرال على البلاد ووضع مكان الوصي الملك الفتى بطرس الثاني.

وفي ٦ نيسان هاجم هتلر يوغوسلافيا واليونان بعد أن ارتجل خطة قتال سريعة. ٦٥٠ ألف جندي اجتاحوا يوغوسلافيا على أربع جبهات مرة واحدة. هؤلاء الجنود فتتوا الجيش اليوغوسلافي الضعيف بحملة خاطفة انطلقت قواتها عبر النمسا والمجر ورومانيا وبلغاريا.

واضطرت يوغوسلافيا أن تستسلم بعد ١١ يوماً فقط كما اضطر الملك بطرس الثاني للهرب إلى بريطانيا.

وبسقوط يوغوسلافيا التي هي أكبر بلدان البلقان ـ ٢٥٠ ألف كلم مربع و١٤ مليون نسمة ـ تحولت هذه الإمكانات كلها إلى الجانب الألماني.

وقد أعد هتلر لبلغراد، العاصمة اليوغوسلافية، مصيراً شديد القسوة رغم أنها أعلنت مدينة مفتوحة. لقد أمر بالإغارة عليها دون تمييز بين المواقع العسكرية والمدنية، واعتبر عملياته هذه «عقوبة لها» بسبب تمردها على المحور. لقد كانت القاذفات الألمانية تمطر مدينة بلغراد بالموت وتطير مباشرة فوق سطوح المنازل فتحصد أرواح الناس حصداً دون أن تجد أية مقاومة مسلحة؛ ١٧ ألفاً من الرجال والنساء والأطفال قتلوا بسبب الغارات المسلحة. وقد وصف الصحفي الأميركي هذه المجزرة في العبارات التالية قال:

سمعنا أصوات الطائرات قبل أن نراها. إنها لم تكن في البداية غير طنين



جوزيب بروز تيتو قائد المقاومة اليوغوسلافية

ضعيف أشبه ما يكون بأصوات رفيف النحل من بعيد. ثم لا يلبث هذا الطنين حتى يقوى ويقوى أكثر فأكثر. لقد كانت الطائرات ثلاثين أو أربعين. أية تشكيلة رائعة كاملة! ولكن لماذا لا نرى طائرات يوغوسلافية تعترض طريقها؟ انظر انها تأتي نحونا بصورة مباشرة فتنقض على القصر الملكي الصربي.

وفجأة أخــذ مليون من الرشاشات تعوي في الفضاء... وإلى جانب هذا العواء كانت تتردد أصداء انفجارات القنابل اليوغوسلافية «بم... بم» ثم بدأنا نسمع المدافع المضادة للطائرات. ويبدو أن اثني عشر منها تطلق قنابلها في كل مرة. الآن

أصبحت السماء مليئة بأشكال على صورة العناقيد السوداء والبيضاء، لا تلبث أن تختفي بعد قليل. كانت هذه هي شظايا قنابل المدفعية. وقد انفجر بعضها بالقرب من القاذفات الألمانية المغيرة. ولكن هذه القاذفات لم تتوقف بسبب ذلك، فقد بقيت تطير محتفظة بتشكيلاتها الأساسية... كان يجب أن تكون على ارتفاع ٣ آلاف متر. وفجأة اختفت التشكيلات وانقضت الطائرة القائدة الأولى. وقد كان في وسعنا تعيين المكان الذي ألقت قنابلها فوقه وارتفعت ضجة صماء. وبعد ثوان قليلة جاءنا الصوت العاصف الرهيب الذي ينبىء بانهيار الجدران..

وبوصولنا إلى مكان الانفجار رأينا فجوة أحدثها انفجار القنبلة تتسع على الأقل لحاملتين أميركيتين كبيرتين. ورغم محاولتنا الاقتراب منها إلى أقصى حد ممكن لم نستطع رؤية قرارها. لم يسبق لنا أن شاهدنا مثل هذه الخرائب. ففي دائرة قطرها ٨٠٠ متر اعتقد أننا لم نستطع رؤية قطعة واحدة من الزجاج اللهم غير مقبرة مربعة. لقد هدمت القنابل واجهات مجموعة من الأبنية الكبيرة. أعرف أن هذا ليس جديداً. كل الناس شاهدوا صوراً لأبنية على هذه الحالة، في إسبانيا، في فرنسا، في روتردام وبطبيعة الحال في لندن. ولكن المرء حين يشهد هذا كله بأم عينيه ولا سيما حين تكون القاذفات فوقه ثم لا يدري متى تنتهي من هذا العمل القذر، لا بد أن يكون المشهد شيئاً آخر. هذه الأبنية العارية كانت تدفعنا إلى التفكير في مسرحية لأوجين أونيل.. «رغبة تحت شجرات الدردار»، حيث كان يوجد مشهد لبيت ترتفع منه واجهة لإظهار ما كان يجري في داخله...

وقد عددنا مئتين أو ثلاثمائة جثة في الساحة العامة «ترازيا» التي لا تتجاوز مساحتها نصف مساحة «تايمز سكوير». إن ما جرى هناك كان يدل على وجود مذبحة عن سابق إصرار وتصميم. الطائرات لم تكن تلقي قنابلها من فوق الغيوم. واحدة وراء الأخرى كانت تنقض أو تنزل حتى تقترب من سطح الأرض ثم تضع قنابلها تماماً فوق المكان الذي تختاره. وفي وسعي القول، خلال المشاهد التي رأيتها في بلغراد، إن هذه الطائرات كانت قادرة على إنزال كل قنبلة في فتحة أية مدخنة من مداخن البيوت. اما أن تصبح «ترازيا» هدفاً عسكرياً فقد شرحه الألمان بعد ذلك. لقد كان هتلر ينتقم لنفسه من الإهانة التي لحقت به قبل ذلك بعشرة أيام! كان يريد أن يقول للصربيين: إن أحداً لا يستطيع أن يمزق صورته على مرأى من الجميع دون أن تنزل به عقوبة رادعة.

لقد كانت هذه الغارات عمليات إعدام بالجملة لأولئك الذين تظاهروا ضد هتلر في تلك الساحة.

كانت عمليات إعدام تمت بأوامر صادرة من برلين، وبواسطة جلادين يمتطون صهوات الغيوم.

وعلى بعد ١٥ كيلومتراً من بلغراد كان يوجد مكان تحيط فيه الطريق بهضبة من الضباب. من هناك استطعنا أن نرى المشهد الرهيب. عند أقدامنا كانت تجثم بلغراد، بلغراد المحترقة، بلغراد التي بدأت تصبح مدينة البُكْم.

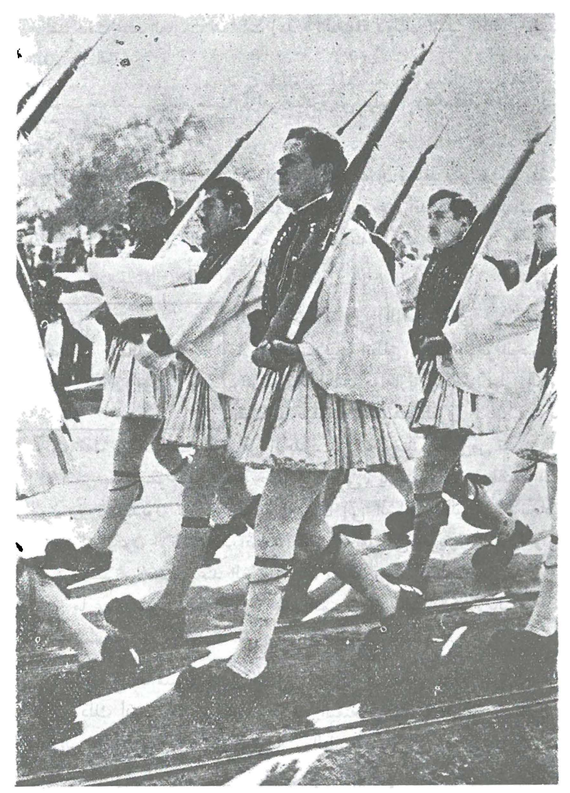
الصليب المعقوف على الأكروبول

وفي ٦ نيسان وفي الوقت الذي تم فيه الهجوم على يوغوسلافيا، انطلق الألمان نحو الجنوب عبر يوغوسلافيا بالذات وبلغاريا وانقضوا على اليونانيين انقضاضاً صاعقاً تساعدهم الفرق الإيطالية، التافهة التي كانت تقف في الجانب الآخر من الحدود اليونانية. منذ الثامن من تشرين الثاني عام ١٩٤٠ أي بعد أسبوع تقريباً من حملة موسوليني، بدأت قوات بريطانية وأمبريالية استراليون ونيوزيلانديون بصورة خاصة بالنزول إلى الشاطىء اليوناني لإنجاد هذه البلاد. وبذلك يكون الإنكليز قد أضعفوا جيش ويفل في افريقيا الشمالية وأرغموه على إيقاف مسيرته المظفرة عند العجيلة. ان نصف رجال جيش ويفل قد نقل إلى اليونان أي ما عدته ستون ألف رجل. العدد المنقول إلى اليونان قليل بالنسبة للمهمة العسكرية المنوطة به. والوقت الذي تم فيه النقل كان متأخراً.

إن إيقاف نصف مليون جندي الماني لا يمكن أن يتحقق بهذه القوة العسكرية، يضاف إلى ذلك أن التجهيزات المدرعة في البعثة الإنكليزية العسكرية كانت قليلة بالإضافة إلى قلة الأسلحة المضادة للدبابات والطائرات.

أما فيما يتعلق بانعكاسات هذه التصرفات بالشرق الأوسط فقد تحدث عنها تشرشل فقال: «الثابت أن هيبتنا ستتأثر إلى حد بعيد في تلك المنطقة إذا طردنا من البر اليوناني بصورة مذلة. ومهما يكن الأمر فإن تضحياتنا ستكون أقل فيما إذا فضلنا القتال والكفاح في اليونان على ترك هذه البلاد لمصيرها وحيدة دون مساندة».

أما الخطوط الدفاعية الرئيسية هناك من مثل خط ماتكساس وخط الياكمون فقد خرقت من قبل الجيش الألماني وتجاوزتها قواته المسلحة. فانهار الجيش اليوناني

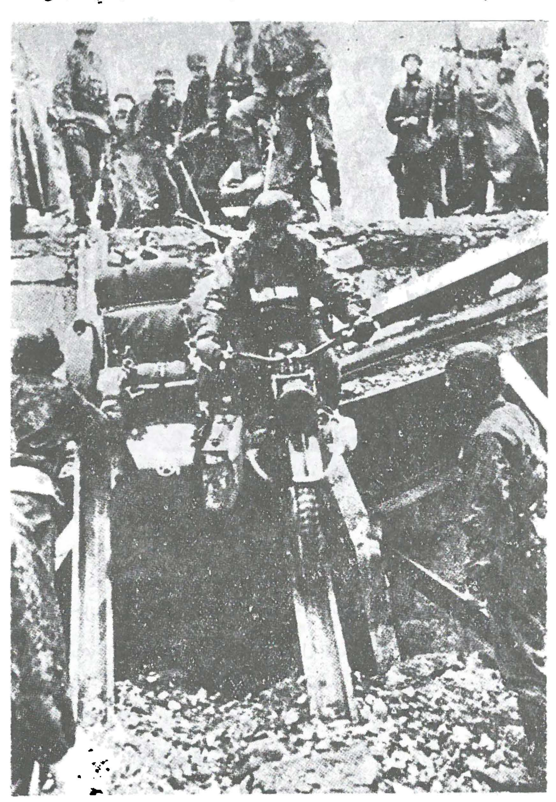


القوات اليونانية في زيها الوطني تخترق شوارع أثينا

تحت وطأتها. وليس غريباً أن يوفق الألمان إلى تحقيق مثل هذا النصر السريع لأن تفوقهم في الرجال والسلاح والطائرات كان تفوقاً ساحقاً.

لقد كانوا يملكون عشر طائرات مقابل طائرة واحدة لليونانيين. وأرغم الجيش اليوناني على الاستسلام أما البريطانيون فقد أخذوا يتراجعون وقد تركوا وراءهم فرقاً

كثيرة لتخوض معارك عنيفة ضد المهاجمين الألمان، تتيح الفرصة للجيش الإنكليزي في أن يغادر البر اليوناني. تم استسلام الجيش اليوناني في ٢٤ نيسان أي بعد ١٨ يوماً من بداية العمليـات الحربية ضده. وقد طلب الجيش من الإنكليز أن ينسحبوا من البلاد للحيلولة دون تهديمها. وهنا بدأت دنكرك جديدة تظهر في موانىء اليونان



المحاربون اليونانيون لم يستطيعوا عرقلة زحف القوات الألمانية طويلاً



جنود إيطاليون يتقدمون في اليونان، ولكن هذا لا يدوم طويلاً

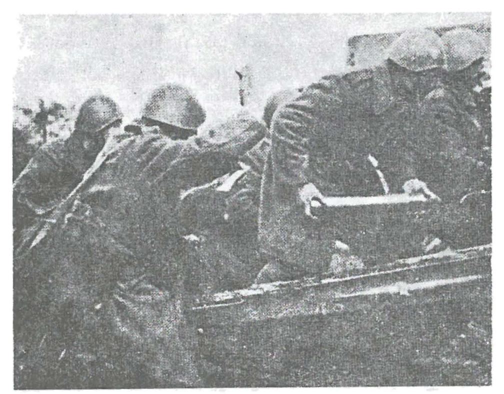
الجنوبية وشواطئها. واستطاع الإنكليز أن ينقذوا أكثر من ٨٠ في المئة من قواتهم العسكرية. ولا سيما عبر موانىء البيريه، نويلي، ميقارا، مونمقازيا، وموانىء أخرى في المنطقة. وفي ٢ أيار، عندما وصلت القوات النازية إلى الشاطىء كان قد تم نقل ٤٣ ألف رجل من رجال البعثة العسكرية الإنكليزية.

أما الهزيمة الساحقة التي أحدثها الأميرال كننغهام في صفوف الأسطول الإيطالي عند رأس ماتابان، وفي ٢٨ آذار بالذات، فقد منعت الأسطول الإيطالي من التدخل من جهة البحر. ومع ذلك فقد أغرقت القاذفات الألمانية ٢٨ سفينة حليفة.

وهنا بادر هتلر إلى تقسيم الغنائم. فأسست كرواتيا مستقلة بقيادة رجلين فاشستيين من المنطقة هما: أنط بافلتش وكفاترنيك. أما المجر فقد ضمت إليها منطقة (ألبْنات)، وأما بلغاريا فقد أصابت منطقة تراقيا، وأما إيطاليا فقد حصلت على

شواطىء الادرياتيك ووكلت إليها مهمة الحفاظ على الأمن والاستقرار في حكومة اليونان الجديدة والتي عين لرئاستها الجنرال تسولاكوغلو.

هذه الهدية الصغيرة التي قدمت إلى إيطاليا كانت علامة على تغير الأوضاع في داخل بلدان المحور. ان هتلر الذي سحب الكستناء من النار في اليونان كما يقول المثل الأوروبي، بدلاً عن موسوليني قد حول إيطاليا إلى دولة على مستوى الدول الصغيرة التي تدور في فلك المحور. وبذلك تكون إيطاليا قد انتهت إلى مكانها الطبيعي الذي يتكافأ مع إمكاناتها العسكرية والبشرية.





بالرغم من النقص الكبير في المشاة وفي المدفعية، الجنود اليونانيون يواصلون تقدمهم في جبال البانيا

حملة على جزيرة كريت

لم يطل هدوء الألمان بعد ذلك. لقد انطلقت القاذفات الألمانية «اللفتواف» تغير على جزيرة كريت وعلى قناة السويس بقصد إعداد أول غزو جوي يتم في الحرب عن طريق المظليين. والواقع أن الإنكليز قد بادروا إلى تحصين هذه الجزيرة خلال نصف عام تقريباً. ولكن جهودهم لم تكن كافية ولا ذات فعالية.

الجزيرة كانت محرومة من المطارات إلا القليل وكذلك من الطائرات والمدافع المضادة لها أيضاً. وقد لوحظ أن الألمان لم يتركوا للإنكليز فرصة للتنفس. لقد راحت طائراتهم القاذفة تدك مواقع الإنكليز الدفاعية في الجزيرة، مركزة جهودها فوق المطارات الثلاثة الموجودة فيها وفي الأماكن المعدة لإنزال المظليين. وقبل أن تنتهي المهلة التي حددتها القيادة الألمانية لقذف الجزيرة والتأكد من سكوت الأسلحة المضادة، انزلت فرقة الهجوم الأولى لتستقبل فيما بعد موجات القوات الرئيسية المعدة لاحتلال الجزيرة. وتم الاستيلاء على مطار «مالام» الذي ينتظر أن يستعمله النازيون لإنزال النجدات المطلوبة.

وقد وصف طبيب يوناني هو الدكتور ستيفانيداس بداية معركة الجزيرة وقد كان في عداد القوات الإنكليزية المعسكرة هناك، قال:

في ٢٠ أيار، كان الفجر باسماً في روعة فائقة. وعند الساعة السابعة والنصف من الصباح، كنت واقفاً إلى جانب عدد من الضباط قريباً من الخيمة التي كنا نستعملها نادياً ومطعماً لنا. وكنا نتبادل الحديث بانتظار أن يصبح طعام الافطار جاهزاً، حينما فوجئنا على غير انتظار منا بطلقات رهيبة مضادة للطائرات. وقفزنا جميعاً إلى الملاجىء، ونحن نظن أن الأمر لا يعدو أن يكون غارة من تلك الغارات اليومية التي بدأنا نعتادها. لكن الأمر لم يكن كما نظن. وقبل أن ندرك تماماً ما كان يجري حولنا امتلأت السماء بالطائرات تأتيها من كل مكان. ومن المحتمل أن يكون عددها قد بلغ المئات؛ كانت تنقض، ثم ترتفع إلى السماء مرة أخرى، ملتوية، متمعجة، تطلق رصاص رشاشاتها أو تقذف قنابلها فوق كل شيء. ثم ظهر بعد ذلك سرب من الطائرات الضخمة ذات اللون الفضي على ارتفاع شديد الانخفاض فوق رؤوسنا، آتية من الجنوب الغربي ومتوجهة نحو منطقة «كاناه». لقد مرت هذه الطائرات كما تمر الأشباح لا يصدر عنها أي ضجيج اللهم غير صوت ضئيل أبعد ما يكون عن الصخب العادي للطائرات. جوانحها كانت طويلة جداً ثم تضيق عند النهاية. وهنا أدركت أنها

طائرات شراعية وأن الجزيرة على وشك أن تستقبل موجة من المظليين تحميهم الرشاشات والقنابل.

أما قنابل مدافعنا المضادة فقد كانت تنفجر حول الطائرات الصاخبة والطائرات الشراعية، وكانت هذه الأخيرة من الكثرة بحيث أن مدافعنا التافهة المتباعدة لم تحدث



المدافع الألمانية تشق طريقها إلى كريت

فيها غير أضرار ضئيلة. وشاهدت طائرات شراعية تتمزق ثم تنقض في خط عمـودي وراء الأشجار. ولكن أكثر الطائرات الشراعية الباقية وعدتها كما قدرت ثلاثون استمرت تزحف بهدوء وتنزل فوق منطقة «كاناه».

كنت آنذاك مشغولاً بالنظر إلى قاذفة بدا لي أنها مصابة بإحدى القنابل، لأنها كانت تتأرجح من جانب إلى آخر تاركة وراءها موجة ممتدة من الدخان الأسود، حين صرخ الضابط النقيب «فن»: «أنظروا! مظليون!».

والتفت لأرى صفاً من النقط السوداء الصغيرة يسقط من الطائرات التي تحلق على ارتفاع أكثر انخفاضاً. وكان يبدو لي أن المظليين قد أنزلوا من ارتفاع منخفض ثم تحولوا إلى مظلات صغيرة بيضاء اختفت وراء الأشجار. بعض هذه المظلات بدا لي بلون أخضر أو بني ولكنها كانت بعيدة جداً فلم أتأكد من صدق الرؤية. وهناك مظلات أخرى أكبر كثيراً ذات أشكال طويلة. ثم أدركت بعد ذلك أنها مظلات ثلاثية تحمل مدافع خفيفة وذخائر أو معدات ثقيلة.

ورغم أن القوات الإنكليزية والأمبراطورية كانت محرومة من الحماية الجوية أمام القاذفات الألمانية فإنها قد أحدثت بين المهاجمين الهابطين بالمظلات والطائرات الشراعية بعض الخسائر.

وفي الوقت نفسه توجهت نحو الجزيرة ثلاث قوافل من السفن الألمانية عبر الدوريات البحرية الإنكليزية التي أرغمت إحداها على التراجع وأغرقت القافلتين الأخريين مع الخمسة الآف جندي الذين كانت القافلتان تنقلانهم إلى الجزيرة.

وفي كل حال استطاع النازيون أن ينقلوا نجدات متتابعة دون توقف إلى الجزيرة المحاصرة عبر مطار «مالام».

وبدأ التفوق الألماني يلعب دوره. واضطر الإنكليز للتراجع نحو شواطىء سباكيا في الجهة الجنوبية الغربية استعداداً لمواجهة دنكرك ثالثة. وبين ٢٨ أيار والأول من حزيران نجح الأسطول البحري الإنكليزي في ترحيل ١٦٥٠٠ جندي، تاركاً وراءه ١٣ ألف قتيل وجريح وأسير. كما فقد الأسطول ألفي رجل وثلاث سفن جوالة وطرادين وهو في طريقه إلى قناة السويس على بعد ٦٠٠ كلم بسبب حرمانه من التغطية الجوية. كما استطاع الطيران الألماني أن ينزل الأضرار بدارعة واحدة وسفينتين جوالتين وثلاثة طرادات.

هكذا أصبح النازيون خلال شهرين اثنين وبخسائر قليلة سادة يوغوسلافيا



المظليون الألمان بعد أن ثبتت أقدامهم في كريت

واليونان. لم تتجاوز خسائرهم ٢٥٠٠ قتيل و٩٠٠٠ جريح أو مفقود. أما الانتصار في جزيرة كريت فقد دفعوا له ثمناً أعلى، ١٧ ألف رجل وطائرات كثيرة. ومنذ ذلك التاريخ أصبح في وسعهم أن يسيطروا على بحر إيجه وأن يهددوا أسطول كاننغهام في المتوسط الشرقي. كما أصبحوا على مقربة من تركيا ومصر والشرق الأوسط.

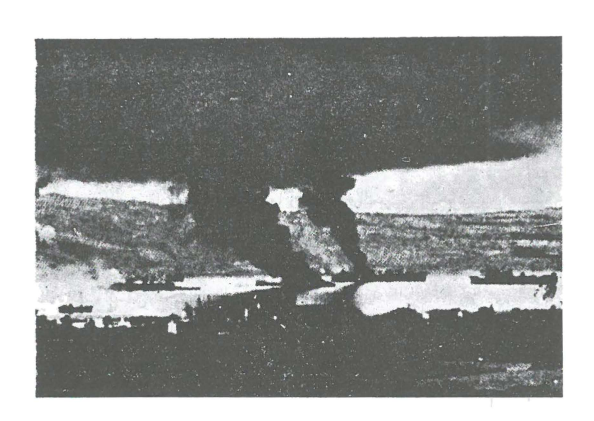
هكذا انتهى هتلر من بلاد البلقان وبدأ يفكر في احتلال روسيا.

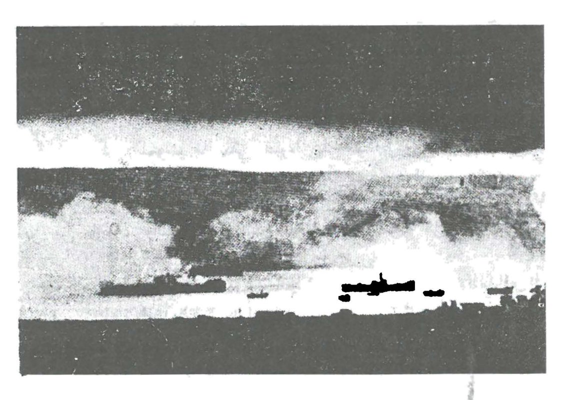
ويقدر الخبراء العسكريون أنه قد كان في وسع هتلر تغيير مجرى الحرب لو أنه تابع زحفه نحو الشرق الأوسط بدلاً من أن ينقض على روسيا. إن النهاية كان يمكن أن تكون شيئاً آخر. وبينما كانت الجيوش الألمانية تنقض على يوغوسلافيا واليونان في شهري نيسان وأيار بادر عملاء المحور إلى تنظيم انقلابات عسكرية في سوريا والعراق وإيران. ولو أن الألمان تابعوا خطتهم ونجحوا في وضع أيديهم على تلك المناطق الشرق أوسطية لحرموا البريطانيين من موردهم البترولي الرئيسي وعزلوا تركيا عزلاً تاماً، والتي كان يحتمل آنذاك أن تعلن انضمامها إليهم. يضاف إلى ذلك أن بلاد الهند ستصبح معرضة لخطر شديد فتنقطع طريق التموين التي تمر عبر الخليج العربي وإيران.

لكن الإنكليز والفرنسيين الأحرار لم يقفوا مكتوفي الأيدي. لقد استولوا على سوريا والعراق في شهر حزيران وطردوا منهما أنصار المحور وأقاموا فيهما حكومتين مواليتين لهم. وفي شهر آب، وبعد أن بدأ الهجوم الألماني على الاتحاد السوفياتي اشترك الروس والإنكليز في احتلال ايران، وطردوا الحكومة الموالية للنازيين وضمنوا سلامة الطريق الإيرانية نحو البلاد الروسية.



جنود بريطانيون أسرى في كريت





الأسطول البريطاني يساعد في عمليات الجلاء عن جزيرة كريت

ثعلب الصحراء

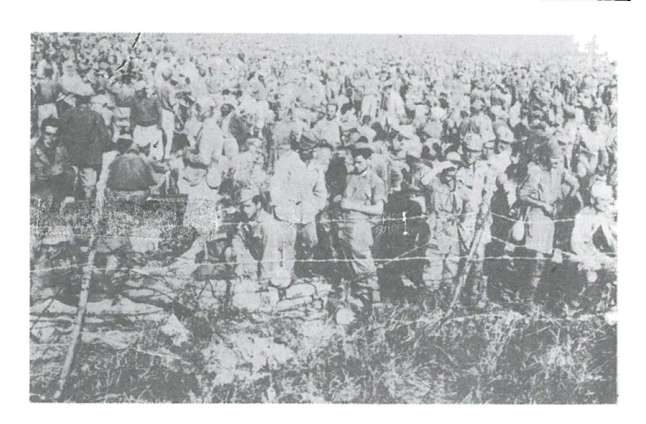
وبالقدر الذي كانت تنتقل فيه المبادرة من يد موسوليني إلى يد هتلر في منطقة البحر الأبيض المتوسط كانت المصيبة تتفاقم أمام الإنكليز ويتجهم الجو من حولهم.

في كانون الثاني من عام ١٩٤١ أرسلت وحدات من اللفتواف إلى جزيرة صقلية. واستطاعت قاذفات القنابل منها أن تجعل المضيق البحري بين صقلية ورأس بون محرماً على القوافل الإنكليزية. وهناك نزلت بالسفن الحربية الإنكليزية وبقوافلهم التجارية خسائر فادحة. أما جزيرة مالطة التي كانت قاعدة للطائرات المكلفة بحماية هذه القوافل والسفن في ذلك الجزء من المتوسط فقد كانت تتعرض في اليوم الواحد لعدة غارات جوية مما أضعف قدراتها الهجومية وحال دون أن تنجد القوافل والسفن إلى حد بعيد بسبب حاجتها إلى حماية نفسها من الطائرات الألمانية المغيرة.

وزاد الطين بلة... وتفاقم الوضع أمام الإنكليز حين أرسل الجنرال الألماني اروين رومل، أحد أبرع القادة في حرب الدبابات، إلى افريقيا حيث وكلت إليه قيادة كل قوات المحور هناك. وقد رافقه جيش أعد جنوده خصيصاً لخوض معارك الصحراء. وقد أدرك الجنرال رومل ما يجب أن يصنعه هناك وهو الذي كان يتصف بالشجاعة الخارقة من ناحية وبأصالة التخطيط العسكري. ولعل فيما رواه المؤرخ والصحفي تشستر ويلموث ما يلقي ضوءاً على شخصية هذا القائد:

شرطان أساسيان يفرضان نفسيهما في عمليات القتال في صحراء ليبيا ومصر: التموين من ناحية، والتفوق في القوة الضاربة المتحركة من ناحية أخرى.

هذه العبارة قصد بها تحديد قوة الجيش المزود بالدبابات والمدافع المضادة للدبابات، وبمدفعية الميدان، شرط أن يكون التنسيق بين هذه الأسلحة تنسيقاً يتحرك به الجيش وكأنه قوة واحدة. إن العامل الجغرافي الأساسي الذي يؤثر في خطط الصحراء باستثناء معركة العلمين قريباً من الإسكندرية والعجيلة عند الحدود الليبية، هو أنه لا يوجد موقع دفاعي يعجز العدو عن الإحاطة به. أما في العلمين والعجيلة فإن سلامة الأجنحة مضمونة بممرات ضيقة ـ أما في الأولى فإن الممر قائم بين البحر المتوسط وبين منخفض القطارة، وأما في الثانية فهو بين البحر المتوسط وبحر الرمال الكبير. وفي كل مكان آخر غيرهما كان هناك جناح دائم مفتوح على الصحراء. وهو مصدر القلق الدائم للقادة الذين لم يكونوا يملكون قوة ضاربة متحركة



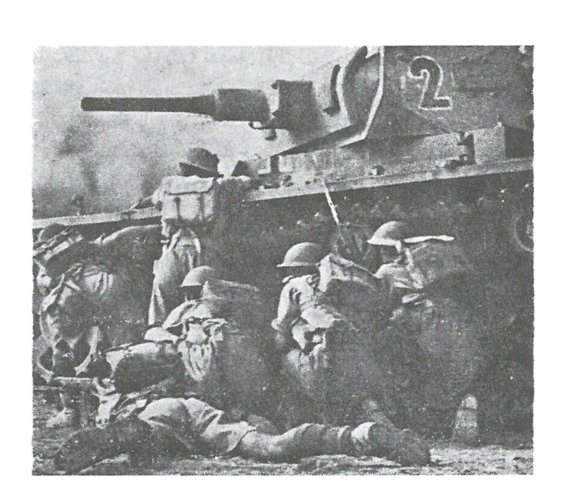
أسرى إيطاليون في الصحراء

ومتفوقة. حتى المشاة يعجزون عن الحفاظ على مواقع دفاعية ثابتة في هذه الصحراء حينما تحيط بهم قوة عدوة مدرعة. فإذا لم يرد المشاة الوقوع في أيدي العدو فإن عليهم أن يتراجعوا وأن يستمروا في التراجع حتى يقوم الإرهاق أو طول طريق التموين بدوره في القضاء على تفوق العدو في قواته المدرعة والمتحركة، إلى حد يفقد معه القدرة على حراسة جناحه المفتوح على الصحراء. المقاومة الممكنة والوحيدة هناك هي في دائرة من الأرض محتوية على مورد ماء ومرفأ كما هو الشأن في طبرق.

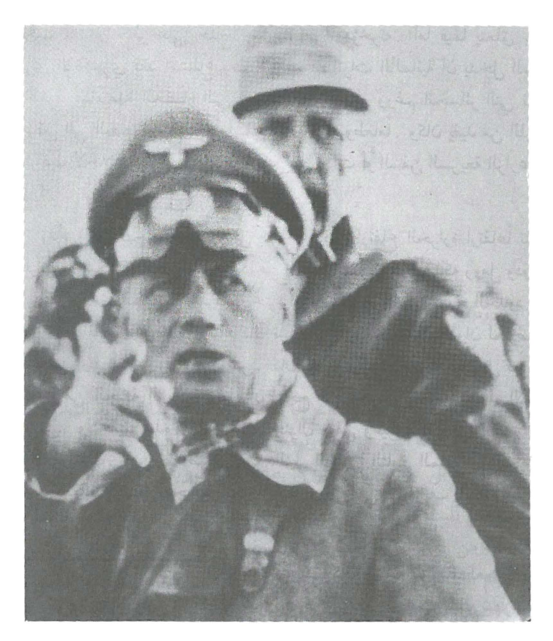
وبعد أسبوعين من وصول رومل إلى افريقيا، أي في ٣١ آذار، وبالرغم من أن أركان الحرب الألمان كانوا يستعدون للتدخل في بلاد البلقان، قام رومل بهجوم مفاجيء صاعق ضد المواقع الإنكليزية في العجيلة. فتراجع الإنكليز لاسيما وأنهم قد فقدوا نصف قواتهم بعد إرسالهم للبعثة العسكرية إلى بلاد اليونان. وقد استطاع رومل بطيرانه القوي أن يسحقهم ويحاصرهم، ويقسمهم أقساماً متعددة، حتى ان كتيبة من راكبي الموتوسيكلات في الصفوف الأمامية قد حالت دون تراجع فوج من الجنود الإنكليز وأسرت الجنرالين ريتشارد أوكونر وفيليب‌نيم. ولم يحتج رومل إلى أكثر من أسبوعين لدفع أعدائه حتى الحدود المصرية والاستيلاء كرة أخرى على ليبيا بما فيها بردية بالذات، باستثناء طبرق التي حاصرها. وقد وصف أريك لامبير أحد المراقبين الإنكليز تفاصيل هذه الهزيمة فقال:

كانت السيارات تتزاحم الواحدة وراء الأخرى فوق طريق مزروعة بالعقبات. الجميع كانوا يفكرون في النجاة بأنفسهم وعندما يحدث عطل في وسيلة من وسائل النقل تترك في الطريق. ولكن عناصر معينة من الفرقة لحق بها العدو وأسر أفرادها. وفي المعسكرات النازية كان الأسرى الأوستراليون يتحدثون غالباً عما يسمى بفوج الإفطار. إن قائد هذا الفوج وقد كان يظن دون ريب أنه يقوم بمناورة بيضاء في مكان ما من أوستراليا مع سريته من أفراد الميليشيا، أصدر أمره بالوقوف لتناول طعام الإفطار. واعترض ضباطه على هذا الأمر لافتين نظره إلى أن سيارات الاستطلاع النازية كانت على بعد بضعة كيلومترات من موقعهم. ولكن الكولونيل أصر دون أن يرف له جفن على التوقف لتناول طعام الإفطار. وتمرد عدد من السرايا على هذا الأمر فتابع جنودها وضباطها طريقهم إلى الوراء. أما قائد الفوج ومعه قرابة مئة رجل فقد توقفوا لتناول الطعام. وتناولوا طعامهم في السنوات الأربع التالية في معسكرات النازيين: لقد كانت استراحة طويلة جداً بسبب هذا الإفطار بالذات.

وجرت الرياح لمصلحة جيش ليبيا الفخور بنفسه. واسترجع رومل بنغازي.



الجنود الإنكليز يقاومون هجمات رومل



روميل «ثعلب الصحراء»

وبعد ذلك بستة أيام وصلت الفرقة التاسعة وبقايا فرقة مدرعة بريطانية إلى طبرق. هكذا انتهى السباق في بنغازي. أما في طبرق فقد صمد الحلفاء لروميل ولكل القوى التي كان يستعد لإطلاقها ضدهم.

الآن أصبح الإنكليز والأوستراليون المنسحبون إلى طبرق معزولين عزلاً تاماً عن مصر. أما روميل فقد أخذ يرسل موجة بعد موجة من الهجمات ضد الحامية المتحصنة فيها وعدتها ٢٣ ألف رجل، لكنه لم يستطع التسرب إليها عبر المواقع الحصينة المحيطة بها. قذفت المدينة بقنابل الطائرات والمدفعية واستقبلت هجمات عنيفة من الدبابات ولكنها صمدت أيضاً. على أن الحامية لم تبق في حالة دفاع، بل قامت دوريات منها بهجمات عنيفة على قوافل التموين ووسائل النقل النازية. وبذلك

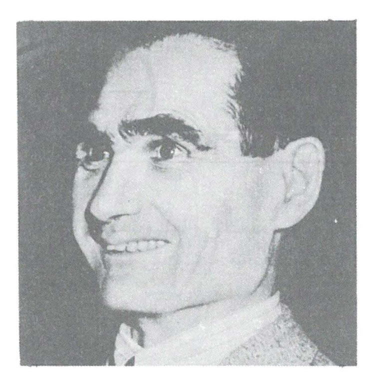
أصبحت مصدر خطر على جناح جيش رومل ومؤخرته. أما فيما يتعلق بالأسطول البحري الإنكليزي فقد استطاع رغم غارات الطائرات الألمانية أن يدخل البواخر إلى مياه المرفأ أثناء مدة الحصار التي استمرت ٩ أشهر، ورغم الخسائر التي نزلت به. كان ينقل إلى الحامية نجدات، وأسلحة، وذخيرة وطعاماً. وكان يفيد من الليالي التي لا قمر فيها لإجلاء الجرحى بواسطة بعض الطرادات أو السفن السريعة الزارعة للألغام البحرية.

وقام ويفل بهجوم معاكس في ١٥ أيار قبل ارتفاع الحرارة ارتفاعاً تتعذر معه العمليات العسكرية. كان يملك عدداً من المدرعات أقل مما يملكه رومل ودونها جودة وتسليحاً وقوة. ثم لم يلبث بعد قليل حتى وجد نفسه مرة أخرى وراء الحدود المصرية مغلوباً على أمره. في تلك الأثناء كان تشرشل يرى أنه قد آن الأوان لخوض معركة حاسمة من أجل مصر وقناة السويس. كان يريد أن ينزل الهزيمة برومل قبل أن تأتيه النجدات من الجبهة الروسية وقبل أن ينجح في اختراق الجبهة باتجاه الإسكندرية والسويس. ولتحقيق هذه الغاية أقال الجنرال ويفل وعين مكانه في الثاني من تموز الجنرال أوكنلك. ومن ثم أصبح جيش النيل الجيش الثامن المشهور، الجيش الذي بدأ يعد العدة للقيام بهجومه الكبير ضد رومل في الخريف القادم.

نزوة في رأس رودولف هس

حادث غريب كان بمثابة التمهيد لعملية باربا روس الكبرى. جرى هذا الحادث قبل شهر تقريباً من صدور القرار الرسمي لغزو البلاد الروسية. لقد طار رودولف هس، الرجل الثالث في ألمانيا النازية إلى بريطانيا بتاريخ ١٠ أيار. وهبط بإحدى المظلات فوق قرية من القرى غير بعيد عن هدفه الذي قصد إليه، دوفانجيل، حيث كان يملك فيها الدوق هاملتون بيتاً له.

كان هس قد لقي الدوق عام ١٩٣٦ خلال الألعاب الأولمبية في برلين وقد بدا له هذا الأخير موالياً للنازيين ومیالاً إليهم. وكان هس يأمل بواسطته في إقناع الملك بتوقيع اتفاق مع ألمانيا. وقد أصيب هس بكسر في عقبه بعد أن وصل إلى الأرض فقبض عليه أحد المزارعين وسلمه إلى السلطات. وقد عرف المحققون منه أن الغاية من مجيئه هي وضع حد للنزاع بين الألمان والإنكليز ـ وهم أخوة من العنصر الآري ـ ثم إقناعهم بالعمل معاً ضد البلشفية. وقد قدم هس اقتراحات معينة اعتبرها منطقية ومعقولة لا سيا وأنه كان واثقاً من انتصار الألمان ومقتنعاً بأن وضع الإنكليز العسكري

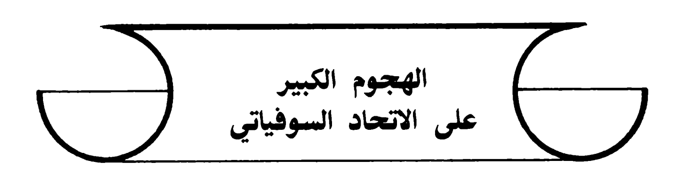


رودولف هس

هو وضع يائس. خلاصة هذه المقترحات أن تترك بريطانيا للألمان حرية التصرف في أوروبا وتعيد إليهم مستعمراتهم السابقة وتوقع صلحاً مع إيطاليا، كل ذلك بعد إقالة حكومة تشرشل. ومقابل ذلك يترك هتلر لبريطانيا أمبراطوريتها كاملة غير منقوصة.

أما هتلر فلم يلبث حتى أعلن بأن هس مصاب بمرض عقلي وأنه قد تصرف تحت ضغط حالة من الهلوسة المرضية. إلا أن سفيره فرانز فون بابن المتآمر العجوز، قد عاد إلى القيام بالمحاولة نفسها لدى السفير البريطاني في أنقرة بعد ستة أسابيع من بداية الغزو الألماني لأراضي الاتحاد السوفياتي.

وقد عومل هس معاملة لائقة، كما يفرض أن تكون معاملة رجل مريض في جسمه وفي عقله. أما الإنكليز فقد رفضوا الموافقة على أية تسوية مع النظام النازي الجديد.



الهجوم الكبير على الاتحاد السوفياتي

الساعة تدق الثالثة بعد منتصف الليل. اليوم هو الثاني والعشرون من حزيران من عام ١٩٤١. ثمانية آلاف قطعة من المدفعية الألمانية منتشرة بين البلطيك والبحر الأسود تطلق نارها بصورة مفاجئة. إنه تمهيد لعملية بارباروس: غزو الاتحاد السوفياتي.

قال هتلر عن هذه الحملة: «عندما تبدأ مسيرة بارباروس سيمسك العالم أنفاسه». ثلاثة ملايين رجل كانوا ينتظرون عند فجر ذلك اليوم ساعة الصفر وهم مختبئون وراء الأشجار والأسيجة أو في مستودعات الحبوب، ومتجمعون على امتداد الطرق الزراعية، كل ذلك من أجل اجتياز الحدود السوفياتية.

لقد بدأت أعظم حرب في العصور الحديثة.

كل جزيئة من جزيئات هذه الحرب الرهيبة الضروس درست بدقة وأعدت بعناية بالغة. كل شيء يجب أن يجري على مرحلتين. أما في المرحلة الأولى فإن على الجيوش الألمانية المعسكرة في الجبهة الشمالية أن تنقض على لينينغراد، كما أن على الجيوش المعسكرة في الجبهة الوسطى أن تحتل موسكو. وتأتي بعد ذلك مجموعة الجيوش الثالثة، في الجنوب لتحتل أوكرانيا مستودع الحبوب والحوض الصناعي الرئيسي للاتحاد السوفياتي.

أما المرحلة الثانية للخطة الألمانية فتقضي بمحاصرة الأجنحة الروسية فيما وراء موسكو. فإن تحقق هذا الهدف قبل شتاء عام ١٩٤١ فإن على الجيش الألماني المظفر بعد طرده لبقايا الجيش الأحمر إلى سيبيريا أن يتمركز على امتداد خط طويل يبدأ من المحيط المتجمد وينتهي إلى بحر قزوين.. هكذا ينهار النظام السوفياتي في تقدير هتلر. والواقع أن هتلر قد جمع لتنفيذ عملية بارباروس خيرة جنرالاته: فون بوك، فون ليت، فون رانستد، وبينهم بطل سيدان من غير طبقة الارستقراطيين الجنرال غودريان. إن الحرب الصاعقة التي جرت عام ١٩٤٠ تتكرر اليوم في سهول روسيا



بدأت «عملية بارباروس» لاكتساح روسيا في الساعة الثالثة
من صباح ٢٢ حزيران ١٩٤١ على جبهة تمتد من بحر البلطيق إلى البحر الأسود

البيضاء. حتى ان مقدمة القوات الزاحفة والمدرعة قد أصبحت في بعض القطاعات على بعد ١٠٠ كلم من الحدود الروسية في مساء يوم ٢٢ حزيران.

المفاجأة كانت تامة بالنسبة للروس. ففي يوم ٢٢ حزيران فقط استطاعت طائرات اللفتواف أن تحطم ١٢٠٠ طائرة روسية أكثرها جاثمة فوق الأرض. ولكن هذه المفاجأة لم تكن حرباً صاعقة في كل مكان. ففي برست ليتوفسك استطاع ثمانية آلاف رجل أن يصمدوا للهجوم الألماني الساحق في حصنهم حتى شهر تموز رغم المدرعات التي أحاطت بهم من كل مكان والطائرات القاذفة والمطاردة التي كانت تمطرهم حديداً وناراً في كل يوم بل في كل ساعة.

وأما في دوبيسا من البلدان البلطيقية فإن مدرعات فون مانستاين قد اكتشفت دبابات روسية من طراز «ت ٣٤» و«ك ف ٢». وفي كل حال استمر تقدم الجيش الألماني في كل يوم. جيش فون ليب في الشمال يقترب من لينينغراد. وفي الجنوب يحاصر الرومانيون مدينة أوديسا. وفي ١٦ أيلول استطاع فون رانستد أن يحاصر في كييف جيش الجنرال بودياني والمفوض السياسي الملحق بجيشه نيكيتا خروتشوف.

أما في الوسط فان فون بوك يتقدم نحو موسكو. وقد أسر الألمان بين ٢٢ حزيران وبداية تشرين الأول رجالاً عدتهم مليونان. على أن خسائرهم هم أيضاً كانت كثيرة جداً. فقد بلغت في نهاية تشرين الثاني ٨٠٠ ألف رجل.

ومنذ بداية آذار عام ١٩٤١ كان هتلر قد أنذر قادته قائلاً لهم: «إن الحرب التي ستبدأ ستكون دون شفقة».

ولذلك فقد صدر حكم الموت أولاً بالمفوضين السياسيين من الروس. أما بالنسبة للأسرى فلم يكونوا أحسن حالاً لأنهم كانوا يموتون بمئات الألوف موتاً بطيئاً بسبب الجوع والأمراض. وقد اقترح الماريشال كيتل أن يوسم الأسرى بالحديد المحمي. كما أوصى الماريشال فون مانستاين بعدم تقديم أي نوع من الطعام إلى الأسرى: لأن مثل هذا التصرف في رأيه هو شعور إنساني منحط. ومنذ عام ١٩٤٢ أخذ الجنود الروس يستميتون في القتال حتى الانتحار فلم يستسلموا أبداً بسبب هذه المعاملة الوحشية الرهيبة.



مدافع الألمان مصوبة إلى موسكو

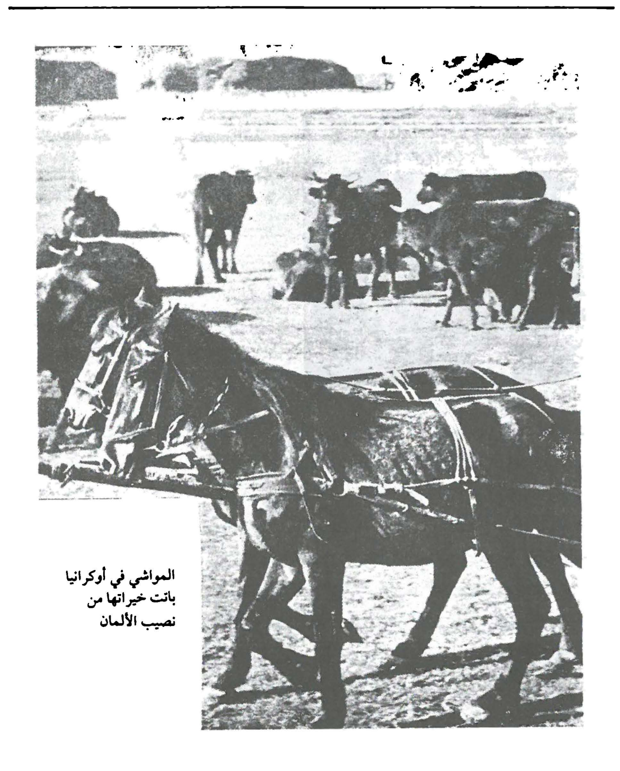
هذه الحقائق وعشرات بل مئات غيرها نجدها في تفصيلات الهجوم الكبير الذي لم يعرف العالم شبيهاً له من قبل والذي أعده هتلر ونفذه لغرض تغيير وجه التاريخ.

وبما أن هذا الهجوم هو على هذه الدرجة من الأهمية والخطورة فإن نقل ما كتبه واضع خطط هذا الهجوم الكبير يبقى بالنسبة للقارىء العربي ذا فائدة خاصة.

ان الجنرال فارلي مونت هو الخبير العسكري الذي أوكلت إليه هيئة أركان الحرب الألمانية مهمة إعداد هذا الغزو والاشراف على تعيين تفصيلاته وجزئياته. وفيما يلي النص الحرفي لما كتبه الجنرال فارلي مونت منقولاً عن مجلة «باري ماتش» الفرنسية في عددها رقم ٨٢٣ الصادر في ١٦ كانون الثاني عام ١٩٦٥. قال:

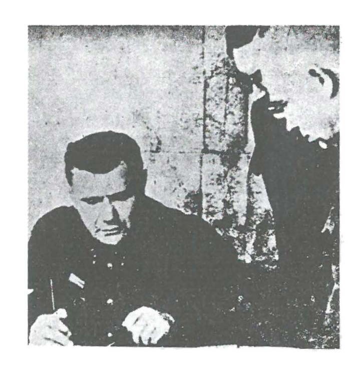


الألمان يقرعون أجراس النصر في أوكرانيا



المواشي في أوكرانيا
باتت خيراتها من
نصيب الألمان

في هيئة أركان القيادة الألمانية العامة أخذنا على غرة حينما قرر هتلر في النصف الثاني من تموز ١٩٤٠ توسيع الحرب ونقلها إلى روسيا بصورة مفاجئة. كانت المفاجأة شديدة لأن المعاهدة الجرمانية السوفياتية التي وقعت في آب ١٩٣٩ قد مضى عليها عام واحد تقريباً وحسب. ومن ناحية أخرى كان هتلر منذ قليل قد أعرب عن نيته في إنزال قوات إلى الجزيرة البريطانية. وهذا يعني بطبيعة الحال أن قوات كبيرة ستحتجز في أوروبا الغربية.



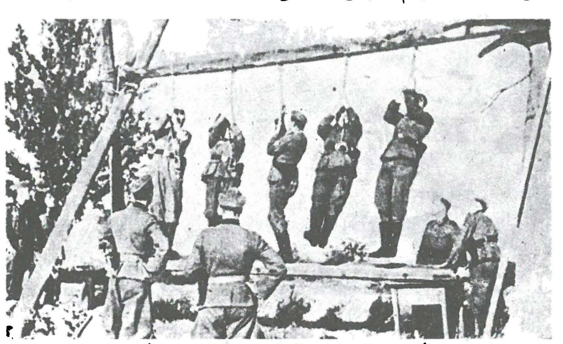
خروتشوف (المفوض السياسي) يتباحث مع الجنرالين إيرامنكو وماتغيف

هذه الحجج قدمت للجنرال جودل، رئيس هيئة أركان الحرب، المنسقة للقوات المسلحة، منذ بادر هذا الأخير إلى إعطاء إرشاداته الأولية بالنسبة للمعركة القادمة. هذا اللقاء تم في ٢٩ تموز ١٩٤٠ في القطار الخاص الذي كان أعوان جودل وأنا واحد منهم، ينتظرونه فيه، في محطة ريشنهول، عائداً من «عش النسر» حيث يقيم هتلر. كانت الشمس تلمع فوق جبال الألب البافارية، وكان الجميع يتوقعون نهاية الحرب بين وقت وآخر. ولذلك فإن الموضوع الذي أثاره جودل قد أحدث صدمة أشبه بانفجار القنبلة. والحقيقة أن الجنرال كان على عادته أميل إلى الصمت فرفض الاجابة عن الأسئلة التي وجهها إليه أربعة ضباط كبار ممن كانوا يصرون على معرفة الأسباب التي دعت إلى اتخاذ مثل هذا القرار غير المنتظر. وما يدرينا لعله هو شخصياً كان يحاول أن يهضم هذا النبأ الجديد الذي كان يجب أن يهزه هزاً عنيفاً رغم خضوعه غير المشروط لرغبات الفوهرر. والحقيقة إنني مقتنع بأن الجنرال قد قدم إلينا يومذاك حجج الفوهرر لا حججه هو شخصياً.

ما أزال أذكر حتى اليوم جوابين من أجوبته التي كانت تفسر موافقته الواعية على إعلان حرب في جبهتين. قال لنا بأن تصفية الحسابات بين ألمانيا الوطنية الاشتراكية وروسيا الشيوعية أمر لا سبيل إلى تجنبه وأن ضرب روسيا الآن والجيش الألماني في الذروة من القوة خير من الانتظار حتى تأتي مناسبة أخرى لإعلان تعبئة ثانية. قال جودل إن الهجوم المنتظر يجب أن يبدأ في أيار ١٩٤١ وهو موعد أقرب ما يكون بالنسبة لامكاناتنا على مواجهة المسؤوليات المترتبة عليه. وعلى ذلك فإن روسيا التي ستسحق

خلال بضعة أشهر ستتيح للجيش الألماني فرصة جديدة لتنفيذ مهمات أخرى في تشرين الأول أو تشرين الثاني على أبعد تقدير من العام نفسه.

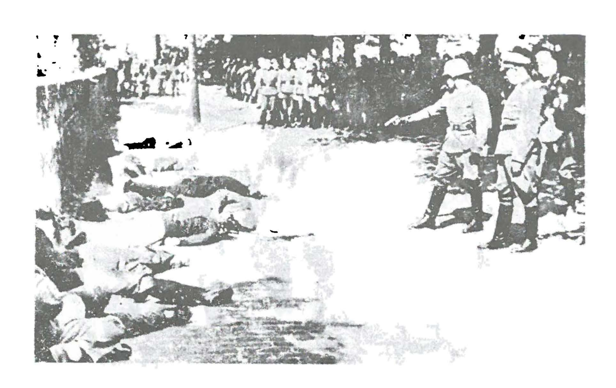
هل يمكننا القول بأن إرادة القدر بدأت تفعل فعلها مع مثل هذه العبارات الكبيرة؟ أما بالنسبة للعسكريين فقد كان الموقف واضحاً جداً: أي انهم وضعوا مرة أخرى أمام الأمر الواقع وبتعبير آخر أمام قرار متخذ خارج هيئة أركان الحرب العامة. ولكي يقطع كل مناقشة وهو الذي تعود مثل هذا الأسلوب، أخذ يتكلم عن قراره النهائي في هذا الموضوع. أما اليوم فإن كثيراً من رجال السياسة والمؤرخين ممن لم يعايشوا هذه الأحداث يؤكدون أن هتلر قد اتخذ هذا القرار بعد محادثته التي أجراها مع مولوتوف في مدينة برلين خلال تشرين الثاني ١٩٤٠. حتى في ذلك الوقت كان جديراً به أن يتردد. ومن البديهي أن الحسم في مثل هذا الموضوع أمر متعذر. وفي رأيي ان وجهة النظر هذه هي واحدة من وجهات نظر أخرى كثيرة. وعلينا أن لا ننسى أن هتلر، الكوميدي الحاذق، كان بارعاً في اصطناع التناقضات بين مستشاريه وزعمائه العسكريين وفي خداعهم واصطناع المفاجآت أمامهم. كما أننا يجب أن لا ننسى بأن التطور العام خلال مدة التسعة أشهر التي مضت بين اتخاذ القرار وبداية الهجوم، بقي بعيداً عن متناول التنبوءات. وليس هناك أية وثيقة تشير إلى أن هتلر قد أفضى لأحد محدثيه بأية تفصيلات أو تأملات بالنسبة لهذه العملية الكبيرة. وزيادة على ذلك نستطيع أن نشير إلى عملية إرسال بعثة عسكرية إلى رومانيا ترافقها قوات هامة. وعلى الضد من ذلك فإن هتلر لم يعترض أبداً على عمليات الاستعداد لمعركة إنزال الجيوش



الجنود الألمان يختبرون قوة حبال المشانق التي نصبوها للأنصار الروس
كانوا يقولون: يجب أن يموت الروس لنعيش نحن



الجنرال الألماني فارلي مونت المكلف بوضع الخطط الحربية الكبرى ولا سيما خطة غزو روسيا



أحد ضباط الطيران الألمان يطلق رصاصة الخلاص على جثث الرجال الروس الذين أعدموهم. إن هذا المنظر كان يتكرر يومياً

في بريطانيا: لقد كان يسأل القيادة العليا باستمرار أن تضع دراسات استراتيجية تغطي منطقة تبدأ من أفغانستان وتنتهي عند جزر آزور.

هذه الخطط كانت من الطموح بحيث ان ضباط الأركان العامة كانوا يعتبرونها نوعاً من الهذيان والأحلام غير قابلة التحقيق. وقياساً على ما كان يجري في غير هذه المرة كانت معارضة الجنرالات لهجوم عسكري ضد روسيا معارضة مترددة خجولة. أما زعماء الجيش البري الذين سيتحملون القسم الأكبر من أثقال هذه المعركة فقد كانوا منهمكين بدراسة الخطوط العامة وتعيين القواعد الرئيسية التي ينطلقون منها بعد ذلك لدراسة كل الاحتمالات العسكرية. ومن ثم تبدأ دراسة التفاصيل لوضع الخطوط العامة للعمليات القادمة في جبهة الشرق الجديدة. وعندما تتضح العناصر الرئيسية لهذا العمل يصبح في الامكان إعطاء أجوبة على توكيدات هتلر بحجج ثابتة.

غورنغ ضد الحرب ولكنه يحتفظ بالصمت

هذه المناقشة لكي لا نقول هذا الانذار جرت في شباط ١٩٤١ دون فائدة. أما غورنغ سيد الطيران الألماني الكبير فقد كان معارضاً للحرب ولكن الأهداف الايديولوجية للمعركة التي هي تصفية البلشفية وغزو مجال حيوي واسع أرغمته على الاحتفاظ بالصمت. أما الأميرال ريدر فلم يكن يعرف شيئاً واضحاً حول هذا الموضوع وهتلر لم يكن راغباً على ما يبدو في اطلاعه على مخططه بالسرعة المطلوبة، وهو الذي كان يعلم تماماً أن البحرية هي في كل حال ضد كل استراتيجية برية. فإذا انتقلنا إلى هيئة أركان حرب هتلر فهي في الحقيقة غير موجودة! فجودل رئيس هذه الهيئة كان يعيش وحيداً في الوسط الذي يحيط مباشرة بهتلر. في هذه الشروط كان الضباط قادرين فقط على مساندة الخطط الأخرى من مثل خطة إنزال القوات في بريطانيا أو تقديم المساعدات للإيطاليين في المتوسط وأفريقيا الشمالية أو الاستيلاء على جبل طارق.

كانت الاحتجاجات غير مرئية كما أنها في كل حال ذات طابع أفلاطوني. والخلاصة أن المعارضة الفعالة لهذه الحرب التي ينتظر أن تلهب العالم كله قد جاءت بصورة غريبة من قبل وطني اشتراكي متعصب هو رودولف هس «وكيل الفوهرر» الذي طار بصورة سرية في أيار ١٩٤١ إلى بريطانيا ساعياً إلى تحقيق وساطة وتسوية.

وكان من غريب المصادفات أن هتلر كان سيوقع في ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٠ على توجيهات صادرة من القيادة العليا بالنسبة لمسير العمليات القادمة من روسيا. هذا

اليوم نفسه الذي جاء فيه مولوتوف إلى برلين لإجراء محادثات حول انضمام روسيا إلى المعاهدة الثلاثية لكل من ألمانيا وايطاليا واليابان. في هذه الوثيقة نقرأ العبارة التالية: «مهما تكن نتيجة هذه المحادثات فإن الأوامر المتعلقة بالاستعدادات في الشرق تبقى سارية المفعول». وقد فهم منها بعضهم أن هتلر سيصدر توجيهات أكثر تفصيلاً بعد أن يحيط علماً بخطة العمليات الموضوعة والتي سيوافق عليها.

بعد ذلك بثلاثة أسابيع، أي في ٥ كانون الأول وبتعبير أدق بعد ظهر ذلك اليوم وصل القادة العسكريون إلى قصر المستشارية. أما الجنرال هالدر فقد وضع بين يدي الفوهرر خطة (عملية أوتو) وهو اسم متواضع يغطي في الحقيقة أعمال أحسن الأدمغة في هيئة الأركان العامة.

ومنذ ذلك الوقت أصبح واجبنا أن نناقش خطط المعركة لا أن نتساءل عن مبرر القيام بها. وفي هذا الميدان أيضاً كان هتلر يريد أن يقول شيئاً كثيراً. وبدأ بالتقليل من قيمة الخصم والسخرية به. وكان في رأيه أن الجيش الروسي هو أشبه ما يكون بالجيش الفرنسي يوم أنزلنا به الهزيمة. فإذا وضعنا جانباً بعض المدافع الحديثة فإن الجيش في تقديره لا يملك غير أسلحة قديمة الطراز ودبابات غير ذات قيمة ولا سيما بالنسبة لتدريعها قال: «الجيوش الروسية أقل كثيراً من أن تكون على مستوى جيوشنا. وعلى كل حال فإن الجيش الأحمر يفتقر إلى القادة الأكفاء».

ويخرج من هذه المقدمات إلى التأكيد على أن الكارثة هي التي تنتظر هذا الجيش. وكان على الجنرال جودل أن يلخص أفكار الفوهرر بعبارة حاسمة. «سيكون الجيش الأحمر أشبه (بالضرف) المنتفخ وسنفجره بضربة سيف واحدة».

أما الجنرالات فلم يكونوا يشاركون الفوهرر في هذا الرأي أبداً. على أن الفوهرر نفسه لم يلبث حتى تراجع عن رأيه بعد مرور فترة على بداية العمليات الحربية. على أن وجهة نظره في هذا الموضوع قد تمضي دون خطر. ولكن الأخطر منها جداً أفكـاره وأساليبه واجتهاداته في توجيه العمليات الحربية بالذات. طبعاً كان الجميع متفقين على تفتيت الجبهة السوفياتية لإقامة حصار واسع بعد ذلك حول قطاعات الجيش الأحمر وذلك خوفاً من أن تعود هذه القطاعات إلى التجمع والانتظام وترميم القوى بفضل الأراضي الواسعة القائمة في صحراء سيبيريا. كان المهم هو تحطيم الجيش الأحمر وإبادته. ومن الضروري هنا أن نشير إلى وجهات النظر المختلفة لكل من هتلر وبقية العسكريين. لقد كان الفوهرر يلمح أكثر من مرة إلى

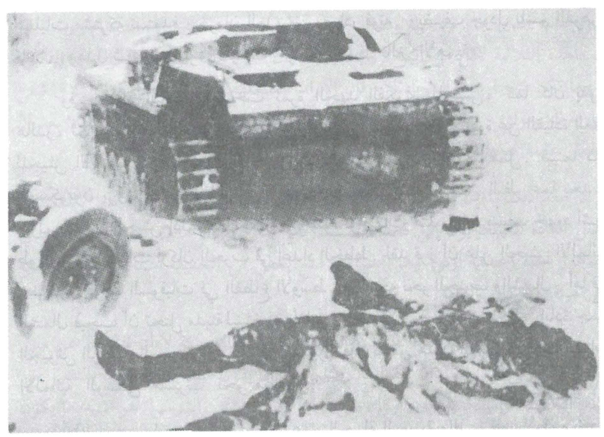
عمليات مشتركة تستهدف حرمان العدو من مصادر قوته. ويضيف جودل باسم الفوهرر قائلاً، وهذا شيء خطير: «ليست موسكو هدفاً بالغ الأهمية».

وفي الأيام التالية، أصبحت ثمرة الجهد الفكري للجيش، كما كان يقول هالدر، ثمرة معجونة أعيدت صياغتها لتأخذ شكل التعليمات الصادرة عن القيادة العليا للجيش الألماني. وظهرت الخلافات والتناقضات منذ بداية هذا العمل. فبينما كان العسكريون يرون أن الاندفاع نحو موسكو يجب أن يستمر بغض النظر عما يحدث حول جناحي الجيش إذا بجودل يقرر في ضوء توجيهات هتلر قراراً ينسف جهود أشهر طويلة بذلتها هيئات أركان الحرب في إعداد الخطط. لقد قرر أن على الجيش الألماني بعد تفرق قوات السوفيات في القطاع الأوسط، أن يتجه نحو الجنوب والشمال. أما في الشمال فيجب أن تحتل مدينة لينينغراد وأما في الجنوب فيجب التوصل إلى إبادة جملة الجيوش الروسية المعسكرة غربي نهر الدنيبر. فإذا تحقق هذان الهدفان تابعت القوات الألمانية الوسطى مسيرتها نحو موسكو.

أما اسم «بارباروس» الذي أطلق على الحملة الروسية والذي ظهر لأول مرة في نشرة توجيهية من نشرات هتلر بتاريخ ١٧ كانون الأول ١٩٤٠ فهو أيضاً فكرة صادرة عن القيادة العليا. لقد تم من قبل اقتراح اسم «أوتو» أو «فريتز». ولكن هذين الاسمين في نظر القيادة العليا أقل كثيراً من أن يكونا على مستوى المعركة المدهشة التي يستعدون لها. وقد يكون اختيار الفوهرر لهذا الاسم لأحد سببين: أولاً، التوازي التاريخي مع فردريك بارباروس امبراطور الغرب الذي انطلق محارباً من أجل قضية مقدسة منذ ثمانمائة عام. ثانياً، أن كلمة «روسا» كانت تذكر هتلر بعلم البلشفية الأحمر... والآن... لم يعد سبيل إلى الشك: لقد قرر هتلر تنفيذ خطته التي وضعها بنفسه. ولن



الشتاء الروسي



دبابة وجثة في الطريق إلى موسكو

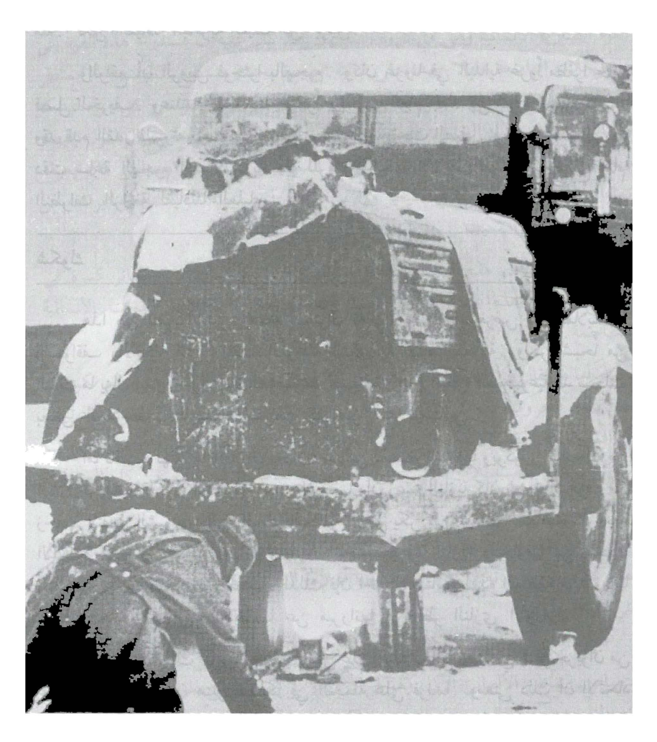
يغير رأيه احتجاج القوات البحرية أو البرية. لقد كان الجنرالات يقدرون أن الجيش الأحمر أقوى كثيراً مما يقدره هتلر. ولكن الجنرالات في رأيه مخطئون.

وخلال الأشهر الستة التي مضت بعد ذلك حتى بداية الغزو فإن خطط العمليات قد خضعت لتعديلات كثيرة أجراها هتلر نفسه.

كل هذه التعديلات كانت تعكس مفهومه لمعركة الغد. لقد كان يرى أن لقاءً عنيفاً سيجري بين فلسفتين متناقضتين.

ومن هنا تقضي الضرورة بتقرير بعض المبادىء: «الضباط كالرجال كان عليهم أن يتحرروا من الزمالة التقليدية بين الجنود». أما محاكم الحرب بقوانينها القائمة على الشرف العسكري فلم يكن لها مكان في منطقة الشرق؛ إن على الضباط أن ينتصروا على كل معارضة قد تصدر عنهم لحرب الإبادة التي يجب أن يقوموا بها. وعلى ذلك فإنه بعد أن ضمن أقصى ما يمكن من طاعة الجيش امتنع عن الإشارة إلى خطته التي سينفذها فيما وراء خطوط القتال. أما فيما يتعلق بحلفاء ألمانيا، فالأمر يتعلق أساساً بفنلندا ورومانيا، ثم بهنغاريا وسلوفاكيا. أما الزعماء العسكريون للبلدين الأولين فلا يجب أن يعرفوا بالنزاع الجرماني السوفياتي المنتظر إلا حين يصبحون جديرين

بالثقة. وأما فيما يتعلق بالحليفين الكبيرين ايطاليا واليابان فيجب أن يحتفظ الجميع بالصمت. وقد اندهش العارفون بالأمور حينما وقع وزير الخارجية اليابانية معاهدة حياد مع الاتحاد السوفياتي بعد نهاية المحادثات التي أجراها في برلين بتاريخ نيسان ١٩٤١. هذه العلاقات الثلاثية التي نشأت عن هذا التصرف بقيت قائمة بعد دخول اليابانيين في الحرب ضد الغربيين تنتهي فقط عام ١٩٤٥. هذا الموقف هو الذي سمح دون ريب للدكتور سورج الصحفي ذي النسب الجرماني الروسي بالبقاء في



كان الجنود الألمان مضطرين إلى تحمية محركات شاحناتهم قبل أن يقلعوا بها

سفارتنا في طوكيو وبتزويد الروس بمعلومات واسعة حول الأغراض اليابانية. وقد تأخر غزو الاتحاد السوفياتي خمسة أسابيع عن الموعد المقرر له بسبب معركة البلقان وهو تأخر كادت تكون له نتائج خطيرة.

وأخيراً اخترق الجيش الألماني حدود البلاد السوفياتية في ٢٢ حزيران على جبهة طولها ألفا كلم. ولكي يكون هتلر أقرب إلى قواته المهاجمة فقد أقام قاعدة لقيادته على بعد مئة كيلومتر من حدود أرض العدو. أما قيادة غورنغ فقد قامت بالقرب منه. لكن القيادة البحرية بقيت في برلين.

والواقع أن الروس فوجئوا بالهجوم. وكان غزونا في البداية غزواً مظفراً حتى فصل الخريف. وعندما جاء الشتاء مبكراً في ذلك العام جمد كل شيء والمحركات. وقد قدم القدر فاتورته تحت برودة بلغت ٣٥ درجة تحت الصفر. وبفضل هذه البرودة دقت ساعة الهجوم المعاكس بالنسبة للروس. بينما كان طيف الهزيمة يرتفع أمام النظرات الزائغة لقيادتنا العليا.

شكوك

هذا هو التقرير الذي وضعه الجنرال فارلي مونت واستعرض فيه الملابسات والمواقف والأفكار التي رافقت المرحلة التمهيدية لهذه المعركة. ولكن شبحاً من الشك ما يزال يبدو أمام النظرة الموضوعية السليمة. هذه النظرة الموضوعية قد سجلت بعض الملاحظات المتعلقة بموقف كل من هتلر وستالين.

أما بالنسبة لهتلر فالواقع أن احتلال ستالين لمنطقة بسارابيا وبوكونين الشمالية من البلاد الرومانية قد أثار الشكوك عنده. لا سيما وأن زعيم النازية كان شديد التخوف من زحف النفوذ الشيوعي إلى البلاد البلقانية. ولم يكن في وسع المعاهدة الروسية الألمانية التي وقعت في آب ١٩٣٩ أن تخنق عداوة النازية ومخاوفها من سلطان الشيوعية وقوتها النارية في العالم. لذلك فإن احتلال ستالين لهذه المنطقة من رومانيا قد أثار هذه المخاوف أو كشف عن مبرراتها في نظر النازي الأول.

يضاف إلى ذلك أن ستالين قد انقض على البلدان البلطيقية في شهر حزيران من عام ١٩٤٠ بينما كان هتلر منهمكاً في الحملة على فرنسا. ومعنى ذلك أن الاتحاد السوفياتي الذي كان يقوده آنذاك خبير على صورة ستالين، مدرك لما تحفل به خلفية العقول الألمانية التي كانت تشرف على مقدرات ألمانيا من العداوة والبغضاء لا يمكن

أن يغفل عن الأحداث القادمة واحتمالاتها المفاجئة. لقد كان عليه أن يوسع حدوده إلى أقصى حد ممكن بانتظار انقلاب الأوضاع وليكون في وسعه امتصاص الهجوم الألماني الكاسح الذي سيجري حتماً في يوم قريب أو بعيد.

لذلك بادر الاتحاد السوفياتي إلى احتلال جزء كبير من بولونيا ثم ضم إلى أراضيه ليتوانيا واستونيا ولاتفيا.

ومع ذلك فإن الاتحاد السوفياتي قد وجد بأن هذا التوسع لا يسمح له بامتصاص القوة الضاربة الألمانية وهي في ذروة انتشائها. لقد كان عليه أن يستدرج هذه القوة إلى داخل بلاده الواسعة عاملاً جهده على تبطئة الهجوم بحيث يستطيع أن يمتصه أو يمتص الجولة الأولى منه حتى يدخل فصل الشتاء، وبحيث تكون ضواحي كل من موسكو وستالينغراد ولينينغراد الحدود القصوى التي يسمح للجيش الألماني بالوصول إليها، وبحيث تبقى هذه المدن في حوزة القوات السوفياتية المدافعة. وستالين كان يعرف تماماً بأن حليفه الكبير الذي سيغيّر موازين القوى لمصلحته هو الشتاء وما يرافقه من الصقيع القاتل المميت.

ولا شك أن هذه الخطة كانت ستكلف الاتحاد السوفياتي خسائر كبيرة في الأرواح. لكن هذه الخسائر أمر لا بد منه من أجل استيعاب القوات الألمانية المهاجمة...

أما ما يقال من أن الاتحاد السوفياتي قد فوجىء بالهجوم وأن الحدود لم تكن من أجل ذلك محروسة بقوات كافية فهذا في رأينا تقدير غير منطقي و لامعقول. إذ ليس من الممكن أن يبقى الاتحاد السوفياتي جاهلاً لما يجري عند حدود بلاده من تجمعات عسكرية هائلة بلغت ثلاثة ملايين من الجنود مع ثمانية آلاف مدفع من كل العيارات وأربعة آلاف دبابة على امتداد ألفي كلم.

وإذا صح أن الاتحاد السوفياتي كان غافلاً عما يجري في الجانب الألماني فإن غفلته هذه جريمة لا تغتفر. جريمة تعرض سلامة البلاد للخطر وتسبب الخسائر الفادحة التي لا مبرر لها.

ولم يكتف ستالين في رأينا بوضع خطة التراجع الهائلة التي كان يقصد بها امتصاص الهجوم الألماني الأول وهو في ذروته؛ بل أضاف إلى ذلك مواقف ومناورات تبدو لنا مدروسة قبل بداية الحرب بوقت طويل...

إن معركة الاتحاد السوفياتي مع فنلندا كانت في رأينا بتفاصيلها ومراحلها، أشبه

بمسرحية موضوعة لتضليل ألمانيا ولإعطاء صورة غير صحيحة عن الامكانات العسكرية للجيش الأحمر. لقد كان تعثر الروس في مقاتلة الفنلنديين تعثراً مدروساً فائق البراعة بحيث ان هتلر المغرور بقوته والمنتشي بالانتصارات التي سجلها في الجبهات الغربية، قد أصبح على مثل اليقين مُن تفاهة الجيش الأحمر المزعومة وافتقاره إلى الأسلحة الثقيلة الحديثة.

وبالغ ستالين في إظهار الغفلة وحسن الظن. فراح يتصرف تماماً على طريقة الفلاح الساذج. فلم يتردد في تزويد هتلر بكل ما كان يحتاج إليه من المواد الأولية الضرورية لصناعاته الحربية ومن الحبوب. لقد أرسل إليه حتى بداية عملية بارباروس مليون طن من الحبوب ونصف مليون طن من المعادن و ٩٠٠ ألف طن من البترول. بل فعل ستالين أكثر من ذلك. لقد مثل دور الزوج المخدوع الذي يحاول استدراج زوجته ليواجهها بعد ذلك بتهمة الخيانة. لقد راح يتسوق المواد الأولية التي كان يحتاج إليها هتلر من بلدان الشرق الأوسط محطماً بذلك الحصار الذي ضربه الحلفاء على القارة الأوروبية. وسجل ستالين خطوة أخرى بلغت القمة في براعة (التبالُه). لقد أوحى للسفير الألماني باستعداده لتقديم خمسة ملايين طن من القمح في كل عام. وكانت هذه السلع من الأهمية بالنسبة لهتلر بحيث انه كان يمنح الأفضلية في عمليات النقل للشحنات التي كان يزوده بها الاتحاد السوفياتي. وكانت هذه الأفضلية سارية على كل جهة حتى على الجيش الألماني نفسه.

يبقى أن نشير إلى ظاهرة خطيرة جداً.

إن الجيوش الروسية التي تلقت صدمة الهجوم النازي الأول لم تكن جيوش النخبة المختارة. وإن الأسلحة المختلفة التي استعملها الروس في البداية لم تكن أسلحة حديثة قادرة على مواجهة السلاح الألماني الرهيب في الجو أو في البر. أما القوات التي مثلت دور الفداء حقاً، والتي استطاعت أن تقلب الأوضاع وأن تجمد أكبر قوة عسكرية عرفها التاريخ حتى ذلك اليوم، فهي تلك التي كانت تنتظر عند الحدود المعينة لها في قلب الاتحاد السوفياتي.

ونحن لا نعني بذلك أن الاتحاد السوفياتي كان في تسلحه وإمكانياته العسكرية على مسوى الجيش الألماني الذي يعتمد على موارد القارة الأوروبية وصناعاتهاالثقيلة، ولكننا نقصد إلى تقرير حقيقة بدهية ننفي بها بلاهة القيادة في موسكو وغفلتها وتأخرها المزعوم في الاستعداد للحرب.

يضاف إلى ما سبق أن الاتحاد السوفياتي قد دافع سياسياً عن قضية هتلر واستغل الأحزاب الشيوعية الوطنية في العالم لتوجيه الحملات الدعاوية العنيفة ضد الحلفاء متهماً إياهم بالاعتداء على الدولة النازية وبقي على موقفه هذا حتى قبيل بداية الغزو النازي. وفي أيار ١٩٤١، أي قبل شهر واحد تقريباً من بداية غزو البلاد الروسية، عاد ستالين عن قراره بالاعتراف بالحكومات المنفية لكل من بلجيكا والنرويج ويوغوسلافيا كما اعترف بالحكومة العراقية التي كانت موالية للنازيين.

أما في الميدان العسكري فقد استقبل الاتحاد السوفياتي هزيمة فرنسا بقلق بالغ وكذلك ضياع كل امكانية لايجاد جبهة ثانية ضد هتلر في بلاد البلقان. هذه الجبهة الثانية التي لم يلبث بعد وقوع الحرب بينه وبين ألمانيا أن دعا إليها بكل قواه في الحاح ودأب وشدة. كما أنه في كل حال لم يبد أية شفقة على الانكليز الذين سحقهم الهجوم النازي في الجبهة الغربية بنوع من اللامبالاة المحسوبة بقدر أمام التهديد النازي بغزو الجزر البريطانية.

واستمر الاتحاد السوفياتي يلعب لعبة النازية في اقتسام النفوذ والمقدرات في العالم. لقد كان يسعى جهده إلى تدعيم مركزه والحصول على أكبر قدر من المكاسب. ولذلك فقد قلق ستالين وراح يتساءل عن دوره بالنسبة للاتفاق الثلاثي الذي وقعته كل من اليابان وألمانيا وإيطاليا. وزاد قلقه حين بادر هتلر إلى ضمانة الحدود الرومانية بعد أن احتل بيسارابيا وبوكوفين الشمالية. وراح يفكر في الحصول على بوكوفين الجنوبية. وجاء مولوتوف إلى برلين بعد توقيع الاتفاق الثلاثي الذي تم في أيلول ١٩٤٠ لإجراء محادثات مع المسؤولين هناك. وقد أوحى كل من هتلر وريبنتروب لمولوتوف خلال زيارته التي جرت في أواسط تشرين الثاني عن استعداد ألمانيا لاقتسام الامبراطورية الانكليزية مع الاتحاد السوفياتي.

هكذا كان يتصرف الاتحاد السوفياتي اعتقاداً منه أن في وسعه كسب الوقت والاستعداد لتلقي أية مفاجأة من المفاجآت، بينما كان هتلر يحاول جهده أن يقنع السوفيات بعدم التفكير بأي غزو في أوروبا الغربية ثم يدفعه دفعاً إلى الشرق باتجاه الخليج العربي والمحيط الهندي حيث يصطدم بالانكليز. لكن مولوتوف رغم هذا كله كان يصر في هدوء وتؤدة على معرفة النوايا الألمانية بالنسبة للبلقان وعلى حصة الاتحاد السوفياتي في صميم المحور الثلاثي. وانتهت المحادثات إلى طريق غير نافذ.

ويبدو أن ستالين قد وجد الفرصة مؤاتية لتكرار المحاولة على أمل تحقيق بعض المنجزات لمصلحة بلاده. ولذلك فإنه اقترح على هتلر في ٢٥ تشرين الثاني تحويل

الاتفاق الثلاثي إلى اتفاق رباعي تكون روسيا طرفاً فيه. ولكن ستالين لم يكتف بتقديم الاقتراح بل أرفقه بشروط معينة:

١ ـ على الجيوش الألمانية أن تنسحب من فنلندا.

٢ ـ على اليابانيين أن يتنازلوا عن امتيازاتهم في سخالين الشمالية.

٣ ـ على البلغاريين والأتراك أن يمنحوا السوفيات امتيازات خاصة وقواعد عسكرية.

أما هتلر فلم يكلف نفسه عناء الجواب، ذلك لأنه قد قرر اعلان الحرب على الاتحاد السوفياتي.

أليس في هذا كله ما يبعث الشكوك في رؤوس القادة الروس؟!

أوليست المراوغة الألمانية بالنسبة لقضايا حساسة كهذه جديرة بأن تزيل الأقنعة وتكشف عن النيات المخبأة؟!

الواقع أن ستالين قد أدرك هذا كله ولكنه قرر الحفاظ على المظاهر، بينما كان يستعد ليل نهار لاستقبال اليوم العصيب.

والثابت أن تشرشل وروزفلت قد حذرا ستالين من غزو نازي مرتقب وأثبتا له بما لا يقبل الشك بأن دور بلاده قد أصبح قريباً جداً.

وعندما سئل تشرشل عما يفعله فيما إذا هوجم الاتحاد السوفياتي وهو الذي كان الخصم الأكبر للشيوعية خلال ٢٥ عاماً سبقت، قال: «ليس عندي غير هدف واحد.. هو القضاء على هتلر.. فإذا غزا هتلر الجحيم، فلا أقل من أن أقول في مجلس العموم كلمة طيبة عن الشيطان». وعندما بدأ الغزو الألماني للبلاد الروسية لم يتردد تشرشل في اعلان تضامنه المطلق مع الاتحاد السوفياتي:

سنساند كل من يكافح النازية. وسيكون كل من يسير مع هتلر عدواً لنا... هذا هو خط سيرنا. وهذا هو قرارنا. يتبع ذلك أننا سنقدم كل مساعدة ممكنة إلى روسيا والشعب الروسي. ونحن نستحلف كل أصدقائنا وحلفائنا في كل أنحاء العالم أن يسيروا على طريقنا كما سنفعل نحن بإخلاص وتصميم حتى النهاية.

الأرض المحروقة

وعندما بدأت الحرب أعلن ستالين لشعبه بعد أن تلقى وعوداً جازمة من قبل

الانكليز والأميركيين بتقديم المساعدات المطلوبة، بأنه لن يكافح هتلر وحيداً. ثم أمر باتباع خطة الأرض المحروقة في حالة التراجع بحيث لا يجد العدو ما يستعمله ضد الجيش الأحمر.

الهجوم الكبير

وفي ٢٢ حزيران صدر عن القيادة السوفياتية العليا بيان يقول: لقد اجتاز الألمان حدودنا في الساعة الرابعة من هذا الصباح. وأغارت طائرات اللفتواف على كثير من المدن. إنها الحرب.

وتساءل كبار القادة الروس ومن بينهم الماريشال أرمنكو: لماذا أخفت القيادة العامة عنا حقيقة الموقف. واعتقد هؤلاء القادة أن النازية قد غدرت بهم دون أن يكونوا مستعدين لمقاومتها. ولكن القيادة السوفياتية العليا لم تلبث حتى كشفت عن مخططها الواسع اعتماداً منها على دروس تاريخية سابقة فأصدرت أوامرها بمقاتلة العدو بينما أخذت تعد العدة للقيام بهجوم معاكس في الشتاء القادم.

والحقيقة أن انتصارات الألمان في الأشهر الأولى كانت انتصارات هائلة. في كل مكان من الجبهة سجلوا تقدماً بين ٣٠٠ و ٦٠٠ كلم في شهر واحد. أما في الوسط فقد تميز فون بوك بمنجزات مدهشة. لقد خاض جيشه معركتين كبيرتين خلال عمليات الإبادة عند مدينتي منسك وسمولنسك وقد أتاحت له هاتان المعركتان فرصة اعتقال عدد هائل من الأسرى. وقد اجتاز ثلثي المسافة إلى موسكو خلال ١٨ يوماً. ومع ذلك فإن فون بوك لم يستطع رغم مناورات الحصار التي قام بها أن يحطم جملة القوات



جنود ألمان يتقدمون وسط الأدغال



كان للحصان دور هام في حرب روسيا، وكان الجيش الأحمر يملك ٦٠٠ ألف حصان

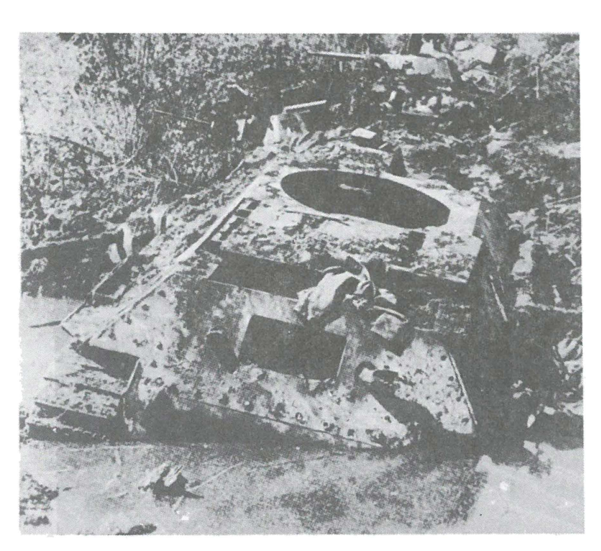
الروسية في هذا القطاع. لقد انسحب قسم كبير من الجيش الروسي إلى مواقع جديدة معدة من قبل فنجا من الكماشة الألمانية العملاقة.

وقد تحدث الجنرال غنتر بلومنترث، أحد القادة التابعين لقيادة فون بوك عن بعض المعارك التي جرت في البداية فقال:

كانت قوات المشاة تجد صعوبة بالغة للحاق بمسيرة القوات المدرعة. ان اجتياز أربعين كلم في كل يوم لم يكن شيئاً استثنائياً آنذاك. وذلك في طرق سيئة جداً. صورة واحدة كانت تطفو في تلك الفترة. انها صورة سحب الغبار الأصفر التي كانت تحدثها صفوف الجيش الروسي المتراجعة والتي كانت تشارك في إثارتها أيضاً قوات المشاة الألمانية التي تطارده. الحرارة كانت خانقة، رغم الأمطار المفاجئة التي تحول الطرق سريعاً إلى أرض موحلة. وعندما تعود الشمس إلى الظهور لا تلبث الوحول حتى تجف فتصبح الأرض شبيهة بالفخار المشوي.

انتهت المعركة الأولى بانتصار كامل. الشبكة كانت رائعة: ١٥٠ ألف أسير، ١٢٠٠ دبابة و ٦٠٠ مدفع تم الاستيلاء عليها أو حطمت. ملاحظتنا الأولى أن الجندي الروسي هو مقاتل عنيد صبور. لكن دباباته لم تكن جيدة. أما طائراته كما بدا لنا آنذاك فلم تكن موجودة.

سلوك الجيوش الروسية في الهزيمة يتناقض تماماً مع سلوك البولونيين والحلفاء الغربيين. لقد كان الروس يقاتلون بعنف ويتشبثون بمواقعهم حتى في حالة حصار. الغابات الواسعة والمستنقعات الكبيرة كانت تساعدهم. والحقيقة أنه لم يكن في الإمكان حملُ عدد كاف من الجنود على جعل حصار هائل كحصار بياليستوك ـ سلونم، حصاراً غير قابل لتسلل القوى المحاصَرة. قواتنا المدرعة كانت تقاتل في الطرق العامة أو في المناطق المتاخمة لها. أما في الساحات الشاسعة التي لا تجتازها أي طريق فقد كان سهلاً على الروس أن يتسللوا عبر شبكات الحصار.



إحدى الدبابات الروسية المحطمة

أفواج بكاملها كانت تنتقل خلال الليل عبر الغابات التي تمتد بعيداً إلى الشرق. كان الروس يحاولون دائماً التوجه إلى الشرق بحيث ان هذه الجبهة كانت تفرض علينا أن نخصص لحمايتها وإغلاقها خير فرقنا العسكرية. ورغم هذا كله فإن عمليات الحصار التي كنا نقوم بها لم تكن تكلل بالنجاح إلا في حالات نادرة.

وبما أن هتلر لم يكن راغباً في جعل القطاع الأوسط لجيوش الغزو ميداناً للضغط العسكري الأساسي رغم إجماع العسكريين على ضرورة توجيه الضربة الحاسمة إلى موسكو العاصمة ودماغ المقاومة السوفياتية، فقد نفذت خطة هتلر وأهملت رغبات العسكريين. كان يتعجل الاستيلاء على لينينغراد وكذلك حرمان السوفيات من بترول القوقاز.

ولتحقيق هذا الغرض أمر هتلر بفصل أجنحة من جيش فون بوك وإلحاقها بجيش فون ليب في الشمال للانقضاض على لينينغراد من ناحية كما أمر بفصل أجنحة أخرى من هذا الجيش وإلحاقها بقوات رانستد في الجنوب لمساعدته على إحكام الحصار حول مدينة كييف. من أجل ذلك توقفت مسيرة فون بوك خلال أخطر شهرين من شهور هذه الحرب.

أما رانستد فقد استطاع بمساعدة القوات المنفصلة عن جيش فون بوك أن يأسر حول كييف أكثر من ٦٠٠ ألف جندي روسي.



كان على الجيوش الألمانية أن تسير على مثل هذه الطرق الموحلة



والبرغش أيضاً يحارب الألمان في روسيا، وفي الصورة جنود ألمان يحجبون وجوههم من البرغش

وأما في الشمال فقد وصل جيش فون ليب إلى ضواحي لينينغراد في ٣٠ آب ١٩٤١ وهو مؤلف من ٣٠٠ ألف جندي. وبدأ أطول حصار عرف في العصور الحديثة. لقد كتب لهذا الحصار أن يستمر ٢٩ شهراً وأن يسبب وفاة ٩٠٠ ألف إنسان من سكان المدينة وعدتهم ثلاثة ملايين. وفي ٤ أيلول أمر هتلر بإبادة هذه المدينة من على وجه الأرض. كتب يقول: في هذه الحرب المصيرية لا نملك أي مبرر للحفاظ حتى على قسم من سكانها. وانتشرت المجاعة في المدينة: خط التموين الوحيد الذي كانت تستعمله لينينغراد هو الخط الذي يمر عبر بحيرة لادوغا. الإعاشة كانت تقل في كل يوم. وفي تشرين الثاني بلغت ١٢٥ غراماً من الخبز للموظفين و ٢٥٠ غراماً للعمال. أما الجنود في الميدان فقد كان عليهم أن يتابعوا المعركة بإعاشة يومية لا تتجاوز ٣٥٠ غراماً من الخبز. وبذلك زادت نسبة الوفيات بسبب قلة التغذية فبلغت في شهر كانون الأول ٥٢ ألفاً. وفي بعض الأيام بلغت الوفيات اليومية ٤ آلاف. وببداية فصل الشتاء زاد الموقف سوءاً. لقد حرمت المدينة من الكهرباء والوقود تحت برودة بلغت ٤٠ درجة تحت الصفر. ومع ذلك استمر شعب لينينغراد يقاوم ويقاوم حتى نهاية الحصار.

هكذا أصبحت الحياة جحيماً في المدينة الباسلة. القنابل الألمانية التي كانت

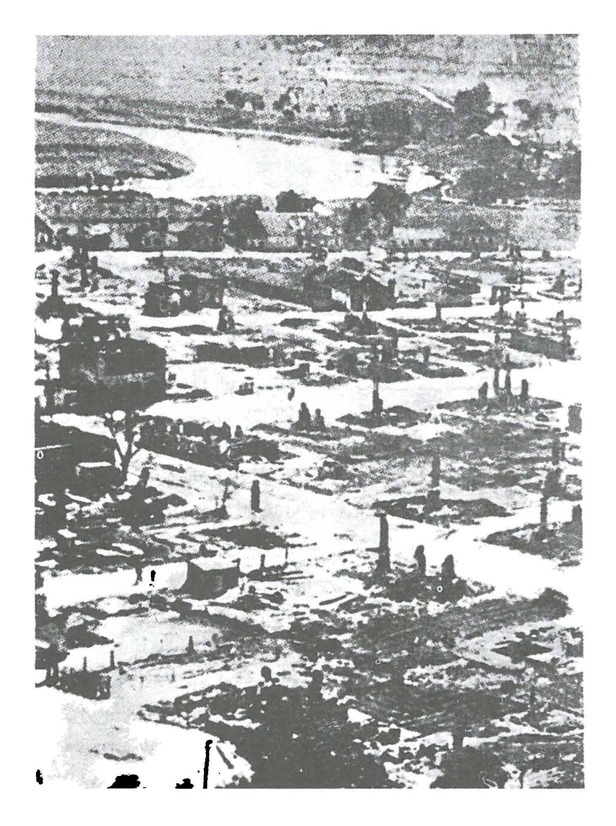


جنود روس مسلحون بالبنادق الرشاشة يتسلقون إحدى القمم في جبال القوقاز



رجال المدفعية الألمانية يشاهدون قباب لينينغراد

تتساقط لم تكن تستهدف مواقع عسكرية. لقد كانت تنفجر في الشوارع بينما صفوف طويلة من المدنيين تقف ساعات طويلة أمام المخابز للحصول على الإعاشة اليومية. أما الوقود فقد كان الناس يحصلون عليه بإحراق أثاث بيوتهم وكتبهم. ولكي يتجنبوا الموت جوعاً كانوا يذيبون غراء أثاثهم في البيوت ويشربونه. وتحسن الموقف قليلاً عندما تجمدت بحيرة لادوغا تجمداً سمح لسيارات التموين بالمرور فوقها. ورغم الغارات الجوية التي كانت تحاول تحطيم الجليد فوق البحيرة فإن قوافل التموين استطاعت أن تحمل إلى المدينة ما زنته ٤٥ ألف طن من المواد الغذائية. وابتداء من شهر شباط من عام ١٩٤٢ بدأت عمليات ترحيل المدنيين عبر البحيرة. وتم ترحيل مليون من النساء والأطفال والشيوخ خلال ثمانية أشهر.



لم يترك الألمان وراءهم سوى الخراب والدمار

عودة إلى معركة موسكو

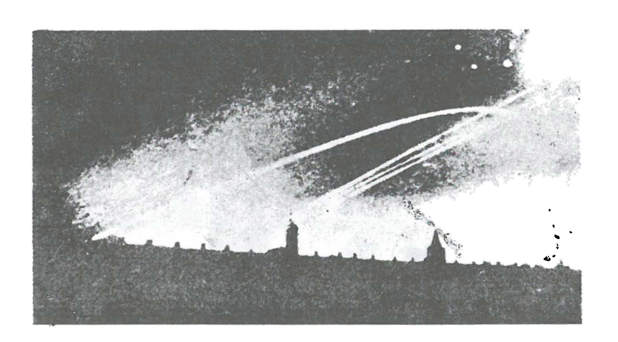
طبعاً كانت موسكو هي الهدف الرئيسي لجيش فون بوك في القطاع الأوسط. وقد صدر الأمر إلى قائد هذا الجيش بعد توقف استمر شهرين دون أن تتحقق خطة هتلر في الشمال والجنوب، بالانقضاض على العاصمة الروسية.

وبدأت المسيرة الكبيرة مرة أخرى. وإذا بالجيش الألماني يجد نفسه عند أبواب العاصمة في وسط تشرين الأول. فهاجمها عبر جبهات ثلاث مرة واحدة. وفي ١٧ تشرين أول جلت دوائر الحكومة والمصانع وفئات المدنيين الذين لم يطلبوا لخدمة العلم والدفاع عن موسكو، إلى مدينة كويبيشيف خلف قمم الأورال. وبقي ستالين وحيداً في الكرملين ليقود العمليات العسكرية.

والواقع أن هتلر قد وجه نداء إلى قواته المسلحة قبل أن يصدر أمره بالهجوم. جاء في بعض فقرات هذا النداء قوله: «أخيراً تحققت كل الشروط المطلوبة لتوجيه الضربة النهائية للعدو». صدر هذا النداء في ٢ تشرين الأول. وقد تم الهجوم على جبهة طولها ٣٥٠ كلم بقوات عدتها ٥١ فرقة. وكانت مهمة فرق المدرعات الألمانية التي يقودها هوث وغودريان الإحاطة بموسكو على صورة الكماشة. ولكن الجنرال الروسي جوكوف حطم هذه المحاولة. وبينما كان شعب موسكو يستعد لمعارك الشوارع حاول جوكوف تأخير التقدم الألماني بانتظار وصول النجدات من سيبيريا.



جوزيف ستالين زعيم الاتحاد السوفياتي

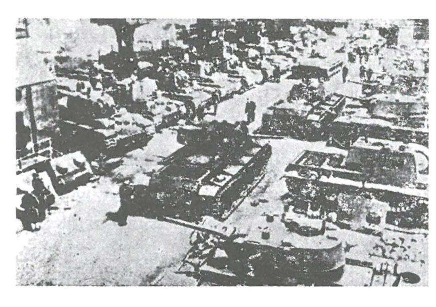


حائط الكرملين وقد أضيء بأنوار طلقات المدافع المضادة للطائرات
وقد التقط هذه الصورة أحد الطيارين الألمان

لقد استطاعت فرقة روسية أن تحتفظ بمواقعها في بوردينو حيث جرت معركة نابوليون عام ١٨١٢ أربعة أيام أمام هجمات فرقتين المانيتين من فرق الصاعقة. وحطمت لهما مئة دبابة وأصابت من رجالهما عشرة آلاف بين قتيل وجريح. وقد تم استعراض الجيش الأحمر في ٧ تشرين الثاني بمناسبة الاحتفال بذكرى الثورة البلشفية رغم المعركة الدائرة. أما الدبابات التي مرت بالاستعراض فإنها لم تتوقف بعده بل تابعت طريقها إلى الميدان.

هكذا بقيت مدينة موسكو في حالة حصار مستمر. أما أكثر الوزارات والسفارات ثم مسرح بولشوي فقد نقلت إلى كويبيشيف كما ذكرنا منذ قليل وهي على بعد ١٠٠٠ كلم من العاصمة موسكو. وبقي ستالين في الكرملين حيث كان يسمع من وراء مكتبه أصوات المدافع الألمانية. ولكي ندرك المهمة التي قام بها ستالين لترحيل المصانع من موسكو وضواحيها يجب أن نعلم بأنه تم نقل ١٥٢٣ مصنعاً إلى الشرق بين شهري تموز وتشرين الثاني بواسطة مليون ونصف مليون من الشاحنات الحديدية. وبفضل هذا العمل العظيم سيكون في وسع الاتحاد السوفياتي أن ينتج في الأورال وسيبيريا أسلحة النصر عام ١٩٤٢. لقد صنع هناك ٢٢٠٠٠ طائرة و ٢٥٠٠٠ دبابة. كما أن الذين انقذوا موسكو هم الذين أتوا من سيبيريا أيضاً في وحدات فتية قوية انتظر ستالين وصولها في تشرين الثاني ليبدأ هجومه المعاكس بعد ذلك.

المصانع الروسية التي باتت خراباً



المصانع الروسية وقد أخذت تنتج ٢٠٠٠ دبابة في الشهر



مصانع الطائرات التي نقلت
إلى الأورال
انتجت ٢٢ ألف طائرة عام ١٩٤٢

السيبيريون يصلون مع برد الشتاء

وفي ١٠ تشرين الثاني وصلت قطارات طويلة جداً محملة بجنود يلبسون ثياباً بيضاء أشبه بالعباءة. وقد وصل هؤلاء الجنود بعشرات الألوف ومئاتها إلى موسكو. وقد كانوا يغادرون قطاراتهم في ريازان وكولومنا مهاجرين من مساقط رؤوسهم، كازاكستان، شواطىء نهر الآمور، والتايغا. ثم ينطلقون إلى المعركة في فرق كاملة بعد وصولهم مباشرة. هؤلاء السيبيريون يملكون من الجلد أمام أشد أنواع الصقيع ما جعل ستالين يحتفظ بهم على امتداد الجبهة الصينية والمنشورية حتى ساعة الخطر. وقد جاءت ساعة الخطر حول ضواحي موسكو. والواقع أن قائد الجيوش الروسية استطاع أن ينقل قواته من الجبهات الآسيوية لمساعدة العاصمة وأن ينظم هجوماً معاكساً واسعاً بهؤلاء الجنود الشرقيين بفضل التقارير التي كان يرسلها إليه سورج الجاسوس السوفياتي المعروف.

لقد أحاطه سورج علماً بأن اليابان المنهمكة بمشاغلها في الباسفيك لن تهاجم الاتحاد السوفياتي من الخلف. إن هذه المساعدة الرئيسية التي قدمها جاسوس لعمليات الدفاع عن موسكو بقيت مجهولة من الروس حتى عام ١٩٦٣. وفي عام ١٩٦٤ اعتبر سورج «بطل الاتحاد السوفياتي» وتم هذا الاعلان بعد وفاته لأن هذه الوفاة قد جرت عام ١٩٤٤ في أحد السجون اليابانية. وتتابع السيبيريون فرقة وراء فرقة وفيلقاً وراء فيلق وكان الجميع يرددون عبارة ستالين التي أطلقها حين طلب إلى جنوده أن يتشبثوا بمواقعهم حتى الموت. لقد جاء في هذه العبارة قوله (إن روسيا بلاد كبيرة. ولكن موسكو وراءنا فليس لنا مكان نتراجع إليه). وكان بعض هؤلاء الجنود يقتل واقفاً، متجمداً من الصقيع فيبدو وكأنه يتابع كفاحه وسلاحه بيده. إن هذا الجندي الذي يموت على هذه الصورة كان رمز المقاومة في الجيش الأحمر. أما البطولة التي ظهرت في القتال فكانت غير ذات حدود. إن فوجين من الخيالة القوزاقيين حملا على



تالاليخين بطل روسي قذف بطائرته نحو طائرة عدوة

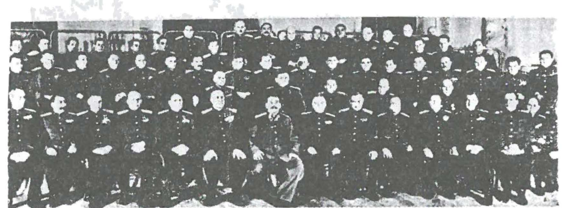
موقع من مواقع المدفعية واستطاعا القضاء عليه ولكنه لم يبق من جنود الفوجين وعدتهم ٢٠٠٠ غير ثلاثين فقط. حدث ذلك وجنود الفوجين يتذكرون أمام منطقة موسينو عبارة الجنرال القوزاقي دوفاتور (الحياة قصيرة ولكن المجد سيكون طويلاً). وفي تميبلوي هاجم فوج آخر أحد المرتفعات ست مرات متوالية ثم لم يبق من جنوده غير ٢٠ فقط. يضاف إلى هؤلاء أن رجال الرقيب دوبروبادين قد استطاعوا أن يحطموا ١٨ دبابة وثبتوا في مواقفهم حتى سحقتهم جميعاً سلاسل دبابة عدوة بقيت سليمة.

هذا فيما يتعلق بالجانب الروسي. أما فيما يتعلق بالألمان فإن هتلر قد وجه أوامره إلى ضباطه وجنوده منذ بداية الهجوم الروسي المعاكس قائلاً لهم: «احفروا الخنادق واوقفوا الروس». ولكن الأرض المتجمدة هناك على ارتفاع متر ونصف قد تحولت قوتها إلى قوة الفولاذ. ولكن هتلر رفض الاعتراف بهذا الواقع. لقد أصر على تنفيذ أوامره رغم الجنرال غودريان الذي يريد أن يتراجع بجنوده. كان يجري هذا حول موسكو في الوقت الذي كانت فيه الجبهة الألمانية في الجنوب تتساقط وتتفتت. وكان جنود الجيش الألماني يتراجعون أمام ضربات الأنصار والقوزاق. بينما كان السيبيريون الذين يقودهم روكوسوفسكي في الشمال يحتلون مدينة كالينين بيتاً وراء بيت. في عشرة أيام فقط خسر الجيش الألماني ١٥٠٠ دبابة و ١٥٠٠ مدفع و ١٢٠٠٠ سيارة. أما بالنسبة للأرض المتجمدة بسبب الصقيع فإن الألمان قد فشلوا حتى في حفر قبور يدفنون فيها ٧٠٠٠٠ من رفاقهم.

هكذا اكتشف الألمان الصقيع الروسي الرهيب. بينما هتلر لم يسبق له أن فكر جدياً في هذا الفصل لأن خيالته هناك كانوا يلبسون في جو برودته ٣٢ درجة ثيابهم التي يلبسونها وهم في رينانيا من البلاد الألمانية. على أن الشتاء رغم ذلك لم يلعب غير دور ثانوي في عملية التراجع أمام موسكو. وكان دور الشتاء كبيراً في إحداث آلام شديدة عند الجنود الألمان خلال تراجعهم الأول على امتداد ١٠٠ كلم. إن حرب روسيا التي كانت تبدو للألمان سهلة يسيرة قد أصبحت فجأة أشبه بالكابوس، فبينما



جنود روس في المعركة



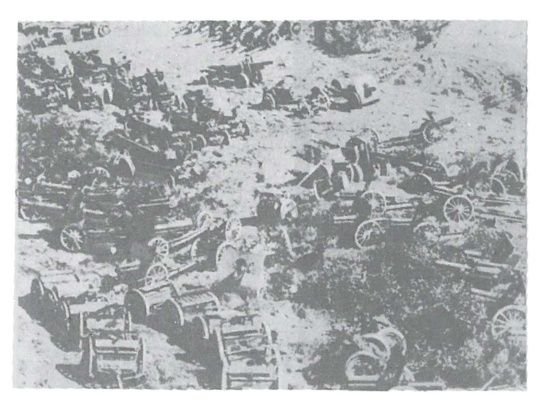
مارشالات الاتحاد السوفياتي يتوسطهم ستالين

خسر الألمان ١٥٦٠٠٠ رجل خلال انتصاراتهم في الغرب والتي استمرت ٢١ شهراً إذا بهم يخسرون أكثر من مليون رجل خلال سبعة أشهر في معركتهم ضد الاتحاد السوفياتي. ونروي فيما يلي ما كتبه الصحفي الأميركي هنري كسيدي عن موسكو في ذلك الوقت:

لقد صودر شعب موسكو ليلعب دوراً هاماً في مأساة مدينته، مأساة يمكن أن نضع لها العنوان التالي (قضية حياة أو موت)... ألوف من النساء جندتها نقابات الأبنية توجهن إلى غربي موسكو في القطارات أو سيارات النقل أو السيارات الشاحنة في البرد والوحل والثلج الذائب وهن يلبسن ثيابهن المدنية. ورحن هناك يحفرن الخنادق الهائلة وحفراً لمقاومة الدبابات. وقد امتدت المواقع المحصنة حتى المدينة نفسها حيث رفعت المتاريس من الحديد أو من أكياس الرمل أو أكوام من الحجارة. إن



الشعب الروسي يحفر الخنادق ويقيم المتاريس حول موسكو



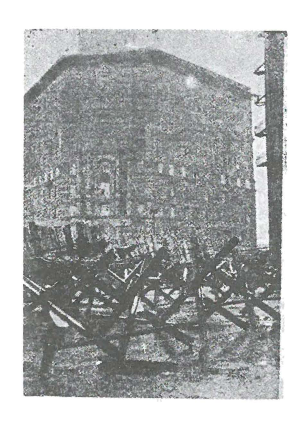
عتاد روسي محطم

قصر السوفيات وهو هيكل عار من الجسور الفولاذية والذي كان ينتظر أن يصبح أعلى بناء في العالم بدأ يتمزق ويتحول إلى أدوات للأعمال الدفاعية. أما المترو في موسكو وهو أحدث مترو في العالم فقد خصص فقط لحركات الجيوش ونقل المؤن.

وفي كل الورشات الصغيرة التي لم ترحل إلى الشرق خصص العمل كله لتحقيق طلبات الحرب، فهذه ورشة مثلاً كانت تنتج أوعية وآنية للمطبخ قد أصبحت تصنع قنابل يدوية. وهذه ورشة أخرى كانت تصنع آلات التسجيل أو أجهزة المحاسبة قد أخذت تصنع البنادق الأوتوماتيكية.

وعندما بدأت عمليات الترحيل بالجملة في ١٥ تشرين الأول شاعت الفوضى خلال ثلاثة أيام فقط. كان الناس يتزاحمون في المحطات بحثاً عن وسائل النقل وعندما كانوا لا يجدون ما ينتقلون به يغادرون المدينة نحو الشرق مشياً على أقدامهم. صفوف طويلة كانت تمتد أمام المخازن التي كان توزع اعاشات الخبز واللحوم المجففة والجبنة للمرحلين. وفجأة ارتفعت الأسعار في السوق الزوجية: كان هناك أشخاص يتـزوجون لكي يستطيع أحدهما الرحلة مع رفيقه حين يكون موظفاً في مكتب أو عاملاً في مصنع تقرر نقلهما إلى الشرق البعيد.

والواقع أن الألمان قد استطاعوا التقدم حتى مسافة تبعد ٣٠ كلم عن موسكو. وفي ٢ كانون الأول دخلت وحدات متقدمة من الخيالة إلى ضواحي العاصمة استطاع



حواجز الدبابات في الساحة الحمراء بموسكو

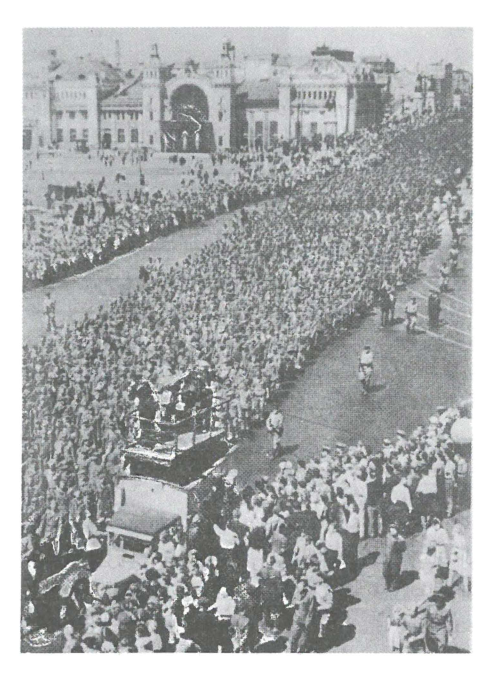
فيها أفرادها أن يشاهدوا لهيب الكرملين ولكنهم لم يبقوا في هذه الضواحي غير بضع ساعات. ومهما يكن الأمر فإن الألمان قد فقدوا الجولة اليائسة ضد الشتاء. وفيما يلي وصف تقريبي لموقف الألمان آنذاك كتبه الجنرال بلومنتريت:

بينما كانت موسكو بادية أمام الأنظار تقريباً، حدثت ظاهرة غريبة: لقد تغير مزاج الضباط والجنود من النقيض إلى النقيض. لقد كنا نفكر بأن الروس المغلوبين على أمرهم سيدركون أنهم لم يعودوا موجودين كقوة عسكرية. ولكننا في نهاية تشرين الأول وبداية تشرين الثاني اكتشفنا أن الأمر لم يكن كذلك أبداً... أعشاش محصنة، شبكة من الأسلاك الشائكة وحقول واسعة من الألغام كانت موزعة بكثرة هائلة في الغابات القائمة عند الأطراف الغربية للعاصمة.

وهنا بدأ الرجال يسخرون بعنف ويتهجمون فيما بينهم على المسؤولين العسكريين الموجودين بعيداً عن الخطر في ألمانيا. وكانوا يقولون أيضاً: لقد جاء الوقت الذي يجب أن يأتي فيه القادة السياسيون إلى هنا ليعرفوا ماذا يحدث في الجبهة. كان جنودنا مرهقين وكانت وحداتنا مفتقرة إلى الكثير من الرجال. وقد ظهرت هذه الحالة بصورة خاصة في قوات المشاة التي لم تعد تحتوي السرية الواحدة من سراياهم أكثر من ستين أو سبعين رجلاً، أما الخيول فقد واجهت هي أيضاً ألواناً من المتاعب. وكذلك فرق المدفعية التي كانت تواجه صعوبات فائقة لنقل مدافعها. عدد الدبابات المخصصة للعمليات الحربية في الفرق المدرعة هبط إلى ما دون المستوى

العادي. ومنذ اليوم الذي اعتبر فيه هتلر أن المعركة تقارب النهاية أو هي انتهت فعلاً أصدر أوامره إلى الصناعة الوطنية لتخفيض إنتاج الذخائر. ومنذ ذلك اليوم أصبحت قطع الغيار شديدة الندرة فلا تصل إلى الوحدات المقاتلة إلا بصعوبات شديدة. إن البرد الشديد الهائل قد بدأ يغزو كل مكان في الوقت الذي لم نكن نرى فيه أي أثر للتجهيزات المعدة لفصل الشتاء.

وليس في هذا شيء من الغرابة.. ان هتلر الذي كان يقدر بأن حربه الصاعقة لن تستمر أكثر من خمسة أشهر لم يستعد بالنسبة لثياب الشتاء استعداداً يغطي حاجات



أسرى ألمان في شوارع موسكو

هذا الجيش الكبير. لقد كانت المستودعات العسكرية قادرة على تزويد خمس القوات العسكرية فقط... وفيما يلي بعض ما كتبه الطبيب العسكري هانرش هاب وهو شديد التأثر من حالة الجنود، قال:

في ١٣ تشرين الثاني كنا نرتجف صباحاً من البرد بعد خروجنا من الفراش. كانت ريح ثلجية آتية من الشمال الشرقي تعصف في موجات متتابعة فوق المنطقة الثلجية. السماء كانت ذات زرقة قاتمة لا أثر فيها للغيوم. أما الشمس فكانت تبدو وكأنها فقدت كامل قوتها إذ أن ميزان الحرارة الذي كان يرتفع في الأيام السابقة حتى يأتي وقت الظهيرة قد استمر يومذاك ينزل وينزل حتى إذا غابت الشمس كان يسجل ١٢ درجة تحت الصفر.

أما الجنود الذين لم يكونوا يأخذون الصقيع مأخذ الجد في البداية بسبب خفته كانوا قد بدأوا في ذلك اليوم يكتشفون قسوته وشدته. حتى ان أحد الرجال قد حاول القيام بنزهة قصيرة دون غطاء لرأسه لم يلبث بعد قليل حتى دخل المستشفى. كانت أذناه بيضاوين قد جمدت فيهما الحياة تقريباً. وكان هذا الحادث هو أول حادث من نوعه في منطقتنا.

هذه البداية البسيطة كانت إنذاراً لما سيحدث من بعد. إن رياح سيبيريا الثلجية ـ أنفاس الموت ـ كانت تكنس السهول الشاسعة، هذه الرياح كانت تأتينا من القطب الشمالي حيث يقضي البرد على كل حياة فيه. وكان من المنتظر أن تنزل بنا مأساة رهيبة لو لم نك في نجوة من البرد في أبنية كبيرة وثكنات عسكرية ضخمة. ورحت أفكر في الجيوش التي كانت في ذلك الوقت تسير نحو موسكو عبر سهل منفتح على كل الرياح. هذه الطلقات القطبية العاصفة التي كانت تفاجئنا في ملاجئنا قد اجتاحت الجيوش العاملة في الميدان. ففي يومين أو ثلاثة أيام فقد ١٠٠٠ رجل بسبب حالات التجمد هذه، و ١٠٠٠٠٠ رجل من خيرة جنودنا ومن أصحاب التجارب العسكرية سحقهم البرد عن آخرهم.

وأرسلت التقارير يتلو بعضها بعضاً إلى قيادة الجيش العامة لإيقاف الهجوم الذي يجري بثياب صيفية وللمطالبة بإقامة مساكن شتوية. بعض هذه التقارير نقل من قيادة الجيش الأوسط إلى القيادة العامة عند الفوهرر. ولم نتلق أي جواب أو ما يشير إلى وصول هذه التقارير. لقد استمر الأمر اليومي: هاجموا. واستمر جنودنا يهاجمون.

ولكن الهجوم الألماني لم يلبث أن واجه الألوف من العقبات أمامه. وأخذت



الجنرال الروسي جوكوف

جبهاته تتراخى الواحدة وراء الأخرى وراح الجنود المهاجمون يتعثرون تحت وطأة البرد الشديد وأسلحة الجيش الروسي، ولم تلبث الأوضاع حتى تغيرت رأساً على عقب فإذا بالمبادرة تنتقل من الألمان إلى الروس، وإذا بالجنرال جوكوف قائد الجيش الروسي في الجبهة الوسطى ينطلق في هجوم معاكس ضد فون بوك ابتداء من صباح ٥ كانون الأول بقوات فتية آتية من الشرق الأقصى وبدبابات عملاقة (ت ٣٤). ودفع الألمان إلى الوراء مسافة ١٥٠ كلم ونجت العاصمة السوفياتية.

وبينما كان الألمان يتراجعون على امتداد الجبهة كان هتلر يعزل القائد تلو القائد وهو في حالة غضب شديد ثم قرر أخيراً أن يقود الحرب هو شخصياً بصورة مباشرة.

لقد كان على الجيوش الألمانية أن تقاتل في الوقت نفسه كلًا من الجنرال جوكوف (والجنرال شتاء) وفيما يلي وصف دقيق للتراجع الألماني أمام موسكو:

في هذا البرد الفائق كانت الأنفاس تتجمد من الصباح إلى المساء، وكانت قطعٍ من الثلج تتكون تحت المنخرين وفوق أهداب العينين بل ان مجرد التفكير كان عملاً متعباً. الجنود الألمان لم يعودوا يكافحون من أجل مثل أعلى أو من أجل فلسفة معينة بل ولا من أجل وطن. كانوا يقاتلون هكذا تحت ضغط العادة دون أن يوجهوا أسئلة

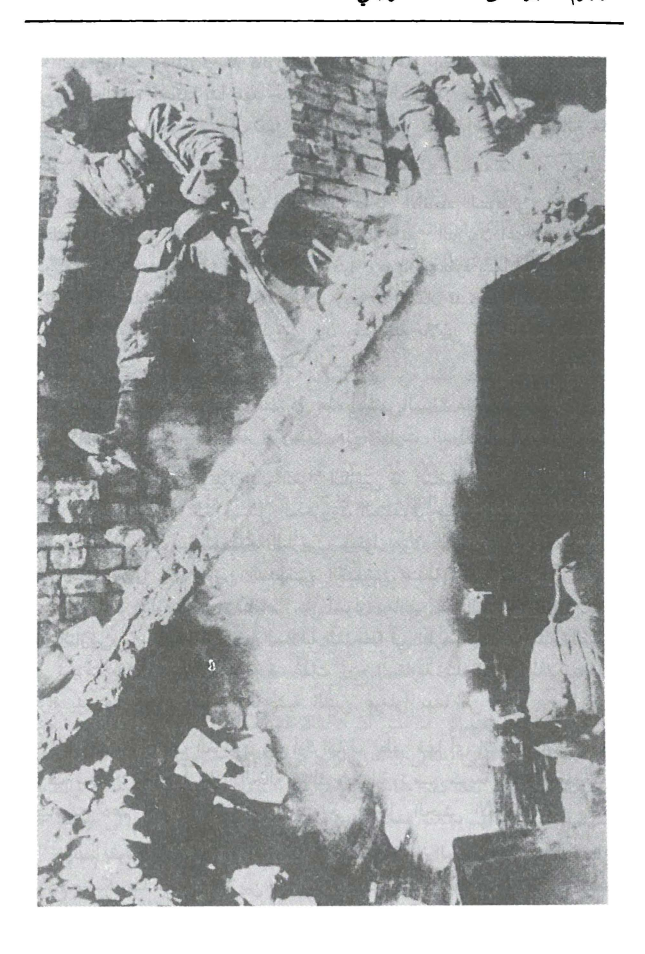


دبابة روسية تستعد للهجوم

لأنفسهم ودون رغبة في معرفة ما كان يوجه أمامهم. كانوا يمشون بحكم العادة وخضوعاً للنظام ودون شك أيضاً بدافع من غريزة الدفاع عن الذات. وعندما يشيع الخدر في عقل الجندي وعندما تنفصل عنه قواه وإرادته وروح النظام عنده لا يلبث حتى يقع متدحرجاً في الثلج. ولو حاولنا أن نلاحظ ما كان يجري في مثل هذه الحالة لرأينا أن ضربة بالقدم أو صفعة باليد كانت كافية لكي يستعيد الجندي وعيه في شيء من الغموض فيدرك أن عمله في الأرض لم ينته بعد فينهض على قدميه في تعثر ظاهر ويتابع سيره ملتمساً طريقه كالأعمى. أما إذا ترك هناك فالرياح الباردة تتولى أمره ثم ينتهي كل شيء.

كل هذا بالنسبة لمعركة موسكو. ولكن ما كان يجري في الجنوب لم يكن أقل شأناً مما كان يجري في الشمال والوسط.

ففي الجنوب كان فون رانستد يطير من نصر إلى نصر. وعندما جاء تشرين الثاني كان قد تم غزوه لمنطقة أوكرانيا ولكل بلاد القرم باستثناء سيباستوبول التي كانت محاصرة، وكان قد انطلق عبر حوض الدونيتز. وبعد أن استولى على روستوف عند نهر الدون كان قد وصل إلى أبواب القوقاز. وكما أن فون بوك في الوسط وفون ليب في الشمال قد طالبا بإقامة ملاجىء شتوية للجنود فإن رانستد نفسه قد فعل مثلهما بعد أن بدأ الثلج بالسقوط. وكما أن هتلر رفض في البداية الاستماع إلى طلبات القائدين الأولين فقد فعل ذلك رانستد. وراح يتخبط في تصرفاته حتى اعترف أخيراً بالهزيمة



الروس يهاجمون منزلاً في ستالينغراد

أمام البرد القارس ووافق في ٨ كانون الثاني ١٩٤٢ على إيقاف العمليات العسكرية حتى نهاية الشتاء. هكذا بدأ عهد جديد في تاريخ المعركة.. ولكي ننتقل إلى هذا العهد يجدر بنا قبل كل شيء أن نعين بعض الأرقام التي تسلط أضواء على نتائج هذه الحرب في مرحلتها الأولى.

تقدمت جيوش هتلر خلال ستة أشهر داخل الاتحاد السوفياتي ٩٠٠ كلم واحتلت من الأرض ما مساحته مليون ونصف كلم مربع. النازيون اعترفوا بأنهم قد فقدوا في هذه المعركة ٧٤٠٠٠٠ رجل بين قتيل وجريح ومفقود بينما اعترف الروس بثلاثة أضعاف هذا العدد تقريباً أي مليونين. وبما أن الألمان قد زعموا أنه قد وقع في أسرهم ثلاثة ملايين من الجنود الروس فإن رقم ستة ملايين كخسارة إجمالية في الجانب الروسي يبدو معقولاً في نظر الخبراء.

ولكن هل تحققت أهداف هتلر في هذه الأشهر الستة؟ هل قضي على الجيش الأحمر؟ هل تحطمت الصناعة الروسية؟ هل انهارت الدولة السوفياتية؟

يؤكد المراقبون الغربيون بأن الغزاة النازيين قد استقبلوا في البداية من قبل روسيا البيضاء وأوكرانيا كما يستقبل المحررون المنقذون حيث جرت حوادث هرب كثيرة من الجيش الروسي لمصلحة النازيين. ويقول هؤلاء الخبراء: لكن النازيين لم يلبثوا حتى فقدوا ولاء هاتين المنطقتين الكبيرتين عندما راحوا يقتلون ويعذبون ويجيعون مئات الألوف من الأشخاص بين أسرى وهاربين من الجندية ومدنيين. ان خطة النازيين في استبعاد العناصر السلافية المنحطة في نظرهم وان الوحشية والقسوة التي تميزت بهما قواتهم المسلحة قد غذت روح المقاومة عند الروس الذين عاملوا الغزاة بدورهم بمثل القسوة والوحشية اللتين عوملوا بهما من قبل.

ويؤكد المؤرخون الغربيون بأن أوكرانيا لم يظهر فيها أي انهيار سياسي. فقد أشرف ستالين شخصياً على الحالة هناك وبعملية ترميم سريعة لدور المفوضين السياسيين دعم الحزب الشيوعي سلطته في داخل الجيش الأحمر.

إنهم يقولون أيضاً بأن آلافاً من بطاقات العضوية في الحزب والتي كانت تغطي شوارع موسكو عند اقتراب النازيين منها يمكن أن تفسر على انها علامة تغير في موقف الشعب نحو العهد القائم أو أنه علامة على خوف متزايد من الغزاة.

هذا ما يؤكده بعض الصحفيين الغربيين ومؤرخيهم. وطبيعي أن في هذه الأقوال بعضاً من المبالغة لا سيما وأنها كتبت بعد بداية الصراع بين المعسكرين الرأسمالي

الغربي والشيوعي الشرقي. ولكن المبالغة في مزاعم الغربيين لا تمنعنا من تقرير بعض الحقائق التالية.

أولاً: لا شك أن الإجماع في أي حكم في العالم وفي بلد مؤلف من عشرات الشعوب ويتكلم سكانه عشرات اللغات غير مضمون. وبما أن عهد الناس بالثورة الحمراء وبحمامات الدم التي عرفتها هذه الثورة في البداية للتخلص من أنصار العهد القيصري ومن الأحزاب المناوئة ومن العناصر المتمردة على قيادة الحزب، لم يكن بعيداً في ذلك الوقت، فليس غريباً أن تبادر فئات الروس البيض وسكان أوكرانيا إلى اعتبار الغزاة النازيين محررين ومنقذين على أمل أن يتخلصوا من وصاية الحزب عليهم.

ثانياً: ولا شك أيضاً في أن ما تسامع به الناس في الاتحاد السوفياتي من قسوة الألمان ووحشيتهم وخطتهم في إبادة الروس قد يدخل الخوف إلى قلوب الكثيرين منهم فيحاولون التخلص من بطاقات عضو الحزب على أمل أن يتجنبوا الوقوع في قبضة النازيين. أما أن يقال بأن شوارع موسكو قد غطيت بالبطاقات التي ألقى بها أعضاء الحزب ففي هذا القول شيء كثير من الاصطناع ومظاهر الإخراج المسرحي.

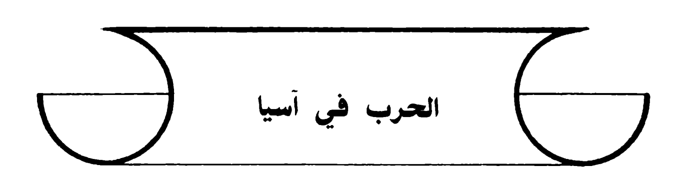
ثالثاً: وكما أن قسوة الألمان قد أحدثت حالة شديدة من الرعب والخوف فإنها قد غذت من ناحية أخرى روح المقاومة والرغبة في الفداء والاعتزاز بالكرامة. ان غزواً كالغزو الألماني، بمثل جبروته وعنفه وقسوته وقدرته التخريبية كان جديراً به أن يسحق روسيا دولة وجيشاً وحزباً وشعباً لو لم يكن للعزة القومية والكرامة دورهما الكبير في مواجهة الجيوش الغازية والقضاء على أطماعها التوسعية.

رابعاً: يضاف إلى ما سبق أن الألمان قد أعماهم غرورهم وحطمتهم تبعيتهم للفوهرر ففقدوا الوعي والتأني وحسن الرأي في مواجهة مسؤوليات حرب على مستوى الحرب الروسية. لقد كانوا عاجزين حقاً عن استغلال كثير من الأوضاع والظروف النفسية الملائمة لهم بسبب عنجهيتهم وغرورهم. لقد كانت خطتهم في روسيا حرباً عليهم لأنهم دفعوا السوفيات جميعاً على اختلاف مشاربهم ولغاتهم وألوانهم إلى مقاومتهم حتى الموت.

خامساً: ينتج من هذا كله أن الروس الذين التحقوا بالغزاة النازيين قد كانوا في الحقيقة قلة من الخونة المنحرفين إذ أنهم اختاروا البقاء مع الغزاة رغم الجرائم التي كان يرتكبها هؤلاء ضد إخوانهم من المواطنين، يقابل ذلك أن المدنيين والجنود

الروس قد نظموا عصابات أنصار وراء الجبهة الألمانية وراحوا يضحون بكل شيء دفاعاً عن وطنهم. هؤلاء الأنصار الذين كان يتزايد عددهم باستمرار كان يقف أمامهم، إلى جانب الألمان جيش جمع جنوده من بين أسرى الحرب وقاتل إلى جانب الألمان بقيادة الجنرال فلاسوف.

والواقع أن ستالين قد أحسن الاستفادة من هذا الموقف وأطلق دعاية منظمة أحيت وطنية الروس وغذت حبهم لبلادهم، وبذلك لم تعد الحرب معركة كبيرة من أجل الدفاع عن الشيوعية ولكنها أيضاً معركة من أجل الدفاع عن الوطن الأم.



الحرب في آسيا

عندما انفجرت الحرب في أوروبا وجدت اليابان نفسها أمام أحد أمرين لا ثالث لهما.

هل ستكرر في هذه الحرب ما فعلته في الحرب العالمية الأولى فتحاول الاستفادة من هذه المنازعات مدعمة قوتها الاقتصادية، فتحقق لها أغراضها دون أن تدفع ثمن أهدافها ذهباً من خزانة الدولة العامة أو دماً من أجسام المواطنين؟ أو أنها ستبادر إلى احتلال المناطق التي كانت ترغب في احتلالها في تلك الأيام؟

المصلحة الاقتصادية في نظر الزعماء اليابانيين آنذاك كانت تفرض على اليابان أن تمتنع عن كل حرب وأن توقف حتى النزاع مع الصين، ولكن العسكريين اليابانيين الذين كانت تستخفهم قوة جيشهم المسلح كانوا يرفضون الاستماع إلى هذا الرأي. إن التنازل عن المنجزات التي حققتها غزوات عشر سنوات هو من جهتهم اعتراف صريح بأن برنامج تطوير البلاد لجهة تحقيق الرفاهية للمواطنين ـ وهو برنامج ربط بغزو الصين ـ إن هذا التنازل هو اعتراف صريح بإفلاس البرنامج المذكور.

والسلام في نظر هؤلاء العسكريين سلام مذل وهو يعني من ناحية أخرى ضياع سلطانهم الكامل على الحكومة اليابانية.

وبينما كان الإنكليز والفرنسيون مشغولين بالخطر النازي بخاصة، انتهز اليابانيون الفرصة لاحتلال هاينان في ١٠ شباط ١٩٣٩ وجزائر سبارتلي في ٣ آذار، وهما مركزان استراتيجيان هامان على الطريق البحرية هونغ كونغ ـ سنغافورة، وكانت فرنسا تطالب بهما وتطمع إلى احتلالهما آنذاك.

ولم يكتف اليابانيون بما حصلوا عليه فقد ضاعفوا ضغطهم خلال شهر حزيران من العام نفسه على الامتيازات الدولية في كل من شانغهاي، تيانتس، وكولانغسو، ثم راحوا يطاردون السفن البريطانية عن سابق إصرار وتصميم وفي ضوء مخطط محكم قاصد. لقد كانوا ينوون القضاء على كل المصالح الأجنبية في بلاد الصين الشاسعة،

كما يستهدفون حرمان تشان كاي شِك من كل مساندة خارجية.

ولما كانت بريطانيا آنذاك منهمكة بالخطر الألماني ومشدودة بكل إمكاناتها إلى المستقبل الذي يخبئه هتلر لها ولامبراطوريتها الواسعة، ولما كانت حكومتها حكومة تعتمد أنصاف الحلول وتؤثر خطة التراجع بسبب الفراغ الذي كانت تشكو البلاد منه في كل ميدان من ميادين الحياة العامة لجهة التعبئة العسكرية، ولما كان تشمبرلن هو الرجل الذي تبنى خطة التراجع بانتظار الانتفاضة المرتقبة ابتداء من اتفاقية ميونخ المشهورة فقد بدا مستعداً يومذاك للقبول بوضع ياباني خاص في الصين.

أما الولايات المتحدة فقد كانت أكثر ادراكاً لأغراض الحكومة اليابانية وأكثر يقظة على مقاصدها البعيدة في الصين ولذلك فإنها لم تتبع تشمبرلن في هذا الميدان؛ وانتظرت الفرصة المناسبة للقيام بعمل رادع في حدود الظروف القائمة. وفي ٦ تموز أعلن وزير الخارجية كوردل هَلْ إلغاء الاتفاق التجاري الذي عقد عام ١٩١١ مع إعلان مسبق لستة أشهر قبل نهاية العمل به في ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٠، رداً على عمليات التخويف التي قام بها اليابانيون وعلى تدخلهم في المصالح الأميركية في الصين. يضاف إلى ذلك أن الرئيس روزفلت أصدر مرسوماً بالتوقف عن تصدير الحديد والفولاذ إلى البلاد اليابانية، ومنح تشان كاي شك مبلغاً إضافياً قدره ٢٥ مليون دولار ونصح المواطنين الأميركيين المقيمين في الشرق الأقصى بالقفول إلى بلادهم حفاظاً على سلامتهم.

وأتت بعد ذلك الحرب الصاعقة التي أعلنها هتلر ضد كل من بولونيا والنرويج وبلجيكا والبلاد المنخفضة وفرنسا ففتحت أمام اليابان آفاقاً جديدة للاستفادة. ووجد الحلفاء، الذين عصفت بهم القوات الألمانية، أنفسهم مرغمين على منح اليابان امتيازات جديدة خوفاً من انضمامها إلى النازيين.

وفي ٢٤ حزيران أرغم اليابانيون الحكومة الإنكليزية على إغلاق طريق بورما لمدة ثلاثة أشهر، كما فعلوا مثل ذلك مع الحكومة الفرنسية بالنسبة للحدود الهندوصينية. وفي أيلول، وأمام ضغط ألماني ياباني مزدوج اضطرت حكومة فيشي للتنازل عن قواعدها العسكرية في الهند الصينية. ومن ثم زاد تسلل اليابانيين إلى سيام وطالبوا بامتيازات اقتصادية في جزر الهند النيرلندية.

وعندما سجل النازيون انتصاراتهم السريعة المدهشة لم يجد اليابانيون بداً من توقيع المعاهدة الثلاثية في ٢٧ أيلول. فتحولت اتفاقية عام ١٩٣٦ لجهة مقاومة

الكومنترن إلى محالفة عسكرية مع المحور. يضاف إلى ذلك أن انتصارات النازيين قد شجعت العسكريين اليابانيين على متابعة الطريق التي اختطوها لأنفسهم وبالتالي على زيادة ضغطهم وتوسيع سلطانهم على الحكومة اليابانية المدنية. وفي الصيف ألغى هؤلاء العسكريون كل الأحزاب السياسية وخلقوا حزباً دكتاتورياً وحيداً، هو عبارة عن جمعية لمساندة السلطات الأمبريالية.

وعندما وقعت الاتفاقية الجرمانية ـ الروسية في آب عام ١٩٣٩ كان ذلك بمثابة الحجر في حديقة العسكريين اليابانيين المعادين للشيوعية. وكان من نتائج هذه الاتفاقية أن هتلر قد نصح أصدقاءه اليابانيين بعدم التعرض لحلفائه السوفيات بعد أن غير خطة الهجوم نحو الشرق وأبدلها بخطة الحملة على الغرب. ولما لم يستطع النازيون بعد سلسلة من الانتصارات في أوروبا الغربية أن يخضعوا الجزر البريطانية ويرغموا حكومتها على الاستسلام شعرت اليابان بضرورة الاعتدال في أطماحها والتعقل الحذر في تسجيل خطوات جديدة والإعلان عن مطالبها التوسعية.

ومرت الأيام وبقيت بريطانيا قاعدة عسكرية للحلفاء الغربيين بانتظار يوم تنقلب فيه الأدوار. وقبل أن يبتدىء غزو النازيين لبلاد الروسيا مر وزير الخارجية الياباني ببرلين لإجراء محادثات مع الحكومة الألمانية. وكان ذلك في شهر آذار ١٩٤١. وقد أخفى عنه هتلر خطته الموضوعة لتحقيق هذا الغزو وإغراقاً منه في التعمية لم يعترض أبداً على عقد معاهدة بين روسيا واليابان. وعلى ذلك فقد عاد يوزوك ماتسوكا وزير الخارجية الياباني إلى بلاده مروراً بموسكو حيث وقع في ١٣ نيسان مع ستالين معاهدة عدم اعتداء مدتها خمس سنوات. وقد أفضى إليه ستالين بقوله على سبيل التحبب بأن بلديهما، بلدان آسيويان. هذه المعاهدة حررت ستالين من حماية مؤخرته وأتاحت لليابان فرصة العمل ضد الحلفاء.

والمعروف أن هتلر قد حاول إقناع ماتسوكا بضم اليابان إلى الجانب النازي بعد بداية الحملة الألمانية على روسيا. ولم يرفض الوزير الياباني. ولكن العسكريين الذين كانوا مقتنعين بعدم جدوى الدخول في حرب ضد روسيا وقفوا ضد رغبة الوزير، وراحوا يؤكدون له ولمن ينتصر لرأيه بأن أمامهم وقتاً طويلاً للنظر في مصير النازيين ومعرفة ما إذا كانوا سيخرجون من هذه المغامرة منتصرين.

وأخذت معالم صورة جديدة تبرز أمام اليابان بعد ذلك. لقد كانت حاجة اليابانيين ماسة إلى الطعام والمطاط والرصاص والنيكل والكروم والحديد والخشب،

وأخيراً إلى عصب الحرب الذي هو البترول، كل ذلك موجود بكثرة هائلة في الجنوب أي في الهند الصينية وماليزيا والفيليبين والهند النيرلندية.

يقابل هذا أن الأميركيين قد امتنعوا عن تصدير هذه المواد الأولية إلا بحساب وقدر بين تموز ١٩٤٠ وربيع ١٩٤١. ولما كان الأميركيون هم المصدرون الرئيسيون للبترول «العالي الأوكتان» وللسيارات والطائرات والحديد والفولاذ والنحاس، فإن امتناعهم عن التصدير قد أرغم اليابانيين على الرد بسرعة. وفي الوقت نفسه بادرت بريطانيا إلى فتح طريق بورما بعد نهاية المهلة المتفق عليها أي بعد نهاية ثلاثة أشهر رغم هزائمها في اليونان وكريت وافريقيا الشمالية، وعلى الرغم من الضعف الذي أصيب به أسطولها بسبب غارات اللفتواف عليه، أما الهولنديون الذين هزمهم هتلر في بلادهم فإنهم قد راوغوا طويلاً في المفاوضات التي أجراها اليابانيون معهم لفرض الحصول على امتيازات بترولية ثم انتهت المفاوضات دون أن يعطوهم شيئاً. السبب في ذلك أن الأميركيين والإنكليز قد ساندوهم وشجعوهم على اتخاذ هذا الموقف.

وفي ٢ تموز قرر مؤتمر امبراطوري الانتقال إلى العمل في الجنوب. ونزلت قوات يابانية عدتها خمسون ألف رجل في الهند الصينية وحولتها إلى محمية يابانية مع الاستعداد لمواجهة كل الاحتمالات التي قد تصدر عن الإنكليز والأميركيين.

والواقع أن الحلفاء لم يترددوا في الرد على اليابان. لقد أعلن الأميركيون في ٢٤ تموز تجميد الممتلكات اليابانية، ثم تبعهم الإنكليز والهولنديون الذين توقفت كل صلة تجارية بينهم وبين اليابانيين من الناحية العملية.

ولما كانت اليابان مضطرة للاعتماد على مخزونها من المواد الأولية، ولما كان استهلاك هذه المواد سيجعلها في حالة عجز عن القيام بأية عملية حربية واسعة، فقد وجدت نفسها في حرج شديد ولا سيما بعد إحكام الحصار الاقتصادي عليها من قبل الدول الغربية الثلاث. على أن اليابانيين العسكريين لم يختاروا الانقضاض على الحصار وتمزيقه والاستيلاء بالقوة على مصادر المواد الأولية بصورة مباشرة بل أعطوا الوزير الأول فوميمارو كونوي فرصة أخيرة لإيجاد تسوية للوضع تخرج باليابان من المأزق الذي وجدت نفسها فيه عن طريق المفاوضات.

ومن أجل هذا الغرض أرسل كونوي سفيراً جديداً إلى الولايات المتحدة هو السيد كيشيزابورو نومورا في شباط ١٩٤١ لمفاوضة المسؤولين في واشنطن على أمل الخروج من المأزق والحفاظ على السلام وإيقاف تيار العسكريين القائلين بالحرب.

ولكن سفير السفير الياباني قد سبق ببرقية أبرقها السفير الأميركي في اليابان السيد جوزيف غرو في ٢٧ كانون الثاني. وقد كانت بمثابة إنذار خطير جاء فيه:

إن زميلي البيروني قد حكى لعضو في السفارة أن القوات اليابانية المسلحة تخطط لهجوم مفاجىء ضد بيرل هاربر في حالة ظهور «صعوبات» بين اليابان والولايات المتحدة، وأن الهجوم سيتم بكل القوى اليابانية. وقد أضاف الزميل أنه قد سارع إلى إبلاغ هذا الشيء لأنه كان قد استقاه من مصادر كثيرة، رغم أن هذا المخطط يبدو له غريباً.

إن ما كانت تريده اليابان وتحلم به هو أن يعترف الغرب ولاسيما الولايات المتحدة بنظامها الآسيوي الجديد.

وقد حاول السفير نومورا اقناع واشنطن بقبول بعض المطالب اليابانية الأساسية، ولاسيما الاحتلال الياباني للصين، ورفع الحجز عن الممتلكات اليابانية، وعودة التبادل التجاري بين البلدين إلى حالته الطبيعية وتأمين المساعدة الأميركية للحصول على المواد الأولية. وقد أجاب الأميركيون على مساعي السفير الياباني بما يلي:

١ ـ مستعدون لإعادة العلاقات التجارية مع اليابان.

٢ ـ الجلاء الياباني الكامل عن الصين والهند الصينية.

٣ ـ احترام الأرض الصينية ووحدتها الوطنية ثم الحفاظ على مبدأ المساواة في الحقوق في الميدان الاقتصادي في هذه البلاد.

٤ ـ الامتناع عن تعديل الأوضاع القائمة في الشرق الأقصى لمصلحتها الخاصة.

هكذا بدا للطرفين تعذر التوفيق بينهما. فالجيش الياباني لم يكن مستعداً أبداً للتنازل عن مكاسبه في الصين، أو إعادة النظر في دور اليابان الآسيوي.

أما بالنسبة للولايات المتحدة فإنها كانت ترفض جملة وتفصيلاً أن تتكرر حادثة ميونخ في آسيا، وهي حادثة ستنتهي بالتضحية بالصين. كما لم يكن في وسعها القبول بأي اتفاق يترك لليابان ثمرة اعتداءاتها أو الانحناء أمام النظام الآسيوي الجديد. وهنا طلب كونوي الاجتماع بالرئيس روزفلت. ولكن هذا الأخير رفض الموافقة على الطلب ما لم تقدم إليه اقتراحات جديدة مقنعة. وبذلك سقطت حكومة كونوي في ١٨ تشرين الأول ليأتي الجنرال توجو وزيراً أول. وفي ١٧ تشرين الثاني كرر توجو الحملة

الدبلوماسية فأرسل رسولاً خاصاً هو السيد سابورو كوروزو لغرض الحصول على موافقة الولايات المتحدة ومباركتها لكل المطالب اليابانية. ولكن الحملة الثانية قد لقيت مصير الحملة الأولى.

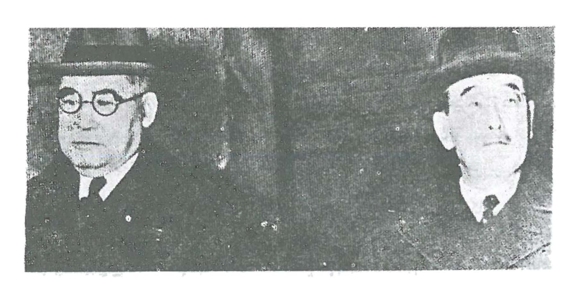
وأدرك العسكريون اليابانيون عقم محاولاتهم. فقرروا المبادرة إلى القتال. وبدأوا بتنفيذ خطط الحرب بينما كانت المحادثات الثنائية مستمرة دون نجاح في مدينة واشنطن.

بيرل هاربر

وطبيعي أن يضع العسكريون اليابانيون خطة حرب قصيرة ومحدودة من أجل الوصول إلى أغراضهم الاقتصادية والسياسية. ولهم في الحروب الصاعقة التي أشعلها هتلر في أوروبا آية وعلامة على إمكانية تحقيق انتصارات سريعة بأقل خسارة ممكنة. وكما تعلموا من حروبه في أوروبا الغربية فقد اتعظوا من حربه في الاتحاد السوفياتي. إن الغارة المفاجئة التي كانوا يعدونها يجب في تقديرهم أن تبيد الأسطول الأميركي في بيرل هاربر وأن تضمن لهم السيطرة على مياه المحيط الباسيفيكي وأن تعد لهم الطريق لغزوات قادمة في الجنوب الشرقي الآسيوي. وتنص هذه الخطط على الطريقة التي تحافظ بها اليابان على مكاسبها العسكرية. إن اليابان بعد أن تنفذ خطط الغزو ستبادر إلى إغلاق المجال الذي تسيطر عليه بدائرة دفاعية بالغة القوة بحيث ان الأميركيين يمتنعون عن القيام بأية محاولة هجومية عليها بل بالتفكير في الهجوم لأن أية محاولة من هذا القبيل ستكلفهم خسارة هائلة في الأرواح البشرية. في ضوء هذا التخطيط كان العسكريون اليابانيون يأملون بعد توجيه الضربات المنشودة في إرغام الأميركيين على الدخول في مفاوضات سلمية تسمح لليابان بتقوية مجالها الحيوي وتوسيعه في الشرق الأسيوي.

والواقع أن هذه الخطط اليابانية قد قتلت درساً وتمحيصاً وقلبت على وجوهها كلها خلال سنة كاملة ولكنها لم تأخذ شكلها النهائي إلا في شهري أيلول ـ تشرين الأول.

الأمران الرئيسيان الأولان رقم واحد واثنان الموجهان إلى الأسطول المشترك والمتعلقان بالهجمات المنسقة على بيرل هاربر، ماليزيا، الفيليبين وجزر الهند النيرلندية، قد أعطيا مسجلين في مغلفين مغلقين يومي ٥ و٧ تشرين الأول. وقد تقرر أن يكون الهجوم على بيرل هاربر دون إعلان حرب بحيث يسمح للامبراطور، في



المبعوث الياباني الخاص كوروسو والسفير نومورا يغادران وزارة الخارجية الأميركية بعد مقابلتهما لوزير الخارجية الأميركية كوردل هل
بعد ساعات من هذه المقابلة أغار اليابانيون على بيرل هاربر

حالة الفشل بشجب العملية كلها واعتبارها تصرفاً غير مسؤول صدر عن بعض المتطرفين من العسكريين.

وتم كل شيء في سرية تامة ولاسيما توقيت الهجوم الجوي والبحري الساحق الذي بدأ بالغارة على بيرل هاربر. ففي ٢٢ تشرين ثاني بينما كان كوروزو ونومورا يتابعان مفاوضتهما في واشنطن، ويحتمل أنهما كانا يجهلان ما يجري في اليابان، تجمعت قطع من الأسطول الياباني بسرية تامة في خليج تانكان عند جزر ساخالين. هذا الأسطول كان مؤلفاً من سرب يقوده الأميرال شويغي ناغومو مؤلف من ٦ حاملات طائرات، ٢ دوارع، ٢ سفن جوالة ثقيلة وسفينة جوالة خفيفة يتبعه عدد من الغواصات والطرادات وحاملات البترول للقيام بعملية التغطية. وقد أقلع الأسطول الياباني في ٢٦ تشرين الثاني وتوجه بعيداً نحو شمال جزر هاواي مع إصدار الأوامر المشددة بمنع كل الاتصالات اللاسلكية. وبعد ذلك بستة أيام أي في ٢ كانون أول وجه ايزوروكو ياماموتو الرجل الذي وضع خطة الغزو برقية بالراديو لأول مرة إلى ناغومو قال له فيها بالشيفرة: «إصعد إلى قمة نيتاكا» وهي عبارة تعني الأمر ببداية الهجوم. وتحول ناغومو نحو جزر هاواي.

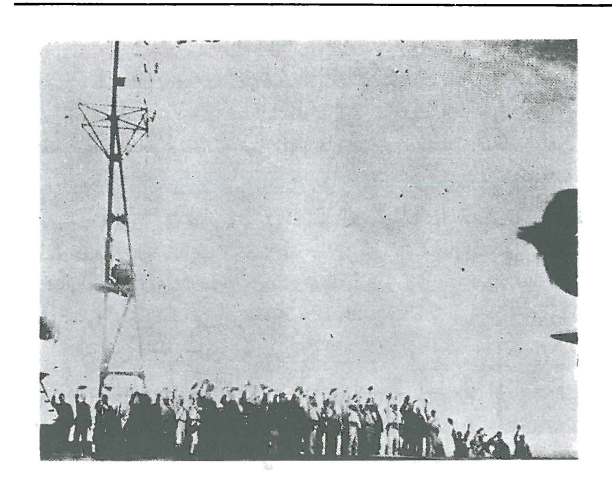
المعروف أن دوائر الاستعلامات في البحرية الأميركية كانت تحيط علماً بالشيفرة العسكرية والبحرية عند اليابانيين. وقد اكتشفوا عن طريقها كثيراً من الرسائل وتعرفوا إلى محتواها ولكنهم كانوا يجهلون في ذلك الوقت قوة أسطول ناغومو. أما واشنطن

فقد أحيطت علماً بالحركات المقلقة التي كانت تجري في خليج سيام، حركات القوافل اليابانية المتجهة نحو ماليزيا أو سيام. وهنا أرسل روزفلت بقصد إقناع اليابانيين بالعودة عن تصرفهم وتحركاتهم المقلقة في محاولة أخيرة، رسالة شخصية إلى الأمبراطور هيروهيتو في ٦ كانون الثاني. وقد وصلت الرسالة بعد فوات الأوان. لقد كانت حاملات الطائرات من أسطول ناغومو تقترب من جزائر هاواي.

وإذاً فقد كان هناك إجماع على أن واشنطن مدركة لكل تحركات اليابانيين قبل ذلك بوقت كافٍ كما كانت تعرف القرار الحاسم لخوض المعركة من قبل اليابان. ولذلك فإن واشنطن قد حذرت الأميرال كيمل والجنرال ولتر شورت في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤١ بأن يكون على استعداد دائم وفي حالة إنذار مستمر في بيرل هاربر.

ويبدو أن التحذير لم يشدد كثيراً على خطورة الوضع وعلى خطورة حالة الإنذار التي يجب أن تعلن آنذاك. البرهان على ذلك أنه لم تنظم أية دورية بحرية في مياه الجزيرة أو أية دورية جوية في سمائها بالإضافة إلى أن إجراءات الحماية من الأخطار الجوية لم تتخذ عند الأبنية أو في المؤسسات العسكرية. ان نصف بطاريات المدافع المضادة للطائرات كانت منزوعة السلاح. أما السفن فقد كانت راسية قرب الأرصفة في طمأنينة تامة. وكانت الطائرات العسكرية فوق مدارج المطارات في أواهو منسقة كأنها صفوف من البط فوق الماء تقف الواحدة وراء الأخرى في ذيل طويل. شيء واحد كان الفضل فيه للمصادفة. ان حاملات الطائرات التي كانت الهدف المختار للغارات اليابانية كانت قد غادرت بيرل هاربر مع السفن الجوالة المرافقة للقيام بمناورات في منطقة ويك وفي جزر مدواي.

وارتفع الفجر هادئاً مشمساً في هونولولو صباح يوم الأحد الواقع في ٧ كانون الأول ١٩٤١. وفي تمام الساعة السادسة من ذلك الصباح أقلعت ٣٥٣ طائرة يابانية من مدارج حاملات الطائرات التابعة للأميرال ناغومو على بعد ٣٥٠ كلم شمالي منطقة أواهو. وفي تمام الساعة السابعة إلا الربع شاهد الطراد الأميركي وورد غواصة يابانية فبادر إلى إطلاق النار عليها ثم قذفها بالطوربيد. وأرسل قائد الطراد مباشرة علماً بهذا اللقاء إلى رؤسائه. ولكن رسالته اللاسلكية لم تكن تقول بوضوح ما إذا كان قد شاهد غواصة أو أنه قام بلقاء مع غواصة أي مناورة. يفسر هذا الغموض أن حالة الإنذار لم تعلن بعد وصول هذه الرسالة. وفي الدقيقة الثانية بعد الساعة السابعة اكتشف الجنديان جوزف لوكارد وجورج إيليوت وكانا يراقبان شاشة الرادار في أوبانا قرب هالاوة، شمال بيرل هاربر، تشكيلة جوية تقترب. وقد نقل هذا الشيء إلى ضابط



البحارة اليابانيون يحيون الطائرات التي أقلعت للإغارة على بيرل هاربر

الوردية الملازم الأول كرميت تايلر الذي طلب إليهما نسيان الحادث. السبب في ذلك أن الضابط تايلر كان ينتظر في ذلك اليوم وصول ١٢ قلعة طائرة ب ـ ١٧ وأنه كان مقتنعاً بأن ما ظهر على شاشة الرادار إنما هو هذه التشكيلة بالذات.

كل شيء كان هادئاً في ذلك الوقت. الناس يعدون في الشوارع أو ينتظرون طعام الإفطار أو يجلسون بمناسبة يوم العطلة فوق شرفات منازلهم. وإذا كان هناك قلق فهو قلق مبهم محصور في فئة كبيرة من فئات العسكريين. وخير شهادة يمكن أن نستعين بها لمعرفة الوضع آنذاك هي شهادة الجانب الياباني. وفيما يلي واحدة من تلك الشهادات سجلها قائد التشكيلة اليابانية المغيرة ميتسور فوشيدا الذي كان على رأس الموجة الأولى من الطائرات. قال:

لم يكن الجو مثالياً. كانت الريح تسير بسرعة ٢٠ عقدة تحدث موجات ضخمة في مياه المحيط. كنا نطير على ارتفاع ٣٠٠٠ متر وكانت تحتنا طبقات كثيفة من الغيوم تتراكم واحدة فوق الأخرى حتى ١٥٠٠ متر فوق الماء. وأشرقت شمس صباحية لماعة منذ قليل.

وبعد أن غادرنا حاملات الطائرات بساعة و٤٠ دقيقة عرفنا أننا نقترب من الهدف. وكانت هناك فتحات صغيرة عبر طبقات الغيوم تسمح لنا برؤية المحيط وكنت أنتظر الوقت الذي تبدو لنا فيه اليابسة. وفجأة شاهدت خطاً طويلاً من الأمواج المنكسرة عند الشاطىء تحت طائرتي. لقد كان الشاطىء الشمالي لمنطقة أواهو.

وبالاتجاه إلى اليمين نحو الشاطىء الغربي للجزيرة كان في وسعنا أن نرى السماء صافية فوق بيرل هاربر. ثم بدا لنا المرفأ نفسه بعد سهل أواهو الأوسط؛ وكانت سحابة خفيفة تغطيه. نظرت محملقاً عبر نظاراتي إلى السفن الراسية في طمأنينة عند أرصفة الميناء وأخذت أعدها واحدة واحدة. نعم، الدوارع كانت هناك... لقد كانت ثماني! ولكن أملنا في أن نجد حاملات الطائرات لم يلبث حتى اختفى. إنه لم تكن هناك أية حاملة منها.

كانت الساعة الثامنة إلا ١١ دقيقة حين أصدرت أمراً بالراديو بالهجوم. وبدأ جهاز الراديو يرسل الإشارات المتفق عليها.

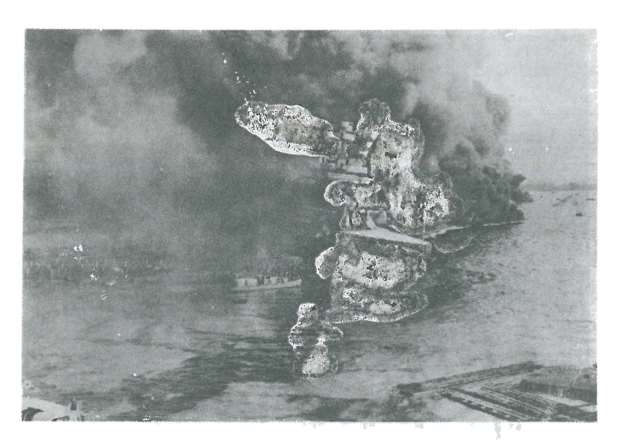
وفجأة وفي مقدمة المجموعة انقضت قاذفات الملازم الأول موراتا لتطلق طوربيداتها بينما كانت قاذفات الملازم الأول ايتايا ترتفع وتختفي عن ناظري. في ذلك الوقت كانت قاذفاتي قد قامت بدورة كاملة من جهة (باربرز بوينت) عملاً بخطة الهجوم. أما في الجو فلم تكن هناك مطاردة عدوة واحدة وأما على اليابسة فلم يبد لنا أي بريق يدل على انطلاق قنابل المدافع المضادة للطائرات.

هكذا أصبحت فعالية هجومنا شيئاً فشيئاً لا مرية فيه وأرسلت إلى القيادة في أغاكي الرسالة المتفق عليها «نجح الهجوم المفاجىء» في تمام الساعة السابعة و٥٣ دقيقة.

وعندما أنهت قاذفاتنا مهمتها كانت بيرل هاربر وقواعدها الجوية قد أصابت حظها من الهجوم. إن المشهد البحري الرائع للسفن الراسية الذي كان يبدو لنا قبل قليل قد ذاب كما يذوب الثلج تحت وطأة الشمس المحرقة.

موجتان من الطائرات قامتا بالهجوم، الأولى في تمام الساعة الثامنة إلا خمس دقائق. والثانية في تمام الساعة الثامنة وأربعين دقيقة. وكان كل شيء قد انتهى في العاشرة.

القاذفات المنقضة، والطائرات المطاردة المقاتلة، والطائرات الحاملة للطوربيدات كلها استطاعت أن تحيل بيرل هاربر إلى أكوام من الخرائب المحترقة.



بعد الغارة على بيرل هاربر، سفينة أميركية تغرق...

١٨ من ٩٦ سفينة غرقت أو أصبحت في حالة عجز طويل، بينها ثماني دوارع وثلاث سفن جوالة. مئة وثماني طائرات حطمت وهي جاثمة من ٣٩٤ طائرة. القتلى بين الأميركيين ٢٣٤٣، والمفقودون ٩٦٠، أما الجرحى فقد بلغوا ١١٧٢. وخسر اليابانيون في تلك المعركة ٢٩ طائرة و٥٥ رجلاً، وغواصة واحدة وبعض غواصات الجيب. هكذا استطاع اليابانيون أن يتخلصوا بخطة محكمة جريئة من قسم كبير من القوات البحرية والجوية الأميركية في الشرق الأقصى. وعلى هذه الصورة بدأت سلسلة من المعارك سجلت فيها اليابان انتصارات متعددة. ثم تغيرت الأدوار بعد ذلك حينما وضعت الولايات المتحدة في الميزان كامل ثقلها الاقتصادي وبلغت الذروة في الإنتاج الحربي.

ومهما يكن الانتصار الذي سجله اليابانيون في بيرل هاربر فإنه لم يكن انتصاراً كاملاً. إن حاملات الطائرات والسفن الجوالة والغواصات وكل الطرادات الأميركية إلا ثلاثة منها، قد نجت من الهجوم الأول بحكم المصادفة، بحيث ان القوات البحرية الأميركية قد استطاعت بفضل الوحدات التي ضمت إليها من أسطول المحيط الأطلنطي بعد ستة أشهر وحسب أن تزلزل الأسطول الياباني في بحر المرجان وفي مدواي.



مطار بيرل هاربر بعد الغارة..

ويضاف إلى ذلك أن الغارة لم تنجح في تدمير المؤسسات العسكرية القائمة فوق أرض بيرل هاربر. ولم تصب بالضرر البالغ مستودعات الأميركيين ودباباتهم حتى ولا ورشات الإصلاح، التي لو دمرت لأرغم الأسطول الباسيفيكي على الانسحاب إلى الشواطىء الغربية للولايات المتحدة.

نداء روزفلت

وفي اليوم التالي، وبعد أن عرف الشعب الأميركي بالغارة التي جرت فوق بيرل هاربر، وجد الرئيس روزفلت نفسه مضطراً لإعلان الحقيقة أمامه. وقد توجه إلى الكونغرس بالرسالة التالية:

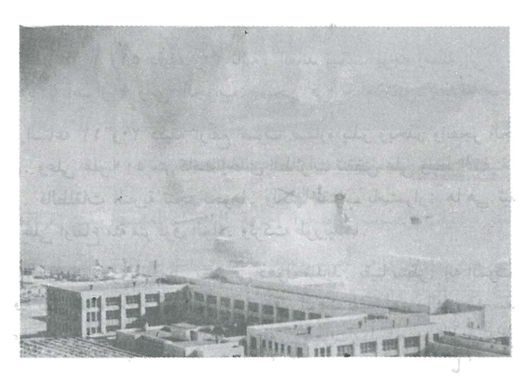
أمس، في ٧ كانون الأول ـ تاريخ سيبقى مسطوراً بخطوط العار ـ هوجمت الولايات المتحدة عن سابق إصرار وتصميم وبصورة مفاجئة من قبل القوات البحرية الجوية للأمبراطورية اليابانية.

وأخذ الكونغرس رسمياً علماً بذلك فلم يلبث بعد مناقشة قصيرة حتى أعلن الحرب على قوات المحور الثلاث.

ماليزيا وسنغافورة

وتابع اليابانيون هجماتهم بالسرعة والفعالية اللتين تميزت بهما هجمات الألمان في أوروبا. لقد نظموا في اليوم نفسه الذي هوجمت فيه بيرل هاربر حملة برمائية على ماليزيا وسيام. ومن سنغافورة بادر أميرال الأسطول الإنكليزي توم فيليبس، إلى إرسال سربه البحري نحو الشمال في محاولات لاعتراض ناقلات الجيوش وزوارق الإنزال للقوات اليابانية. وقد انطلقت الدارعة الجديدة «برنس أوف ويلز» وحمولتها ٣٥ ألف طن وسفينة القتال الجوالة «ريبلس» حمولتها ٣٢ ألف طن ومعهما أربعة طرادات نحو مياه المحيط دون تغطية جوية. وقد اكتشفتها الغواصات وطائرات الاستطلاع اليابانية فلم تلبث أن أصبحت هدفاً للقاذفات وطائرات الطوربيد التي أغرقت السفينتين الكبيرتين.

وقد حدثنا سيسيل براون الذي كان على ظهر الجوالة «ريبلس» عن هذه الكارثة فقال:



منظر عام لبيرل هاربر إثر الغارة

الساعة ١١ و١٥ دقيقة. أخذت مدافع «برنس أوف ويلز» تطلق قنابلها فجأة. وفي الوقت الذي كنت أرى فيه قنابلها تنطلق بدأت مدافعنا تعمل عملها أيضاً. كانت الأصداء رهيبة مفزعة.

وهناك خرجت ٩ طائرات يابانية من سماء زرقاء صافية وهي أشبه ما تكون بحبات اللؤلؤ في عقد نضيد. وبقيت فاغر الفم أمام هذه الطائرات التي استوعبت سفينتنا من المقدمة إلى المؤخرة. أما دخان مدافعنا المضادة للطائرات والذي كان يتفجر في الفضاء فقد دنس روعة السماء، ولكنه لم يزعج التشكيلة الجميلة للطائرات اليابانية.

الطائرات فوق رؤوسنا، ولأول مرة في حياتي، شهدت القنابل تتساقط، تخرج فجأة من العدم وتتوجه نحونا. إنها شبيهة بقطرات المطر التي تتضخم على مرأى من العين. في هذا المشهد شيء مذهل، مغناطيسي، بل منوم.

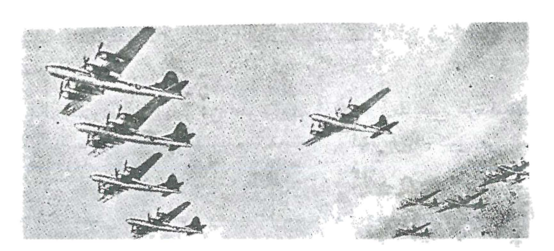
لم تخطر في بالي فكرة خفض الرأس أو البحث عن النجاة. رأيت القنابل تتضخم أكثر فأكثر وأنا مذهول مسمر في مكاني. وفجأة وعلى بعد عشرة أمتار فقط انبثقت كمية هائلة من ماء البحر وارتفعت عن مستوى السفينة ثم غمرتني بالماء كما غمرت عدستي المصورة.

انكمشت كتفاي بدافع الغريزة، وأخذت هيئة الراكع، وفي الوقت نفسه حدثت ضجة رهيبة فارتجفت السفينة بكاملها.

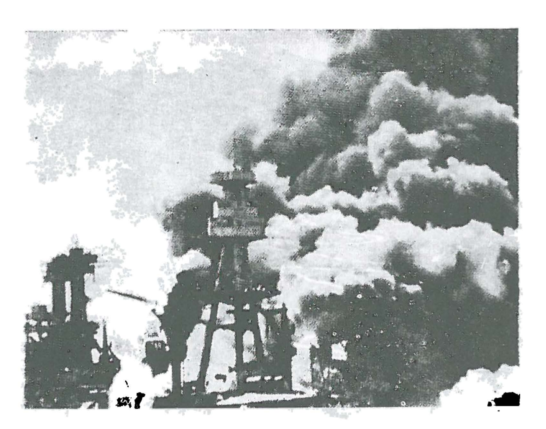
الساعة ١١ و٥١ دقيقة و٣٠ ثانية. القائد تينانت يوجه رسالة إلى ويلز: «هل نزلت بكم أضرار؟» وأتى الجواب: «نحن في حالة شلل. الدفة محطمة».

الساعة ١٢ و٢٠ دقيقة ارتفع صوت صفارة ينذر ويحذر وانفجر الجحيم مرة أخرى. وعلى علو ٥٠٠ متر كانت إحدى الطائرات تنقض على وسط السفينة إلى جهة اليسار. فالطلقات النارية تتجه نحوها. ولكنها تقترب باستمرار: ها هي تبدو وكأنها معلقة على ارتفاع مئة متر فوق الماء. وتركت طوربيدها.

الطوربيد يجري نحونا. نحن في ذهول شديد. بقينا ننتظر. إنه الموت. جندي المراقبة يصرخ: «انتبهوا إلى الطوربيد!» وفي الوقت نفسه لمس الطوربيد سفينتنا على بعد عشرين متراً من مكاني الذي أقف فوقه. وشعرت بما يشعر به البحار حين تصطدم سفينته بالرصيف. وقذف بي مرتين إلى الأمام ولكنني استطعت الحفاظ على توازني. وفي الوقت نفسه تقريباً بدأت السفينة تتجه نحو الأعماق...



الطائرات الأميركية «ب ـ ٢٥» تحمل الدمار إلى الجزر المحتلة



قنابل الطائرات اليابانية تعطل ٨ مدمرات أميركية وتخرجها من المعركة

قالت مكبرات الصوت: انفخوا أحزمة النجاة! السفينة ريبلس تغرق.

وعلى بعد كيلومتر واحد أصيبت ويلز بالطوربيدات مع طراد يقف إلى جانبها، إنها غائصة في الماء واختفى نصفها وراء جدران من الدخان.

القاذفات اليابانية تدور باستمرار وكأنها عقبان تحوم فوق فريستها وهي تتابع هجومها على ويلز. أما القاذفات التي أصيبت فقد اشبهت بقعاً لامعة من النار البرتقالية على زرقة بحر الصين.

هناك رجال يقذفون إلى الماء أطواقاً ومقاعد وقطعاً، أي شيء شرط أن يطفو فوق الماء. . .

رجال يقفزون إلى البحر من علو شاهق. أحدهم أخذ على غرة فسقط فوق طرف السفينة فإذا به يتحطم ثم يتابع سقوطه إلى البحر وكأنه كيس من السمنت المبتل.

وألقيت بنفسي إلى البحر. وعندما أصبحت على خمسين متراً من ريبلس رأيت



قافلة أميركية تنقل المؤن إلى الصين عن طريق بورما



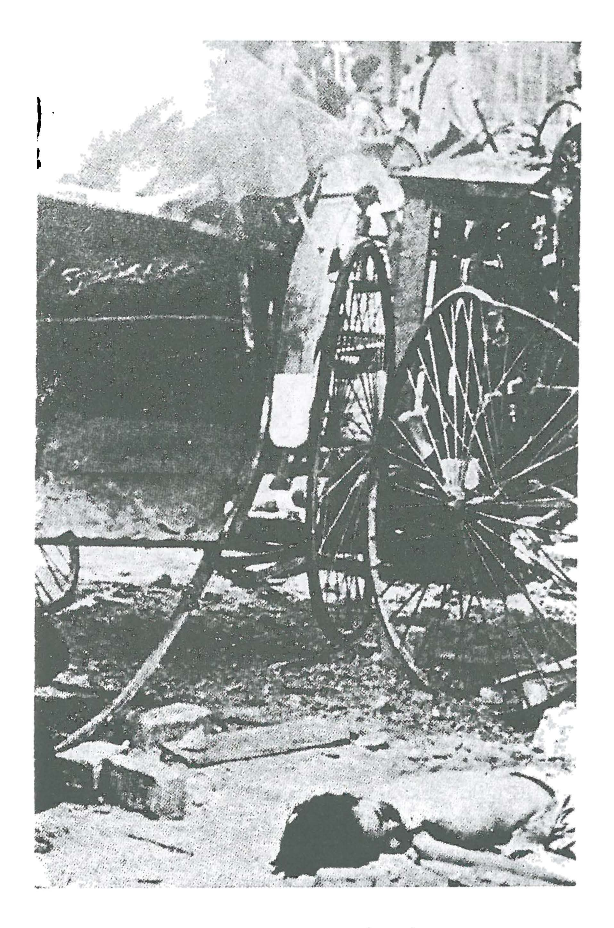
جندي ماليزي وسط الأدغال

مقدمتها ترتفع فجأة نحو السماء كما يرتفع جرس الكنيسة. الصفائح الحديدية الحمراء لحيزوم السفينة ترتفع، إنها تثير الشفقة والأسى تماماً كالدماء على وجوه الرجال الذين يحيطون بي. ثم شعرت أن فولاذ السفينة الغارق بوزنه الهائل «٣٢ ألف طن» يمتصني بينما ينزلق نحو الأعماق. شعرت وكأنما قوة خفية لا تقاوم تقريباً تشدني من قدمي. كأن إنساناً يحاول أن ينتزع ساقيّ. ولكني كنت أوفر حظاً من سواي ممن كان أقرب إلى السفينة فنجوت من الموت وغرقوا هم.

ونزلت قوات الجنرال الياباني تومويوكي ياماشيتا في سنغافورة آتية من جانبي شبه الجزيرة الماليزية. والقوات هذه هي التي كانت ويلز وريبلس تريدان منعها من النزول. واستطاعت هذه القوات المدربة على حرب الغابات أن تطرد الإنكليز والأوستراليين والماليزيين إلى الوراء تارة بالتسلل وأخرى بالمكاثرة عند جوانح القوات المدافعة وثالثة بالنزول من الخلف.

وفي نهاية كانون الثاني، كانت هذه القوات قد احتلت ماليزيا كلها وأقامت حصاراً محكماً حول قلعة سنغافورة التي اضطر قائدها الجنرال أرثر برسيغال، في النهاية أن يستسلم في ١٥ شباط مع ستين ألف رجل.

أما الجنرال هارولد الكسندر، قائد القوات البريطانية الهندية، والأميركي جوفيناغر ستلول، رئيس هيئة أركان حرب تشان كاي شك منذ آذار ١٩٤٢ وقائد الجيوش الصينية في بورما، فلم يوفقا إلى انقاذ جيوشهما في هذه البلاد إلا بترك كل



القتل والخراب في معركة بورما

تجهيزاتهماالثقيلة. وبعد مسيرة مرهقة وصلا بلاد الآسام، والبنغال. وقد قال ستلول ما كان يراه في هذه الهزيمة وهو القليل الدبلوماسية: أعلن أننا تلقينا صفعة كبيرة. إنه لشيء مذل حقاً أن نطرد من بورما.

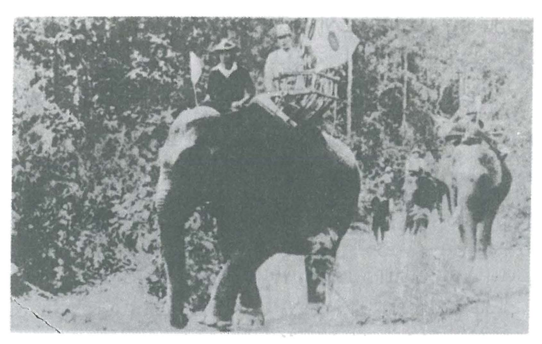
وفي كانون الأول هبط اليابانيون في أرض الهند النيرلندية شمالي بورنيو وفي ساراواك.

وفي الشهر التالي ركزوا جهودهم فوق جزيرة هامة. إنها جاوا. وقد أصيبت إحدى قوافلهم وهي تمخر مضيق ماكاسار متجهة إلى الجزيرة، ببعض الخسائر بسبب معركة خاضتها ضد طرادات أميركية يومي ٢٣ و٢٥ كانون الثاني. وقد رد اليابانيون بأن أغرقت قاذفاتهم حاملة الطائرات الأميركية «لانغلي» التي كانت تنقل طائرات مطاردة إلى الجزيرة. وفي نهاية شباط بلغت المعركة مرحلتها الحرجة في بحر جاوا. وخلال سلسلة من المعارك استمرت ثلاثة أيام أغرقت البحرية اليابانية ٥ سفن جوالة، ٦ طرادات من سرب يحتوي على سفن حربية إنكليزية وأميركية وهولندية يقوده الأميرال الهولندي دورمان بينما بلغت خسائر اليابانيين طراداً واحداً. لم يعد شيء قادراً على الوقوف أمام العملاق الياباني. وفي ٨ آذار استسلمت جزر الهند النيرلندية.

واتسعت الممتلكات اليابانية بين كانون الثاني ونيسان باتجاه الشرق حينما استولت قوات اليابان على جزائر الأميرالية وجزائر جيلبير، وحينما احتلت الشاطىء الشمالي لغينيا الجديدة.

في شهر شباط أغارت القاذفات اليابانية على القاعدة البحرية لمرفأ داروين، في شمال أوستراليا، منطلقة من مطاراتها الجديدة في تيمور. ثم قصرت المسافة أكثر فأكثر بين قواعد القاذفات وبين أوستراليا حينما بنى اليابانيون مطاراتهم في غينيا الجديدة.

وفي الوقت نفسه تم اجتياح المراكز الأمامية لقوات الحلفاء بالحملات اليابانية المتتابعة. من هذه المراكز هونغ كونغ التي أرغمت حاميتها على الاستسلام حينما منع اليابانيون المياه عنها في حصار استمر ١٧ يوماً. وقد تم هذا الاستسلام في ٢٥ كانون الأول ١٩٤١. أما غوام، وهي جزيرة غير محصنة فقد احتلها الغزاة اليابانيون بعد ضرب بيرل هاربر بخمسة أيام فقط؛ لكن «ويك» التي كان يدافع عنها أقل من ٤٠٠ بحار صمدت ١٦ يوماً ثم انهارت مقاومتها. والواقع أن هؤلاء البحارة قد استطاعوا أن يردوا محاولتين من محاولات إنزال الجنود في هذه الجزيرة أمام قوات تزيدهم مئة



جنود يابانيون يتخذون من الفيلة وسيلة نقل

ضعف وطائرات أمطرتهم بوابل غير منقطع من القنابل. وفي المحاولة الثالثة انهارت قواهم تحت ضغط الأعداد المتزايدة من الجند والسلاح. وتم استسلام جزيرة «ويك» في ٢٣ كانون الأول. وعلى ذلك لم يكن قد بقي وراء هذه الجزيرة بين هاواي والفيليبين غير مدواي.

الفيليبين

لا شك أن الفيليبين كانت موقعاً بالغ الأهمية بالنسبة لليابانيين. وأهميتها نابعة من مركزها الاستراتيجي من ناحية ولأن جزرها تصلح لأن تكون قواعد للقوات الأميركية البحرية والجوية تنطلق منها لمقاومة اليابانيين في ماليزيا وجزر الهند.

في ضوء هذا التوضيح لا نستغرب أن تتم الغارة الجوية اليابانية على جزر الفيليبين فتبيد مجموعة كبيرة من الطائرات الأميركية بعد عشر ساعات فقط من حدوث الغارة على بيرل هاربر.

والواقع أن اليابانيين قد أفادوا كثيراً من شيئين هامين:

أولاً: وجود نظام إنذار فاسد.

ثانياً: رفض الجنرال دوغلاس ماك آرثر إرسال قلاعه الطائرة ب ـ ١٧ ـ وهي سيدة الأسلحة الأميركية في الشرق الأقصى ـ لضرب القواعد اليابانية في هاينان ـ فورموزا ما دام الكونغرس لم يعلن الحرب بصورة رسمية.

هكذا استطاع اليابانيون بين ٨ كانون الأول ونهاية العام أن يبيدوا بالفعل الطيران الأميركي في مطاري كلارك ونيفوك في لوسون، وأن يحدثوا تخريبات هائلة في القاعدة البحرية الهامة في «كافيت»، التي ارغم الأسطول الآسيوي الصغير الذي يقوده الأميرال توماس هارث، على الهروب منها. ولجأ الأسطول إلى جزر الهند النيرلندية ليتمزق خلال الاشتباكات التي جرت في بحر جاوا. على أن الأميركيين قد ألقوا في الميزان كل ما تركه اليابانيون لهم في ذلك القطاع ابتداء من الطائرات البحرية الثقيلة



باخرة حليفة تشتعل فيها النيران بعد إحدى الغارات



اليابانيون يقذفون بقواتهم نحو غينيا الجديدة

«PBY» حتى القلاع الطائرة «ب ـ ١٧»، وابتداءً من الغواصات حتى زوارق الطوربيد: كل هذه القوى لم تستطع أن تحول دون نزول القوات اليابانية، لقد كان نصيبها جميعاً، التحطيم، والتخريب أو الهرب.

وقد قرر اليابانيون وهم سادة الجو والبحر، أن يتجهوا نحو مانيلا في أول كانون الثاني منطلقين من رؤوس الجسر التي أقاموها شمالي العاصمة وجنوبها. ولم تجد القوات الأميركية والفيليبينية أمام هذا الاجتياح الهائل مناصاً من التراجع إلى الوراء، محاولة تغطية هذا التراجع بمعارك يائسة تخوضها قوى المؤخرة. وبذلك استطاعت أن تبلغ غابة باتان الصخرية. وقد صمدت القوات الأميركية الفيليبينية المتراجعة في باتان وكوريجيدور، وهما قلعتان مبنيتان خصيصاً لحماية شبه الجزيرة أمام غزو يأتي من البحر من اليابانيين. ولم يطل الصمود فالخسائر الكبيرة التي نزلت بهذه القوات ونقصان المؤن، والمرض، واستحالة الحصول على النجدات والأسلحة وغيرها، قد حطمته.

وكم كانت مرارة رجال الحامية شديدة وهم ينشدون قولهم:

نحن «بناديق» باتان
ليس لنا أب، أو أم، أو عم سام،
لا أعمام، ولا عمات، ولا أبناء أخ أو بنات أخ،

لا بنادق، لا طائرات ولا مدافع.
كل الناس بنا يستهترون!

وفي ٩ نيسان تم استسلام أربعين ألف جندي هم من بقي من حامية باتان. أما كوريجيدور «الصخرة» التي كان يقودها الجنرال جوناتان وين رايت فقد صمدت شهراً آخر ثم استسلمت في ٦ أيار مع عشرة آلاف رجل.

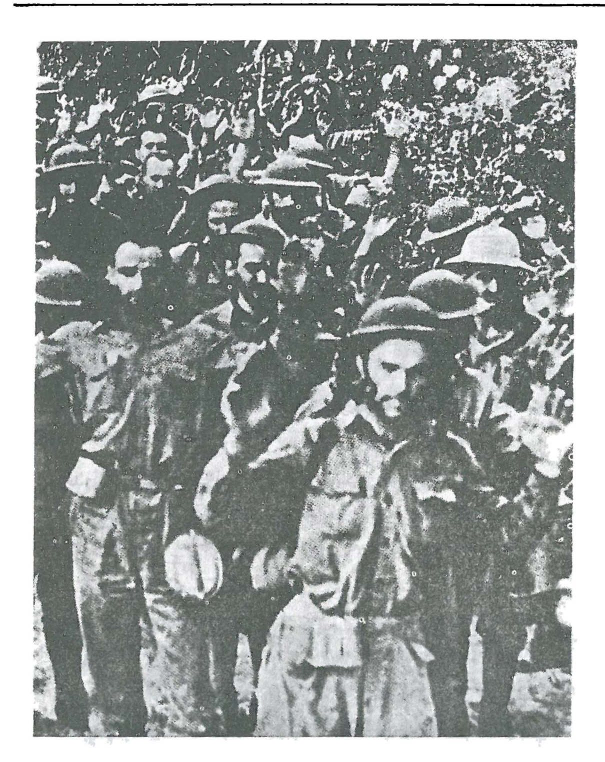
أما الجنرال دوغلاس ماك آرثر فإنه، بعد أن ساءت حالة الفيليبين، قد تلقى من الرئيس روزفلت أمراً بمغادرة المعسكر المعزول. وتم انتقال القيادة إلى «دينرايت» وهرب ماك آرثر في محاولة جريئة إلى أوستراليا حيث صرح قائلاً:

«لقد أمرني رئيس الولايات المتحدة بمغادرة كوريجيدور إلى أوستراليا مروراً بالخطوط اليابانية. ويبدو لي أن غرضه من ذلك هو أن يكل إلي مهمة إعداد هجوم على اليابان يكون الهدف الأساسي له تحرير الفيليبين. وقد نجحت بالمرور وسأعود».

وقد أعلن المراقبون الحربيون بأن اليابانيين الذين كانوا يرفضون حتى ذلك الوقت التوقيع على اتفاقية جنيف، قد تميزوا بالبراعة والقسوة. إن التخريب والاعتداءات والقسوة الموجهة إلى الأسرى، لم تكن إهانة للبيض وحسب ولكنها كانت مصدراً لغضبهم الشديد.



مدافع الهاون الأميركية تشترك في المعارك



جنود يستسلمون

والواقع أن هزيمة البيض هناك قد نالت من هيبتهم ومرغتهم بالوحل وأساءت إليهم إساءة بالغة. يضاف إلى ذلك أن البيض لم يسبق لهم أن قدموا لسكان البلاد الأصليين أي مبرر حقيقي لمقاومة المد الياباني الجائح. ولذلك فإن شعوب ماليزيا وبورما وسيام وجزر الهند النيرلندية قد تعاونت مع الغزاة. أما في البلاد الهندية فقد اعتقل الإنكليز زعماء الشعب، المهاتما غاندي وقادة حزب المؤتمر رغم الوعد الذي قطعه الإنكليز على أنفسهم لمنح البلاد استقلالها التام بعد نهاية الحرب. أما الزعماء

المعتقلون فقد دعوا مواطنيهم إلى اتخاذ موقف سلبي ورفض مقاتلة اليابانيين. كلهم كانوا كذلك إلا الشعب الفيليبيني الذي تعهدت الولايات المتحدة بمنحه الاستقلال عام ١٩٤٦؛ فقد قاتل أبناؤه بشجاعة بالغة إلى جانب حلفائهم الأميركيين.

في خمسة أشهر فقط غزا اليابانيون الأمبراطورية التي كانوا يحلمون بها منذ عشرات السنين. هذا الغزو كان يعني وضع اليد على ٤٠٠ مليون من البشر وعلى كل موارد المواد الاستراتيجية التي كانوا في حاجة إليها - بترول، مطاط، قصدير، تانغستين، كروم، مانغنيز، وأرز - باستثناء الحديد. إن البحرية اليابانية قد أصبحت سيدة بحار الباسيفيك. إنها الآن تتجول عبر المساحات الشاسعة بحرية تامة وتمارس سيادة مطلقة، ابتداء من مدواي حتى شواطىء الصين، وابتداء من الأليوشين حتى أوستراليا يضاف إلى ذاك قسم كبير من مياه المحيط الهندي.



الجنرال ماك أرثر يلجأ إلى أوستراليا بعد خسارته معركة الفيليبين

أما فيما يتعلق بالجيش الأمبراطوري فقد أصبح سيداً على المدار المحصن، والذي كان هذا الجيش واثقاً من عجز الحلفاء عن اختراقه... كل هذه الأهداف قد تحققت بقوات عدتها ٤٠٠ ألف رجل، أي خمس القوات اليابانية وبخسارة لم تتجاوز ١٥ ألف رجل بين قتيل وجريح.

ثلاثون ثانية فوق طوكيو

مقابل هذا كله ارتكب اليابانيون خطيئة نفسية. لقد أساءوا تقدير روح القتال عند الأميركيين. لقد ظنوا أن انتصاراتهم هذه ستدخل اليأس إلى نفوس الشعب الأميركي. ولكن الحقيقة أن القوات الأميركية قد استردت أنفاسها واستعادت وعيها خلال شهرين كاملين بعد الغارة على بيرل هاربر.

وبعد شهرين فقط نظمت البحرية الأميركية عملية ارتداد على اليابانيين. لقد بادرت وحدات مشتركة إلى إبادة جزر مارشال وجيلبير. وفي ٢٤ شباط أغارت قاذفات أميركية على جزيرة ويك وفي ٤ آذار تمت غارة أخرى على جزر ماركوس التي تقوم على بعد ١٥٠٠ كلم من طوكيو. وفي ١٠ آذار أغارت طائرات منطلقة من حاملات طائرات على القواعد اليابانية في لاي وسلامودا في غينيا الجديدة وأغرقت سفينة جوالة خفيفة، وكاسحة ألغام ثم سفينة شاحنة. يضاف إلى ذلك أن الأميركيين كانوا يعدون مفاجأة أخرى أشد مرارة للعدو. لقد ضربت اليابان نفسها في ١٨ نيسان للمرة الأولى.

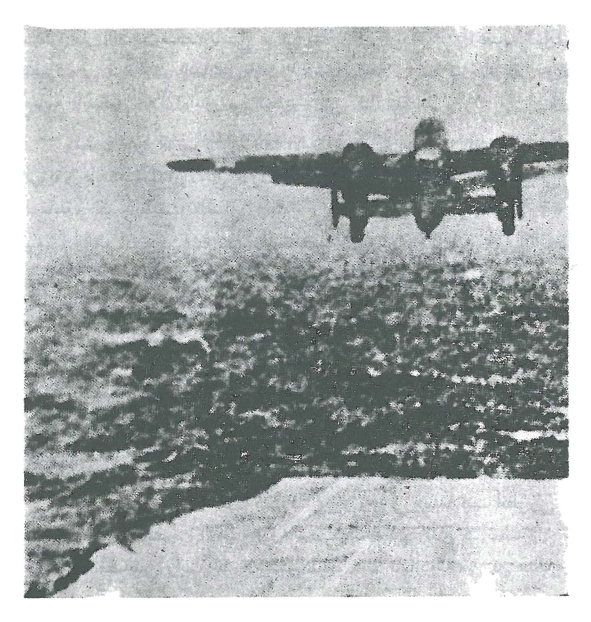
هذه الخطة الأخيرة وضعت نهائياً منذ شهر كانون الث[illegible]. وكانت تقضي بتوجيه حاملتي الطائرات «انتربرايز وهورنت» إلى منطقة تبعد أ[illegible]م عن طوكيو، ومنها ترسل القاذفات «ب ـ ٢٥» المصنوعة خصيصاً لمثل هذه [illegible] إلى سماء طوكيو.

وعندما ظنت قيادة حاملتي الطائرات حين لقيت دوريات يابانية أنها قد شوهدت من قبل العدو فقد اطلقت ١٦ قاذفة ميتشل ثم أمرت بالتراجع وانطلقت الطائرات بقيادة الكولونيل جيمس دوليتل نحو طوكيو، ناغايا، أوزاكا وكوب.

وقد حدثنا الكابتن «تد لوسون» عن «الثلاثين ثانية التي قضاها فوق طوكيو» قال:

بينما كنا نقفز فوق هضبة يقف فوق قمتها هيكل من الهياكل، شاهدنا خليج طوكيو أملس كالمرآة..

مضت علينا دقيقتان ونحن نطير فوق الخليج، حينما توجهت أنظارنا فجأة نحو



القلعة الطائرة «ب ـ ٢٥» في طريقها للإغارة على طوكيو

نقطة واحدة، لقد كانت إلى يميننا على بعد ميلين أكبر حاملة طائرات وقعت عليها عيوننا حتى ذلك اليوم. وشعرت بجاذب رهيب يدفعني لإلقاء قنبلة فوقها، إلا أننا كنا في وضع لم يسمح لي بذلك وقد أعدتنا القيادة لضرب أهداف أخرى، والمدينة قريبة جداً، فتابعنا طريقنا...

لم تقع أنظارنا على طائرات للعدو...

وبعد خمس دقائق ونحن فوق الخليج اكتشفت خلالها فيما وراء النهر حاجزاً من البالونات ممتداً بين يوكوهاما وطوكيو...

وكدت أصل تقريباً إلى الهدف الأول قبل أن أراه. فبادرت حالاً إلى تزويد المحركات بأقصى قوة ممكنة بينما أشرف دافنبورت على المراوح لكي تكون أكثر

سيطرة على الهواء وتسلقنا بأسرع ما في وسعنا إلى ارتفاع ١٥٠٠ قدم، تماماً كما كنا نتصرف في فترة التدريبات التي استمرت شهراً كاملاً، وكما كنا نفعل في خيالنا ثلاثة أسابيع اضافية خلال الدروس النظرية التي كنا نتلقاها.

ومضت فترة الوصول إلى هذا الارتفاع، وفتح مستودع القنابل، وتحديد خط الرؤية، فألقينا قنبلتنا الأولى بوزن ٥٠٠ رطل؛ وأضاء مصباح أحمر في اللوحة المقابلة، لقد انطلقت القنبلة.

وزادت سرعتنا. ضوء أحمر جديد. كان كلافر قد أرسل القنبلة الثانية. في تلك الفترة على التحديد برزت أمامنا فجأة سحابة سوداء وعلى بعد مئة متر فقط ثم ظهرت سحابتان أخريان، دائماً أمامنا ولامست طرف جناحينا، ثم انفجرت على ارتفاعنا نفسه ولكن في وقت مبكر قليلاً.

وأضاء المصباح الأحمر مرة ثالثة. كنا نطير فوق حي أقل كثافة في القسم الجنوبي من المدينة حينما أضاء المصباح الأحمر للمرة الرابعة: هذه القنبلة الأخيرة كان يجب أن تتحول إلى ١٢ قنبلة محرقة.

وانقضضت دون أن أنتظر. كنت قد غيرت وجهتي وبينما كنت أنظر إلى الوراء، رأيت أثار قنبلتنا المتفجرة الأخيرة فوق المصنع الحديدي الذي كنا نقصد إلى ضربه؛ وفي أثناء انقضاضي رأيت جدران البناء تتفجر، ثم تنهار وتختفي في سحابة سوداء ولهب.

وانطلقت فوق صف طويل من الأبنية والبيوت وتابعت طريقي كما لو أنني كنت أرى الجحيم.

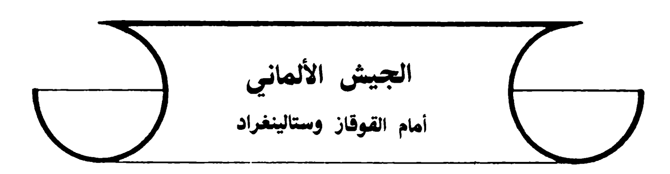
والواقع أن عملية القذف الحقيقية التي قمنا بها بين إلقاء أول قنبلة وبين انقضاضي من الأعالي لم تستمر أكثر من ثلاثين ثانية...

هذه الثواني الثلاثون القصيرة كانت ستكون بالغة الأهمية بعيدة التأثير. لقد استطاعت أن تعيد إلى الأميركيين ثقتهم بأنفسهم وأن تحدث الدهشة والخيبة في نفوس اليابانيين.

إن الأضرار التي سببتها هذه الغارة على قلتها في المدن اليابانية قد اقنعت اليابانيين بضرورة المبادرة إلى زيادة التحصينات في ضواحي طوكيو من ناحية وإلى استبقاء عدد من المطاردات كان يمكن أن يستفاد منها في مكان آخر.

لقد أعلن الرئيس روزفلت أن الطائرات «ب ـ ٢٥» هذه كانت آتية من شانغريلا، البلد الوهمي لكتاب جيمس هيلتون «آفاق ضائعة» بينما افترض اليابانيون أنها انطلقت من مدواي. ومنذ تلك الفترة قرروا احتلال هذه الجزيرة، التي هي المركز الأمامي في الطريق إلى هاواي. على أنهم رغم ذلك بقوا في قلق دائم بسبب هذه الثواني الثلاثين. بل شاهدوا بعين الخيال ما وراء هذه المحاولة من احتمالات الأخطار المقبلة...

لقد كانت هذه الغارة عملية رمزية دون ريب ولكنها كشفت عن الامكانات الغنية الكامنة في تصميم الأميركيين على متابعة النضال حتى النصر..



الجيش الألماني
أمام القوقاز وستالينغراد

هتلر يجتاح جنرالاته

أطل عام ١٩٤٢ والرياح الثلجية تعصف بالجيش الألماني بينما القوات الروسية التي تتجدد أطماحها وتنبت فرقها في كل مكان ثم تنقض على العدو تقوم بعمليات واسعة تحاصر بها فرقاً من قوات المحور.

السيبيريون يهاجمون في جبهتي موسكو ولينينغراد... لقد أثبتوا أنهم قادرون على خوض غمرات الحرب في صقيع لم يتعود الشعب الألماني رؤيته ولم يتهيأ الجيش النازي لمقاومته...

وقد سبق أن أشرنا إلى موافقة هتلر على انسحاب الجيش الألماني في جبهة موسكو بعد هجوم الصقيع الرهيب في كانون الأول من عام ١٩٤١. ولكن هذا التراجع لم ينقذ الجيش من الهلاك. ذلك لأن الروس تابعوا هجماتهم المعاكسة كما لو أن برد الشتاء يمنحهم الحرارة والحركة لا الجمود والموت. إن معارك رهيبة قد جرت في درجة برودة بلغت ٤٠ . وفي مناسبات عديدة قاربت الكوارث أن تبيد فرقاً من الجيش الألماني. ولكن جرأة بعض شباب القادة من الألمان حالت دون نزول هذه الكوارث بهم وإبادتهم. الجنرال الشاب مودل أنقذ الجيش المعسكر في قطاع «رجيف» ومجموعة جيوش الجبهة الوسطى قد نجت من الهلاك والحصار بفضل روح المبادرة عند الجنرال فون درشيغاليري الذي جاء بأفواج من منطقة نورمانديا الدافئة لم تكد تبلغ أرض المعركة حتى خرج جنودها وضباطها من حافلات القطارات التي كانت تنقلهم ينقضون على الروس وكأنهم العاصفة. لكن الرياح الثلجية التي واجهتهم هناك لم تلبث أن اجتاحت عواصف حماستهم وجرأتهم.

مئات الألوف من الجنود كانوا يعودون عبر مئات الكيلومترات على أقدامهم... بطونهم من الطعام خاوية... وأجسامهم محرومة من الثياب الدافئة وسياراتهم خالية



ملازم من سلاح الطيران الألماني
وقد ارتسمت على وجهه ملامح الكبرياء الموروثة

من الأجهزة المضادة للتجمد حتى خيولهم كانت غير معدة للسير فوق سهوب الجليد.

القادة كلهم كانوا يريدون التراجع والعودة إلى الدونا حتى دنيبر ونيمن. مليونان من الرجال كان ينتظر أن يتحول تراجعهم إلى كارثة رهيبة أشبه بكارثة الجيش النابوليوني.

ـ لكن هتلر قال: لا!

لقد أصدر أمراً بعدم التراجع إلى الوراء ولو خطوة واحدة وأصر على بقاء الجيوش حيث كانت حتى لو حوصرت من قبل العدو. ولكي يفرض هذا الأمر لم يتردد في تطبيق عقوبات قاسية تناولت الكبار والصغار.

القائد الذي اخترق سيدان في معركة فرنسا جرؤ على المثول بين يدي هتلر وطالب بالتراجع فعزله هتلر عن القيادة.

العجوز رانستد بطل معركة فرنسا اخلى مدينة روستوف على الدون فشق هتلر له أذنه.

الجنرال هوبنر الذي لا ينحني في معارك الدبابات إلا أمام غودريان ترك قليلاً من الأرض ليقصر جبهته فطرده هتلر من الجيش بتهمة التمرد على الرؤساء والجبن.

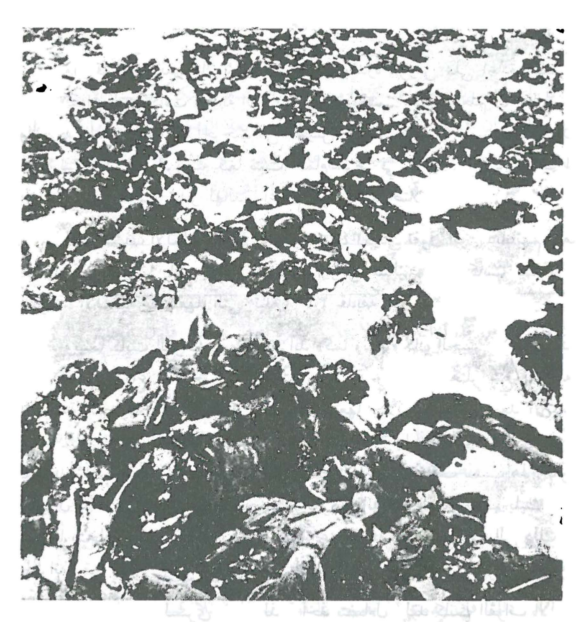
أما الجنرال الكونت سبونيك فقد ظن أن موقعه الدفاعي يكون أحسن حالاً إذا تخلى عن بعض شواطىء القرم فنقل مركز المقاومة إلى برزخ كيرتش ولكن هتلر لم يغفر له هذا التصرف وهو القائد الذي أشرف على غزو جيش المظليين لهولندا، فحوله إلى المجلس العسكري الذي أدانه وحكم عليه بالموت.

هذه الصلابة القاسية هي التي أنقذت الجيش الألماني من التفتت والتجزؤ آنذاك. ولكن الصمود الذي أمر به هتلر، وإن أنقذ الجيش من الهزيمة إلا أن الألمان دفعوا ثمنه غالياً. كثيرة هي الوحدات التي حوصرت ثم أبيدت عن بكرة أبيها. لكن أكثر أنواع الحصار عنفاً وبطولة هو ذاك الذي جرى في جيب وميانسك في وسط الطريق بين موسكو ولينينغراد.

بعد انقطاع مزدوج في الجبهة أحيط بالجيش العاشر وقسم من الجيش الثاني منذ نهاية كانون الأول ١٩٤١ فوق هضبة مغمورة بالثلوج. وقد استطاع سلاح الطيران أن ينقل المؤن إلى القوات المحاصرة فأحيا مئة ألف رجل بأن حمل إليهم في كل يوم ما زنته ٢٠٠ طن من المؤن والذخائر. كانت آلام الجند رهيبة قاسية. ولو استمع هتلر إلى نصائح جنرالاته لأصدر أمراً إلى هؤلاء الجنود بفتح ممر لهم هو دون ريب مصدر هلاكهم وهم المحرومون من وسائل النقل ومشلولون بسبب الصقيع. ولكن هؤلاء الجنود الذين يبلغون ست فرق كانوا يحتجزون من جنود السوفيات أربعة أضعافهم. وبذلك حالوا دون أن يضغط هؤلاء الجنود على بقية أجزاء الجبهة الألمانية المتفككة. وخرج هتلر برأي حاسم. هو أن الحصار في مثل هذه الحالة ليس شيئاً مقبولاً وحسب بل هو حسن جداً.

القيادة الألمانية العامة موجودة كلها في روسيا الشرقية حول راستنبرغ المدينة الصغيرة. ومنذ أن عزل هتلر الماريشال فون براوشتس بصورة مفاجئة أصبح هو شخصياً القائد المباشر للجيش البري. لكن نقاط الخلاف بينه وبين طبقة القادة العسكريين بقيت هي هي. وكان يمثل هؤلاء القادة الكولونيل جنرال هالدر رئيس هيئة الأركان العامة.

كان هتلر يحتقر حنبليته وتزمته في التخطيط العسكري وكان يقول لمن حوله: «إن هالدر هو معلم مدرسة» ولكنه كان يجهل بالطبع أن هذا الجنرال يتآمر عليه منذ عام ١٩٣٨.



الجثث الألمانية في سهول روسيا عددهم يتجاوز الـ ١٦٠ ألفاً



في شتاء ١٩٤١، الروس يستعيدون روستوف

والواقع أن هالدر كان شديد الاعجاب بقدرة الروس على اعادة تنظيم قواتهم وملء الفراغ الذي كانت تحدثه المعارك في صفوفهم. وعندما نعلم أن معارك الصيف والخريف لعام ١٩٤١ قد أخرجت من الجيش الروسي ٤ ملايين أسير نستطيع أن ندرك كيف نبتت القوات الروسية كما تنبت أكمام الزهر في الربيع. أما تجهيزات الجيش الروسي فقد كانت تبدو لهالدر أعظم قوة وأشد صلابة.

لقد اكتشف الألمان الدبابة الروسية «ت ٣٤» التي تفوق أقوى دباباتهم. أما قاذفة الصواريخ كاتيوشا التي كانوا يسمونها «ارغن ستالين» فقد كانت تسحق أحسن القوات الألمانية بقذائفها التي تبلغ ٣٢٠ قذيفة في ٢٥ ثانية.

وبينما كانت القوات الروسية تتزايد «كماً ونوعاً» كان الجيش الألماني يتراجع. لقد تحطم اندفاع الانتاج في أسلحته بسبب قرار أصدره هتلر منع بموجبه إنتاج الأسلحة الجديدة التي لا يمكن أن يتم صنعها خلال ستة أشهر بعد الانتصار في فرنسا. بين هذه الأسلحة الجديدة دبابة النمر، وزنها ٥٥ طناً. وقد كانت جديرة بتجديد شباب الجيش المدرع الألماني ولكن إنتاجها قد توقف بسبب هذا القرار. أما الطيران الألماني الذي اجتاح الجبهات الغربية فإنه فقد المبادرة ولم يلبث أن أصبح سلاحاً متخلفاً بسبب فقدان روح المبادرة عند قائده غورنغ يضاف إلى ذلك أن عدد طائراته بقي على حاله فلم يسجل أية زيادة.

يبقى العنصر البشري نفسه الذي أخذ يتضاءل. لقد كانت القوات الألمانية في حاجة إلى مليون جندي لملء الشواغر. وبما أن عمليات التعبئة لم تكن على مستوى

المعركة التي يخوضها الجيش في الشرق فقد كان جنود النجدات الذين يرسلون إلى هناك أقل كفاءة من الجنود الذين كانوا يتساقطون في الميدان.

في ضوء هذه الاعتبارات رأى هالدر أن الجيش الألماني قد ضعف بحيث لم يعد قادراً على اتخاذ المبادرة في الهجوم عام ١٩٤٢. وقد اقترح خطة جديدة تستند إلى استراتيجية دفاعية هجومية. وخلاصتها أن تستدرج العدو للقيام بهجمات ثم ترد عليه بضربات معاكسة مخربة. يضاف إلى ذلك أن من نتائج هذه الخطة تقصير الجبهة وتنظيم المؤخرة بحيث تصبح قادرة على القيام بهجمات معاكسة في القطاعات المهدَّدة.

أما هتلر فقد كان يرى نقيض ذلك.

شيء واحد كان يعترف به هتلر.. هو أن الجيش الروسي لا يهزم بالسهولة التي كان يقدرها. ولكنه بدلاً من أن يتصرف في ضوء هذا الاعتراف خرج برأي آخر.

لقد رأى أن ستالين قد أعد كثيراً من الرجال والسلاح ولكن الجيش الألماني أباد هذا كله. ولولا أن الشتاء القارس قد حال دون متابعة الهجوم لكانت نهاية الجيش الروسي وشيكة قريبة. وبعودة الصيف من عام ١٩٤٢ أيقن هتلر أن جيشه قد خرج من المأزق وأن طريق النصر قد فتحت أمامه مرة أخرى.

القوقاز حلم هتلر

كان واثقاً أن بقايا الجيش الألماني قادرة على سحق فلول الجيش الروسي ولذلك فهو يرفض تقديرات جنرالاته لقوة الروس ويرى في هذه التقديرات علامات خوف وضيق نظر.

الجيش الروسي في نظر هتلر يومذاك يقف عند شفير الهاوية. وإن هجوماً شاملاً يجب أن يجند له. ونصيحة هالدر مرفوضة من الأساس. لقد حان الوقت الذي يجب أن يلقي فيه في ميدان المعركة بكل ما يملك للحصول على كل ما يريد.

هذا بالنسبة لجبهة القتال الألمانية الروسية. أما بالنسبة للوضع العالمي، فقد كان هتلر يعتقد بأن دخول الولايات المتحدة في الحرب سيحطم كل أمل له في النصر. وعلى ذلك فإن مهمته أن يصبح ذا قوة غير قابلة للانكسار. ولا يتم ذلك إلا بوقوف ألمانيا فوق قاعدة استراتيجية واقتصادية صلبة. وبعد أن كانت المعركة سلسلة

من البروق السريعة ستصبح رمزاً لصبر طويل. والأقوياء هم الذين يصبرون.

ينبوع القوة الذي يحلم به هتلر هو في القوقاز. فإذا انتزعها من الروس وحرمهم من بترولها حال دون استمرارهم في خوض حرب حديثة. وبالحصول على بترول القوقاز يكون هتلر قد ضمن للجيش الألماني الوقود الذي يشكو من قلته. أما الحديد والخبز فهو يرى أنه قد وجدهما في أوكرانيا.

الاتصال برومل

في هذه الحالة كان هتلر يعتقد أن في وسعه متابعة الزحف للقضاء على بريطانيا في الشرق وحرمانها من مواردها البترولية ولإقامة جسر هائل بين قناة السويس والجنرال رومل الزاحف من ليبيا. وسيكون في وسع ألمانيا احاطة الشواطىء الأطلنتيكية بجدار قوي جداً من المواقع الدفاعية ثم يبتدىء تسديد الضربات البحرية الجوية ضد الغربيين حتى يداخلهم اليأس من متابعة الحرب ويوافقوا على الدخول في مفاوضات الصلح.

في ٨ نيسان صدرت تعليمات خاصة لتوضيح وجهة النظر هذه وللرد على خطة هالدر التي يعتبرها هتلر صيغة انطواء وعنوان هزيمة، لأنها في رأيه تمنح الروس التسهيلات الكافية لإعادة بناء قواتهم العسكرية بمساعدة الأميركيين.

وقرر هتلر القيام بهجوم واسع لإبادة القوات السوفياتية المتجمعة في حوض الدون. إنها ستكون بين طرفي كماشة تنغلق عليها وتضغط عند كالاتش أي في المكان الذي يقترب فيه النهر من ستالينغراد. ثم تزحف الجيوش الألمانية حتى هذه المدينة لمساندة جناحه الدفاعي عند نهر الفولغا، هذا الجناح الذي يجب أن يغطي المرحلة النهائية للهجوم وهي المسيرة الكبرى إلى القوقاز.

الهدف ليس ستالينغراد بل هو باكو. وليست ستالينغراد غير القفل الذي يغلقه هتلر لحماية غزوة يعتقد أن في وسعها جعل الحرب مستمرة إلى الأبد.

القوات التي أعدها هتلر للقيام بهذا الهجوم تبلغ ستين فرقة تضاف إليها ٢٨ فرقة من الرومانيين والهنغاريين والايطاليين.

وعند بداية الهجوم سيكون طول الجبهة ٨٠٠ كيلومتر. ثم يتكون خط من القتال يبتدىء من ناغازوف وينتهي إلى فورونيج مروراً بباطوم ـ تفليس ـ باكو ـ استراكان ـ



هتلر يصدر أوامره إلى فون باولوس (في الوسط) بوجوب احتلال ستالينغراد قبل حلول الشتاء. ويرى في أقصى اليسار الجنرال هوزينجو وفي أقصى اليمين الجنرال فون بوك.

ستالينغراد. أما التسعون فرقة ألمانية وحليفة فستنتشر على امتداد مدار طوله ٤٠٠٠ كلم. وفي قزوين سيكون الجنود الألمان على بعد ٣٠٠٠ كلم من برلين. على أن هذه المسافة ستكون أطول ثلاث مرات من الناحية العملية بسبب الضعف في السكك الحديدية وانعدام الطرق الصالحة للنقل وكثرة عصابات الأنصار. إن انتقال المؤن والذخيرة إلى هذه الجبهة سيحتاج إلى أسابيع كثيرة.

وعندما كانت تقدم هذه الاعتراضات إلى هتلر كان يؤكد لسامعيه بأنها اعتراضات خيالية مصطنعة. كان يقول: حين يتم تنفيذ «العملية الزرقاء» تكون الجيوش الروسية الجنوبية قد أبيدت وستحرر القوقاز كلها بفضل الشعوب الثائرة المتمردة على الطغيان الأحمر. فلا يبقى على الجيش الألماني إلا أن يحمي خطاً قصيراً نسبياً مبتدئاً من استراكان ثم منتشراً على امتداد الفولغا والدون ثم يتم الاتصال مع جيوش الوسط والشمال وراء فورونيج. بعد ذلك يبدأ هجوم آخر على موسكو ولينينغراد لتحطيم بقايا جيش مشلول بسبب فقدانه للوقود. ووراء جدار دفاعي صلب تعود ألمانيا إلى تنظيم المناطق المحتلة وتعيد بناء السكك الحديدية والطرق ثم تبيد عصابات الأنصار.

معركة سيباستوبول

قبل بداية هذه العملية الزرقاء تقرر القيام بإجراءين تمهيديين:

أولاً: إنهاء غزو بلاد القرم.

ثانياً: تصحيح خط الدونيتز الذي ما تزال فيه جيوب روسية تشبث بها العدو بعد هجومه في الشتاء الماضي.



الجنرال فون بوك يتذوق الفودكا الروسية المكتشفة في أقبية جزيرة القرم

وبدأت عملية تطهير بلاد القرم في ٨ أيار. مانستاين هو قائد العملية. قضى على بقايا القوات السوفياتية التي تركها الكونت سبونيك تقيم شرقي شبه الجزيرة، وتم أسر ١٧٨٠٠٠ جندي سوفياتي مقابل خسارة ٨٠٠٠ جندي ألماني بين قتيل وجريح ومفقود. ثم حاصر سيباستوبول، وهي قلعة قديمة مرممة تتمون من البحر وقد جمع فيها ستالين ما لا يقل عن تسع فرق.

المدفعية الرهيبة التي استعملها مانستاين تحتوي على مدفعين عملاقين عيار

٦٠٠ ملم «تور واودان». . . ثم مدفع ثالث أكثر ضخامة منهما. إنه «دورا» أثقل مدفع عرف في التاريخ. وقد بني سراً من أجل تحطيم المواقع الدفاعية الضخمة لخط ماجينو: عياره ٨٢٠ ملم. طول ماسورته ٣٠ م. وزن قنبلته ٧ طن. وقد استمر قذف المدينة المحصنة دون توقف خمسة أيام متوالية. لكن الروس قاتلوا حتى الموت مستندين إلى تنظيم قوي لمواقعهم الدفاعية. لقد أرغم الألمان على تكرار هجماتهم أمام كل حصن من الحصون. وفي أول تموز تم الحصار. وسقط برج مالاكوف الذي سبق للماريشال ماكماهون أن قال فيه كلمته المشهورة «أنا هنا وأنا هنا باق». ووجه ستالين نداءه إلى نساء المدينة وأطفالها وطلب إليهم أن يدافعوا عن مدينتهم وأن يقاتلوا عند كل منزل، ولكنه في الوقت نفسه أمر العناصر الهامة في المدينة بإخلائها وفي



الحرب في شوارع المدن وفي المنازل

مقدمتهم الجنرال بتروف. وبدأت المذبحة الرهيبة. وكانت جماهير من المدنيين قد لجأت إلى مستودعات الشمبانيا في هضبة انكرمان وعندما انفجرت الذخائر الموجودة فيها انقذفت قمة الهضبة إلى ارتفاع ٣٠٠ م ثم مزقت ودفنت آلاف الضحايا البريئة.

وبعد سقوط سيباستوبول أرسل هتلر قائده مانستاين إلى لينينغراد في الشمال التي بقيت صامدة أمام قواته طوال عام كامل تقريباً ليذيقها ما أذاق مدينة البحر الأسود. وقد تم نقل القائد مع جيشه الحادي عشر. واحتاج نقل المدفع العملاق وحده «دورا» إلى ستين حافلة! مما أحدث ارتباكاً شديداً في شبكة السكك الحديدية الروسية السيئة.

أما في الدونيتز فقد بادر الروس إلى الهجوم قبل الوقت المعين لهجوم الألمان عليهم بثمانية أيام. بدأ هجومهم في ٩ أيار، وهدفهم هو استرجاع خاركوف وتحرير



الجنرال الروسي تيموشنكو

أوكرانيا. ووجه القائد الروسي تيموشنكو إلى الوطنيين الأوكرانيين المتعاونين مع الألمان إنذاراً قال فيه: العقاب في الطريق إليكم.

ويبدو أن هذا الهجوم كان قبل أوانه. فإن جيشين ألمانيين السابع عشر بقيادة «رووف» والسادس بقيادة «بولوس» قد حاصرا القوات الروسية بعد أن اخترقت الجبهة الألمانية وأسرا ٢٧٠ ألف رجل في إيسجن. وتحول التقدم إلى كارثة. وتغير الوضع في نهاية أيار لمصلحة الألمان في الدونيتز. وبسبب الهجوم الروسي تأخرت العملية الزرقاء بضعة أسابيع. ثم لم يتقرر الابتداء بها إلا في ٢٨ حزيران ١٩٤٢.

وعلم الروس بنبأ العملية الزرقاء وأخذوا علماً بتفصيلاتها ومع ذلك فلم يستطيعوا أن يقاوموا القوات الألمانية المهاجمة.

ففي الجناح الأيسر لمجموعة جيوش الجنوب انطلقت منها الجيوش التالية: الجيش الثاني ـ الجيش الرابع المدرع ـ الجيش الثاني الهنغاري. واجتاحت حوض الدون الكبير واستولت على فورونيج بقيادة «فون ويش» ثم اتجهت نحو الجنوب.

وفي الجناح الأيمن وصلت الجيوش التالية إلى حوض الدون أيضاً. إنها الجيش الأول المدرع ثم السابع عشر والثالث الرومانيان ثم استرجعت روستوف واتجهت نحو الشمال؛ أما جيش بولوس السادس القوي فقد ربط بين المجموعتين. ولم يصمد الروس في أية جبهة حتى ان هالدر المتشائم نفسه كتب في مذكراته السرية: «تطور مدهش».

وهنا انتقل هتلر من بروسيا الشرقية إلى فينيتزا في أوكرانيا فأخرج فون بوك نهائياً من الجيش وبقي يتحمل هالدر على مضض.

الشيء الواحد الذي يلفت النظر في المعارك هو قلة عدد الأسرى الروس نسبياً فإن مجموعة جيوش فون ويش وبولوس لم تأسر أكثر من ٨٨٦٨٩ جنديًا سوفياتيًا.

وقد لوحظ أن الجيب الذي حاصره وأغلقه جيش فون كليست المدرع الأول كان خالياً من الجنود السوفيات. ومعنى ذلك أحد أمرين: إما أنه لم يعد هناك جنود سوفيات، أو أن خطة الصمود والثبات قد ابدلت بخطة مطاطية متحركة، هذه الخطة التي منحت الجيش الألماني حصاده الهائل من الرجال في كييف وفيازما.

وأيقن هتلر أن الروس يتراجعون بحثاً عن ملجأ لهم بانتظار مجيء الشتاء القادم. وزاد من يقينه أن راديو موسكو قد تميز في اذاعته بشيء من القلق وراح يلوم الغربيين على تقاعسهم في ارسال المؤن والذخائر. وبينما كان جنرالاته ينصحونه بالتصرف وكأنه ما يزال أمام عدو قوي أصر هو شخصياً على اعتبار المعركة منتهية وأعلن أنه قد بدأ مرحلة القطاف.

وفي ٢٣ تموز صدرت تعليمات عدلت بموجبها العملية الزرقاء. فبدلاً من أن ينتظر الجيش الألماني المعد للهجوم على القوقاز حتى يتم احتلال حوض الدون وإقامة جبهة دفاعية على نهر الفولغا، تقرر تقسيم جيوش الجنوب إلى مجموعتين: المجموعة «ب» بقيادة الكولونيل جنرال فون ويش تنقض على القوات الروسية غربي كالاتش وتنطلق لاحتلال ستالينغراد. والمجموعة «أ» بقيادة الماريشال ليست تتجه نحو القوقاز وتغزوها وتحتلها وتذهب إلى باكو.

ولكن هذه المجموعة لم تكن تعتمد إلا على ١٥ فرقة ألمانية. أما الفرق

الرومانية والسلوفاكية فقد كانت سيئة التسلح. عدد الدبابات لا يتجاوز ٣٠٠. المسافة من روستوف إلى أوائل منخفضات القوقاز ٦٠٠ كلم. ومن الدون إلى باكو أكثر من ١٠٠٠ كلم. الوسائل الآلية محدودة. الخيول لا تستطيع تحمل المشقات بسبب قلة المياه.

وانطلقت الجيوش عبر المفازات المحرقة. وفي نهاية تموز تم اختراق منخفض مانيتش الحد الفاصل بين أوروبا وآسيا. ميزان الحرارة يسجل في الظل ٥٥ درجة. على أنه لا ظل في المفازات الواسعة التي يدرج فوقها بحر من الغبار. النسور تطير فوق الجند. الخيول المتوحشة تهرب من راكبي الدراجات البخارية. الروس يتراجعون في الداخل فلا يتركون وراءهم غير قليل من الغنائم للعدو الزاحف.

وفي مساء ٩ آب شاهد الجيش السابع عشر حرائق في الأفق. الروس يحرقون آبار البترول في مايكوب. وفي اليوم التالي لم يجد الألمان غير باقات من اللهب. وبدأت كتيبة الاختصاصيين في البترول تعمل على إطفاء الحريق وإخراج أكوام من المعادن المتكلسة منها.

المسيرة تستمر. الجنود يجتازون خمسين كلم في كل يوم. والعطش يهلكهم.

بولوس. أربعة جسور فوق الدون

وعادت الأرض ترتفع. وأخذ الجو يبرد. وأطلت قمم جبال تكللها الثلوج. وتغير الرجال. وندر عدد الروس. وبدأت فئات من الشركس والتشيتسينس والأوسيتس تضع نفسها تحت تصرف الغزاة. ولكن الصعوبات المادية بدأت تتزايد.

واستعانت القيادة بقوافل الجمال. وطالت الجبهة وامتدت ٨٠٠ كلم. وأخذت صرخات القادة تنطلق نحو مكاتب القيادة العليا.

ولكن هتلر أصم أذنيه وأمر بمتابعة الزحف حتى القوقاز. لقد كان على الجيش السابع عشر أن يغزو شرفة البحر الأسود ويتغلب على المقاومة في الشواطىء وأن يصل إلى باطوم. أما الجيش المدرع الأول فينقض على وسط السلسلة، ويقتحم منطقة أوردجونيكيتز، التي كان القياصرة يطلقون عليها اسم «باب القوقاز» ثم يحتل تفليس ومن ثم ينزلق حتى باكو عبر وادي كورا. والواقع أن ما سيواجهه «ليست» ليس المفازات الحارة التي لا ظل فيها بل القمم الهائلة التي تغطيها الثلوج والجبال الوعرة الخالية من الطرق.

وفي ٢١ آب تم رفع العلم الألماني فوق البروس قمة القوقاز على ارتفاع ٥٦٣٢ م. واستمر التقدم. وبعد أن اجتازت الفرقة المدرعة الأولى مفازة نوغاييك دخلت عبر السلسلة الكبيرة واحتلت بياتيفورسك مدينة الجبال الخمسة في وسط ينابيعها الكبريتية وغاباتها. وإلى الشرق وصلت إلى تيريك، سيل مزبد، ينطلق من كاسبك ليستدير فجأة نحو الشرق ويصب في بحر قزوين.

غروزني أكبر مورد بترولي قبل القوقاز موجودة وراء النهر الصغير. وعلى بعد ٨٠٠ كلم إلى الشمال كانت معركة الدون أعنف كثيراً من معركة القوقاز. لقد أدخل ستالين تعديلات على خططه. فبدلاً من المقاومة العنيدة أمر بالتراجع. ولكنه لم يلبث بعد ذلك أن أعلن عند نقطة معينة أنه لا تراجع بعد الآن. لقد قال: جاء الوقت الذي يجب أن نموت فيه ونحن راسخو الأقدام.

والواقع أن الجيش الألماني السادس بقيادة بولوس قد واجه ظروفاً صعبة في حوض الدون. الفراغ في المؤخرة والارتجال في تكتيك هتلر حرماه من الوقود. وبقي مقسوماً إلى قسمين خلال بضعة أيام بينما كانت الهجمات الروسية المعاكسة تزلزله وترهقه. ثم عاد الجيش السادس إلى انتزاع المبادرة. وفي ١١ آب استطاعت كماشة ألمانية أن تحاصر قسماً من القوات السوفياتية المتخلفة غربي الدون. ووقع في الأسر ١٠٠ ألف جندي روسي. بعد ذلك بثمانية أيام نجح بولوس في إقامة أربعة جسور فوق الدون وانتزع موطىء قدم له في الضفة اليمنى.. في البرزخ دون ـ فولغا. أقل من خمسين كلم كانت تفصله عن ستالينغراد.

سيول من الفولاذ وطائرات مرعدة

هنا يبدأ دور الجيش الألماني السادس. وهو من أقوى الجيوش الألمانية كفاءة وأوفرها سلاحاً. وكان بقيادة فريدريك بولوس الجنرال المتزمت، من مواليد عام ١٨٩٠ ومن القادة الشباب الذين وكلت إليهم مهمات قيادية ضخمة.

وقد التحق بالحياة العسكرية عام ١٩١٤ بعد أن فشل في دراسة الحقوق ثم انتهت الحرب العالمية الأولى واستمر هو في صفوف الجيش يتمتع بشهرة الضابط الحيسوب الدقيق مع التفكير الواضح والقدرة على التحليل والعرض حتى انه اعتبر بين زملائه نموذجاً للجندي الحديث.

هذا القائد كان يعمل تحت إمرة الماريشال وولتر فون ريشنو.. وهو جندي

قاس شديد ورياضي جريء وأحد الهتلريين النادرين بين ضباط القيادة العليا. أصيب في بداية الحرب الروسية بنزيف دماغي قضى عليه. ونقلت قيادة الجيش السادس من فون ريشنو إلى فريدريك بولوس الذي كان يعتقد باستمرار أنه دون رئيسه في مزاياه العسكرية. وقد قال ذلك على رؤوس الأشهاد في موقف من مواقفه المصيرية.

الجيش السادس إذن هو الذي دخل معركة الدون ـ ستالينغراد بقيادة بولوس. وقد كانت المعركة عنيفة عند حوض النهر لا سيما وأن الروس قد تركوا جيوباً في الضفة الغربية للنهر.

حاول الروس أن يستولوا على الجسور الأربعة التي أقامها الألمان. ولكن الفرقتين الثامنة والحادية عشرة تعرضتا لهم وتم إيقافهم دون أن ترغماهم على العودة إلى الضفة الشرقية. وتشبث الروس بكثير من الجيوب الصغيرة التي يحفل بها مجرى النهر الهادىء الكبير. . وشعر الألمان أن عليهم أن يبذلوا مجهوداً كبيراً لإخراج القوات الروسية منها. لكن هتلر غير مستعد للانتظار. إنه يريد ستالينغراد. واكتفى بتوجيه قوات حلفائه من المجر والرومانيين والايطاليين عبر الجسور القائمة، وهم المحرومون من الآليات والدبابات والأسلحة المضادة لها بالإضافة إلى عدم استعدادهم للموت في حرب ليست لهم ولا مصلحة لهم فيها.

هذه القوات الحليفة امتدت في مواجهة الشمال والجنوب في أجنحة دفاعية بينما انطلقت المطرقة الألمانية، الجيش السادس، نحو الفولغا.

في ٢ آب تم اختراق الدون من قبل المجموعة المدرعة «١٤» عبر جسري كالاتش وفيارتاشي. أما «هانس هوب» الجنرال بذراعه اليسرى المقطوعة منذ الحرب العالمية الأولى، فقد عبأ فرقة الصاعقة «١٦» على شكل مربع كما لو أنها سرب من المدرعات في الحروب القديمة ثم قذف بها عبر السهول كتلة واحدة. والسهول هناك عارية من كل نتوء اللهم غير منخفضات بسيطة، لا تحول دون زحف الدبابات.

وهكذا لم تستطع أية قوة أن تصمد أمام هذه السيول الفولاذية التي ترافقها رعود الطائرات المنقضة «شتوكا». وارتفع وراء الزاحفين بحر من الغبار الكثيف أغرق وجه الشمس ونشأ بسببه ضباب كانت تلتمع فيه قذائف المدفعية بألسنة طويلة من اللهب الأحمر. واستطاعت الكتيبة الأولى لفرقة الصاعقة هذه أن تشهد أمامها الأبنية العملاقة ترتفع في الأفق القريب من مداجن ومستودعات حبوب، وأفران عالية. لقد استطاعت أن تشاهد مدينة ستالينغراد.

وراحت الطائرات تمطر ستالينغراد بقنابلها بينما كان نهر الفولغا حافلاً بين ضفتيه بالزوارق والمراكب المنهمكة بنقل الرجال والمواد المختلفة. وبدت الضفة الشرقية من النهر مملوءة بالجزر الصغيرة المغطاة بأعواد الخيزران.

ولكن جرأة فرقة الصاعقة «١٦» قد أدخلت الرعب في قلب قائد ألماني كبير هو الجنرال وايترز هايم فأمر هوب بالعودة إلى الوراء وبإقامة ارتباط بينها وبين فرق الجيش الأخرى. ولكن فات الأوان: لقد أرسل هوب تقريره المظفر «وصلنا إلى الفولغا». وسر هتلر بهذا التقرير وأجاب برسالة تهنئة وبأمر آخر بالثبات عند النهر مهما كلف الثمن.

كان ذلك اليوم يوم أمجاد... رومل في العلمين على خطوات من قناة السويس... كليست في أوردجونيكيتز على خطوات من تفليس... بولوس عند ستالينغراد.

ثقة هتلر بالنصر

وجاءت ذكرى عزيزة على هتلر في ميونخ. جاء اليوم الذي يحتفل فيه الزعيم النازي بالذكرى التاسعة عشرة للانقلاب الأول الذي قام به في ٨ تشرين الثاني عام ١٩٢٣ والذي عرفه فيه العالم كله. وفي طريقه إلى ميونيخ للمشاركة في الاحتفالات علم بنزول قوات الحلفاء في شمال إفريقيا. وهي عملية بالغة الأهمية لجهة كونها منطلقاً للارتداد إلى القارة الأوروبية. وقد تحدث عنها هتلر بازدراء وباختصار شديد أمام الجماهير الحاشدة في الحانة القديمة التي جعل منها نصباً للذكرى. ثم انتقل بعد ذلك إلى الحرب في روسيا فقال:



ثلاث من طائرات الشتوكا الألمانية فوق نهر الفولغا المتجمد

لقد اردت الوصول إلى الفولغا في المدينة نفسها التي تحمل اسم ستالين.

هذه المدينة تم الاستيلاء عليها باستثناء بعض جزر صغيرة لا أهمية لها. وقد سئلت: لماذا لا تنتهي منها بهجوم أسرع؟ قلت: لأنني لا أريد فردان ثانية. إنني تركت لعناصر اختصاصية صغيرة مهمة تصفية المعركة في ستالينغراد.

ولكن الواقع غير هذا...

الواقع أن أفواجاً من مهندسي الجيش قد نقلت بالطائرات إلى المواقع الحربية في ستالينغراد. هذه الأفواج هي: ٤٥، ١٤٠، ٢٢٥، ٢٩٤، ٣٣٦، ٥٠١، ٦٠٥، ٦٥٢، ٦٧٢، ٦٨٥، ٩١٢، ٩٢١، ٩٢٥. كما نُقلت أيضاً أفواج كثيرة من المدفعية



حرب الشوارع

وكتيبتان من القوات الألمانية التي هي على مستوى كتائب المدافع «ارغن ستالين».

ولم تحل هذه الأفواج دون اشتراك القسم الأكبر من الجيش المدرع الرابع عشر وجملة الجيش الواحد والخمسين في معركة ستالينغراد.

من الشمال إلى الجنوب كان المشاة ورجال المدرعات يقاتلون زاحفين من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت وسط الخرائب القائمة.

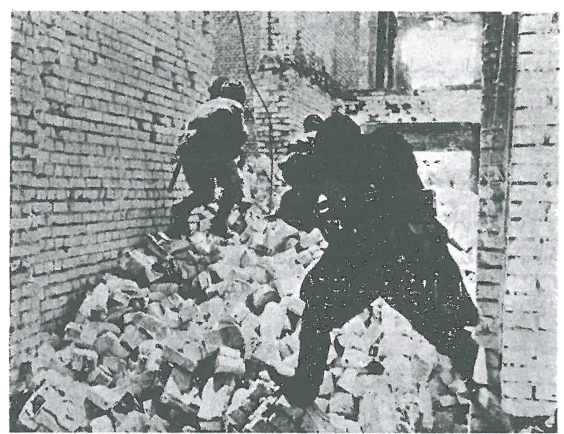
أما المشاة فهم الذين كانوا يؤلفون الفرق التالية: ٢٩٧، ٣٧١، ٧٤، ٢٩٥، ٣٥، ١٠٠، ٧٩، ٣٨٩، ٩١. تضاف إليها فرقتان من فرق الصاعقة: ٢٤ و ١٤...

وقد احتلت المقدمة الألمانية ضاحية رينوك في ٢٣ آب. ومضى شهران وسبعة عشر يوماً وستالينغراد صامدة.

صحيح أن هتلر لم يكذب كثيراً حين تحدث عن جزر صغيرة باقية ولكن ستالينغراد هي رصيف طويل عند ضفة الفولغا. إنها لا عمق لها أبداً. وعلى ذلك فهي شديدة الاتصال بالنهر تحيط بها سلسلة من الهضاب تحجز بينها وبين السهول ثم تنتشر خمسين كيلومتراً على امتداد النهر وتتعرج معه بين رينوك وكوباروسنوج. وهناك نهر وعر الجوانب، احتفظ باسم تساريتسا، بينما كانت تسارتسين قد فقدت اسمها، يجتاز المدينة في وسطها.

في الجنوب تمتد الأحياء، وهي أكوام من بيوت خشبية تلتهب وكأنها نبات الصوفان. وفي شمال تساريتسا مباشرة ترتفع هضبة مامي، يمتد عند سفحها القطاع الإداري عبر مدرجات كبيرة حتى عبّارات النهر. وأبعد شمالاً تتلاصق الحصون الصناعية الضخمة. فالمجموعة الكيميائية «لازور» تشغل مركز حوض من الخطوط الحديدية يرى بسهولة من الجو. ثم تأتي بعدها مصانع الفولاذ «تشرين الأول الأحمر»، مصنع الخبز رقم ٢، مصنع المدافع، وأخيراً مصنع الجرارات «دجرجينسكي». أما عرض هذا الشريط من المباني والمصانع فلا يتجاوز ثلاثة آلاف خطوة إلا في حالات نادرة.

وفي بداية أيلول ظهر للجميع أن معركة ستالينغراد قد انتهت. إن فرقه الصاعقة «١٦» التي بلغت الفولغا كأول قوة ألمانية استطاعت أن تصمد أسبوعاً كاملاً أمام الهجمات الروسية المعاكسة مما سمح للجيش المدرع الرابع بقيادة الجنرال القصير ذي الشعر الأبيض هيرمان هوث بالانقضاض على المدينة من الجنوب. هذا بعد أن



الحرب منزلاً منزلاً، وطابقاً طابقاً

سبقته وحدات سريعة من قوات الجيش السادس. وقد تم اللقاء بين الجيشين فوق الهضاب التي تحيط بستالينغراد وتشدها إليها.

هكذا ظهرت المدينة عاجزة عن الدفاع عن نفسها. وهو رأي كان قد أدلى به الجنرال الروسي لوباتين قائد الجيش الثاني والستين السوفياتي. وقد استأذن بالتراجع ولكن كلمات ستالين المدوية قد حالت دون ذلك. وبادر قائد القوات الروسية إيريمكنو إلى إقالة هذا الجنرال وعين مكانه جنرالاً آخر آتياً من الشرق الأقصى وهو يحمل أمراً واحداً فقط: الاحتفاظ بستالينغراد أو الموت. إنه تشويكوف.

وانفجرت معارك عنيفة خلال أيلول وتشرين. واستولى الألمان في البداية على الأحياء الجنوبية ثم انتزعوا مستودع الحبوب الكبير الذي كان يقاتل الروس في قمحه غارقين حتى أوساطهم. وفي الوسط استولوا على هضبة مامي والساحة الحمراء وأرغموا تشويكوف على مغادرة مركز قيادته في باطن الأرض عند ضفة تساريتسا إلى القطاع الشمالي. واحتفظ الروس بقطاع وعر عند ضفة للفولغا كان يحميهم من المدفعية الألمانية ويسمح للنجدات بالتسلل ليلاً إليهم. وقد كان عملاً عظيماً حقاً أن تحتفظ القيادة الروسية بسيل المؤن والذخائر والرجال عبر النهر في مثل وضعها البالغ الصعوبة، وضع الجيش الذي يجب أن يصمد أمام ضغط عشر فرق عدوة. على أن

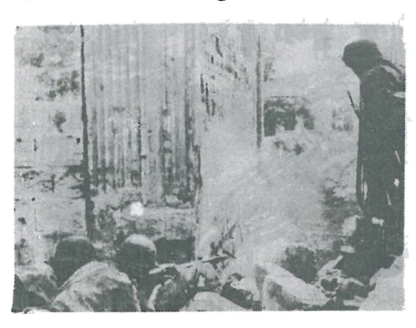
الندرة النسبية التي ظهرت في الطيران الألماني والمدافع والرشاشات والجنود بالاضافة إلى خطوط التموين الطويلة هي التي سمحت للروس في الحقيقة بأن يحتفظوا بسيل المؤن والنجدات.

القتال في المستنقعات والغابات البكر

في شمالي المدينة اتخذ القتال صفة بالغة العنف. لقد تحول كل مصنع إلى حصن كبير. ولجأ الروس إلى مئات المداخل والمخارج في المصانع الأربعة بالاضافة إلى تحصنهم بالمستودعات. وأيقن الألمان أن أي حجر في ستالينغراد لن يصبح في حوزتهم إلا مقابل سيل من الدماء. ومع ذلك فقد استمر الألمان في هجومهم رغم أن معركة ستالينغراد قد فقدت معناها وضرورتها لبقية ميادين الحرب.

الحقيقة أن ستالينغراد لم تكن هدفاً من أهداف الهجوم الكبير. لقد كان المطلوب هو تحطيم إمكاناتها الصناعية وحسب، حتى احتلالها لم تكن له أية ضرورة. ومما يشهد على أن الغاية قد تحققت هو مجموعة الخرائب التي بقيت من ستالينغراد. كان المقصود من هذه المعركة تغطية غزو القوقاز وبالتالي الاستيلاء على بترول باكو. هذا البترول الذي يضطر هتلر إلى تصفية الحرب فيما إذا لم يحصل عليه. لقد كانت ستالينغراد مجرد ركيزة للجبهة الدفاعية التي تسهل تنفيذ الغزو الكبير للجنوب.

ولكن غزو الجنوب القوقازي قد فشل في دورة عام ١٩٤٢. لقد جاء الشتاء البارد إلى المناطق المتاخمة للقوقاز... وعصفت الرياح الباردة فوق المفازات التي



حرب الشوارع في ستالينغراد

سبق للألمان أن اجتازوها في الغبار والحر والعطش وسراب الصيف. أما في الجبال فقد أغلق الثلج كل الممرات والمداخل. ولكن أهداف معركة ١٩٤٢ يجب أن تتحقق. فأين كان الجيش الألماني منها؟

باطوم عند البحر الأسود يجب أن تؤخذ. ولكن قوات رووف كانت ما تزال على بعد ٥٠٠ كلم منها. لقد قاتل الألمان في الغابات وحول المستنقعات وفي مناطق ريفية رائعة وعند مداخل الجبال الوعرة حيث تظهر السهول الخضراء ومن ورائها مياه



خرائب ستالينغراد

البحر. . ولكن كل هذه الجهود لم تفلح من أجل النزول إلى شاطىء البحر الممتد حتى باطوم.

وفي القوقاز الأوسط يجب أن تصبح تفليس ألمانية. ولكن الممر إليها لم يبلغه الألمان بعد. وحاولت فرقة الصاعقة الأولى أن تستجمع كل طاقاتها وأسلحتها ولكن المقاومة الروسية وندرة الوقود وطول المسافة قد حالت دون تحقيق رغبتها في فتح الطريق العسكرية لمنطقة أوساتي. وأبعد قليلاً إلى الشرق توجد آبار غروزني البترولية وهي أغنى الموارد بعد باكو. وقد كلفت فرقة فايكنج المؤلفة من المتطوعين الشماليين بالاستيلاء عليها. وأقيم رأس جسر فوق «تيريك» بجهود هائلة ولكن الحفاظ على هذه المكاسب الجديدة لم يكن ممكناً لعدم وجود نجدات احتياطية. وفي ١٩ تشرين الثاني اضطر الشماليون إلى التراجع عن النهر أمام عاصفة ثلجية رهيبة. وبقيت هذه البقعة أبعد بقعة وصل إليها الجيش الألماني حتى نهاية الحرب.

وأبعد إلى الشرق كانت الطريق مفتوحة أمام قوة استطلاعية آلية يقودها «غوتليب» واجتازت هذه القوة مفازات الكلموك وأحرقت قطاراً ينقل شحنة من البترول عند أبواب استراكان ثم عادت إلى أليستا دون أن ترى جندياً روسياً واحداً.

إن الروس أنفسهم كانوا عاجزين عن استيعاب مثل هذه الأبعاد الشاسعة. وقد يكون في وسع قوة مدرعة أن تنطلق فوق أرض تعلوها قشرة ملحية صلبة صلابة الطرق الدولية وأن تبلغ باكو. ولكن فرقة الصاعقة الأولى لم تكن تملك هذه القوة المدرعة والقوة المساندة لها.

لقد وقع ما لا بد من وقوعه. . . لقد افترست المفازات الواسعة كل الجيش الألماني هناك. ذلك أن هذا الجيش قد انتاشته أعداد كثيرة من الجبهات الهائلة ثم ذاب في الفيافي الشاسعة.

كل هذا كان يحدث في الجبهة باستثناء ستالينغراد عند مرفق نهر الفولغا. .

٦٠٠ كيلومتر ثغرة في الجبهة الألمانية

بفشل غزوة القوقاز كان المفروض، كما يقول العسكريون، أن تترك مدينة ستالينغراد الخربة وأن تعود قوات الجيش السادس إلى حوض الدون. لأن عام ١٩٤١ كشف عن فعالية الروس في الشتاء وعن ضرورة تقصير الجبهات وإزالة النتوءات والجيوب. وعندما نعلم أن الجناح الشمالي لستالينغراد يبلغ ١٠٠٠ كلم طولاً، وأن

ثغرات في الجنوب طولها ٦٠٠ كلم لا تشغلها غير فرقة آلية واحدة نتأكد أن كارثة ستنـزل بالألمان فيما إذا لم يغلقوا هذه الثغرة ويحدثوا تعديلات كبيرة في جبهاتهم.

ولكن هتلر قال في ميونخ كلاماً رهيباً وغبياً في الوقت نفسه. لقد قال أمام الجماهير: «إن ما يستولي عليه الألماني لا يمكن أن تنتزعه منه أية قوة في العالم».

ومن أجل أن ينفذ الجندي الألماني أوامر زعيمه هتلر ثبت في مكانه وبدأت الدائرة تدور عليه بحيث يأتي يوم يتحول فيه النصر إلى أكبر هزيمة عرفها التاريخ في العالم كله...

ستالينغراد مدينة الموت والانتصار

قلنا في فصول سابقة إن هتلر قد أرسل إلى الجبهة الروسية خيرة قواته والقسم الأكبر من جيوشه. وعندما استطاع الروس أن يوقفوه في شهر كانون الأول ١٩٤١ رفض هتلر التنازل عن أي جزء من الأرض التي احتلتها قواته ولم يسمح لهذه القوات بالتراجع إلى مناطق مناسبة لقضاء فصل الشتاء. وعندما اتسعت الجبهة وامتدت بحيث تعذر على الجيش الألماني أن يحميها ويدافع عنها بخطوط مستمرة من الخنادق سمح هتلر لجيوشه بإقامة حاميات في مراكز المواصلات المختلفة وبصورة عامة في المدن التي تمر بها خطوط حديدية مهمة. وقد أحاط الألمان هذه الحاميات بجدار من المدافع واستطاعوا في هذه المناطق أن يواجهوا الهجوم الروسي خلال فترة الصقيع بانتظار العودة إلى الهجوم. كل ذلك حدث كما أشرنا في الفصول السابقة خلال شتاء ١٩٤١ ـ ١٩٤٢. وجاء ربيع ١٩٤٢ ثم الصيف وتبعهما الخريف، وفشلت في هذه الفصول غزوة القوقاز وانهارت ستالينغراد وتحولت إلى خرائب واحتل الألمان تسعة أعشارها، ودارت معارك رهيبة في شوارع المدينة وبين البيوت وفي داخل المصانع الممتدة إلى شمال المدينة الكبيرة. وفي ١٩ تشرين الثاني بدأ الجيش الروسي بهجوم معاكس عنيف ننقل فيما يلي وصفاً له لهانزر شروتر. قال:

في نصف الليل، بدأ الثلج يسقط، ميزان الحرارة سجل ٦ درجات تحت الصفر. الرؤية غير ممكنة إطلاقاً، الطقس رهيب حقاً، الجنرال «الشتاء» يقف مرة أخرى إلى جانب الجيش الأحمر.

وفجأة يتردد صوت النفير وتبدأ المعركة. كانت الساعة تدق الرابعة عند الصباح. (إله الحرب) كما كان يسمي ستالين المدفعية أطلق أصداء طبوله، ٨٠٠ مدفع خلال



الصليب المعقوف فوق خرائب ستالينغراد

٤ ساعات بقيت تبصق اللهب والحديد فوق المواقع الألمانية والرومانية. وحيث كانت تسقط القنابل ترتفع الرمال والجسور الخشبية وشظايا الصخور إلى الفضاء، حصون صغيرة تتفتت وكأنها قصور من الورق، ينابيع من التراب تنبثق من الأرض. جدار من اللهيب الأحمر والحديد كان يتنقل فوق المنطقة.

في هذا الريف المقمر كان يلد حصاد غريب من نبات الفطر الملتهب بألوانه الفاقعة. أغصان وأقدام وقطع من الخشب وجثث وبقايا معدنية وبنادق وقطع من الطين وفصائل من الجنود وسرايا وأفواج بل فيالق كانت كلها مدفونة تحت الثلوج وتحت الوحل أو مقذوفة إلى الفضاء. إن منطقة طولها ٣ كلم قد أصبحت فريسة لجحيم رهيب.

وفي الساعة الثامنة وصلت الدبابات.

الهواء يحفل بضجيج المحركات واصطكاك الفولاذ. إن الرعب الرهيب الذي كان كامناً حتى ذلك الوقت قد بدأ يصعد بسرعة بالغة.

الدبابات الروسية كانت تتقدم في موجات على صورة الاستعراض الاحتفالي. قنابل يدوية مضادة للدبابات أحدثت ثغرات في الجوانح والجوانب. مئات من الدبابات أصبحت بقايا مشلولة يصعد منها الدخان؛ مئات أخرى منها قد تحولت إلى فتات بسبب الألغام أو تحت ضرب القنابل. ثغرات واسعة كانت تبدو في صفوف الروس ولكنهم كانوا يتقدمون باستمرار. السوفيات يندفعون نحو الهنغاريين والإيطاليين والرومانيين الذين كانوا يدافعون عن الجناح الشمالي لجيوش هتلر واخترقوا صفوفهم بينما كانت تساندهم قوات مدرعة من سيبريا ومدفعية مركزة. ثلاثة جيوش روسية تسير عبر جوانح العدو في الشمال وفي الجنوب. وبعد أربعة أيام استطاعت أن تحاصر ٣٠٠,٠٠٠ رجل من الألمان في جيب طوله ٤٠ كلم وعرضه ٢٠.

بين حوض الدون والفولغا وقعت فرقتان رومانيتان و ٢٠ فرقة ألمانية من الجيش السادس في كمين كبير.

والواقع أن الجنرال فرانز هالدر قد بدأ يزعج هتلر باعتباره رئيساً لأركان الجيش الألماني حين أخذ يلح في التحدث عن ضعف الأجنحة الألمانية.

وقد عزله هتلر وعين مكانه كورت زتلر. وكان هالدر قد حذر هتلر قبل ذلك من ضخامة الاحتياطي الروسي الذي يعده ستالين للقيام بهجوم معاكس، وأن عدة هذا



الجنود الروس يتعقبون **فلول الألمان**

الاحتياطي هي مليون ونصف مليون رجل وأن دباباته هي ضعف الدبابات الألمانية. وكان هتلر يصرخ قائلاً: «أرحني من هذه السخافات. لقد انتهى الروس. ان أحداً لن يتكلم عنهم بعد ٤ أسابيع».

وطلب القادة الألمان من زعيمهم هتلر بأن يسمح للجنرال بولوس بالتراجع إلى الوراء لكن هتلر أصر على موقفه ورفض فكرة التراجع.

كان هتلر في الحقيقة خاضعاً لضغط الكلمات التي كان يرددها، كما كان متأثراً بالمكاسب التي حققها النازيون في روسيا خلال سنة ونصف السنة. كان يسيطر على أكثر من ثلث الشعب الروسي ويتصرف بأكثر من نصف موارد الفحم والألمنيوم والمنغنيز وتراب الحديد والطاقة الكهربائية و٤٠٪ من القمح ومصانع الخطوط الحديدية والمحركات وأكثر من ثلث الصناعات الكيميائية.

كل هذا كان جديراً بأن يقنع هتلر بقوته وأن يغذي خياله المتحمس العنيف بالأحلام والرؤى الكبيرة. وعندما طلب القادة من هتلر أن يبدل الجيش بجيش آخر تردد قليلاً ثم سمح لمانستاين عند منتصف كانون الأول بالقيام بعمليات اختراق خطوط

العدو الذي يحاصر الجيش السادس. ولكن فات الأوان. ورواية شاهد عيان كان يقاتل في جيب من الجيوب المحاصرة من قبل العدو تعطي صورة واضحة للموقف. كتب قائلاً:

أخذت الحقيقة تتضح شيئاً فشيئاً. إن الفرق المغلوبة على أمرها والتي كانت تجرر ما تبقى منها قد أخذت تتهاوى وتتساقط الواحدة وراء الأخرى تحت ضغط العدو ثم راحت تتزاحم في وسط الجحيم المشتعل. شيئاً فشيئاً أغلقت كل الطرق بصفوف



جثة بين دواليب إحدى المصفحات

من السيارات كانت تأتي من كل مكان. . كميات كبيرة من الأغذية والتجهيزات أحرقت حتى لا تسقط في يد العدو. أبنية بنيت بجهد هائل كبير تم اجتياحها وكنسها مرة واحدة. كانت الطرق على امتداد آلاف الأمتار مزروعة بفنون من التجهيزات العسكرية: قبعات أقنعة ضد الغاز ما تزال في غلافاتها، أواني مطبخ وأدوات لحفر الخنادق؛ وحتى بنادق ومسدسات أوتوماتيكية وقنابل يدوية. كل هذا ترك في الطرق لأن نقله أصبح مزعجاً أو لأن الرجال الذين كانوا ينقلونه قد غطيت أجسادهم بضمادات مدماة وألبسة ممزقة وكانوا في حاجة إلى كل ما بقي لهم من القوى ليزحفوا فوق الثلوج في صفوف لا نهاية لها. أو أنهم أصبحوا في عداد الأموات الذين تمددت جثثهم جامدة فوق الثلوج ثم يمر بها الجند دون أن يعيروها أي اهتمام أو يعيروا مثله للتجهيزات والأسلحة المتروكة في الطريق.

الرجال معزولون عن كل شيء في العالم. لقد كانوا ينتقلون من موطن دفاعي إلى آخر وقد أصابهم الرهق وظهرت في وجوههم المرارة وغطيت أجسامهم بالأقذار. الرياح الثلجية الآتية من الشرق كانت تصفع الوجوه التي أكلتها والتهمتها اللحى الطويلة وآلاف من البلورات الصغيرة كانت تمزق هذه الوجوه وكأنها شفرات موسى، الوجوه التي لم يكن قد بقي منها غير الجلد والعظم. وبقدر ما كان الإنهاك مستولياً على الرجال فقد كان الجوع مستولياً عليهم بالقدر نفسه. هذه الرياح الثلجية كانت تدبغ جلود الرجال وتنتزع دموعاً من عيونهم الغارقة وهي أشبه ما تكون بالكهوف، كما كانت هذه الرياح تخترق ثياب الجنود المهلهلة حتى تبلغ العظم. وعندما يفقد واحد من هؤلاء الرجال كل قدرة له على الحركة، بل عندما يفقد الخوف من الموت كل معنى له في نفسه لا يلبث جسده الخاوي أن يتساقط ويتجمد تجمداً تاماً، تماماً كالآلة التي تتوقف بعد أن تستهلك آخر قطرة من وقودها. ويمتد كفن من الثلج ليغطي هذا الشيء المتجمد باستثناء طرف الحذاء أو ذراع تجمدت وهي مرتفعة قليلاً وكأن هذا المشهد شاهد على أن في هذا المكان رجلاً متمدداً جثة هامدة.

على أننا كنا نحس بالدهشة أكثر فأكثر حين نرى بأننا لم نكن الوحيدين الذين لم يلتهمهم الموت. لقد كانت معالم الحياة كثيرة في هذا الجحيم المصم. وكانت هذه الحياة تبرز في الوقت نفسه بألسنة عنيفة من اللهب الأحمر في السماء معلنة عن اقتراب هجمة من الهجمات أو مجموعة من الدبابات مما كان يعني بالنسبة إلينا دعوة ملحة إلى النجدة. وبصورة أوتوماتيكية، تماماً كما يفعل الإنسان الصناعي، كنا نفتح النار على الجماهير الصارخة من البلاشفة حتى تقترب الدبابات العملاقة منا فتدوسنا



المارشال فون باولوس الألماني وقد استسلم مع ٩٠ ألفاً من جنوده

بسلاسلها الحديدية مع ضجة ترافقها أشبه بالرعد الرهيب ثم ترغم من بقي منا على التراجع داخل الجيب الذي كانت تضيق أبعاده قليلاً في كل يوم.

وكان غورينغ قد ساند هتلر في قراره الذي اتخذه بإرغام بولوس على الثبات والمقاومة متعهداً بإرسال المؤن إلى الجيش السادس الذي يحاصره الروس. وقد حاولت الطائرات الألمانية أن تنفذ تعهدات غورينغ، ولكن جهودها باءت بالفشل أمام الطقس السيىء والمدافع المضادة للطائرات والمطاردات السوفياتية. هكذا تسمر الجيش السادس في مكانه دون أن يتزود بما يكفيه من الذخيرة والوقود والطعام. ومع ذلك فقد قاتل باستبسال شديد. ولكي يتجنب الروس نزيفاً إضافياً من الدماء عرضوا على الجنرال بولوس شروطاً عادية للاستسلام. وعندما استشار الجنرال زعيمه هتلر كان الرفض القاطع هو الجواب النهائي.

واستمر هتلر يشجع جيشه على المقاومة وقد قال للجنرال بولوس في رسالة وجهها إليه بمناسبة عيد رأس السنة: «إنني اتعهد بتوسل كل شيء لإخراجك من هناك. إن على الجيش السادس أن يصمد حتى النهاية».

وبعد سبعة أسابيع يائسة أخرى قسم الجيش السادس إلى قسمين ثم استسلم في ٢ شباط ١٩٤٣. ولم يبق من الجيش الذي كانت عدته في البداية ٣٠٠,٠٠٠ رجل غير ٩٠,٠٠٠ منهكين متعبين وقعوا أسرى في يد المهاجمين الروس. هذه الهزيمة كانت أخطر هزيمة سجلها الألمان حتى ذلك الوقت منذ بداية الحرب.

والهزيمة أمام ستالينغراد كانت تعني تزايد الخطر على القوات الألمانية المتسللة إلى القوقاز.

وإذا استرجع الروس مدينة روستوف فان كليست يصبح مهدداً بالعزل. وعلى ذلك فقد ارغم هتلر على أن يسمح لقواته هناك بالتراجع.

قلنا في مناسبة سابقة إن هتلر قد ارتكب أخطاء نفسية خطيرة مع الجماهير السوفياتية. إنه لم يحاول أن يشجع روح التمرد في أوكرانيا كما جهل الأوضاع السياسية عند القوزاق والقوقازيين والمسلمين والتتار في بلاد القرم والكلموك. أما الهاربون من الجيش الأحمر والذين عبئوا في جيش من المتطوعين ضد الشيوعيين

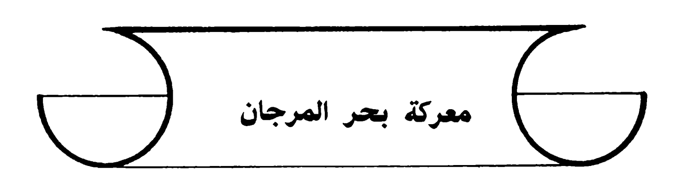


الروس يقضون على آخر جيوب المقاومة في ستالينغراد

بقيادة الجنرال فـلاسوف فقد واجهوا أسوأ معاملة ممكنة. يضاف إلى ذلك أن القسوة النازية أرغمت أكثرية الروس المعادية للنظام الشيوعي على الوقوف إلى جانب النظام السوفياتي.

غرور هتلر وإغراقه في الخيال وفلسفته المستمدة من تعصبه الأعمى لنظرية التمايز العنصري ـ كل هذا قد حال دون تفهمه لخطة دعاوية علمية سليمة كما شجعه على ارتكاب الأخطاء في صلف وعناد شديدين.

أما السوفيات الذين تعلموا الكثير من هذه الحرب في الميدانين العسكري والسياسي فقد بدأوا منذ تشرين الأول عام ١٩٤٢ حملة دعاوية موجهة إلى الأقليات المعادية لنظامهم أثاروا بها نخوة الرجال وغذوا روح البطولة في نفوسهم ونحدثوا كثيراً عن المنجزات الرائعة ومواقف الفداء التي قامت بها جماعات من الأقليات الوطنية في الحرب. على أن الروس في الوقت نفسه قد قاموا بعمليات تصفية قاسية في صفوف الجيش الأحمر وحل كثير من الضباط الشبان محل القادة ثم قضت موسكو على ازدواجية قيادة العمليات العسكرية بإلغاء نظام المفوضين السياسيين.



معركة بحر المرجان

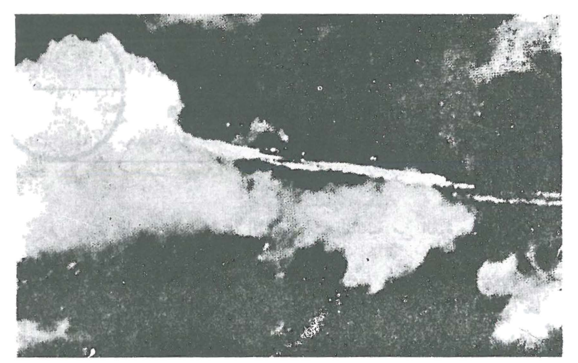
في ربيع عام ١٩٤٢ كانت الانتصارات اليابانية من القوة والامتداد بحيث ان شيئاً لم يعد قادراً على ايقافها أبداً.

ففي شهر نيسان قامت حاملات الطائرات التابعة لأسطول ناغومو بغارة على جزيرة سيلان وأغرقت سفينتين جوالتين وحاملة طائرات بريطانية ثم أبادت قافلة هامة في المحيط الهندي. وأسطول ناغومو قد سبق له أن أغار على بيرل هاربر وشاعت له هيبة في كل مكان وخيل للجميع أن الأسطول البحري الياباني قد أصبح قوة لا تغلب. هذا الأسطول الذي كان يتمتع بمثل هذه القوة، في الوقت الذي يسيطر فيه على جزائر اندمان في خليج البنغال، في وسعه أن يسيطر على المحيط الهندي كله فيما لو وافقت حكومة فيشي على التنازل لليابان عن جزيرة مدغشقر.

أدرك الإنكليز هذه الحقيقة فبادروا إلى استباق الأحداث وأنزلوا جنودهم في الجزيرة واحتلوا مرفأ دياغو سواريز يوم الخامس من أيار. وفي الخريف التالي كانوا قد اتموا احتلال الجزيرة كلها.

والحقيقة أن القادة اليابانيين قد استيقظت فيهم أطماحهم بعد الغارة التي شنها دوليتل على العاصمة وبعض المدن اليابانية الأخرى. لقد اكتشفوا أن الحفاظ على مكاسب الامبراطورية في الباسيفيك مشروط بتوسيع نطاق نفوذهم. وقد عينوا أهدافهم الجديدة في ضوء ضرورتين أساسيتين: الحفاظ على المكاسب الخارجية التي حققوها بغزواتهم ثم حماية الوطن من غارات الحلفاء الجوية.

هذه الأهداف الجديدة هي: الهند، أوستراليا، هاواي، وهي كلها لم تكن غرضاً من أغراض الغزو السابقة، وبدلاً من أن يندفع اليابانيون نحو الهند انطلقوا من بورما إلى منطقة هونان في الصين الجنوبية. وفي الوقت نفسه دخلت جيوشهم، آتية من الشمال، في منطقتي شيكيانغ وفوكيان في جنوب شرقي الصين لغرض حرمان الحلفاء من المطارات الموجودة فيها. ولكن الصينيين استطاعوا أن يوقفوا اليابانيين في هونان



النجدات الأميركية تتجه نحو إحدى جزر الباسيفيك

وهم على بعد ٨٠ كلم من نهر سالوان، كما أنزلوا بهم الهزيمة في شيكيانغ وفوكيان.

على أن الانطلاقة الرئيسية لجهة توسيع المدار الدفاعي قد حدثت في الباسيفيك. إن ما كانت تهدف اليابان إليه، هو أن تضع يدها على جزر اليوشن في الشمال، وعلى مدواي في الوسط، وعلى فيجي وجزر هيبريد، وخلقيدونية الجديدة وبابو، شبه الجزيرة في غينيا الجديدة، في الجنوب. وبذلك يتسنى لهم تهديد هاواي وأستراليا وقطع خطوط التموين الأميركية باتجاه أستراليا ثم تقوية قواتها الدفاعية ضد الهجمات الجوية الحليفة. وقد واجه اليابانيون انتكاساتهم الأولى بينما كانوا يحاولون تحقيق هذه الأهداف الجديدة.

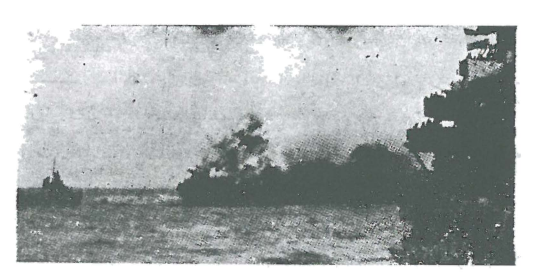
فمعركة بحر المرجان ستوقف المد الياباني، أما معركة مدواي فستقلب الأوضاع وتغير مجرى الحرب في الباسيفيك.

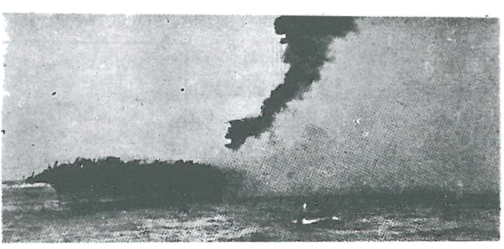
أما معركة بحر المرجان فقد كانت مبارزة بين حاملات الطائرات استمرت خمسة أيام من ٤ إلى ٨ أيار ١٩٤٢. لقد كان أكبر اشتباك في تاريخ الحرب البحرية لم تتبادل فيه سفن البحر العائمة طلقة نارية واحدة. وكان من حسن حظ الأميركيين أن دوائر استعلاماتهم «ماجيك» قد زودت الأميرال فرنك فليتشر بمعلومات دقيقة عن المخططات اليابانية. هذه المخططات كانت تستهدف احتلال تولاجي جنوبي جزر سالومون ثم احاطة الجهة الشرقية من غينيا الجديدة بواسطة سرب بحري لاحتلال مرفأ

مورسبي. وقد تم النزول في تولاجي في ٣ أيار دون ظهور أية مقاومة. ولم تصل طائرات «يورك تاون» إلا في اليوم التالي لضرب السرب الياباني المرافق، ففاتها السرب، ولكنها وصلت في الوقت المناسب لضرب السفن الراسية.

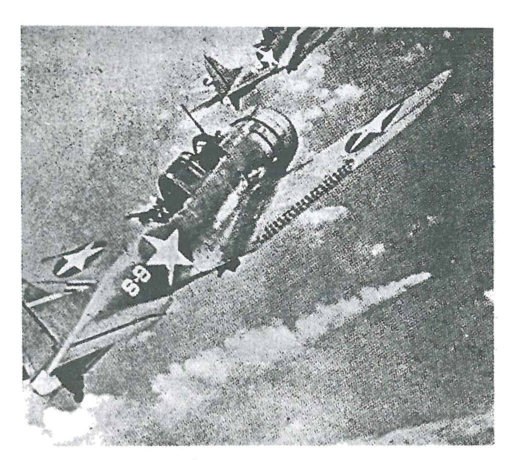
وفي ٧ أيار شوهدت قوة الغزو آتية من رابول بينما كانت متوجهة نحو مرفأ مورسبي. وهنا أغارت الطائرات الأميركية مباشرة عليها فأغرقت حاملة الطائرات الحقيقية «شوهو» بينما كانت الطائرات اليابانية تبحث عن حاملات الطائرات الأميركية فوقعت على الطراد «سيمز» وحاملة البترول «نيوشو» فأغرقتهما.

ولكن الفريقين، أي الطيران الأميركي والياباني، لم يكتشفا ذلك اليوم سرب العدو الرئيسي. وفي اليوم التالي شاهدت إحدى الطائرات الأميركية سفن السرب الياباني فأصيبت حاملة الطائرات شوكاكو بأضرار بالغة. أما زميلتها زويكاكو فقد خرجت سالمة ولكنها خسرت عدداً كبيراً من الطائرات، مما حرمها من أية فعالية. وفي الوقت





حاملات الطائرات الأميركية في معركة الباسيفيك تشتعل فيها النيران



الطائرات قاذفات الطوربيد الأميركية

نفسه اكتشفت الطائرات اليابانية مواقع الوحدات الأميركية. فضربت الحاملتان لكسينغتون ويورك تاون بالقنابل والطوربيدات.

واعتبر اليابانيون النتائج مرضية لهم رغم أنهم لم يحققوا أهدافهم الأساسية. وعادت القافلة المتوجهة إلى مورسبي وألغيت عملية إنزال الجنود. أما الخسائر الأميركية فقد كانت خطيرة. من بينها الحاملة لكسينغتون التي أصيبت إصابات بالغة دفعت أحد الطرادات إلى إغراقها. لكن هذه الخسائر لم تكن بالقدر الذي تخيله اليابانيون وبقيت خسارة لكسينغتون سراً لم يعلن عنه.

مدواي

أما معركة مدواي التي كرست هزيمة اليابانيين فقد سجلت تحولاً في مجرى حرب الباسيفيك. ففي نهاية أيار أقلع أسطول ياباني كبير من اليابان وجزائر الماريان باتجاه مدواي. وكانت بين سفنه: ١١ دارعة، ٨ حاملات طائرات، ٢٢ سفينة جوالة، و ٦٥ طراداً بالاضافة إلى ٧٠٠ طائرة.

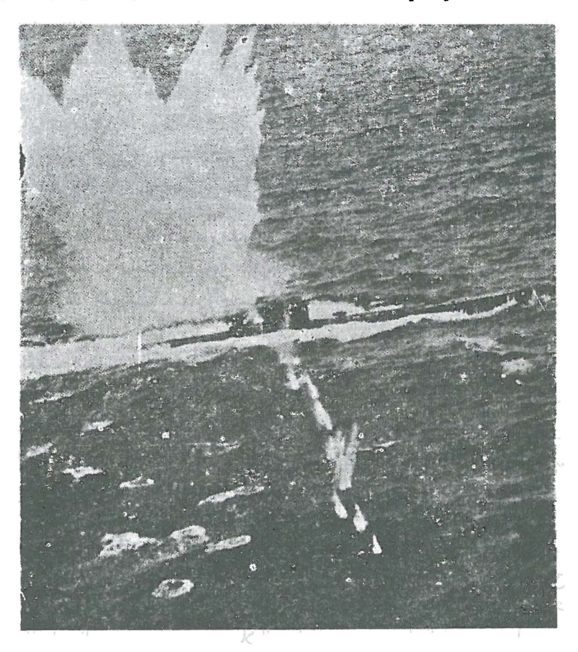
وقد وزعت قوات هذا الأسطول كما يلي:

- قوة مقاتلة مؤلفة من حاملات الطائرات بقيادة ناغومو.

- قوة احتلال بقيادة نائب الأميرال نوبوتاك كوندو.
- قوة منطقة اليوشين بقيادة الأميرال بوشيرو هوزوغايا.
- القوة الرئيسية بقيادة قائد البحرية الامبراطورية الأميرال ايزوروكو ياماموتو.

كانت خطة ياماموتو بسيطة جداً. في ٣ حزيران كان على هوزوغايا أن يتجه منفصلاً عن الباقين عند اليوشين، بينما يتابع الأسطول الكبير سيره نحو مدواي.

في ٤ حزيران تجتاح طائرات ناغومو أرض الجزيرة. وفي ٥ منه ينطلق كوندو لاحتلالها. وعندما يقوم الأسطول الأميركي بهجومه المعاكس تتصدى له دوارع ياماموتو السريعة والقوية، وهي التي بقيت بعيدة عن متناول الطائرات الأميركية وتوجه إليه طلق



قنابل الطائرات الأميركية تشترك في القضاء على الغواصات اليابانية

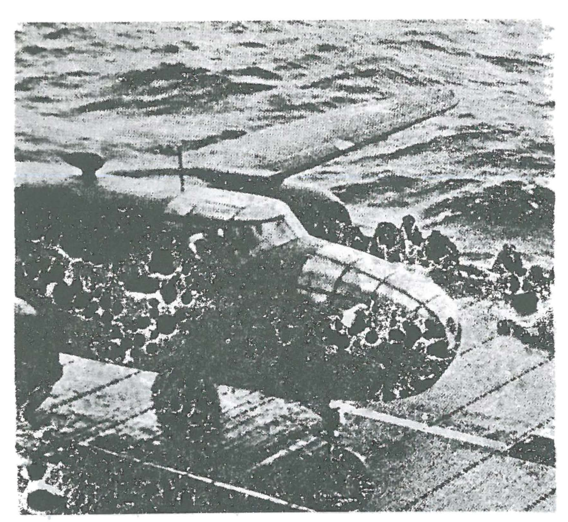
الرحمة بعد أن تكون الطائرات اليابانية قد امطرته بقنابلها واصابته اصابات بالغة. فإذا أصبحت جزيرة مدواي قاعدة جوية لليابانيين سهل على هؤلاء أن يحطموا غارات البحرية الأميركية في الباسيفيك الأوسط الجنوبي. وفيما بعد يكون في وسع اليابانيين استخدام مدواي منطلقاً لغزو هاواي.

خطة ياماموتو تجعل النجاح مرتبطاً بالمفاجأة. ومرة أخرى توفق دوائر الاستعلامات الأميركية «ماجيك» لنقل الخطوط العامة لمخطط العدو إلى الأميرال نيميتز مما أتاح لهذا الأخير فرصة الانقضاض على المهاجمين.

فبعد أن أرسل نيميتز إلى جزيرة مدواي ما تستطيع استيعابه من الطائرات والمدافع والرجال أحاط حاملات الطائرات الثلاث التي يملكها بسربين من السفن المقاتلة. السرب رقم «١٦» بقيادة الأميرال سبروانس وهو يحتوي على الحاملتين «انتربرايز وهورنت» و ٦ سفن جوالة و ٩ طرادات،ثم السرب رقم «١٧» الذي وكلت قيادته مع القيادة العامة إلى الأميرال فليتشر وهو يحتوي على الحاملة «يورك تاون» وقد أصلحت في ورشات بيرل هاربر خلال ٤٨ ساعة ثم سفينتين جوالتين و ٧ طرادات. ووزع نيميتز سربيه البحريين شمال مدواي حيث كان ينتظر ظهور ناغومو.

في ٧ حزيران قذف هوزوغايا دوتش هاربر في اليوشين بقنابل سفنه وفي اليوم التالي شوهدت حاملات ناغومو على بعد ٢٠٠ ميل شمال غربي مدواي. وكانت طائراتها قد انفصلت عنها وأخذت تقترب من الجزيرة. وهنا أقلعت الطائرات الأميركية. قاذفات قنابل وطوربيد لضرب السفن، بينما تهيأت المطاردات لمقاومة الطائرات اليابانية المغيرة. وقد تبين أن المطاردات الأميركية أعجز من أن تواجه طائرات «زيرو» اليابانية. وبلغت قاذفات اليابانيين سماء الجزيرة فأحدثت فيها تخريباً شديداً. وقد نجت المواقع الهامة من المغيرين بمعجزة خارقة من مدارج وراديو ورادار. وفي الوقت نفسه اسقطت المطاردات اليابانية «زيرو» أكثر القاذفات الأميركية قبل أن تطلق طلقة واحدة على سفن العدو.

في صباح ٤ حزيران تلاقت الأسراب المتعادية وأطلقت طائراتها. أما الأميركيون فقد أرسلوا ٤١ طائرة من قاذفات الطوربيد ولكن ٣٥ منها سقطت دون أن يبلغ أي طوربيد من طوربيداتها أي هدف له. وقد حدث أن هذه الطائرات قد اجتذبت المطاردات العدوة «زيرو» بحيث خلا الجو لقاذفات حاملة الطائرات «انتربرايز» فطارت فوق سفن العدو وأغرقت منها حاملتي الطائرات: «كاغا» و «سوريو» في الوقت الذي



إحدى القلاع الطائرة الأميركية من طراز «ب ـ ٢٥»
على ظهر إحدى حاملات الطائرات

أشعلت فيه طائرات «يورك تاون» النيران في حاملة الأميرال ناغومو «أكاغي». وهنا يحدثنا الكابتن ميتسور فوشيدا قائد الحملة الجوية على بيرل هاربر وكان على ظهر «أكاغي»، عن القنابل الأميركية التي أصابت السفينة، قال:

كانت الطائرات تخرج من الحظيرة، الواحدة وراء الأخرى، وتتخذ لنفسها مكاناً فوق مدرج السفينة. لم يكن هناك وقت للضياع. وفي الساعة العاشرة وعشرين دقيقة أصدر الأميرال ناغومو أمره بابتداء الهجوم حين يصبح كل شيء جاهزاً. كانت الطائرات فوق «أكاغي» منهمكة بتحسين محركاتها. إن في وسع الطائرات كلها أن تنطلق خلال خمس دقائق.

خمس دقائق! من كان يظن أن الوضع سينقلب رأساً على عقب في هذه الفترة القصيرة!؟

الرؤية حسنة جداً. غيوم تتراكم على علو ٣٠٠٠ متر؛ إنها ستوفر الحماية

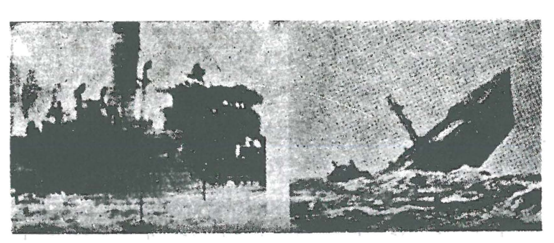
اللازمة للطائرات. وفي الساعة العاشرة وأربع وعشرين دقيقة أعطيت الأوامر للاقلاع عبر مكبر الصوت.

ضابط الجو يلوح براية بيضاء؛ المطاردة الأولى «زيرو» تنطلق. في تلك الفترة صرخ أحد المراقبين «جحيم ينقض» ورفعت ناظري: ثلاث قاذفات أميركية تنقض على سفينتنا. بعض رشاشاتنا يطلق سيلاً من رصاصه ولكن بعد فوات الأوان. الأشباح الثقيلة كانت تتضخم أمامي بينما تسبح في الجو أشياء سوداء تحت جوانحها. قنابل! إنها تسقط باتجاهي! وألقيت بنفسي أرضاً وزحفت وراء مركز صغير للقيادة.

وصدمني في البداية صوت الطائرات المنقضة الرهيب ثم تبعه انفجار عظيم.



المدافع المضادة للطائرات الأميركية عيار ٤٠ ملم تشترك في حرب الطائرات اليابانية



الغواصات الحليفة تتصدى لقوافل التموين المتجهة نحو اليابان

ثم انتشر نور شديد وتبعه انفجار أقوى كثيراً من الانفجار الأول. وأحسست بعاصف من الهواء الحار يهزني هزاً شديداً. ثم كانت صدمة ثالثة أقل ضجيجاً. ويبدو أنها قنبلة طائشة. وكان بعد ذلك صمت، صمت مخيف: وتوقفت الطائرات فجأة عن الصراخ. فنهضت ونظرت إلى السماء فوجدت أن الطائرات العدوة قد اختفت. كان المهاجمون قد وفقوا إلى اصابتنا دون أن يلاقوا أية مقاومة، ذلك لأن مطارداتنا التي انطلقت قبل دقائق قليلة لمهاجمة موجهة من قاذفات الطوربيد لم تبلغ الارتفاع اللازم في الوقت المناسب. وفي وسعنا القول إن نجاح القاذفات الأميركية كان بسبب التضحية بالطائرات حاملات الطوربيد. أما حاملات طائراتنا فلم يكن لديها الوقت الكافي للهرب، لأن غيوماً كانت تخفي قاذفات العدو حتى الفترة التي انقضت فيها علينا. لقد أخذنا بصورة مفاجئة بينما كان مدرج السفينة تغطى بطائرات مزودة بالسلاح ومعدة للهجوم.

ونظرت حولي وشاع رعب شديد في أطرافي حين وقع نظري على التخريب الذي أحدثته طائرات العدو في ثوان قليلة. كان هناك ثقل كبير فوق المدرج تماماً وراء إحدى الروافع في وسط السفينة. الرافعة نفسها كانت محطمة كأنها قطعة من الزجاج الذائب وانتصبت صفائح الحديد على صورة بشعة غليظة. الطائرات في أوضاع غريبة، ترسل لهباً باهتاً ودخاناً أسود اللون كأنه الحبر. وسالت من عيني دموع الغضب وأنا اشهد الحريق ينتشر. وكنت أشعر برعب شديد حينما تصورت احتمال استمرار الانفجارات التي ستنتهي إلى اغراق السفينة.

واستطعت أن أشهد في الوقت نفسه الحاملتين «كاغا» و«سوريو» وقد أصيبتا بالقنابل وأرسلتا دخاناً كثيفاً إلى السماء. لقد كان مشهداً رهيباً حقاً!

وهنا أطلقت آخر حاملة طائرات في سرب ناغومو طائراتها ضد (يورك ـ تاون)

فأصيبت هذه الأخيرة بالقنابل والطوربيد. اسم الحاملة (هيريو). لكن طائرات (انتربرايز) لم تلبث أن انقضت على الحاملة (هيريو) ثم تركتها في حالة تدعو إلى الرثاء والشفقة حتى ان طرادات يابانية قد أغرقتها.

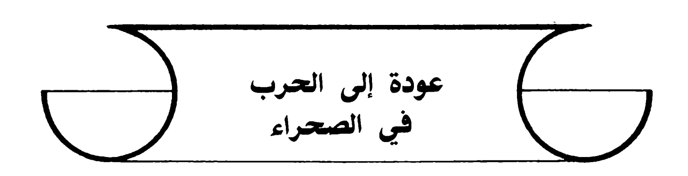
وبعد ذلك بيومين أغرقت إحدى الغواصات اليابانية حاملة الطائرات (يورك ـ تاون) بينما كان يرافقها الطراد (همان).

وبعد معركة استمرت ثلاثة أيام وثلاث ليال متوالية خسر فيها (ياماموتو) حاملات طائراته انسحب من المعركة. أما القوة البحرية التي كانت قد انفصلت عنه فقد استولت على أتو، كسكا، وأداك من جزر اليوشين ومع ذلك فقد نزلت به أكبر هزيمة بحرية في التاريخ الياباني.

كان ياماموتو قد خسر أحسن أربع حاملات طائرات، والنخبة من طياريه ثم مدمرة ثقيلة يضاف إليها ٢٧٥ طائرة وأكثر من ٤٨٠٠ رجل. ولكن ما هو أشد من ذلك أن الذي أنزل به الهزيمة هو أسطول أقل من أسطوله عدد سفن وحاملات طائرات.

أما الولايات المتحدة فقد خسرت (يورك ـ تاون) و (همان) و ١٥٠ طائرة و ٣٠٧ رجال ثم احتفظت بعد ذلك بجزيرة (مدواي) وابتعد الخطر الياباني ثم أتيح للأميركيين أن ينزعوا المبادرة في خوض العمليات الحربية.

وعندما دخل عام ١٩٤٣ انقلبت الأوضاع رأساً على عقب وأرغمت اليابان نهائياً على اتخاذ موقف دفاعي. والموقف الدفاعي في مثل هذه الحالة وأمام قوة اقتصادية هائلة وقدرات صناعية ضخمة لا يعني في نهاية المطاف غير الهزيمة.



عودة إلى الحرب في الصحراء

لاحظنا في فصول سابقة أن تكتيك الحرب في الصحراء يختلف عنه في الجبال والوديان والسهول المتاخمة لها. إنه أشبه ما يكون بتكتيك الحرب في البحر ذلك لأن الانتصار في حرب الصحراء أول ما يعتمد على قدرة الجيش في التزود بما يحتاج إليه من المؤونة والذخيرة وعلى الاستعانة بالنجدات وسرعته في نقل مهماته وجنوده.

أما طريق التموين البريطانية فقد كانت تمتد ٢٠,٠٠٠ كلم ابتداءً من رأس الرجاء الصالح حتى السويس، أي ان المؤن تبقى في الطـريق ثلاثة أشهر. وأما الجيش الألماني فقد كان طريق تموينه يمتد ٥٠٠ كلم ابتداءً من إيطاليا، أي انه المسافة التي تقطعها القافلة في ثلاثة أيام.

وفي نهاية ١٩٤١ كان رومل وأوكنلـك يستعدان للقيام بهجوم واسع. وكان وضع الألمان حرجاً في ميدان التموين. لقد كانت جزيرة مالطا والطائرات والسفن الإنكليزية تعترض قوافل المحور المتجهة نحو رومل وتزعجها بحيث ان سفينة واحدة من كل ٤ سفن كانت تنجو من الغرق وتصل إلى ميناء طرابلس.

لذلك شعر أوكنلك آنذاك أن في وسعه المبادرة إلى ضرب الألمان. وبعد شهرين اثنين وصل إلى العجيلة في ليبيا الغربية واحتل طبرق وطرد رومل ولكن دون أن يوفق إلى محاصرة قواته المتحركة.

وقرر الألمان في شهر تشرين الثاني من العام نفسه أن ينقلوا إلى مياه البحر الأبيض المتوسط ٢٥ غواصة من غواصات المحيط الأطلنطي مساندة منهم لجيش رومل.

وفي الشهر الذي يليه نقلوا من الجبهة الروسية جيشاً جوياً كاملاً إلى صقلية وافريقيا الشمالية.

وعندما انتزعوا سيادة الجو والبحر من البريطانيين راحوا يغيرون على مالطا فعزلوها وأرغموها على اتخاذ موقف الدفاع ـ تنفست قوافلهم الصعداء ونجت من

خطر الغرق. وعجز الإنكليز بعد ذلك عن إيقاف أية قافلة من القوافل الألمانية طوال شهر كانون الثاني ١٩٤٢. بل حدث العكس تماماً فقد أصيبوا بخسائر فادحة حين حاولوا أن يرسلوا مؤناً ووقوداً وطائرات إلى الجزيرة. لقد غرقت أعداد من سفنهم في مقدمتها حاملة الطائرات (آراك ـ رويال)، الدارعة (بارهام)، المدمرتان (نبتون وغلطا). أما في ١٨ كانون الأول فقد أصيبت المدرعتان (كوين اليزابيث، وفاليانت) بإصابات فادحة وهما في مرفأ الاسكندرية بواسطة طوربيدات بشرية إيطالية. ثم لم يبق من الأسطول البريطاني في المتوسط غير ثلاث مدمرات وستة طرادات.

وهنا قام رومل بهجوم معاكس في الحادي والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٢

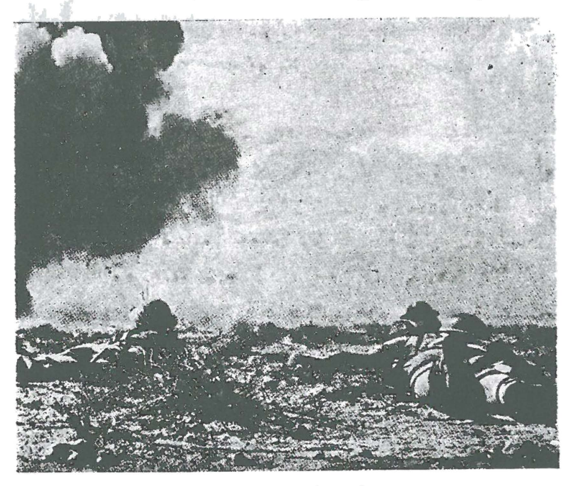


جثة جندي ألماني في الصحراء الغربية

بعد أن ضمن خطوط تموينه. وهو وإن كان يقود جيشاً أقل عدداً من الجيش الإنكليزي ودون مساندة جوية كافية فقد استطاع أن يطرد الإنكليز ٤٨٠ كلم إلى الوراء حتى الغزالة خلال ١٧ يوماً. وطالت خطوط تموينه عند ذاك وأصبحت أكثر تعرضاً لضربات الطيران الإنكليزي ولذلك أرغم رومل على التوقف لإعادة تنظيم قواته. في هذه الأثناء حاول الإنكليز إرسال النجدات إلى جزيرة مالطا لتصبح مرة أخرى مصدر تهديد لقوافل المحور، ولكن الطيران الألماني والغواصات كانت تراقب الجزيرة مراقبة بالغة الدقة لتحول دون وصول أية نجدة إليها .هذه المحاولات التي قام بها الإنكليز أفقدتهم مدمرتين (ناياد وهرميون) وأربعة طرادات. يضاف إلى ذلك خسائر شديدة أنزلها الطيران الألماني بجزيرة مالطا حتى ان الغواصات الإنكليزية أرغمت على ترك قاعدتها البحرية في الجزيرة في أول نيسان.

وتم تنظيم القوات التابعة لرومل فبدأ الهجوم في ٢٦ أيار ونجح نجاحاً باهراً فاجتاح بير حكيم وهي القاعدة الجنوبية لخط أوكنلك الدفاعي في قطاع الغزالة ثم تابعت قوات رومل تقدمها باتجاه طبرق مهددة بتقسيم الجيش الثامن إلى قسمين بينما كان الفرنسيون الأحرار يقاومون هجمات الدبابات والطائرات الإيطالية الألمانية في بير حكيم.

وبعد أسبوعين من مقاومة عنيفة مستمرة وجد الجنرال كونيغ نفسه مرغماً على مغادرة الحصن في ١٠ حزيران. وبعد ذلك بثلاثة أيام حطم فيها رومل ٢٣٠ دبابة من جملة الدبابات الثلاثمائة الإنكليزية التي قامت بهجوم معاكس جانبي؛ فأصبحت كارثة الجيش الإنكليزي نتيجة حتمية. وتراجع الإنكليز إلى مرسى مطروح ليتجنبوا الحصار ثم لم يتركوا في طبرق غير حامية مهمتها توجيه الضربات إلى القوافل الألمانية. وانقض رومل على طبرق بقاذفاته الجوية ومدافعه وقواته المدرعة. واستمرت الحرب يومين استسلمت طبرق في نهايتهما، وكان ذلك في ٢١ حزيران. فتراجع أوكنلك ١٢٠ كلم ووقف عند مواقع العلمين على بعد ١٠٠ كلم من الإسكندرية. في هذه المنطقة لم يكن خط الدفاع يمتد أكثر من ٧٠ كلم بين البحر وصحراء القطّارة



القوات الهندية في المعركة

بحيث ان أي جيش من الجيوش لا يجرؤ على اجتياح المدافعين في غير هذه المنطقة الضيقة. وتشبث الجيش الثامن بعد أن وصلته نجدات وأسلحة بمواقعه الدفاعية الجديدة. وكان قد فقد نصف رجاله في الكارثة التي نزلت به والقسم الأكبر من مهماته وتجهيزاته.

هنا أصبحت خطوط التموين الألمانية طويلة جداً ولذلك توقف رومل في شهر تموز لإعادة تنظيم قواته المرهقة. ومر تموز ثم شهر آب الذي لم ينته حتى حاول



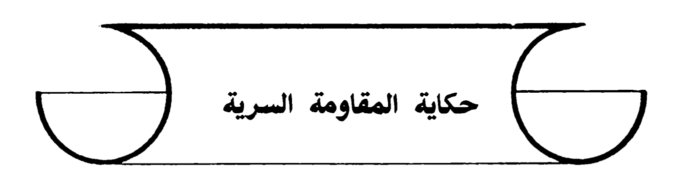
القوات الهندية في البردية



تشرشل في العلمين

«ثعلب الصحراء» أن يخترق جبهة العلمين ويتغلغل نحو دلتا النيل. وتوصلت عناصر من جيش رومل إلى اختراق بعض مواقع العلمين والتغلغل على بعد ٤٠ كلم إلى ما وراء الخطوط الانكليزية قبل أن توقفها الطائرات.

هذه الهزيمة كانت من الضخامة بحيث انها أصبحت مصدر تهديد كبير للسويس، وأن تشرشل نفسه قد طـار في شهر تموز من لندن إلى القاهرة ليهز القيادة الإنكليزية في الشرق الأوسط. وعزل أوكنلك وأحل مكانه الجنرال السير هارولد الكسندر، كما وكل القيادة التكتيكية للجيش الثامن إلى الجنرال مونتغمري. وكان هذا الاختيار اختياراً حاسماً وتجمعت إرادة الإمبراطورية الإنكليزية كلها وهي تشهد اقتراب نهايتها لرد جيش رومل. وشعر رومل أن المعركة الحاسمة آتية غير بعيدة.



حكاية المقاومة السرية

بعد المعارك التي تحدثنا عنها والاشتباكات التي حاولنا أن نعطي عنها صورة تقريبية، نشعر أننا قد أهملنا جانباً خطيراً من جوانب تلك الحرب الرهيبة. إنه جانب الحرب السرية التي قام بها مواطنون مدنيون يساعدهم عسكريون هاربون أو متمردون على قوات الاحتلال وقد انتشرت هذه الحرب السرية بواسطة قوات أطلق عليها اسم الأنصار.

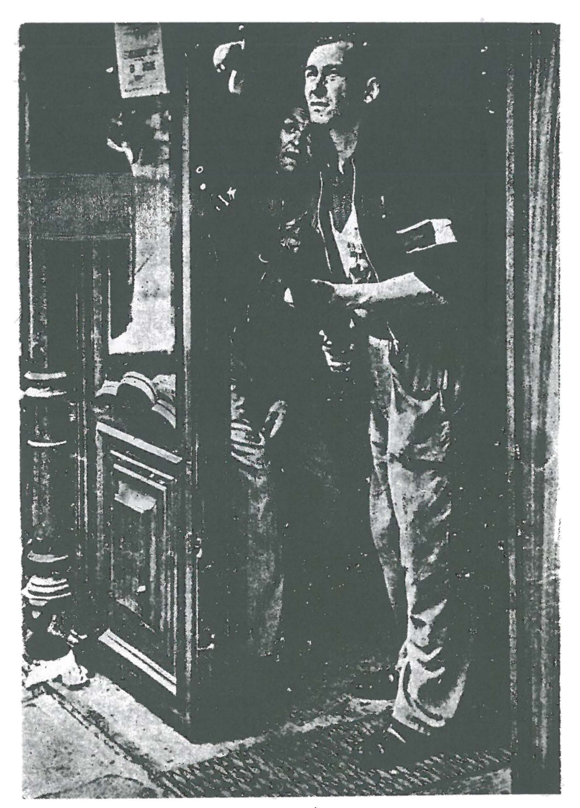
وكانت الأساليب التي استعملها النازيون المتعصبون ابتداءً من قتل الرهائن بالجملة والاعتقال والإعدام في أفران الغاز وغيرها هي من بعض العوامل التي دفعت الجماهير الناقمة في أوروبا والبلاد الروسية على إشهار السلاح.

إن موجة هائلة من الحقد أخذت تنتشر عبر المدن والجبال والسهول تستثير الرجل والمرأة وابن المدينة وابن القرية. وأخذ الناس يتنادون إلى مقاومة الغزاة الألمان بعد أن ذهب الروع عنهم وخفت الدهشة التي أحدثتها حروب الصاعقة.

وطبيعي أن الناس لم يكونوا كلهم من الأنصار، فقد خانت الجرأة كثيراً منهم، ولكن فئات غير قليلة لم تتردد أمام الخطر ولم تأل وسعاً في الانقضاض على قوات الاحتلال. وكما كان هناك الوطنيون الأنصار الحاقدون على النازيين كان هناك أيضاً المتعاونون مع هؤلاء النازيين وفي مقدمتهم كويسلنغ، لافال، دوغريل، ساس، انكوارث، وآخرون غيرهم.

وقد اختلفت أعمال الأنصار وتنوعت، منهم من انصرف إلى التجسس على النازيين ومنهم من تولى القيام بعمليات التخريب ومنهم الذين اشتبكوا مع العدو في معارك حربية. أما العدو فقد كان يرد على هذه المحاولات بإقامة معسكرات الاعتقال وتسليط الجلادين على الأبرياء وتنفيذ أحكام الإعدام بالجملة.

وبينما كان هتلر يصادر خمسة ملايين من العمال، ويستهلك الثروات الأوروبية ويحتكر إنتاجها المادي ويبيد الملايين من الناس، كانت هجمات الأنصار والثوار من



حرب الأنصار في فرنسا

المدنيين وغيرهم تتضاعف وتنتشر عبر الجبال والوديان والسهول. لقد كانت الطرق تنسف، والقطر الحديدية تحطم، والمستودعات تحرق، والجسور تهدم، والخطوط التليفونية تقطع، والآلات تخرب.

الصحف السرية تحرض الجماهير على الثورة، والحلفاء يستقبلون المعلومات

الهامة عما كان يجري في أوروبا، والأسلحة تصل تباعاً إلى أصحابها، وأعداد متزايدة من المتعاونين مع النازيين تلقى حتوفها، ودوريات ألمانية تجد الموت في الكمائن وعند سفوح الجبال وفي الوديان.

وقد بلغت المقاومة السرية ذروتها في كل من بولونيا ويوغوسلافيا وبلاد اليونان.

على أن هذا كله لا يستطيع أن ينسينا شيئاً آخر كان يجري في تلك الأيام.

لقد كان الصراع بين الأحزاب المختلفة، وكانت المنازعات بين العصبيات المتعددة، والخصومات الموروثة عن الماضي ـ كل هذه كانت تبرز في صميم حركات الأنصار وفي تضاعيف الحرب السرية التي تشنها الشعوب على الغزاة النازيين. ولا شك أن الألمان كانوا وراء كثير من هذه المنازعات التقليدية أو التناقضات الحزبية.



رجال المقاومة الفرنسية السرية يتشاورون لنسف أحد القطارات

إلا أن هذه الظاهرة لم تحل دون ترديد شعارات النصر على أفواه الملايين من أبناء الشعوب الأوروبية.

وفيما يلي يحدثنا الكولونيل ريمي عن بعض بطولات هذه المقاومة التي كانت تتزايد عنفاً بتزايد قوى الحلفاء قال:

في تشرين الثاني من عام ١٩٤١ حمل إلي (اسبادون) في مدينة باريس قطعة رقيقة من المعدن لا تجاوز مساحة طابعين من الطوابع البريدية.

ـ احمل هذه إلى لندن. هذا ما قاله لي. إنها النموذج الذي طلب منا عن طريق رسالة لاسلكيـة.

وأخذت أقلب بين أصابعي هذه القطعة ذات اللون الرمادي المائل إلى الزرقة. وبدا لي المعدن الذي صنعت منه خفيف الوزن شديد الصلابة. إنه لم يكن من الألومنيوم.

- قال لي: لقد أعلمت لندن أن الشركة الوطنية للإنتاج الجوي في الجنوب الغربي في بوردو تصنع هذا المعدن لحساب اللفتواف في سرية تامة.

- نعم لقد قرأت تقريرك. كنت تقول فيه بأن الألمان يتخذون الاحتياطات الشديدة ضد أية محاولة قد يقوم بها العمال لتهريب هذا المعدن، وبأن العمال كانوا مرغمين عند الدخول على تعرية أجسامهم ولبس ثياب خاصة للعمل، بطانتها غير مخيطة، وبأن تفتيشاً دقيقاً يجري معهم عند خروجهم من المصنع كما يرغمون على غسل أيديهم وتنظيف أظافرهم بالفرشاة حتى لا تبقى أية جزيئة من جزيئات هذا المعدن فيها.

- هذا صحيح.

- فكيف صنعت حتى حصلت على هذا النموذج وأخرجته؟

- إنك تذكر أن العمال قد امتنعوا عن العمل خمس دقائق في ١١ تشرين الثاني على أثر نداء وجهه إليهم الجنرال ديغول بالراديو. في هذا المصنع توقف كل العمال إلا أحدهم فقد تابع عمله كما لو أنه لم يحدث شيء أبداً. وعند نهاية الدقائق الخمس، انقض عليه زملاؤه وأوسعوه ضرباً ولكماً. وتدخل الألمان فأنقذوه بعد أن أغمي عليه. وفي اليوم التالي كانت القطعة المعدنية في حوزتي.

أهو ذاك الذي...

- هذا العامل كان واحداً منا. وهو الذي كلفته بإخراج القطعة المعدنية. وعندما سمع بنداء الجنرال ديغول قال في نفسه: سيكون الألمان منشغلين بالعمال المضربين. وكان يلبس حذاء نعله من المطاط المقتطع من عجلات السيارات كما يفعل الكثيرون. وفي صباح الحادي عشر من تشرين الثاني أعد القطعة المعدنية بالحجم المطلوب. وتابع العمل عندما بدأ الاضراب، ثم ترك القطعة تسقط دون أن ينتبه الحراس الألمانيون. وبتحريك قدمه استطاع أن يدخل القطعة تحت المطاط المسمر في حذائه.

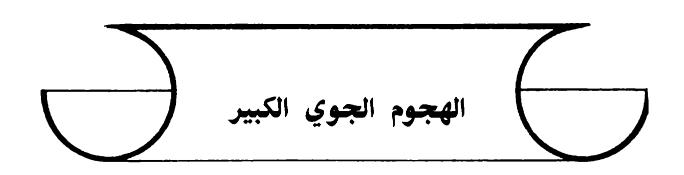
- هذا شيء رائع!

انتظر قليلاً... لقد زرته وأبلغته أن جهل الألمان بتسرب القطعة المعدنية إلى

الخارج ضروري جداً. وعاد إلى عمله في المصنع ولم ينبىء أحداً من زملائه بما فعل. وامتنع رفاقه عن توجيه أية كلمة إليه. لقد أصبح ناشزاً في نظرهم «إنه خائن في رأي العمال».

هذا الحادث لم يكن فريداً من نوعه. وعن طريق مثل هذا العامل استطاع الحلفاء الحصول على كثير من أسرار الصناعة الألمانية والمنجزات التكنيكية التي كانوا يطورون بها أسلحتهم الحربية.

وبفضل هؤلاء الجنود المجهولين قدمت إلى الحلفاء خدمات كثيرة ساعدتهم على كسب الحرب الضارية التي خاضوها ضد النازيين.



الهجوم الجوي الكبير

كان الاتحاد السوفياتي يطالب الغربيين بفتح جبهة جديدة تنشغل بردها أجزاء من القوات الألمانية التي تغزو بلاده. وسنرى فيما بعد أن الخلاف الأكبر الذي سببته العمليات الحربية بين الإنكليز والأميركيين كان يدور حول موضوع فتح جبهة سريعة في أوروبا الغربية. الإنكليز كانوا يعارضون اعتقاداً منهم بأن ظروف الحرب لا تساعد على فتح هذه الجبهة بينما يصر الأميركيون على فتحها بأسرع ما يمكن من الوقت.

وبقي الإنكليز يعارضون فتح هذه الجبهة الغربية حتى عندما تقرر تنفيذ خطة «أوفر لورد» بغزو نورماندیا. لقد كانوا يصرون حتى الدقيقة الأخيرة على أن تكون هذه الجبهة فيما يسمونه «بطن أوروبا الرخوة» أي جنوب شرقي أوروبا.

وكان الإنكليز بالإضافة إلى خوفهم من فشل الغزو يستهدفون بالنزول في جنوب شرقي أوروبا إبعاد النفوذ السوفياتي عن تلك المنطقة الأوروبية.

وقد ثارت ثائرة الروس وراحوا يهددون تارة ويلحّون في الطلب تارة أخرى حين تأجلت عمليات الغزو الكبير لأوروبا الغربية.

ومن أجل أن يعوض الحلفاء عن الفراغ الذي سببه تأجيل الغزو أخذوا يغيرون على الصناعات والمواقع الألمانية الحساسة بأعداد كبيرة من قاذفات القنابل.

وقد لوحظ أن الغارات التي تمت عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ كانت غارات متباعدة وغير ذات فعالية. لكنها لم تلبث حتى قويت عام ١٩٤٢. فقد أخذت طائرات هاليفكس ولانكستر الثقيلة تقوم بغارات ضخمة فتلقي قنابلها المحرقة أثناء الليل فوق مدن الريخ الرئيسية: برلين، روستوك، لوبك، كييل، كارلزروه، ستوتغارت، إمدن، بريمن، دويسبورغ، همبورغ، ماينس، دوسلدورف.

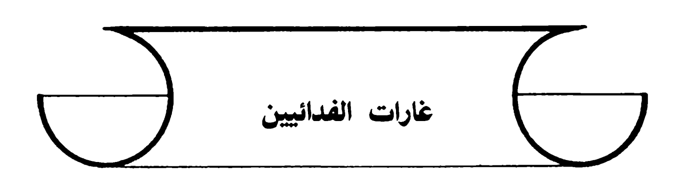
في ٣٠ أيار من عام ١٩٤٢ قامت ألف طائرة حربية بأول غارة واسعة النطاق وكانت مدينة كولونيا هدف هذه الغارة. وفي حزيران تجددت الغارة على منطقة

الرور وبريمن. وهكذا بدأت عمليات الانتقام لمدينة كوفنتري الإنكليزية.

وفي ربيع ٤٢ تم تشكيل الجيش الجوي الأميركي الثامن في الجزيرة البريطانية. وفي ١٨ آب انطلقت قلاعه الطائرة «ب ١٧» في أول غارة لها نحو مدينة روان. وفي ٨ تشرين الأول جرت غارة ثانية على مدينة ليل. كان الطرفان متفقين على الأهداف الاستراتيجية: مصانع الطائرات، المصافي البترولية، شبكات المواصلات إلخ... ولكنهما لم يكونا متفقين على الأساليب التكتيكية.

الإنكليز يفضلون الغارات الليلية الكثيفة. أما الأميركيون فيفضلون الغارات النهارية لأنها أقدر على تحديد الأهداف. وبما أن أكثر الغارات في تلك الأيام كانت بطائرات إنكليزية فقد كانت الغارات الليلية أكثر حدوثاً بالطبع. أما الغارات النهارية فقد كبدت الأميركيين خسائر كبيرة لعدم وجود مطاردات بعيدة المدى قادرة على مرافقة القاذفات المغيرة.

هكذا واجه غورنغ بنفسه تكذيباً قاطعاً لما سبق أن أعلنه من استحالة الغارة على برلين من الجو. على أن سرب الألف طائرة لم يكن في الحقيقة غير تمهيد لمجيء أسراب أخرى مؤلفة من عدة آلاف من الطائرات الجبارة.



غارات الفدائيين

للفدائيين الانكليز حكاية طويلة.

وقد استطاع هؤلاء الجنود أن يلعبوا دوراً كبيراً في الحرب وأن ينزلوا بالألمان خسائر كبيرة. ولكن خسائرهم هم أيضاً كانت عبئاً ثقيلاً على آلة الحرب البريطانية.

ففي آذار ١٩٤١ تم غزو جزر لوفوتن في الشمال الغربي للشاطىء النروجي، وفي كانون الأول من العام نفسه نزل الفدائيون في فاكسو من النرويج أيضاً بقصد تطهير طريق القوافل المتجهة إلى الاتحاد السوفياتي. وفي فاكسو هدم الغزاة المؤسسات القائمة وأغرقوا سفناً وحملوا معهم عدداً من الأسرى وكميات من المعلومات العسكرية.

أما في الجبهة الغربية فقد نظمت غزوات عديدة للفدائيين وغايتها بالإضافة إلى التخفيف عن كاهل السوفيات معرفة القدرة الدفاعية في حصون هتلر الأوروبية واكتشاف قيمة التكتيك الذي كانت تضعه القيادة لفتح جبهة ثانية في أوروبا.

وفي شهر شباط استولى عدد من المظليين والفدائيين الإنكليز على محطة رادار ألمانية في برونيفال «فرنسا» ثم عادوا إلى بلادهم وقد حملوا معهم عناصر هامة حُولت إلى الخبراء لدراستها.

وفي شهر آذار قاد الفدائيون الإنكليز تساعدهم سفن حربية، الطراد «كامبل تاون» حتى مرفأ سان نازير، وهو المرفأ الوحيد الذي يمكن فيه اصلاح الدارعة العملاقة «تيربيتز». وبفضل هذا الطراد نسفوا الحوض الجاف وحطموه إلى أجزاء صغيرة.

وفي ذلك يقول أحد الفدائيين:

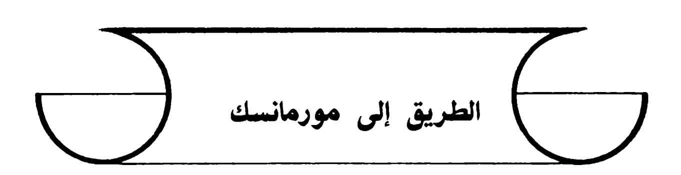
غرقت القافلة كلها في النور تقريباً قبل أن نهبط إلى البر بدقائق قليلة. وقد بدأت مدفعية الشاطىء تحيط بنا. القنابل تصفر فوق رؤوسنا وتسقط في الماء. على

أن هناك قنابل كثيرة اخترقت السفن من جانب إلى آخر، وقتلت رجالاً كانوا على ظهر هذه السفن. واستطعنا أخيراً أن نرى الأرصفة، وجهتنا الهامة، والمستودعات التي عرضت علينا مواقعها في الخرائط وصورها الملتقطة من الجو خلال الأيام الماضية. كل منا كان يعرف المكان عن ظهر قلب. أما «كامبل تاون» فقد غير اتجاهه وشاهدته لآخر مرة متجهاً نحو الحوض الجاف.

كان هذا هو الوقت العظيم. الطراد كامبل تاون يخترق المسافة الباقية. راية الحرب البيضاء ترتفع. إنه يفتح لنفسه طريقاً أمامه بسرعة ١٨ عقدة متوجهاً نحو أبواب السد الكبيرة، بينما كانت بطارية ألمانية تكتسح أعلاه. الجنود كانوا منبطحين ويردون على البطارية ببنادقهم الرشاشة؛ ظهر السفينة اكتسح اكتساحاً تاماً ولم يكن عليه شيء يحتمى به. النيران، والدخان وأزيز الطلقات النارية ودوي القنابل تحيط به من كل جانب. الطراد يتابع طريقه نحو أبواب السد ثم يخترقها ليجد نفسه في وسط الحوض. وقد كان دخول الطراد من القوة بحيث أنه لم يتوقف حتى أصبح نصفه في وسط الحوض مع العلم أن سمك الأبواب الحديدية يبلغ عشرة أمتار أو أكثر قليلاً. أما الآن فقد أصبح حتماً على تيربيتز أن تفكر مرتين قبل أن تهاجم قوافلنا في الأطلنطيك. والواقع أن وضع الحلفاء لم يكن حسناً في معركة الأطلنطيك آنذاك. وقد قيل لنا ان الهجوم على سان نازير ليس غارة بسيطة فهو يلعب دوراً في استراتيجية الحلفاء.

أكمل الطراد مهمته. لقد دخل الحوض في تمام الساعة الواحدة و٣٣ دقيقة من الصباح أي بعد ثلاث دقائق عن الوقت المقدر في الأوامر. في الساعة الثانية إلا الربع كان الجنود قد هبطوا إلى البر. وبعد خمس دقائق بدأت عمليات التخريب. في الساعة الثانية ترك الطراد وهو يغرق وفيه خمسة أطنان من المتفجرات ينتظر أن تنفجر بعد بضع ساعات. الجنود فرحون في كل مكان. جماعة أخرى نسفت محطة الضخ ومقصورة إدارة السدود. كان هناك عدد كبير من الجرحى فوق الطراد أخرجناهم جميعاً إلى البر. أكثر الذين نزلوا إلى البر أخذوا أسرى في الصباح بينما كنا نحن مختبئين في أقبية بانتظار الليل أملاً في الهروب. حول الساعة العاشرة والنصف سمعنا صوت انفجار رهيب. أصبح الألمان في حالة جنون؛ النوافذ في كل المدينة قد تحطمت وارتفع عمود هائل من اللهب من الحوض الجاف. لقد انفجر الديناميت في كامبل تاون؛ أبواب الحوض مع سفينتين تجاريتين موجودتين في الداخل أصبحت كلها في الفضاء. هكذا جرى الحادث العظيم. المؤسسات

أصبحت غير ذات فائدة لمدة عام على الأقل. بعض الألمان الذين كانوا يفحصون الطراد نسفوا معه. وقد قيل لنا ان بعضنا قد اجتذبهم إليه، ولكننا لم نعرف هذا البعض. وافترض أننا لن نعرفهم أبداً.



الطريق إلى مورمانسك

في الوقت الذي كانت فيه القوات النازية تنطلق بعيداً في الاتحاد السوفياتي كان الحلفاء الغربيون يبذلون أقصى جهودهم لإرسال أسلحة حربية إلى السوفيات. ولم تكن لديهم غير إحدى ثلاث طرق، وكلها طرق بحرية. أقصر هذه الطرق تلك التي كانت تجتاز الأطلنطي الشمالي نحو أركانجلسك ومورمانسك. على أن هذه الطريق كانت أكثر الطرق خطراً. أما الطريق الآمنة فهي التي كانت تمر عبر رأس الرجاء الصالح باتجاه إيران ثم تستمر نحو روسيا الجنوبية عبر الخطوط الحديدية الإيرانية. وأما الطريق الثالثة فهي تلك التي كانت تقع في قسم كبير منها تحت إشراف البحرية اليابانية وكانت تجتاز المحيط الباسيفيكي في الشاطىء الغربي للولايات المتحدة إلى سيبريا، ولكنها لا تنتهي إلا عند نقطة تبعد آلاف الكيلومترات عن الجبهة الأوروبية. ومعنى ذلك أن الأسلحة والمهمات الحربية كان يجب أن تبلغ الجبهة الأوروبية بواسطة الخطوط الحديدية السيبيرية، وهي خطوط غير صالحة لمثل هذا العمل الكبير.

كانت الانتصارات النازية سبباً لإلحاح روسي شديد على الغربيين لجهة فتح جبهة ثانية وإرسال المزيد من القوافل عبر أقصر الطرق، أما القوافل الصغيرة الأولى فقد كانت تغادر الجزيرة البريطانية باتجاه مورمانسك بعد شهر واحد من بداية غزو روسيا.

وعندما جاء شباط سنة ١٩٤٢ أصبحت هذه القوافل ذات أهمية خاصة.

وقد رأى هتلر أن إيقاف هذه القوافل لن يتحقق إلا بتركيز قواته البحرية في النروج ولا سيما الوحدات الكبيرة.

القوافل الحليفة والإنكليزية منها بصورة خاصة أصيبت بخسائر ثقيلة جداً في المحيط المتجمد الشمالي حيث كانت هذه القوافل عاجزة حتى عن الاستفادة من ظلمة الليل بالإضافة إلى أخطار السفر في هذه المنطقة من البحر. وقد حاول

«روبرت كارس» أن يقدم صورة عن الأحداث التي كانت تواجهها كل قافلة متوجهة نحو مورمانسك، وفيما يلي صورة عما جرى لإحدى هذه القوافل التي كان يرافقها شخصياً:

وجاءت طائرات العدو مبكرة في ذلك اليوم: طائرات هنكل وشتوكا، ومسرشميت ويونكرز ٨٩. كلنا كنا متفقين على أن عدد الطائرات التي تحوم فوقنا تبلغ ١٠٥ في معركة استمرت على الأقل عشرين ساعة. لقد استعملت الطائرات كل نوع من أنواع الأسلحة: قنابل زنة ألف ومئة من الأرطال وخمسمائة وخمسين و ٢٥٠؛ طوربيدات جوية، ألغام، مدافع سريعة الطلقات ورشاشات.

في تلك الأثناء كانت تتوجه نحونا غواصات العدو وبصورة خاصة نحو السفن الحربية المرافقة لنا.

لقد كنا في صميم الجحيم. إذ ليس في اللغة كلمة أصلح للتعبير عما كان يجري آنذاك. كان في وسع المرء أن ينظر إلى كل مكان.. وكان يجدهم أمامه يلقون قنابلهم السمراء اللامعة في الفضاء والصارخة والتي كانت تصطدم بماء البحر فترسل من حولها موجات قاسية من الماء يعلوها زبد أبيض. كل شيء حولنا. انفجاراتهم ترتسم أمامنا على صورة بقع شحمية فوق زرقة البحر الصافية. وقد نجت سفينتنا في محاولات كثيرة بأعجوبة. وكنا نمسك أنفاسنا من الخوف حتى كدنا نشعر بانقطاع الهواء عنا.

وانفصلت آخر طائرة من تشكيلة الطائرات المعادية واتجهت نحو مؤخرة سفينتنا تماماً في صميم خط طلقاتنا النارية ودار الحظ دورته لمصلحتنا في هذه المرة.

لقد أطلقت الطائرة قنبلة زنتها ٥٥٠ رطلاً ثم انطلقت بعيداً عنا. أما نحن وكنا مشدودين إلى مدافعنا، فقد كنا نحس بقدرتنا على فعل شيء واحد هو النظر إلى القنبلة النازلة وحسب. وسقطت القنبلة تبعاً لخطة سيرها التي حددتها لها سرعة الطائرة. وأخذت تدور حول نفسها وتصفر في الهواء وهي تمر تماماً فوق رؤوسنا. لقد كان في وسعنا أن نميز بوضوح اسطوانتها السمراء وأجنحتها الصغيرة بالإضافة إلى خطوط بيضاء مرتسمة في أحد جوانبها الذي يسجل عليه في العادة رقم القنبلة. وفكرنا قائلين في أنفسنا: هذه القنبلة هي لنا، إنها النهاية. وحتى لو لم تصب هدفها فإن الصدمة التي سيحدثها انفجار المادة المتفجرة ستهزنا هزاً عنيفاً.

ولم يعد أمامنا غير شيء واحـد هو أن نتعلق بمدافعنا تعلقاً شديداً. وودع بعضنا البعض الآخر بينما طغى صفير القنبلة على كل شيء آخر. إن الضجة التي كانت تحدثها مسيرة القنبلة كانت أعنف من أية ضجة أخرى.

وفجأة عصفت بنا عاصفـة من الهواء ولكنها لم تكن بالغة القوة. هذه العاصفة أبعدت القنبلة وانحرفت بها قليلاً عن مسيرتها الأولى. واصطدمت بماء البحر على بعد ٧ أو ٨ أمتار منا. وقد شعرنا بالصدمة الرهيبة وانتشر زلزال عنيف ثم كان الانفجار. ووقفت جامداً لا أتحرك بينما كانت تتراءى أمام عيني صورة زوجتي منتظراً مجيء الانفجار. وغمرني الماء حتى عميت وشعرت بثقل شديد. أما السفينة فقد ارتفعت قليلاً ثم سقطت وهي ترسل صوتاً غريباً مزعجاً وكأنه صوت تكسر وانقصاف. وبسبب من عنف الاصطدام تدحرجت أعداد من قنابلنا إلى البحر. وبينما كانت سفينتنا ترتجف شعرت بأن جسرها يكاد ينقسم إلى قسمين.

وتابعت السفينة طريقها رغم الصرير الذي نسمعه من جهة المروحة أسفل منا. كنا نعرف أن وضعنا سيىء جداً: لقد أصيبت السفينة في أعماقها.

أما رئيس الميكانيكيين فقد حافظ على هدوئه وهو يتوجه إلى مؤخرة السفينة لتفحص الأضرار بينما كانت نظارتاه على أنفه.

وأنبأنا بعد ذلك أن تسعة أجزاء من جذع المروحة قد حطمت. وأن التواء شديداً قد حدث في الجذع نفسه وأن صفائح معدنية متصلة بالاسطوانة قد تمعجت. وتغلغل بعض الماء إلى السفينة في هذا المكان بالذات. وكان في وسع المضخات أن تتغلب على الماء وتابعنا طريقنا نحو بلاد الروسيا .

الحقيقة أن التضحيات التي قدمها الحلفاء الغربيون في طريق مورمانسك لم تكن عبثاً من العبث. بل ساعدت الجيش الأحمر على مواجهة الأحداث والانتقال من الدفاع إلى الهجوم.

وفي ربيع ١٩٤٢ تم إرسال ثلاثة أرباع الإنتاج الإنكليزي من الذخيرة إلى روسيا.وكان مجموع ما نقل إلى السوفيات قد سجل رقماً لا سابقة له مع العلم أن لا شيء يمكنه أن يعوض عن الخسائر الروسية في الأرواح البشرية. والحقيقة أن الحلفاء لم يوفروا أي جهد من أجل إنجاد السوفيات في معاركهم الحاسمة ضد الغزاة النازيين.

ممر القناة

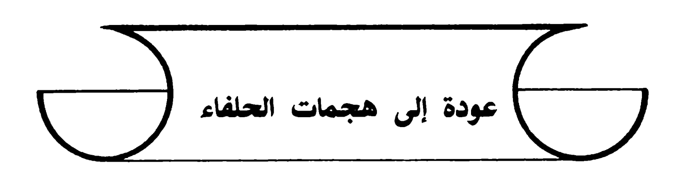
كان هتلر خاضعاً لكابوس قوي يضغط عليه باستمرار. لقد كان يؤمن بأن الحلفاء سينزلون قواتهم في النرويج أولاً. وهذا ما دعاه إلى تجميع قسم كبير من وحداته البحرية في المياه النروجية. يضاف إلى ذلك أن وجود هذه الوحدات يحول دون وصول القوافل سالمة إلى الروس، ويجمد الأسطول البحري الإنكليزي في الوقت نفسه.

ولكن ثلاثاً من وحداته البحرية الضخمة كانت دائماً في برست حيث تتعرض لغارات القاذفات الإنكليزية. وفي ليل ١١ شباط ١٩٤٢ غادرت السفن شارنهورست، وغنيزناو، وبرنس أوجين، قاعدتها في برست متجهة نحو قواعدها في ألمانيا. وقد استفادت السفن الألمانية من الضباب والتشويش على أجهزة الرادار الإنكليزية كما احتمت بعدد من الطرادات والطائرات فاجتازت بحر المانش. وبالرغم من أن الإنكليز قد اكتشفوا مواقع السفن في المرة الأولى عند توكيه فقد استطاعت الوحدات الألمانية هذه أن تمر دون انزعاج أمام بطاريات دوفر وأن تبلغ الشاطىء البلجيكي دون أن تلاقي أي انزعاج. ثم لم يجر الهجوم عليها إلا ابتداءً من الساعة الواحدة إلا الربع من قبل الطائرات حاملات الطوربيد ومن ثم من قبل زوارق الطوربيد والطرادات. وعجزت القوات الإنكليزية عن إيقافها بسبب النار الكثيفة التي واجهتها بها. ووصلت السفن الألمانية إلى قواعدها بعد أن أصيبت كل من شارنهورست وغنيزناو بأضرار سببتها لهما ألغام بحرية.

لكن الإنكليز لم يكفوا عن الغارة. فقد انطلقت القاذفات الإنكليزية تمطر الأولى بقنابلها في مرفأ ولهلمشهافن والثانية، في مرفأ كييل. على أن الثانية لم تستطع أبداً أن تعود إلى البحر. أما برنس أوجين فقد أغارت عليها غواصة إنكليزية «تريدانت» وجمدتها في تروندهايم. وفي الشهر التالي أغارت الدارعة الثقيلة تيربتز ٤٢ ألف طن زميلة «بسمارك» على قافلة في طريق مورمانسك لكنها لم تلبث أن عادت إلى قاعدتها في «فيورد الغربي» بعد أن طاردتها كل من الدارعة جورج الخامس وحاملة الطائرات فيكتورياس.

وفي أيلول ١٩٤٣ حدثت غارة ألمانية جديدة على قاعدة الحلفاء في سبتسبرغ، قامت بها الدارعتان تيربتز وشارنهورست ترافقهما عشرة طرادات وسببت أضراراً في القاعدة. وفي يوم الميلاد كررت شارنهورست الغارة على قافلة أخرى في طريق مورمانسك فاعترضتها ثلاث مدمرات كانت ترافق القافلة. وهنا أصيبت

المدمرة نورفولك كما أصيبت شارنهورست إصابة خفيفة. لكن الدارعة الإنكليزية «ديوك أوف يورك» التي يقودها الأميرال سير بروس فريزر قائد الأسطول اشتركت في المعركة وجمدت شارنهورست بمدافعها عيار «٣٨٠». وجاءت بعدها المدمرة جامايكا فأرسلتها إلى الأعماق بواسطة الطوربيد. أما فيما يتعلق بتيربتز التي أصيبت أكثر من مرة فقد انهارت أمام ضربات الطائرة الانكليزية لانكستر في خليج ترومو. وبذلك جمدت البحرية الألمانية بصورة عملية.



عودة إلى هجمات الحلفاء

غوادالقنال وغينيا الجديدة

علمنا أن معركة مدواي قد أوقفت التوسع الياباني في الباسيفيك الأوسط. كما فشل الهجوم الياباني على مورسبي في غينيا الجديدة في بحر المرجان.

على أن اليابانيين لم يتوقفوا عن القيام بمحاولات توسعية جديدة خلال الصيف، تارة باتجاه بحر المرجان وأخرى باتجاه جزائر سالومون. وبما أنهم قد استولوا من قبل على مرفأ تولاجي فقد بادروا إلى بناء مطار في غوادالقنال من الجانب الآخر للمضيق. ولو نجح اليابانيون في تحقيق أغراضهم فإن في وسعهم أن يسيطروا على بحر المرجان سيطرة تامة، ويقطعوا خطوط التموين الأميركية إلى أوستراليا كما يشكلون تهديداً مباشراً لأوستراليا نفسها وللقواعد الأميركية في خلقدونية وهبريد الجديدة.

أما إذا وفق الحلفاء إلى طرد اليابانيين نحو الشمال فإنهم ينتزعون السيطرة على غينيا الجديدة وسالومون مما يساعدهم على اجتياح رابول وكافيانغ وعزلهما، وهما قاعدتان يابانيتان رئيسيتان في أرخبيل بسمارك عند الجنوب الغربي من الباسيفيك.

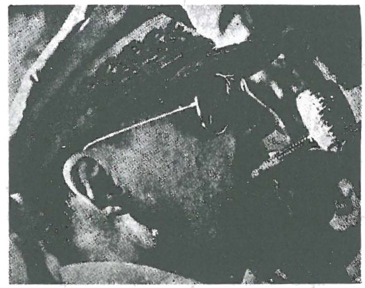
وبالرغم من أن معارك غينيا الجديدة كانت بقيادة ماك آرثر المنفصلة عن قيادة الأميرال نيميتز في معارك غوادالقنال فإنها كانت نابعة من تخطيط واحد عند طرفي بحر المرجان. وقد نجح القائدان في تنفيذ أغراضهما العسكرية.

خلاصة هذه المعارك أن اليابانيين حاولوا اجتياز قمم جبال ستانلي في جزر غينيا الجديدة للاستيلاء على مرفأ مورسبي الذي يقوم وراءها في الشاطىء الجنوبي. وقد أتاحت لهم سلسلة من الاشتباكات البرمائية أن يستولوا في بداية تموز على بونا وكوما في وسط الطريق بين لاي وميلن باي عند نقطة تقع جنوب شرقي الجزيرة. ومن هناك انطلق فوج ياباني كبير نحو مرفأ مورسبي سائراً على طريق كوكودا الضيقة والممتدة على ارتفاع الفي متر في أعالي الجبال. ومن ناحية ميلن

باي أقدم الرماة البحارة اليابانيون على الهبوط إلى البر. ولو قدر لهؤلاء أن يحتلوا هذا الموقع ثم استولوا على المطارات الثلاثة التي بناها ماك أرثر من قبل ـ لكان في وسعهم اجتياز قمم ستانلي وانتزاع مرفأ مورسبي. هذه المطارات بالإضافة إلى قاعدة غوادالقنال ستجعل اليابانيين سادة الجو فوق بحر المرجان.

ووصل اليابانيون إلى قرية كوكودا في ٣ آب واحتلوها رغم المقاومة العنيدة التي أبدتها قوات المؤخرة الأوسترالية لم يبق بينهم وبين مورسبي في نهاية أيلول غير ٥٠ كلم. ولكنهم لم يلبثوا أن فشلوا أمام قرية ايوريبادا بعد أن فرقتهم المعارك والأوبئة والغارات الجوية الأميركية. وهنا بدأ الأوستراليون بشن الهجمات المعاكسة .

وفي الوقت نفسه تم تمزيق الرماة اليابانيين في ميلن باي من قبل الأستراليين أنفسهم وأرغموا على مغادرة رأس الجسر بعد اشتباكات عنيفة استمرت عشرة أيام. وعادوا إلى البحر وقد تركوا وراءهم كل تجهيزاتهم وأسلحتهم الثقيلة وعدداً كبيراً من القتلى.



ماك آرثر يقود حملة للدفاع عن غينيا الجديدة

أما الهجمات الأسترالية المعاكسة في طريق كوكودا فلم تنجح إلا بتضحيات كبيرة وبجهد عظيم. لقد كانت الآلام التي سببتها معارك تلك المنطقة للرجال من الشدة والقسوة بحيث ان القلم يعجز عن رسم صورة صحيحة لها: البرغش والوحل والأوبئة والملاريا والضجر بالإضافة إلى أسلحة العدو كانت كلها متحالفة على تحطيم أعصاب الجنود وإدخال اليأس إلى نفوسهم.

إن جورج جونستون الذي كان يرافق تلك الحملة قد حاول أن يعطي القارىء صورة تقريبية لمآسيها. وكان مما قاله: «كان الأسترالي الذي يسير في الطريق



المظليون الأميركيون يعززون مركز القوات الأميركية في جنوب بونا

الجبلية الرهيبة يواجه جثة زميل له فيهز يدها المعروقة البشعة ويقول لصاحبها: كم أنت سعيد يا صديقي».

وفي ٢ تشرين الثاني دخل الأستراليون قرية كوكودا وانتقلوا إلى الجانب الآخر من قمم ستانلي وطاردوا اليابانيين في المستنقعات والغابات التي تحيط بغونا وبونا.

وفي مناورة جريئة أرسل ماك آرثر بعد ذلك بأسبوعين ١٥ ألف مظلي على بعد ١٠ كلم جنوب بونا ثم انطلقوا في هجوم واحد مع الأستراليين. وسقطت غونا في ١٠ كانون أول، وبونا في ٣ كانون الثاني. أما في ٢٣ من الشهر نفسه فقد انتهت المعركة بإبادة بقايا الجيش الياباني في نقطة سانا نداندا.

واختار اليابانيون الدفاع عن قواعدهم في غينيا الجديدة بعد أن أجبروا على الاختيار بينها وبين غوادالقنال ودعموا قواتهم بنجدات كبيرة في لاي وسالاموا. وفي ٣ و ٤ آذار أغارت طائرات الجنرال جورج كيني القائد الجوي في جنوب غربي الباسيفيك على قافلة يابانية هامة تنقل جيوشاً من رابول إلى لاي.

ومهما تكن نتائج تلك الغارة فإن الثابت أن خطط اليابان قد أصيبت بالاختلال. لقد فقدوا ١٢ سفينة و ٣٠ طائرة و ٣٠٠٠ جندي. أما الأميركيون فيزعمون أنهم فقدوا أربع طائرات وحسب.

وانتهت المعركة في بابوازي، غينيا الجديدة الأسترالية. وقد دفع الأستراليين والأميركيون ١٦ ألف رجل ثمناً للنصر.

عملية كاكتوس

كانت طائرات الاستكشاف الأميركية وفئة من الحراس الأستراليين قد أكدوا أن المطار الياباني في غوادالقنال سينتهي العمل فيه قبل نهاية آب. حدث ذلك في تموز أي في الوقت الذي حمل فيه اليابانيون على غينيا الجديدة تقريباً.

وهناك غادرت الفرقة الأولى للرماة الأميركيين التي كان يقودها الجنرال الكسندر فاند غريفت زيلاندة الجديدة على طائرات نائب الأميرال روبيرت غوريل. وفي ٧ آب هبطت في غوادالقنال وفي الجزر المجاورة، تولاجي، غافوتو وتانامبوغو. وفي يومين اثنين أتم ١٨ ألفاً من الرماة احتلال ثلاث من الجزر. أما الرابعة فقد جرت من أجلها حرب استمرت ستة أشهر وكانت من أشد حروب الباسيفيك وأكثرها غموضاً.

وقد سميت عملية غوادالقنال باسم «كاكتوس». وكان على الأميركيين أن يقاتلوا فيها اليابانيين وأخطار الطبيعة أيضاً.

والحقيقة أن جزائر سالومون هي أرخبيل بركاني مؤلف من سبع جزر كبيرة وعشر جزر صغيرة تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي على مسافة ألف كلم في سلسلتين متوازيتين، بين بوكا وسان كرستوبال. وتقوم غوادالقنال بالقرب من الجزيرة الأخيرة.

وغوادالقنال جزيرة جبلية مليئة بالوديان الوعرة ومغطاة بغابات استوائية وسهول ذات نباتات عالية. مناخها ثقيل وحار. وهي ميدان تعشش فيه الملاريا والتيفوس والزحار وأوبئة استوائية أخرى.

وقد استفاد اليابانيون من الأوضاع الجغرافية هناك. إن قواعدهم القريبة من رابول وكافين في أرخبيل بسمارك ومؤسساتهم البحرية في تروك في جزر كارولين قد دعمت بقواعد بحرية وجوية متقدمة في شمالي سالومون - عند بوان وفي جزر شورتلاندس وريكاتاباي - هذه القواعد كانت مركزاً هاماً من أجل المعارك الجوية والبحرية التي تجري حول غوادالقنال.

وعلى ذلك فإن هدف المعركة الرئيسي سيكون مطار غوادالقنال الذي أطلق



جنود أميركيون يثبتون أقدامهم في إحدى الجزر الثلاث

عليه الأميركيون اسم الميجر هندرسن وهو طيار في وحدة بحرية قتل في الهجوم على حاملات الطائرات اليابانية عند مدواي. وفي اليوم التالي لنزول الأميركيين استولى الرماة البحريون على هذا المطار الذي لم يكن العمل قد تم فيه. وكان البقاء في هذا المطار هو مسألة حيوية بالنسبة إليهم لأنه هو الوسيلة الوحيدة لضمان حماية جوية فوق الجزيرة. وعلى ذلك فإن اليابانيين الذين لم يظهروا في البداية غير مقاومة ضعيفة لم يلبثوا حتى ضاعفوا مقاومتهم فأصبحت عنيفة شديدة.

وفي صباح ٩ آب كان الأميرال الياباني غونوشي ميكاوا يقود سرباً مؤلفاً من خمس مدمرات ثقيلة ومدمرتين خفيفتين وطراداً واحداً في المضيق الذي كان يفصل

بين سلسلتي الجزر من أجل القضاء على عمليات النزول الأميركية. وبينما كان يدور اشتباك ليلي عند بحر جزيرة سافو استطاع اليابانيون أن يغرقوا ثلاث مدمرات أميركية ومدمرة أوسترالية كانت تقوم بتغطية عمليات النزول، كما أحدثوا أضراراً في مدمرة رابعة. وفجأة وعلى غير انتظار عاد ميكاوا من حيث أتى عند الساعات الأولى من الصباح دون أن يهاجم سفن النقل والشواطىء التي كانت في كل حال تحت رحمته. وفي اليوم التالي انسحبت الناقلات التي أفرغ بعض حمولتها وحاملات الطائرات التي كانت تغطي الغزو وتركت الرماة البحارة لمصيرهم.

وهنا وجد الرماة البحارة أنفسهم أمام مهمة على مستواهم. لقد أقاموا رأس جسر طوله ١١ كلم وعمقه ٦ كلم في جزيرة طولها ١٤٠ كلم وعرضها ٤٠ كلم. وخلال أيام انتهى العمل في القطعة الثمينة من الأراضي التي أطلق عليها اسم هندرسن وأصبحت صالحة للعمليات الحربية. يبقى الآن أن نرى أياً من العسكريين يستطيع أن يأتي بكمية أكبر من النجدات والمؤن لغوادالقنال. أما اليابانيون فقد كانوا يسيطرون في البداية في البحر والجو. ولكن منذ أن أصبح مطار هندرسن صالحاً للعمل تغير الموقف. إن القاذفات المنقضة والمطاردات التابعة للبحرية والقلاع الطائرة التابعة للجيش كانت سيدة الموقف حول غوادالقنال أثناء النهار. أما الليل فكان لمصلحة اليابانيين. وأصبح في وسع الأميركيين أن ينزلوا أسلحة ورجالاً دون أن يتكبدوا خسائر كبيرة خلال النهار كله بينما كان اليابانيون يدعمون مواقعهم أثناء الليل. وأطلق الأميرال ريزو تناكا أسطوله الكبير من الطرادات وناقلات الجند في المضيق بين كل من جزيرة سانتا إيزابيل وجزيرة نيو جورجيا لغرض إرهاق الأميركيين وتموين الجيش الياباني البري وتدعيمه. وعند الفجر قامت القاذفات الأميركية بمهاجمة سفن تناكا في طريق العودة فأمطرتها بالقنابل وحطمت القوات الهابطة إلى البر.

إن أرض هندرسن كانت دائماً موضع اهتمام الجميع. أما اليابانيون فقد كانوا يعتقدون أن في وسعهم إلقاء الرماة الأميركيين إلى البحر فيما إذا استولوا على هذه الأرض.

ولذلك فقد تشبث الرماة البحريون بها رغم المدفعية التي كانت تصليهم ناراً حامية ابتداءً من الدوارع حتى الغواصات ومروراً بالطائرات. وكاد اليابانيون عدة مرات أن يستولوا على المطار وأن يحطموا طائراته ومستودعات الوقود فيه ومدرجاته وورشات الإصلاح ولكنهم مع ذلك لم يبلغوا هذا الهدف أبداً.



كان اليابانيون **مهرة** جداً في إصابة الهدف

كان اليابانيون يبذلون جهودهم في البر والبحر والجو. إن المعركة الطويلة التي استمرت من آب ١٩٤٢ إلى كانون الثاني ١٩٤٣ قد تخللها اشتباكات بحرية كبيرة. وقد كان عدد السفن المغرقة كبيراً بحيث ان الرماة أطلقوا على المياه المجاورة لجزيرة سافو اسم «الخليج ذو الأعماق الفولاذية». الواقع أن المعسكرين قد أصيبا بخسائر كبيرة في هذه المعارك التي اتخذت لنفسها مكاناً في التاريخ البحري للولايات المتحدة: معارك جزيرة سافو وسالومون، ورأس الرجاء الصالح وجزيرة سانتا كروز وغوادالقنال وتاسافارونغا.

كل هذه المعارك كانت قد جرت من أجل اعتراض النجدات والمؤن أو لتأمين وصولها. خسرت الولايات المتحدة (٢٤) سفينة في هذه الاشتباكات: (٢) حاملات طائرات (واسب وهورنت) (٦) مدمرات ثقيلة (٢) خفيفة و(١٤) طراداً. وخسر اليابانيون مثل هذا العدد: (٢) دوارع (١) حاملة طائرات خفيفة (٣) مدمرات ثقيلة (١) خفيفة، (١١) طراداً و(٦) غواصات. وهناك عدد من السفن بين دوارع وحاملات طائرات ومدمرات أصيبت بأضرار فادحة فخرجت من المعركة لأشهر طويلة.

أما السيادة في الجو فوق الجزيرة فقد كانت هدف معارك جوية رهيبة. وقد لوحظ أن مطار بوان وبوغانفيل ومدرج موندو بوينت في جزيرة جورجيا الجديدة لم تكن قادرة على تأمين الحماية الكافية للقوات البحرية اليابانية. لقد أمطرت القوافل اليابانية بالقنابل. أما مطاردات هذه القوافل فقد طردت من السماء واختفت أمام



أحد البحارة الأميركيين وقد قضى ١٩ يوماً في الغابات

طيران البحرية الأميركية المكلف بحماية مطار هندرسن.

وأما في البر فقد أحدث الرماة البحريون لليابانيين خسائر دامية خلال معارك قاسية سجلت أسماؤها في تاريخ البحرية الأميركية: معارك نهر تينارو، والقمة الدانية، ونهر ماتانيكو، ومطار هندرسن، وبوينت كروز، وغيفو، والحصان السابح.

وقد تنافس المراسلون الحربيون في وصف هذه المعارك الرهيبة. فتحدثوا طويلاً عن كثافة النيران والأوبئة وأمراض المناخ الاستوائي والتذابح العجيب بين الجنود الأميركيين واليابانيين واشتباكات الدبابات وفنون من البطولة والشجاعة والخوف والضجر والوحدة في الغابات الإستوائية الرهيبة حيث تشيع ظلمة دائمة.

ويؤكد أحد المراسلين، روبرت ليكي، وهو يتحدث عن تلك الأيام القاسية، ان المتعادين من الجنود كانوا في بعض الأوقات يتواجهون عن قرب في الليل والنهار. أما في الليل فإن أحد الفريقين يسمع همسات الفريق الآخر ووشوشاته وأما في النهار فإن مظاهر القسوة الرهيبة تحول الجنود إلى مجانين أو أنصاف مجانين. يضاف إلى ذلك البرد والحرارة والوحل والقذر والبرغش وأنـواع مختلفة من الحشرات والألوف من الجثث التي تخشبت عبر الوديان والجبال والسهول. وقد يصاب الأحياء من الجند بحالة من الإعياء والرهق بحيـث انهم كانوا يتمنون أن يكونوا بين الأموات. وليس بعيداً عن المنطق والواقع أن نفسر البطولات الخارقة



جندي ياباني يحرق نفسه حياً، أنفة من الاستسلام

التي كانت تحدث في بعض الأوقات على أنها الوسيلة الوحيدة التي كان يتخلص بها الجندي الخائف المتعب من حياته البائسة آنذاك.

واستمر هذا الوضع حتى نهاية العام حينما نقلت إلى الرماة البحريين نجدات جديدة من المشاة كان على رأسها ألكسندر باتش الذي وكلت إليه قيادة كل القوات البرية بينما أقيل الأميرال غورملي ليأتي مكانه على رأس القوات البحرية الأميرال وليم بول هالسي. وهنا قام الرماة البحريون والمشاة بهجوم انتهى بإلقاء اليابانيين في البحر.

وقد كان ضغط الحلفاء في غينيا الجديدة أثناء تلك الفترة من القوة بحيث ان اليابانيين قد حولوا إليها الفيلق المؤلف من خمسين ألف رجل بينما كان مقرراً إرساله إلى رابول لغرض الهجوم على غوادالقنال.

هكذا لم يبق أمام اليابانيين إلا أحد مصيرين اثنين الموت أو الاستسلام. واختار بعضهم الكفاح حتى الموت. واختار آخرون القيام بحملات انتحارية وهم ينشدون النشيد الإمبراطوري دون أن يطمحوا إلى أي غرض غير الموت بنار الأميركيين. ومع ذلك فإن كثيرين منهم قد نجوا من الهلاك.

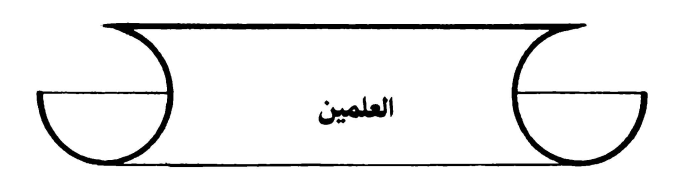
ومرة أخرى حاول الأميرال تناكا أن يقتحم الحصار الذي ضربه الأميركيون من حوله واستمرت المحاولة ثلاث ليالٍ من ٧ إلى ٩ شباط ١٩٤٣ فنجح نجاحاً باهراً في نقل ١٦٠٠٠ جندي إلى رأس الرجاء.

وانتهت المعركة وسقطت غوادالقنال بأيدي الأميركيين.

لقد ضحى اليابانيون في دفاعهم عن الجزيرة بخمسين ألف رجل بين قتيل وجريح وغريق خلال الطريق أو ضحية للجوع والأمراض. ويزعم الأميركيون أنهم لم يخسروا أكثر من ٤٠٠٠ بين قتيل وجريح. ويؤكد روبرت ليكي أن الآلام التي تكبدها الأميركيون والمتاعب التي واجهوها هي أشد كثيراً من الخسائر في الأرواح.

ونقل روبرت نصاً لشاهد فوق أحد القبور جاء فيه:

وعندما يصل إلى السماء،
سيقول للقديس بطرس:
إنني جندي جديد في خدمتك يا سيدي،
لقد سبق لي أن خدمت في الجحيم.



العلمين

والآن جاء الوقت الذي يجب أن نعود فيه إلى المعركة الإفريقية. إلى المعركة التي كاد رومل أن يسجل نهايتها في قناة السويس ولكن تغير الأوضاع الجغرافية عند العلمين قد حال دون ذلك.

والواقع أن «العلمين» اسم لمنطقة قائمة على بعد ٩٠ كلم من الاسكندرية. وقد سبق أن تركنا رومل وهو في قمة انتصاراته وفي بداية السباق الدموي مع قوات الحلفاء إلى تدعيم القوى والإتيان بالنجدات وتنظيم خطوط التموين. كان ذلك في بداية الخريف من عام ١٩٤٢ وكان رومل يؤكد لمن حوله خلال تشرين الأول قائلاً:

نحن عند أبواب مصر ونحن مصممون على العمل. ولسنا هنا اليوم ليلقى بنا غداً إلى البحر. إن في وسعكم التأكد من أننا سنحافظ بقوة على كل ما كسبناه.



مونتغمري في مواجهة رومل

على أن المتاعب التي لقيها الألمان في الجبهة الروسية جعلت التسابق على التموين لمصلحة بحرية الحلفاء. وقد وعد الجنرال مونتغمري جنوده وهو قائد الجيش الثامن قائلاً:

«أعطوني خمسة عشر يوماً وسيكون في وسعي مقاومة الهجمات الألمانية. أعطوني ثلاثة أسابيع وسأهزم الألمان. أعطوني شهراً وسأطردهم من أفريقيا» وحافظ على وعده.

والواقع أن الحلفاء قد استطاعوا أن يمنحوا مونتغمري تفوقاً ساحقاً في الطائرات والدبابات والمدافع. لقد أصبح في حوزته ١٠٠٠ دبابة مقابل ٦٠٠ للعدو. وكان عدد طائراته ضعف عدد الطائرات العدوة. أما مدفعيته فقد كانت متفوقة إلى حد بعيد. ولأول مرة كانت نوعية السلاح الخفيف أحسن وأعلى مرتبة من نوعية الأسلحة عند رومل. يضاف إلى ما سبق أن الجيش الثامن كان يناور بالقرب من مستودعاته وهو مستند إلى دلتا النيل بينما كانت الطائرات الإنكليزية تحطم قوافل التموين الألمانية التي لم تستطع البحرية الإنكليزية أن تقضي عليها. أكثر من ٢٠٠ ألف طن من حمولات السفن الإيطالية قد استقرت في البحر. والخلاصة أن رومل الذي كان يحتاج شهرياً إلى ٣٠ ألف طن من المؤن لم يعد يستقبل غير خُمس هذه الكمية أي ٦ آلاف طن. ولذلك كان ينقصه الوقود والذخيرة والماء.

وفي ٢٣ تشرين الأول وبعد أن بدأت نيران المدفعية الحليفة تقترب من خطوط رومل منطلقة من ٨٠٠ قطعة ثقيلة وخفيفة انتقل مونتغمري إلى الهجوم. كانت خطوط رومل محمية بما كان يسميه هو نفسه «حدائق الجحيم» وهي حقول من الألغام ومجموعة من الأسلاك الشائكة سلطت عليها نيران كثيفة رهيبة. ولم يكن في «العلمين» أي مجال للقيام بمناورات جانبية. لقد كان على الجيش أن يهاجم المواقع الدفاعية من الأمام. وبعد ١٢ يوماً مرت من اشتباكات عنيفة تكبد فيها مونتغمري خسارة ١٣ ألف رجل استطاع أن يخترق خطوط العدو وأن يطلق بعد ذلك دباباته في الثغرة التي أحدثها. وقد يكون من المناسب أن ننقل هنا ما كتبه الملازم الأول سمول عن الطريقة التي كانت تهاجم بها قطعة من قطعات الجيش:

إنه شيء غريب حقاً فأنا لم أعد أتذكر كيف بدأ هذا الأمر. في فترة من الفترات وجدت نفسي منبطحاً على بطني في وسط الصحراء. وفي فترة أخرى كنت أتنزه بكل هدوء وإلى يميني صف طويل من الرجال الذين يتقدمون متفرقين كما لو كنا في حفلة راقصة...

وأدركت فجأة أنني كنت أحمل عصاي تحت ذراعي. وكان في نيتي أن أتركها في مركز القيادة وأن أستبدل بها بندقية. وضحكت في نفسي وأنا أفكر بأنني أمشي نحو العدو وليس معي غير مسدس «عيار ٣٨» وتسع طلقات. ولكن فات الأوان إذ لم يعد في وسعي أن أفعل شيئاً. فإذا حدث أن أحد الجنود قد أصبح خارج المعركة فسأستعمل بندقيته. وسألت نفسي: ألا يمكن أن أكون هذا الجندي! وفي هذه الحالة لن تكون لي حاجة لأية بندقية. وفي هذه الفترة سمعت ضجة جديدة كانت تطغى على ضجيج المدافع وانفجارات القنابل.. لقد كان رصاص الرشاشات من طراز بريدا وسباندو يبدو أمامي وكأنه باقات وردٍ رهيبة على بعد عشرين متراً منا. كان علينا أن نصل إلى مواقع العدو الأولى. وسألت مرافقي كم اجتزنا من الأرض فكشر عن أسنانه وقال لي لقد فقدت كل قدرة على العد. وسمع صوت جديد غليظ تبعه صوت دقيق «لقد كنا نحن هدف هذين الصوتين: إنها قنابل مدافع الهاون التي كانت تسقط فوقنا». وسمعت رجلاً يقف إلى يميني وهو يقول «أوه!، يا رب يا إلهي!» ورأيته يتعثر ثم يسقط. وصرخ الميجر مرة أخرى. ولم يكن في وسعي أن أسمع ما يقوله ولكن سريته كانت مشتبكة مع العدو. سياج من الأسلاك الحديدية كان ينتصب في طريقي ويرتفع هذا السياج حتى صدري. وقفزت فوق السياج بينما كان الرقيب الذي يتبعني يقفز هو أيضاً. وانبثق نور قوي أعماني تبعه عصف هوائي شديد أصابني في مؤخرة رأسي. واختفى الرقيب.

وما زلت أذكر أنني قد سألت نفسي بعد ذلك عما دفعني إلى القفز فوق السياج. والواقع أن وجود فكرة لغم لم تخطر في بالي أبداً. ورحنا نركض دون أن يصدر إلينا أمر بالركض. وكان إلى يساري عريف يطلق نار رشاشه من طراز برن وقد أسنده إلى خاصرته.. وسألت نفسي هل كان يطلق ناره حقاً على شيء أمامه. وفجأة رأيت رأساً وكتفين ترتفع فوق الأرض. وبما أنني كنت قد تجاوزت هذا المشهد عدت إلى الوراء ثم أطلقت ثلاث طلقات من مسدسي وعدت أركض للحاق بالآخرين.

وتفرق صف الجنود إلى فئات صغيرة كل واحدة منها تقاتل على حدة بينما بقي مرافقي إلى جانبي.. وسألت نفسي عما إذا كان معي حين أطلقت النار. ثم رأيت رجالاً في أحد الخنادق. كانوا وقوفاً وأيديهم فوق رؤوسهم ويرددون صوتاً لم أفهم منه شيئاً ولفتت نظري ثيابهم القذرة التي لم تكن على مقاسهم. وابتسمت كيف أنني توقفت عند مثل هذه الجزئية في مثل هذا الوقت الرهيب. إلى يساري

وخلفي كان بعض الرتباء من الجنود يحاصرون بعض الأسرى ويدفعونهم إلى التجمع. وأشهرت مسدسي باتجاه الرجال الذين كانوا يقفون أمامي وطلبت إليهم الالتحاق بالآخرين. وكان هناك جندي إيطالي كاد الرعب يقتله يدور حول نفسه ويداه فوق رأسه ثم يصرخ بكل قوته. وكان الرجال الذين أشرت عليهم باللّحاق برفاقهم قد بدأوا يخرجون من الخندق حينما سمعت صوتاً يقول «انتبه». . شيء قاس شديد أصاب طرف حذائي ثم قفز بعيداً عني. وحدث انفجار كاد يعميني. . وتراجعت إلى الوراء وأنا أتعثر وأحمي عيني بعضدي. هل كنت جريحاً! وخفضت بصري، وأنا أنتظر أن أرى الدم يسيل ولكنني لحسن الحظ لم أرَ شيئاً.

وأحسست براحة عظيمة، لقد نجوت من الأذى. وبحثت عن الرقيب الذي كان يرافقني فعرفت أنه قتل. لقد رأيته متمدداً على جانبه متقوقعاً على نفسه وهو يزمجر من الألم. لقد أصبحت ساقه مزيجاً من العظم واللحم. وأدركت ما حدث فإن جندياً عدواً كان يخرج من الخندق ويداه مرتفعتان انتهز الفرصة ورمانا بقنبلة يدوية. واصطدمت القنبلة بطرف حذائي بينما كان الرقيب ينبهني ثم انفجرت القنبلة بالقرب منه. وشاع في نفسي غضب شديد ورحت أسب وأشتم أولئك القذرين الذين يجلسون عند زاوية من الخندق! ورحت أطلق النار عليهم أولاً وثانياً وثالثاً ثم فرغ المشط ونسيت تعبئته مرة أخرى. فألقيت مسدسي بعيداً وبعنف شديد وانتزعت بندقية الرقيب واتجهت إلى الأمام. إنني ما أزال أذكر أن جنديين عدوين كانا منكمشين على نفسيهما في قاع الخندق. وقتلت اثنين آخرين بحربة البندقية وعدت من حيث أتيت. كان هدوئي قد عاد إلى نفسي وبدأت أبحث عن مسدسي وأنا أقول في نفسي ان المشادَّة ستكون عنيفة مع خازن الأسلحة إذا لم أبرر له ضياع سلاحي. وتوقفت النيران وتبينت أمامي بغموض بعض التجمعات من حولي، وفي هذه الفترة تماماً ارتفعت صرخة وتردد صدى طلق ناري. وقيل لي بعد ذلك أن رجلاً كان قد خرج من الخندق العدو وكان على أهبة أن يطلق النار علي فأدركه أحد جنودي بطلق ناري.

وفي ٤ تشرين الثاني بدأت قوات المحورتتراجع إلى الوراء في فوضى شديدة. وبدأت مرحلة جديدة من السباق بين الطرفين، أما مونتغمري فكان يحاول إبادة قوات رومل بعد محاصرتها. وأما رومل نفسه (ثعلب الصحراء) الذي خرج من المستشفى بعد بداية الهجوم بيومين فقد كان يحاول القضاء على خطة القائد الإنكليزي. وكان رومل قد جمع كل ما بقي عنده من الوقود لينقذ جيشه وأحسن أسلحته بأن يضحي بالأسلحة الثانوية الصغيرة بما في ذلك المشاة الطليان. وتوصل أخيراً إلى تجنب الأسر وحال دون أن يتحول التراجع إلى هزيمة ساحقة.

كان المحور قد فقد قريباً من ٨٥ ألف رجل وألف مدفع و ٥٠٠ دبابة ولذلك فإنه لم يعد يطمح في تنظيم أية مقاومة طويلة عن طريق التراجع. واستطاع مونتغمري بواسطة تنظيم غير عادي في ميدان التموين أن يلاحق رومل مسافة ١٣٠٠ كلم وهو كل ما كان بقي من الأمبراطورية الإيطالية في أفريقيا. أي انه لاحقه حتى تونس.

وخلال الأشهر الثلاثة التي تخللتها المعارك وانتهت بتراجع قوات المحور نهائياً، كان للأحوال الجوية ولحيل ثعلب الصحراء دور خاص تجنب به رومل كارثة الإبادة لقوات المحور. ولكن هذا النصر السلبي لم يفعل شيئاً إلا أنه قد أخر الكارثة. ففي ٨ تشرين الثاني كانت القوات الإنكليزية والأميركية قد هبطت في الجانب الآخر من أفريقيا فوجد رومل نفسه بين المطرقة والسندان.



الأميركيون ينزلون في إفريقيا الشمالية

معركة تورتش

وفي ليل الثامن من تشرين الثاني وبينما كانت معركة «العلمين» على أشدها كان أسطول إنكليزي أميركي هائل مؤلف من ٨٥٠ سفينة يغادر بريطانيا وشواطىء الولايات المتحدة الأميركية ليقوم بعدة عمليات إنزال منسقة على شواطىء الاطلنطي والبحر المتوسط في أفريقيا الشمالية الفرنسية. الأهداف الأولى لهذه العمليات كانت

مرافىء وهران والجزائر والدار البيضاء في مراكش. هذه العمليات كانت قد أعدت منذ ستة أشهر في الميدانين العسكري والسياسي تحت اسم «تورتش». والواقع أن خطة تنفيذ هذه العملية قد تناقضت فيها وجهتا النظر السياسية والعسكرية وبرزت معها أو رافقتها أو نتجت عنها مسائل كثيرة معقدة.

إن غزو إفريقيا الشمالية كان في الحقيقة البديل الأول لعمليات إنزال الجنود في فرنسا؛ هذه العمليات التي كان السوفيات يطالبون بها بحماسة ولكن الحلفاء لم يكونوا يملكون الوسيلة إلى ذلك. وفي الوقت الذي كان يكافح فيه الروس من أجل حياتهم في ستالينغراد كانت عمليات «تورتش» تفتح جبهة ثانية في إفريقيا. وهي بالطبع جبهة محدودة ولكنها في كل حال قادرة على إلهاء جزءٍ من القوات الألمانية.

هذا في الدرجة الأولى. وأما في الدرجة الثانية فقد اعتقد الحلفاء بأن وضع رومل بين الجيش الثامن في الشرق والقوات الإنكليزية والأميركية في الغرب يوجه إلى القوات الألمانية وحالة المحور المعنوية ضربة عنيفة رهيبة.

وأما في الدرجة الثالثة فإن الحلفاء كانوا يستهدفون مراقبة شواطىء المتوسط من أجل أن يضمنوا منطلقاً صالحاً لغزو أوروبا من خلال «بطنها الرخوة» وأن يرغموا الإيطاليين على طلب الصلح.

يضاف إلى ذلك أن إنزال قوات الحلفاء وانتصاراتها ستدفع تركيا وإسبانيا والبلدان القائمة عند طرفي المتوسط إلى إبداء عواطف أكثر ملاءمة. وأخيراً تستطيع السيطرة على البحر الأبيض المتوسط أن توفر على قوافل الحلفاء المتوجهة إلى كل من الشرق الأوسط والشرق الأقصى شهوراً وآلاف الكيلومترات من الطريق.

فإذا وافقت القوات والسلطات المدنية الفرنسية على التعاون في إفريقيا الشمالية فسيكون في وسع الحلفاء اجتياز المغرب إلى الجزائر بسرعة؛ ثم ينتقلون إلى تونس بعد أن يضمنوا مؤخرتهم وطرق المواصلات وراءهم. وهناك يحولون دون تراجع ألماني بوضع رومل بين جيوشهم وجيوش مونتغمري. وبتعاون الفرنسيين مع الحلفاء ستكون الخسائر قليلة جداً أو لن تكون هناك خسائر قط. ولكن الذي حدث هو غير ذلك. فالجيش، والإدارة الفرنسية كانا من خصوم الإنكليز بالإضافة إلى ضعف إيمانهم بالديمقراطية وولائهم للمارشال بيتان. ففي فرنسا كان رجال الأعمال الفيشيون يعقدون صفقات هامةٍ مع ألمانيا وإيطاليا. أما الفرنسيون العاديون فقد كانوا في كثرتهم الساحقة إلى جانب الحلفاء ولكنهم لم يكونوا قادرين على فعل شيء أبداً.

وأما البحرية الفرنسية فقد كانت ذكرى المرسى الكبير لعام ١٩٤٠ قريبةً جداً. يضاف إلى ذلك أن القوات البرية كانت ما تزال تحس في أعماقها بمرارة الفشل في سوريا. على أن الإنكليز أنفسهم لم ينسوا مقاومة الفيشيين في سورية ومقاومتهم لهم في مدغشقر. ولم ينس الإنكليز أن الفيشيين قد سلموا الهند الصينية لليابانيين ورفضوا في وهران والاسكندرية وطولون نقل اسطولهم إلى القوات الحليفة.

ولكي يكسب الحلفاء عطف الفرنسيين أعطوا عمليات «تورتش» لوناً أميركياً في الأساس. فأعطيت القيادة العامة للجنرال أيزنهاور. ولكن الأميركيين لم يكونوا خبراء في السياسة الفرنسية شأن الإنكليز. يضاف إلى ذلك أنهم كانوا في مركز حرج وهم يجدون أنفسهم مرغمين على مهاجمة بلد محايد دون أن يكون بيدهم أي مبرر للقيام بهذا الهجوم.

وزاد تعقيد الوضع بسبب الموقف الذي اتخذه الأميركيون والفيشيون بالنسبة لديغول والفرنسيين الأحرار. أما الفيشيون فقد كانوا يعتبرون الديغوليين خونة للوطن لأنهم تابعوا المعركة ضد الألمان بدلاً من أن يوافقوا على الاستسلام. وأما الديغوليون فقد كانوا يرون الفيشيين خونة وأعواناً للعدو. وبما أن أكثر القادة في إفريقيا الشمالية قد عينوا من قبل فيشي فقد كانوا بالطبع من أعداء ديغول والفرنسيين الأحرار.

وزاد تعقيد الوضع بالنسبة للأميركيين أكثر فأكثر. ذلك لأن الأميركيين لم يكونوا يثقون بالجنرال ديغول بسبب فشله في داكار. وقد فسر هذا الفشل بتسلّل معلومات وخطط من قيادة ديغول العامة في كل من واشنطن ولندن أيضاً. يضاف إلى ذلك أن الولايات المتحدة كانت تعتقد بأن الفيشيين سيضاعفون مقاومتهم لكل عملية إنزال عسكرية يشارك فيها رجال ديغول وتكون النتيجة زيادة خسائر الحلفاء. وأخيراً فإن الأميركيين والإنكليز كانوا يجدون صعوبة بالغة في التعاون مع ديغول المتعجرف. وتقرر منع الفرنسيين الأحرار من الإسهام في تنفيذ عمليات الإنزال والسعي إلى كسب مساعدة القادة الفيشيين في إفريقيا الشمالية. واختطف الأميركيون في إحدى الغواصات الجنرال جيرو الذي كانت له آراء يمينية معروفة لكن هذه الآراء كانت ترافقها مواقف كفاحية ضد الألمان خلال الحربين العالميتين. وكانوا يأملون أن يصبح جيرو الزعيم الذي تلتف حوله إفريقيا الشمالية.

وكافحت الدبلوماسية الأميركية من أجل الحصول على صداقات في تلك المنطقة. لقد حاول المستشار السياسي الأميركي روبرت مورفي يساعده أميرال الأسطول د. ليهي، السفير القديم للولايات المتحدة في فيشي أن يوحد وينظم العناصر الموالية للحلفاء في إفريقيا الشمالية.. ومن ناحية أخرى، وقبل تنفيذ عمليات الإنزال بثلاثة

أسابيع قام الجنرال مارك كلارك بسفرة طويلة خطرة في غواصة ليتأكد من أنه لن تصدر أية مقاومة من جانب الفرنسيين وإذا صدرت هذه المقاومة فلإنقاذ المظاهر وحسب.

ولكن كل هذه الجهود ذهبت أدراج الرياح. لقد قاوم بعض الفرنسيين القوات الحليفة وجرت اشتباكات في وهران ومرفأ ليوتي، بينما فتحت السفن الحربية الراسية في الدار البيضاء، ومن بينها جان بار التي لم تنته الأعمال فيها بعد، نيرانها على قوات الحملة الأميركية مما أرغم المدفعية البحرية والقاذفات المنقضة على التدخل. أما الجنرال جيرو الذي كان قد طالب بقيادة البعثة العسكرية الحليفة التي لم يشترك فيها جندي فرنسي واحد، فقد استقبل استقبالاً حسناً من قبل القادة العسكريين والحكام المدنيين الفرنسيين. وكان من قبيل المصادفة، أن الأميرال دارلان، المتعاون مع المحور وخليفة الماريشال بيتان، كان موجوداً في تلك الفترة في الجزائر بحجة زيارة ولده الذي يعالج هناك بعد إصابته بشلل الأطفال. وظن الجنرال أيزنهاور أن دارلان هو الرجل الوحيد الذي يستطيع إيقاف المعركة والحفاظ على النظام في المؤخرة بينما يكون الحلفاء في طريقهم إلى تونس، بالإضافة إلى قدرته على ضم اسطول طولون البحري ومحمية تونس إلى القوات الحليفة.

لكن دارلان راح يلف ويدور، فيقبل اقتراحات الحلفاء تارة ويرفضها تارة أخرى، وأخيراً اختبأ وراء سلطة الماريشال بيتان ـ الذي تنكر له علناً عبر راديو فيشي ـ ثم طلب الهدنة.

وفي كل حال بادرت الوحدات الفرنسية إلى المطالبة بإيقاف إطلاق النار من نفسها دون أن تعود إلى دارلان. يضاف إلى ذلك أن إفريقيا الغربية الفرنسية، بما فيها داكار، قد دخلت إلى سلطة الحلفاء. واختار الحاكم العام «بواسون» دارلان، مفضلاً إياه على ديغول، اعتقاداً منه أن دارلان أحسن تفهماً للوضع وأيسر معاملة من الجنرال الثائر.

وانتهت الاشتباكات بعد ثلاثة أيام من نزول القوات الحليفة. وانتهز الجيش البريطاني الأول فرصة حدوث انقلاب ديغولي في الجزائر فتابع طريقه إلى تونس بقيادة الجنرال كنيث اندرسن على امتداد الشاطىء. كما أنزلت قوات من الفدائيين والمظليين عند شاطىء بون قرب تبيسا وسوق العربة واحتلوا مواقع متقدمة من الجزائر الشرقية. وفي ٢٥ تشرين الثاني وبينما كانت دوريات إنكليزية تجتاز المفرق الاستراتيجي لمجاز الباب على بعد ٤٥ كلم من جنوب شرقي تونس أصبح احتلال تونس أشبه بلعب الأطفال.

وهنا أيضاً، بدا تعاون دارلان غير ذي فعالية. لقد ظن الحلفاء أن في وسعه إصدار

الأوامر إلى الزعماء الفيشيين، الأميرال جوان ايستيفا المقيم العام، والأميرال ادمون داريان، قائد قاعدة بنزرت بالانضمام إلى الحلفاء، ولكن دارلان لم يفعل شيئاً. وعندما قرر أن يفعل ذلك تحت التهديد، كان الألمان قد نقلوا قوات إلى تونس ومنعت فيشي ممثليها هناك من مقاومتهم.

والواقع أن الألمان قد ردوا على عملية «تورتش» بسرعة البرق. فاستولوا على المنطقة غير المحتلة من فرنسا. ومرة أخرى خيب دارلان ظن الحلفاء. وكان في ود هؤلاء أن يصدر هذا الأخير أوامره إلى أسطول طولون البحري بالانضمام إليهم ولكنه رفض ذلك أيضاً. وعندما حاول الألمان الاستيلاء على وحدات هذا الأسطول في ٢٧ تشرين الثاني أغرقت هذه الوحدات نفسها. فأرسلت بهذه الطريقة إلى الأعماق ٧٣ وحدة في مرفأ طولون من بينها دارعة واحدة ومدمرتا قتال وسبع مدمرات خفيفة وتسعة وعشرون طراداً. ثم لم يلتحق أي من الأسطولين الفرنسيين الراسيين في داكار والاسكندرية بالحلفاء إلا بعد تردد، بينما بقيت الوحدات الراسية في بنزرت موالية لفيشي.

في هذه الغمرة من الفوضى الفكرية، وبينما كان الفيشيون يفكرون ويستعدون لمقاومة القوات الحليفة بادر الألمان إلى الاستيلاء على الجزء غير المحتل من فرنسا وتونس دون طلق ناري واحد. وتم استيلاؤهم على المطارين الوحيدين الصالحين للعمليات في كل وقت. وهما مطار تونس وبنزرت، وتمت لهم السيادة في الجو التونسي. وهو امتياز كبير استفادت منه القوات الألمانية بينما كان فصل الأمطار قد بدأ لتتحول الطرق والمطارات التي أصبحت في حوزة الحلفاء إلى أنهار وبحار من الوحل. وأغارت اللفتواف على مواقع الجيش البريطاني الأول الذي أرغم على التوقف عند جدَيْدة على بعد ٢٠ كلم من مدينة تونس.

ثم تراجع الجيش الأول حتى مجاز الباب وثبت هناك رغم الهجمات الألمانية المعاكسة.

وهوجم الاتفاق المنعقد مع دارلان هجوماً عنيفاً في كل البلدان الحليفة. واضطر الرئيس روزفلت إلى اتخاذ موقف علني في ١٧ تشرين الثاني مؤكداً أن هذا الاتفاق هو إجراء وقتي بسبب ظروف الحرب الاستثنائية. ومع ذلك فإن النقد الموجه إليه لم تخف شدته كما لم تدفع دارلان إلى التعاون بصورة أكثر جدية. وحدث العكس فقد استطاع دارلان الحفاظ على القادة الفيشيين وأن يقيد الديغوليين والديمقراطيين، وأن يتابع تنفيذ القوانين غير الديمقراطية التي كانت تمليها فيشي عليه.

في تلك الفترة أقدم شاب فرنسي مجهول في العشرين من عمره، فرنان بونيه من شابل على الدخول إلى مكتب دارلان والقضاء عليه بطلقيـن ناريين من مسدسه. وحوكم الشاب بعد ٢٤ ساعة من قبل محكمة عسكرية فيشية وأدين وحكم بالإعدام ونفذ فيه الحكم بصورة مباشرة.

أما الأميركيون فلم يحركوا ساكناً. ولم يحاولوا انتهاز هذه الفرصة للخروج من طريقهم عبر النافذة التي وضعوا أنفسهم فيها وللتخلص من أنصار بيتان القدماء .وعين جيرو مكان دارلان. أما الإنكليز الذين كانوا يساندون ديغول فقد وقفوا، في شيء من التردد، إلى جانب حليفهم القوي رغم تخبطه في ارتكاب الأخطاء.

مؤتمر الدار البيضاء

وفي كانون الثاني ١٩٤٣ تم لقاء روزفلت وتشرشل في الدار البيضاء لتنظيم خطة العمليات الحربية ضد المحور. وكانت الدعوة قد وجهت إلى ستالين، ولكنه رفضها بسبب انشغاله بهجوم جيشه المعاكس في فصل الشتاء، وكان هذا الرفض آيةً أخرى على ضعف التعاون بين الروس والانكلوساكسون.

وهناك، في الدار البيضاء، ناقش الغربيون خطط النزول في البر الفرنسي وعين موعده في عام ١٩٤٤، وتم الاتفاق على أن يكون البر الإيطالي هو الهدف التالي، كما اتفق الغربيون على التشدد في مقاومة الغواصات الألمانية وعلى مضاعفة الغارات الجوية على ألمانيا. ومن ناحية أخرى حاولوا التوفيق بين جيرو وديغول. ورفض جيرو التخلص من أعوانه القدماء كما رفض الغاء التشريعات الفيشية.

أما أهم النتائج التي نجمت عن هذا المؤتمر فهو الإعلان عن فرض «الاستسلام دون قيد أو شرط» على قوات المحور. وعندما هوجم هذا الإعلان هجوماً شديداً بدعوى أنه سيدفع المحور إلى الاستماتة في القتال عاد روزفلت يعتذر عنه بلباقة خلال مؤتمر صحفي مؤكداً أن صدوره قد جرى بطريقة عرضية. على أن الزعيمين الإنكليزي والأميركي قد حاولا في مناسبات عديدة عام ١٩٤٣ أن يبررا ما اتفقا عليه وأن يبرهنا على أن هذا الإعلان لن يكون بمثابة الكارثة بالنسبة لألمانيا. وكان مما قاله تشرشل في معرض الحديث عن الاستسلام غير المشروط في ٣٠ حزيران ١٩٤٣ :

«نحن، الأمم المتحدة، نطالب باستسلام النازيين والفاشيين واليابانيين دون شرط. ونقصد بذلك تحطيم كل إمكانياتهم في المقاومة وأن يضعوا أنفسهم تحت تصرف عدالتنا وتحت رحمتنا. . . وهذا لا يعني كما لن يعني أبداً أننا سنلطخ أسلحتنا



في مؤتمر الدار البيضاء: تشرشل ـ ديغول ـ روزفلت ـ جيرو

المظفرة بتصرف غير إنساني أو بشهوة إلى الانتقام، أو أننا لا نهدف إلى بناء عالم تكون فيه كل البلدان قادرة على الطموح إلى ما يسميه الإعلان الأميركي للاستقلال: «الحياة والحرية والسعي إلى السعادة».

وأضاف الرئيس روزفلت موضحاً في ٢٤ كانون الأول عام ١٩٤٣ قائلاً:

«لا تنوي الأمم المتحدة استعباد الشعب الألماني. نحن نتمنى له نصيباً سوياً في إنماء نفسه في السلام، باعتباره عضواً نافعاً ومحترماً من العائلة الأوروبية. ولكننا نريد التشديد على كلمة «محترمة» لأننا نريد أن نحرره مرة وإلى الأبد من النازية والروح العسكرية البروسية ومن فكرة أن الألمان يؤلفون «عنصر السادة».

وبالرغم من كل ذلك ومهما تكن تصريحات الحلفاء التي أصرّت على المطالبة بالاستسلام دون قيد أو شرط، أكانت هذه المطالبة مقصودة أم غير مقصودة، ومهما تكن الخطب والأحداث التي أدخلت عليها التعديلات المعروفة، فإن هذه التصريحات بالذات كان لها وزنها الكبير في الميزان حتى نهاية الحرب في كل المفاوضات العسكرية والسياسية مع قوات المحور.

الانتصار في الصحراء

وفي نهاية كانون الثاني ١٩٤٣ كان جيش رومل «افريقا كوربس» قد اختار خط ماريت موقعاً له. وهو سلسلة الحصون التي كان الفرنسيون قد بنوها على بعد ثلاثين كيلومتراً من الحدود التونسية لحماية أنفسهم ضد الإيطاليين. وفي هذه الحالة كان رومل قد أضاف جيشاً عدته ٨٥ ألف رجل إلى رجال جورجن فون أرنيم، وكان هتلر قد رفع عددهم إلى مئة ألف خلال عمليات الإنزال في إفريقيا الشمالية «تورتش». وفي كل حال كانت كل هذه القوى البشرية تقيم داخل رأس جسر وكانت تتوجه نحو الجنوب لتقاوم الأخطار الناجمة عنه أي لتقاوم الجيش الفرنسي التاسع عشر والجيش الأميركي الثاني. أما الجهتان الأخريان لرأس الجسر فقد كانت من ورائهما مياه البحر.

ومنذ وصل رومل إلى ميدان المعركة اتخذ المبادرة. وفي نهاية كانون الثاني كان يهاجم الفرنسيين عند ممر فايد، وفي ١٤ شباط أطلق دباباته «النمر» ضد الأميركيين الذين تكبدوا خسائر هامة لحداثة عهدهم في حروب الصحراء. ثم اخترق رومل خطوط الحلفاء عند ممر قاصرين. وبعد أن تراجع هؤلاء الأخيرون ٩٠ كلم عادوا فتصلبوا واستعادوا تنظيمهم ثم انقضوا على الألمان وأعادوهم إلى حيث كانوا من قبل. وفي ٦ آذار انقض رومل على الجيش الثامن ودفع فرقه المدرعة ضد مدنيين وهي ميناء رئيسي لتموين قوات مونتغمري. لكن المدافع الإنكليزية المضادة للدبابات قد أوقفته وحطمت أكثر من خمسين مدرعة دون أن تتكبد أية خسارة.



ايزنهاور يصافح مونتغمري في تونس

وكان الحلفاء قد وجدوا من الوقت ما دعموا به أنفسهم بالذخيرة والمؤن المختلفة كما نظموا به مواصلاتهم. وكانت جيوش إفريقيا تحت قيادة وحيدة هي قيادة الجنرال أيزنهاور يساعده ثلاثة من القادة البريطانيين: ألكساندر للجيوش البرية، كننغهام للقوات البحرية، وتيدر للجو. وقد تعاون الطيران الحليف مع الغواصات والسفن الحربية الخفيفة على تحطيم خطوط المواصلات العدوة. وفي ٢٠ آذار عاد مونتغمري إلى الهجوم: بدأ أولاً بحملة أمامية مترددة خجول ضد خط ماريت ثم تحولت الحملة إلى مناورة لاجتياح الخط والجناح الأيمن لجيش رومل. وبعد أسبوع واحد جرت فيه اشتباكات متوحشة اضطر رومل للتراجع تجنباً للوقوع في أي كمين. وبعد ذلك بقليل استدعي إلى ألمانيا.

وفي ٧ نيسان حققت القوات الحليفة اتصالها بعضها بالبعض الآخر. ثم قامت بهجوم مشترك على جيب العدو. ولم تلبث وهي التي كانت تملك عدداً هائلاً من الدبابات والطائرات والمدافع التي اقتحمت أبواب الكمين الذي كانت قد حوصرت فيه قوات المحور. وفي ٥ أيار انتزع الجيش الفرنسي التاسع عشر جسر «باه» وبعد ذلك بيومين دخل الجيش الثامن إلى تونس. وفي ٩ منه نجح الأميركيون في اقتحام الطريق إلى «بنزرت».

وتعاقبت الأحداث بسرعة هائلة ولكن مع كثير من الدماء بحيث ان كلا الفريقين المتقاتلين قد أصيبا بدوار شديد وهذا ما كان قد سجله «أ. مورهيد» وهو يدخل إلى تونس قال:

ظهرت الحياة والحركة فجأة في جادة باردو. جماعة من الفرنسيين كانت قد اجتاحت هذا الشريان وهي تهذي من الفرح. بعضهم ركض نحونا وأخذ يقفز على جوانب السيارات. إحدى الفتيات ضمت أحد السائقين في ذراعه. أحد الشيوخ أخرج علبة سجاير من جيبه ودفعها إلينا. مجهول آخر مد إلينا قنينة نبيذ. كل النساء كن قد أتين ومعهن زهور قد قطفنها بسرعة بالغة من حدائقهن. باقة كبيرة من الورد أصابتني في وجهي ثم تفرقت الزهور وتوزعت في السيارة. كل الناس كانوا يصرخون ويصفقون، بعضهم كان يلقي بنفسه على السيارات وهو يخاطر بحياته فلا يبالي أن تسحقه السيارة ولكن هذا لم يحدث بحمد الله. المكان كان مليئاً بالألمان الذين ينظرون إلينا بعيون دائرية. كانوا يحملون بندقيتهم. وتجاوزتنا سيارة تسير بالسلاسل وهي محملة بالألمان. وظن الشعب أن هؤلاء الألمان الذين كانوا في هذه السيارة البريطانية هم جماعة من الإنكليز فأمطروهم بالزهور. وأمسك بها الألمان ثم حاول



الجيش الثامن في تونس

كل منهم محتفظاً بصلابته وضع الباقة التي التقطها في ثقوب السلسلة.

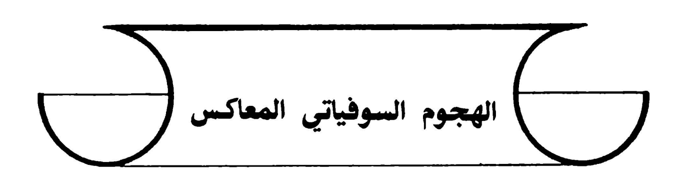
وفجأة فتح باب كبير في بناء أحمر قائم إلى يمين الطريق. ولم أفهم في البداية ما كان يجري هناك. الرجال كانوا يخرجون بالمئات من الباب، لقد كانوا جنوداً بريطانيين بخوذاتهم المفلطحة وبثوبهم العسكري «باتل درس». وأدركت حين ذاك أنهم جماعة من الأسرى الذين حررناهم من معتقلات الألمان. وتجمعوا في البداية ولفترة قصيرة فوق الرصيف والمطر ينهمر فوقهم ويكادون يلتهموننا بعيونهم. ثم أخذوا يهتفون لنا. كان بعضهم لا يملك الجرأة على الكلام ولذلك فقد كان يكتفي بالنظر. أحد هؤلاء الرجال كان يبكي بهدوء وقد ظهرت لحيته وقد أكلت وجهه كله حتى عينيه. وتدحرج آخرون فوق الأرض لشدة صراخهم.

وفجأة بدت لنا هذه المجموعة من الرجال وكأن سيلاً من السعادة والفرح المتوحش قد هزهم هزاً عنيفاً. لقد صرخوا وصرخوا حتى لم تعد لهم قوة على متابعة الصراخ...

وفي تلك الأثناء كانت دورية من السيارات المدرعة قد اجتازت مفرق شارع إلى اليمين، إنه شارع لندن. . ثـم نزلت الدورية في وسط المدينة. وقد أخذت هذه الدورية على حين غرة. مئات من الألمان كانوا يتنزهون في الشوارع وكانت ترافق بعضهم صديقاتهم الصغيرات. ومئات آخرون يتناولون في مقهى كبير بعض الأشربة. لم يحذرهم أحد من اقتراب الإنكليز. لقد جرى الهجوم بسرعة هائلة حتى انه لم يبدُ شيء في المدينة يدفع إلى التفكير بأن خطوط المحور قد اخترقت وها إن ثلاث سيارات تصبح بينهم وكأنها سقطت فجأة من السماء. وقفز الألمان من مقاعدهم وحملقوا بعيونٍ زائغة إلى جماعة «التوميز» الإنكليز الذين زاغت أبصارهم أيضاً عندما وجدوا أنفسهم في وسط هذا الحشد الهائل من الجنود الألمان وهم قلة مع سياراتهم الثلاث المدرعة. وفي صالون أحد الحلاقين نهض ألمان آخرون بجهد كبير من مقاعدهم وكانت ما تزال مناشف الحلاق البيضاء حول أعناقهم وزبد الصابون على وجوههم وراحوا يلصقون على زجاج الواجهة وجوههم الخائفة. وعادت السيارات الثلاث للحصول على نجدات. وهكذا سقطت مدينة تونس في تلك الليلة وبمثل تلك الطريقة البلهاء.

وقامت السيارات المدرعة الحليفة بمناورة باهرة استطاعت بها أن تحول دون أية مقاومة في رأس بون، بينما كان الحصار الجوي يحول دون هروب الألمان من البحر. وفي ١٢ أيار استسلم كل من الجنرال فون أرنيم والمارشال الإيطالي مسا مع جيوشهما كلها. وانتهت الحرب الافريقية.

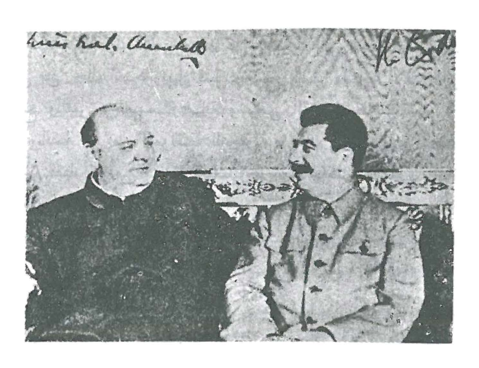
وكانت حصيلة هذه الحرب بعد كل المعارك التي تحدثنا عنها بسرعة واختصار مليون رجل من رجال المحور بين قتيل وجريح وأسير وثمانية آلاف طائرة وستة آلاف ومئتي مدفع وألفين وخمسمئة دبابة وسبعين ألف شاحنة وما يقرب من مليونين وخمسمئة ألف طن من المراكب التجارية. وكان الثمن الذي دفعه المحور ثمناً لمعركة تونس فقط أكثر من ٣٠٠ ألف رجل بينما يؤكد الحلفاء من جانبهم بأنهم لم يخسروا أكثر من ٥٠ ألف رجل.



الهجوم السوفياتي المعاكس

علمنا في فصول سابقة أن الجيش الأحمر قد انتزع من الألمان آخر أمل لهم في التغلب على الاتحاد السوفياتي. إن الأهداف الرئيسية التي كان هتلر يحاول الوصول إليها عام ١٩٤٠ هي القوقاز وستالينغراد ولينينغراد. ولكن هذه المناطق والمدن بقيت في أيدي الروس بينما أبيدت عشرون فرقة من أحسن فرق الجيش الألماني دون أمل في التعويض عنها وهي التي كان يقودها «فون بولوس» تحت اسم الجيش السادس.

وفي أثناء العام الأول للحرب في الشرق كان الجيش الأحمر قد كبد الألمان خسائر رهيبة لم يسبق لهم أن تكبدوا مثلها من قبل: ١٢٥٠٠٠٠ بين قتيل وجريح وأسير. أما السوفيات فقد كانوا يفتخرون بأنهم قد خسروا في الوقت نفسه ٤٥٠٠٠٠٠ مقاتل على أنهم كانوا قادرين على ملء الفراغ الذي أحدثته هذه الحرب في الرجال. وبينما كان الروس يدعمون جيوشهم مستعينين بمصانعهم الخاصة التي نقلوها إلى سفوح جبال الأورال وبالمساعدات التي كان يقدمها



تشرشل يجتمع بستالين في موسكو عام ١٩٤٢

الأميركيون والانكليز اليهم كان الألمان في الوقت نفسه يتعرضون للغارات الجوية العنيفة ويضعفون شيئاً فشيئاً. كان الوضع كذلك بالنسبة للقوات البشرية والأيدي العاملة حتى ان الألمان قد أرغموا على مصادرة العمال وتسخيرهم للعمل في مصانعهم تعويضاً عن الفراغ الذي كانت تسببه خطط التعبئة. وبلغ الأمر أنهم جندوا الشيوخ والمراهقين. ومع ذلك فإن كل هذه المحاولات لم تحل مشاكلهم الأساسية.

إن الجيش الأحمر لم ينتظر استسلام الجيش الألماني السادس في شباط ١٩٤٣ للانقضاض على القوات الألمانية المرهقة وضربها دون رحمة. لقد استولى الجيش



مصفحات روسية وألوف من الأسرى الألمان

الأحمر على كورسك وبيلغورود بعد معارك عنيفة. وفي منتصف شباط طرد القوات النازية من خاركوف. وعندما جاء أول آذار أرغم القائد الألماني مانستاين على إخلاء رزيف وفيازما في الجبهة الوسطى. وبعد تقدم استمر ثلاثة أشهر ومسافة طولها ٦٥٠ كلم اجتازها الجيش الأحمر في تلك الفترة من الزمن أصبحت خطوط التموين الروسية طويلة جداً بحيث ان القائد الألماني مانستاين قد استطاع بالقوات الألمانية الجديدة التي ضمت إليه أن يوقف الزحف الروسي أولاً، ثم يعيد القوات الروسية إلى الوراء. وفي ١٤ آذار استعاد الألمان مدينة خاركوف.

وجاء الربيع وهدأت المعارك العسكرية حتى اليوم الخامس من شهر تموز حين بدأ هتلر بحملته الصيفية. ولم تكن هذه الحملة بالطبع على مستوى الحملتين السابقتين. لقد كانت القوات التي استعملها في هذه الحملة الهجومية في حدود ثلاثين فرقة عدد جنودها نصف مليون رجل. وقد بدأ الهجوم بالانقضاض على نتوءٍ روسي عمقه تسعون كيلومتراً يمتد داخل الخطوط الألمانية غربي كورسك. وقد تم الهجوم من الشمال والجنوب. قام به كل من كلوج ومانستاين على أمل إبادة المليون روسي المعسكرين في ذلك الجيب.

ولكن الجيش الأحمر كان على أهبة تامة. وقد حطمت مدفعيته نصف الدبابات الألمانية تقريباً في معركة أطلق عليها الجنرال إيفان كونيف اسم «أغنية الاوز للفرق الألمانية المدرعة». أما الألمان فقد أرغموا على الوقوف بعد أن استولوا على مساحات قليلة من الأرض. والواقع أن هذه الحملة كانت كارثة بالنسبة للألمان. لقد ذاب سلاحهم واحتياطي الرجال منهم كما يذوب الثلج في عين الشمس. لقد بلغت خسائر



تشرشل يخرج سيكاراً وستالين يبتسم

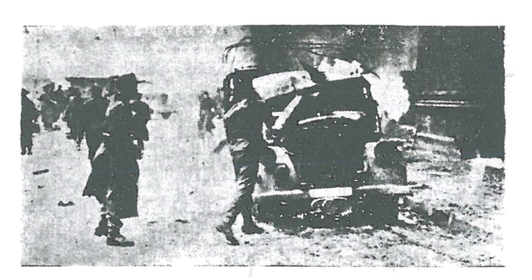
الألمان ٧٠٠٠٠ ألف رجل و ١٠٠٠ طائرة. يضاف إلى ذلك أن الحالة المعنوية في الجيش الألماني كانت في وضع سيىء جداً. ولم تنته هذه الحملة حتى شعر الألمان أن الروس يستعدون للقيام بهجوم معاكس.

وانتقل الروس بالفعل إلى الهجوم على امتداد جبهة الجنوب وجبهة الوسط. إن مجموعات من الجيوش السوفياتية يقودها جنرالات من أبناء الجيل الجديد: سوكولوفسكي، بوبوف، فاتوتان، روكوسوفسكي، كونيف، مالينوفسكي، وطولبوخين قد اندفعت نحو الغرب وأخرجت الألمان من مواقعهم الهامة التي كانوا يحتفظون بها منذ عام ونصف. وفي كل من شهري آب وأيلول استطاع الروس أن يستولوا على أوريل، بللغورود، تاغانروغ، ستالينو، ماريوبول، بريانسك وبولتافا، طبعاً في ١٩٤٣. وتراجع الألمان إلى خط جديد من التحصينات المبنية في المنحنى الكبير لنهر الدنيبر بين غومل وبحر آزوف. وكانوا لا يتراجعون إلا بعد أن يتركوا الخرائب وراءهم. وفي نهاية أيلول كان الروس قد استعادوا المركز الحديدي الاستراتيجي في سمولنسك، وهو مفتاح الجهاز الألماني في الجبهة الوسطى. كما أنهم وصلوا إلى الدنيبر على امتداد جبهة عرضها ١٢٠ كلم بين كرمنشغ ودنيبر وبتروفسك. وإلى الجنوب أكثر فأكثر أرغم الجيش الأحمر قوة ألمانية مؤلفة من ١٤ فرقة يقودها فون كليست، على إخلاء رأس الجسر في كوبان ثم ألقى بها إلى ما وراء مضيق كيرتش في بلاد القرم.

وفي شهر تشرين الأول ١٩٤٣ اخترقت القوات الروسية خط الدفاع الألماني في دينيبر في ثلاثة مواضع.



فرقة من سلاح الهندسة الروسي يفجر الألغام ويمهد الطريق



إحدى سيارات سلاح الطيران الألماني وقد أصابتها قنبلة إحدى الطائرات الروسية

أما التقدم في الشمال فقد انتهى بسقوط كييف في أيدي الروس في ٦ تشرين الثاني ثم غومل وجيتومير في ١٢ من الشهر نفسه. وفي الجبهة الوسطى استولى السوفيات على مدينة دينيبر وبتروفسك في ٥ تشرين الأول. ثم تابعوا طريقهم إلى كريفوي روغ. وأما في الجنوب فقد استعادوا مليتوبول واستولوا على برزخ بيريكوب في أول تشرين الثاني بعد معارك ضارية، وبذلك يكونون قد أحكموا الحصار حول الجيش السابع عشر في بلاد القرم. وقد تحدث القائد الألماني للجنرال ملينتن عما سماه الأسطوانة الروسية الضاغطة:

وكانت غارة المدفعية بالغة القوة والعنف. ولم يكن في وسعنا القيام بأية حركة: ٢٩٠ قطعة من كل العيارات كانت تمطر جبهة طولها كيلومتر واحد. وخلال



جندي روسي يقود أسيراً ألمانياً

الساعتين اللتين انطلقت فيهما نيران هذه المدفعية استهلك الروس احتياطيهم من الذخيرة ليوم ونصف يوم. والواقع أن القنابل قد امتدت وانتشرت حتى مواقع قيادات فرق القتال. إن الفرقتين اللتين كانتا تعملان في جبهة الجيش الأمامية قد استقبلتا من القنابل والمتفجرات ما عجزتا معه عن تعيين المكان الأقوى تسلحاً من جبهة العدو. بعض المدافع الروسية كانت تطلق نيرانها دون تعيين نقطة خاصة. وبعد ساعتين اثنتين أصبحت شبكة خنادقنا أشبه بحقل محروث، وعلى ذلك فإن كثيراً من أسلحتنا الثقيلة قد أصبحت خارج المعركة. وفجأة انتقل المشاة الروس إلى العمل. لقد تعرضت جبهتنا بعد أن ضربتها المدفعية لسلسلة من الموجات الهجومية. كان المشاة يسيرون في صفوف متراصة تساندهم الدبابات. بينما كانت سحب من الطائرات الروسية تطير



فرق «الأنصار» الروسية في المعركة

على ارتفاع منخفض جداً لتسكت حصوننا التي كانت ما تزال تطلق نيرانها على المهاجمين. والواقع أن هجوم المشاة الروس شيء مخيف رهيب؛ إن موجات طويلة رمادية من الرجال تتدفق بينما تتردد في الفضاء صرخات وحشية لا يحتملها من المدافعين غير أصحاب الأعصاب الفولاذية...

وفي مساء ذلك اليوم حدثني الجنرال ديترش فون شولتز عن الطريقة التي



الجنود الروس يغنون
ويرقصون احتفالاً بالنصر

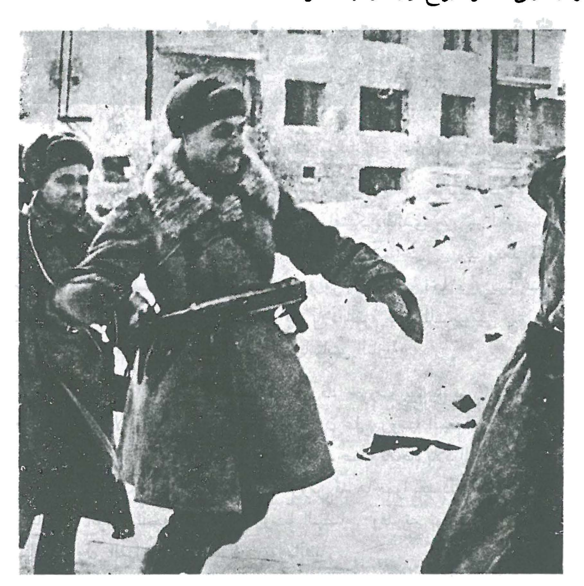
تطورت بها الأحداث وأشركني في أفكاره بالنسبة لهذا الضغط المستمر الذي يقوم به العدو على جبهتنا. ثم جاءه إلهام غريب. لقد رأى الجيوش السوفياتية تجتاحنا تماماً كما تكون موجات المحيط العملاقة. إن كل السدود التي بنيت لاستيعاب هذا المد الرهيب قد انهارت. وانطلق الروس عبر هذه السدود المنهارة للانقضاض على الألمان. كان يريد أن يلاقي هتلر بنفسه وأن يعرض عليه الوقائع...

حاولت جهدي أن أعيد الهدوء إلى الجنرال مستعيناً بأرقام قادرة بموضوعيتها الباردة على إثبات أن الفيض البشري الروسي يجب أن يجف بصورة حتمية. وأشرت



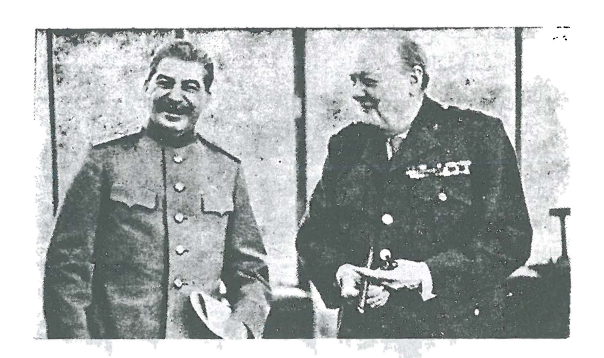
الجيش الأحمر يخترق نهر الدنيبر

في نوع من التشدد إلى الخسائر الهائلة التي تكبدها الروس حينما اصطدموا بجيشه وهو الجيش الذي كان يقاتل بشجاعة نادرة. قلت له إن الهجمات الروسية نفسها ستنتهي يوماً إلى التفتت والضياع. ولكن حججي وبراهيني لم تتوصل إلى إقناعه وأصر على رأيه. إنه لم يكن يعتقد بأن في وسع جبهتنا الصمود يوماً آخر. كان يريد أن يجنب قواته هذا الامتحان الرهيب، لا سيما وأنها كانت تضعف يوماً بعد يوم دون أن يكون لها أي أمل في الحصول على النجدات. وفي اليوم التالي غادر القيادة العامة متوجهاً إلى هتلر ليرفع إليه وجهة نظره.



الروس يستقبلون استسلام الألمان بكل سرور

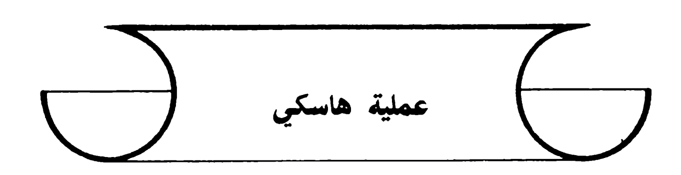
والواقع أن البرد والثلج لم يهادنا الألمان أبداً. وفي الشمال حدث هجوم روسي تحررت على أثره لينينغراد وتراجع النازيون حتى بحيرة بينوس عند الحدود الاستونية. وفي شباط استطاع الجيش الأحمر أن يبيد الجيش الألماني الثامن في



تشرشل وستالين يبتسمان، لقد سرهما قرب انهيار ألمانيا

«تشركاسي» ثـم اتخذ لنفسه مواقع عديدة في الدنيبر عند نيكوبوك وكريفوي روغ. وفي آذار أطلق كل من المارشال جوكوف وفاسيلفسكي قائدي جيوش الجنوب هجوماً ربيعياً انتهى في أواخر الشهر إلى دفع الألمان وطردهم حتى بولونيا وبعد قليل إلى رومانيا. وفي ١٠ نيسان وجد الألمان أنفسهم مرغمين على إخلاء أوديسا عند البحر الأسود. وكان الروس قد قاموا بهجومهم في بلاد القرم قبل ذلك بيومين ولم يمر شهر على هذا الهجوم حتى تمت تصفية الحاميات النازية.

كانت الأرض السوفياتية لعام ١٩٤٣ قد حررت تقريباً في تلك الفترة من الحرب. ولكن الألمان كانوا ما يزالون يسيطرون على روسيا البيضاء على امتداد نهر الدنيبر الأعلى. وكانوا يعتقدون في كل حال أن حملة باتجاه بلاد البلقان شيء يـدعو إلى الخوف لأسباب سياسية. والواقع أن الروس قد هاجموا بعد ذلك في الشمال، في كاريليا وفي الوقت نفسه تقريباً في روسيا البيضاء. وقد تم توقيت هذا الهجوم مع عمليات نزول القوات الحليفة في نورمانديا.



عملية هاسكي

في العاشر من تموز سنة ١٩٤٣ وبعد شهرين من استسلام القوات الجرمانية الإيطالية في إفريقيا أنزل الحلفاء قواتهم في جزيرة صقلية بقيادة هؤلاء الرجال أنفسهم الذين صنعوا الانتصار في تونس: أيزنهاور، ألكسندر، تدر، وكننغهام. ولكن المؤسف أن هؤلاء القادة كانوا يختلفون في خططهم التكتيكية لتنفيذ العمليات الحربية. أما الأميركيون فقد كانوا يريدون الاقتصاد في استعمال القوى وتعيين الأهداف والاحتفاظ بالقوات الرئيسية من أجل عمليات النزول في فرنسا؛ تلك العمليات التي تم الاتفاق على تنفيذها في ربيع ١٩٤٤. أما البريطانيون الذين ما يزالون يذكرون التجارب الدامية في مناطق السوم، بسشندال، ودانكيرك فقد كانوا يميلون إلى غزو أوروبا عبر «بطنها الرخوة». وبعبارة أخرى كانوا يريدون غزو إيطاليا ثم التغلغل بعد ذلك إذا أمكن في بلاد البلقان التي سيقترب منها الجيش الأحمر بين وقت وآخر. هذا الاختلاف في الرأي الذي بقي قائماً رغم كل الجهود المبذولة في كلا الطرفين سيكون سبباً لضحايا بشرية كثيرة.

وبادرت القوات الجوية والبحرية إلى قصف الجزر الصغيرة بين إفريقيا الشمالية وصقلية: بانتيلاريا، لامبيدوزا ولينوزا. ثم أنزلت عشية بداية الهجوم البري البحري قوات من المظليين ومن المشاة فوق المطارات ووراء رقبات الجسور العدوة التي أخذت من الخلف. وقد كانت حداثة عهد بعض المهاجمين بهذا النوع من المعارك قد سببت نزول بعض الطائرات الشراعية فوق مياه البحر وغرق من كانت تحملهم من الجنود. ومهما يكن الأمر فقد أشاعت هذه المحاولة كثيراً من الفوضى وراء خطوط العدو وساعدت على إنجاح عمليات النزول.

هذه العمليات أطلق عليها اسم «هاسكي» وقد كانت أول عمليات من نوعها تحدث فوق البر الأوروبي على نطاق واسع. وقد استخدمت لها أكثر من ٣٢٠٠ سفينة تحمل ١٦٠٠٠٠ جندي حتى جزيرة صقلية عبر القنال التي تحمل اسم الجزيرة.



القوات الإنكليزية تتصدى للألمان في صقلية

أما الجيش الأميركي السابع الذي يقوده الجنرال باتون فقد هبط إلى البر بين ليكاتا وسكوغليتي، أما النقطة الوسطى لعمل هذا الجيش فهي جيلا. وأما الجيش البريطاني الثامن الذي كان يسانده جيش كندي فقد نزل عند جانبين من نقطة تقع جنوبي الجزيرة بين بوزولوا وسيراكوزا. وكانت تواجه هذه القوات من جانب العدو عشر فرق إيطالية وثلاث فرق ألمانية ونصف جملتها ٤٠٠٠٠ رجل يقودهم المارشال كيسرلنغ.

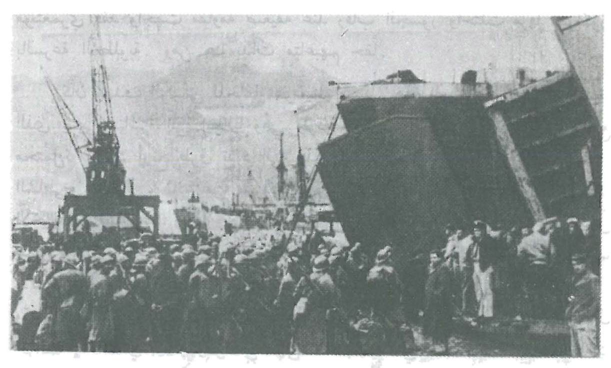
العمليات تمت بسرعة ودون أية صعوبة في قطاع جيلا فقط حيث رد الأميركيون هجوماً ألمانياً معاكساً عنيفاً بمساعدة مدافع البحرية الإنكليزية. والواقع أن أكثر الإيطاليين كانوا ناقمين في الوقت نفسه على الحرب والفاشية. كانوا يقاتلون ببرود شديد ولإنقاذ المظاهر وحسب. بينما كان هناك ثلاث فرق مشهورة: فرقة هيرمان غورنغ، الفرقة المدرعة الخامسة عشرة والفرقة الآلية التاسعة والعشرون، تساندها قوات من المظليين وقد بلغ مجموع الرجال فيها ٩٠٠٠٠ وانطلق باتون إلى الشمال والغرب واحتل كل النصف الغربي للجزيرة في ثلاثة أسابيع. وأما جيوش

مونتغمري فقد واجهت مقاومة ضعيفة عند رقاب الجسور واحتلت مرفأ سيراكوزا بالسرعة المطلوبة. ومن هنا بدأت متاعبهم حقاً.

كان الهدف الرئيسي للحلفاء هو ميناء مسينا. هذه الميناء تقوم على المضيق الذي ينتهي مباشرة إلى إيطاليا وهي طريق التموين الوحيد أو طريق أي تراجع محتمل. وهناك أربع طرق تقود إلى هذه الميناء، واحدة من باليرم على امتداد الشاطىء الشمالي، ثانية من سيراكوزا على امتـداد الشاطىء الشرقي والطريقان الأخريان تلتقيـان عند راندازو مروراً بتروانو وأدرانو. واتخذ الجيش البريطاني الثامن طريق سيراكوزا. وبما أن هذه الطريق كانت الخطر الأكبر على مسينا فقد وضع فيها الألمان أكثر قواتهم. يضاف إلى ذلك أن طبيعة الأرض كانت لمصلحة المدافعين. وقد توصل النازيون إلى تجميد قوات مونتغمري خلال ثلاثة أسابيع بعد أن ثبتوا حول جوانب «إتنا» الذي كان يسيطر على سهل كاتان بقمته التي ترتفع ٣٧٠٠ م . وجاءت



مظلي حليف يستعد للهبوط فوق جزيرة صقلية



فرقة مشاة حليفة في طريقها إلى إيطاليا

إلى مونتغمري نجدات من قوات الجبال التي سبق لها أن قاتلت في تونس. وهنا أطلق قوات من جناحه الأيسر على السفوح الغربية لإتنا. واتخذت هذه القوات طريق أدرانو بينما كان جناحه الأيمن ينطلق على امتداد الشاطىء الشرقي للجبل البركاني.

والواقع أن الألمان قد استطاعوا الصمود بقسوة وقوة رغم قلتهم العددية مدافعين عن كل شبرٍ من الأرض ومصممين على إنقاذ أكبر عدد من قواتهم في صقلية. وقد كانت مقاومتهم من الشدة والعناد بحيث ان باتون قد حاول عدة مرات أن ينقض على الألمان من الوراء بعمليات إنزال صغيرة لغرض اجتياحهم ومكاثرتهم. وقد حدثنا جاك بلدن عن واحدة من تلك العمليات التي تمت في برولو في ٩ آب. كتب يقول:

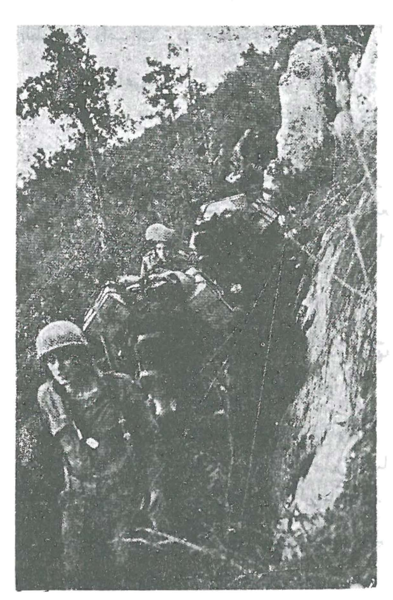
زحفنا نحو سياراتنا البرمائية وتعلقنا بها كما يتعلق الأطفائيون بسلمهم. وانتظرنا أن تحملنا سفينتنا إلى أقرب مكان ممكن من الشاطىء. كان الهواء خانقاً. وكان رجل يقيء. وقال صوت من الأصوات: «هذا المشهد يذكرني الفترة التي كنت أشرب فيها الفرنيش» ولكن أحداً لم يضحك أبداً. كان من المستحيل أن نرى شيئاً خلال المشاهد الرمادية الكثيفة التي كانت تبدو لنا باستثناء لهب دقيق معلق في الظلام فوق رؤوسنا. في تلك الفترة سمعنا صوتاً مختنقاً لآلة تدور وانفتح باب السيارة البرمائية أمامنا بهدوء. بقعة من النور الرمادي تجتاح السفينة. كنا على الجسور ننظر إلى الثغرة التي تتسع أمامنا.

العيون ترف. ونظرنا إلى السماء فشاهدنا السفوح الوعرة لقمة برولو. ثم رأينا

بعد ذلك هضبات ذات سفوح أكثر سهولة وليونة ومن وراء ذلك رأينا مياه البحر وكأنها مرآة مظلمة.

سيارتنا البرمائية تنزلق فوق الماء وتتوجه نحو الشاطىء دون أي جهد. أما صوت المحرك فلم يكن يحدث كثيراً من الضجيج. ومررنا بالقرب من طراد، كانت مدافعه صامتة ولكنها على أهبة العمل ونظرنا إليه نظرة عرفان للجميل. ومن الشاطىء ظهر لهبان اصفران أضاءا مياه البحر وهما شبيهان بكوكبين هابطين من السماء. رجال الهندسة عندنا قد عينوا الهدف بدقة وانطلقنا نحوه واثقين مطمئنين. وهنا وفي مكان ما من البر انبثقت حزمة من الشرارات في الظلام، إنها كرات حمراء وبرتقالية. كان انفجاراً لا ندري من أحدثه، نحن أم الأعداء؟ هذا لا يهم! لقد مضى أثر المفاجأة.

أما الغواصات فقد توقفت وبدأت محركاتها تدور بحرية.. أي دون أن تدور معها المراوح. وانقضت سياراتنا البرمائية نحو الشاطىء تاركة وراءها خطوطاً طويلة



الجنود الحلفاء
ينقلون الذخيرة عبر الجبال

من الزبد ثم اصطدمت بالبر بشدة حتى انها خرجت من الماء. وكانت الساعة الثالثة و ١٥ دقيقـة...

كان الميجر فارغو يصرخ قائلاً: «اخرجوا من هناك! اخرجوا من هناك!» وكان الميجر قائد الفوج المساعد.

وقفزنا إلى البر وتبعنا فارغو دون أن نرى شيئاً بينما كانت أقدامنا تحرث الرمال. وكنا نتعثر بالأسلاك الشائكة لكن مقصاتنا المعدنية كانت تحررنا منها فنتابع الطريق.

أما ما كان يفرض علينا آنذاك فهو أن ننحني إلى نصفين شرط ألا يغيب نظرنا عن الأفق. وأن نجتاز الخط الحديدي وأن نزحف نحو حديقة من الحدائق وأن نتقدم في حفرة ضيقة للري وأن نسعى إلى الحفاظ على توازننا. هذا ما كان علينا أن نفعله! وقاومت رغبة قوية في الضحك فلعلي آنذاك كنت قد بدأت أتذوق طعم المعركة.

وبلغنا أخيراً بستاناً من أشجار الليمون الحامض. فإذا أشباح تخرج من الظـلال. وأصوات تردد قائلة: «أين سريةجيم؟ أين سرية سين؟ أين الطريق؟».

«تقدموا!» واستدرنـا نحو اليمين. «قفوا!...». واستدرنا فجأة إلى اليسار حيث كنا نسمع همسات الظلال فوقعنا مرة أخرى على كومة من الأسلاك الشائكة. وبينما كنا نتوقف انطلق طلق ناري فوق رؤوسنا، وتـرددت الطلقات حالاً في كل مكان. أهي نيراننا أم نيران العدو؟ هذا لا يهم! إن رصاصات هؤلاء تقتلنا نحن أيضاً. وانبطحنا فوق التراب. وأقدم الرقيب ديلي على قطع الأسلاك الشائكة بعد أن انضم إلينا فاجتزنا المكان زاحفين على بطوننا. ثم اختبأنا وراء جدار. وفارقتني الرغبة في الضحك.

كانت ضجة أحد المحركات تقترب عند أسفل الطريق. إنها عجلة بخارية. وفي الوقت نفسه انفجر طلق بندقية من هذه الجهة. عجلات المطاط تشبثت في الأرض ومحرك بدأ يدور بسرعة هائلة ثم مات.

بدأنا نسمع من هنا صوت كثير من المحركات. كنا ننتظر في صمت وراء الجدار متحصنين به. بنادق ورشاشات كانت تمزق برصاصاتها هدوء الليل. ورأينا على نور الطلقات النارية عجلة تخترقها هذه الرصاصات.

وارتفع صوت انفجار قوي زلزل الجـدار الذي كنا نتكوم وراءه. أما الملازم الأول توماس رودجرز فقد أطلـق النار من سـلاحه المضاد للدبابات. لهب يرتفع في



أحد المواقع الإيطالية يسقط في أيدي الحلفاء

الظلمة واستطعنا أن نشاهد شاحنة تتساقط بينما كان وجه سائقها باهت اللون.

وابتلع الليل كل هذا اللهب بينما كانت تتردد أصداء ضجة ضخمة، ضجة زجاج مكسور ومعها صرخة: إنها صرخة رجل.

كان الليل مضطرباً جداً بسبب هذه الصرخات والرصاصات والظلال المتحركة. كان من المستحيل أن نعرف ماذا كان يجري هناك. أحد الجنود ربت على كتف جندي آخر يسأله: «من أية وحدة أنت يا أبي الصغير؟» وأجابه صوت برطانة ألمانية وانطلقت رصاصة مسدس وصرخ أحدهم كالحيوان ثم تردد صدى ضجة ثقيلة.

قلنا ان الألمان قد بذلوا جهود الجبابرة لإنقاذ جنودهم ونقلهم إلى البر الإيطالي من جزيرة صقلية. والواقع أن الظلمة الشديدة وأن ستاراً كثيفاً من المدافع المضادة للطائرات قد ساعدا الألمان على إنقاذ ٦٠٠٠٠ من جنودهم الذين كانوا يعدون ٩٠٠٠٠ وتـم عبور كل هؤلاء الجنود إلى الشاطىء الإيطالي عبر مضيق مسينا.

وفي ١٧ آب أي بعد معركة استمرت ٣٩ يـوماً استطاعت قوات باتون ومونتغمري الدخول إلى مسينا. وتم احتلال صقلية وخسر الحلفاء (٣١٠٠٠) رجـل بين قتيل وجريح ومفقود. أما الألمان فقد خسروا ٣٧٠٠٠ بينـما خسر الإيطاليون ١٣٠٠٠٠

هكذا بلغ الحلفاء أغراضهم في صقلية بعد حرب قصيرة ولكنها عنيفة: وتم استيلاء الحلفاء على المتوسط كممرٍ لخطوط التموين عبر قناة صقلية. وقناة صقلية كما نعلم هي المنطلق الذي تغزو منه القوات الحليفة البر الإيطالي. وكان كل شيء آنذاك يدل على قرب استسلام إيطاليا وركوعها أمام الغزاة الغربيين.

إيطاليا تستسلم

بعد أسبوعين من نزول القوات الحليفة في صقلية وبينما كانت المعارك الحربية على أشدها حدث انقلاب في إيطاليا أطاح بزعيمها بنيتو موسوليني.

لقد اجتمع المجلس الفاشستي الأعلى في الرابع والعشرين من تموز لأول مرة بعد عشرين سنة من آخر اجتماع عقده، ولأول مرة في تاريخ إيطاليا الفاشستية خسر موسوليني أكثرية الأصوات فحصل على ٧ مقابل ١٩ . وهنا بادر الملك إلى تكليف المارشال بادوليو لتأليف حكومة جديدة، وقد حاول بادوليو توقيف موسوليني ونجحت محاولته كما أرسل رسلاً إلى قيادة الحلفاء لدراسة شروط الهدنة. وقد استمرت المفاوضات بين شهر تموز وأوائل أيلول وسجلت المفاوضات خطوة إلى الأمام. وقد حاول الإيطاليون الحصول على شروط ملائمة للصلح خير من الاستسلام دون قيد أو شرط.

في هذه الأثناء حاول أيزنهاور الضغط على بادوليو فأرسل سرباً من الطائرات القاذفة للإغارة للمرة الأولى على روما وقد كان ذلك أيضاً بسبب الخطة الموضوعة التي تقرر بها النزول في ساليرنو في ٩ أيلول. وفي ٣ أيلول تم التوقيع على هدنة سرية في مدينة سيراكوزا في جزيرة صقلية.

والواقع أن بطء الاتصالات والمفاوضات منح الألمان فرصة انتزاع المبادرة. بحيث ان الألمان استطاعوا بعد إعلان الهدنة أن يستولوا على كل النقاط الاستراتيجية في إيطاليا كما احتلوا روما ووادي «بو» الصناعي.

ولم يتردد الجيش الألماني في نزع أسلحة ثلاثين فرقة إيطالية كانت موجودة في شبه الجزيرة كما استحضر ٢٥ فرقة ألمانية مكان الفرق الإيطالية الخمس والعشرين التي كانت تحرس بلاد البلقان. وبذلك كان الجيش الألماني يلقي على قواته غير الكافية بالطبع أعباءً إضافية.

وفي ١٢ أيلول وبعد مغامرة جريئة، استطاع «أوتو سكورزيني» بواسطة طائرات



فتاة إيطالية تبكي بحرقة: لقد فقدت أمها

شراعية أن يهبط إلى مكان اعتقال موسوليني فأخرجه من الفندق الذي وضع فيه تحت الحراسة «آبروز». وهنا ألح هتلر على شريكه أن يؤسس جمهورية فاشستية في الجزء الإيطالي المحتل من قبل الألمان. وعلى ذلك فقد شعر الحلفاء أن احتلال إيطاليا بسرعة وهدوء أمر غير ممكن ولا محتمل فيما بعد. ومع ذلك فقد كانت لمعاهدة الهدنة الإيطالية نتائج هامة. ليس فقط لأن القوات الإيطالية المسلحة قد وضعت أسلحتها بل لأن الطيران والبحريـة التجارية ثم بحرية الحرب قد انتقلت كلها إلى معسكر الحلفاء.

وفي ليل ٨ أيلول غادرت الأسراب الإيطالية قواعدها في جنوة، وسبيزيا وتارانت متوجهة إلى مالطة. وقد أغرقت القاذفات الألمانية طراداً إيطالياً وأنزلت أضراراً بطرادٍآخر،ولكن القسم الأكبر من الأسطول البحري انضم إلى الحلفاء وكان يضم هذا الأسطول ٥ دوارع و ٧ مدمرات و ٦ طرادات.

تبقى جزيرتا كورسيكا وسردينيا وقد تم احتلالهما بسرعة. ومن كورسيكا بدأ الفرنسيون يستعدون: لقد أنزلت بحريتهم قوات مسلحة في أجاكسيو حيث كانت المقاومة قد بدأت تعمل وتكافح. وقد طرد الألمان من الجزيرة بعد ١٥ يوماً جرت فيها معارك عنيفة.

أما في إيطاليا فإن الألمان لم يجدوا أي ضررٍ في الحفاظ على مواقعهم لا سيما وأنهم قد انتزعوا كل ما كانوا في حاجة إليه لمتابعة قتالهم ضد الحلفاء.

ووقف الحلفاء إلى جانب الملك فيكتور عمانوئيل وحكومة بادوليو على أمل أن يكونا على مستوى المسؤولية وأن يتغلبا على الفاشستية والشيوعية والفوضى. وكتب تشرشل إلى روزفلت يقول، «ليس هناك أي قاسم مشترك بين الملك والإيطاليين المنضمين إلى التاج والمسيطرين على الأوضاع من ناحية وبين الشيوعية التي ينتصر لها بعضهم من الناحية الأخرى». ونستطيع أن نضيف إلى قول تشرشل مؤكدين أنه لم يكن أي قاسم مشترك بين الملك وبادوليو من ناحية وبين الأوساط المتحررة المقاومة للفاشستية من ناحية أخرى. وقد كانت هذه الأوساط متمثلة في شخص الكونت سفورزا وبنديتو كروتسي. وهذا الأخير هو الكاتب المجهول لهذا الإعلان الموجه إلى الحلفاء. وقد جاء فيه ما يلي:

بعد تسعة وثلاثين شهراً من الحرب والألم والتعب، بعد عشرين عاماً من الطغيان والسلوك غير الإنساني، وبعد أن كنا الضحايا البريئة لأسوأ حكومة يمكن أن نتخيلها، اليوم ٨ أيلول ١٩٤٣، نصرخ بكل قوتنا، معلنين عن فرحتنا وحماستنا لقدومكم.

إننا لا نجد الكلمات التي نعبر بها عن سعادتنا، ولكننا نركع لنشكر الله الذي أتاح لنا أن نرى هذا اليوم.

لقد شاركناكم في تحمل أهوال الحرب؛ ونحن راغبون في مشاركتكم في الأساس بفرحة الانتصار الكبير.

نريد أن نقاتل إلى جانبكم، كلنا حتى آخر واحد منا؛ ضد العدو رقم ١ .

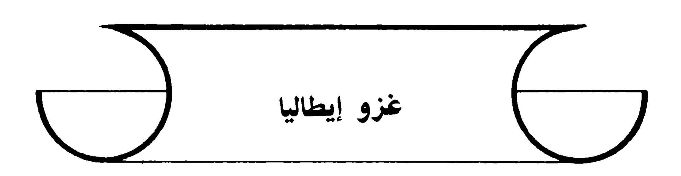
سنكون على المستوى الذي تنتظرونه منا، سنكون الحلفاء أنفسهم الذين كانوا منذ عشرين عاماً.

عاش الحلفاء!

عاشت إيطاليا الحرة!

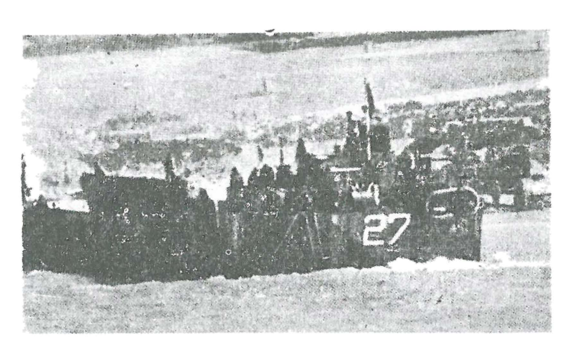
لجنة المقاتلين القدماء المقاومين
للفاشستية وللحرب الكبرى

وإذا كان تشرشل لا يرى أمامه غير الخطر الشيوعي فإن كثيرين غيره كانوا يتخوفون من أن يعود الحلفاء إلى ارتكاب أخطائهم في إفريقيا الشمالية بمساندتهم لعناصر مؤيدة للفاشستية وللأوضاع التشريعية السابقة. وفي كل حال قبل الحلفاء أن يعود الإيطاليون إلى المعركة ولمصلحتهم في هذه المرة. وفي ١٣ تشرين الأول ١٩٤٣ أعلنت حكومة بادوليو الحرب على ألمانيا حليفتها السابقة.

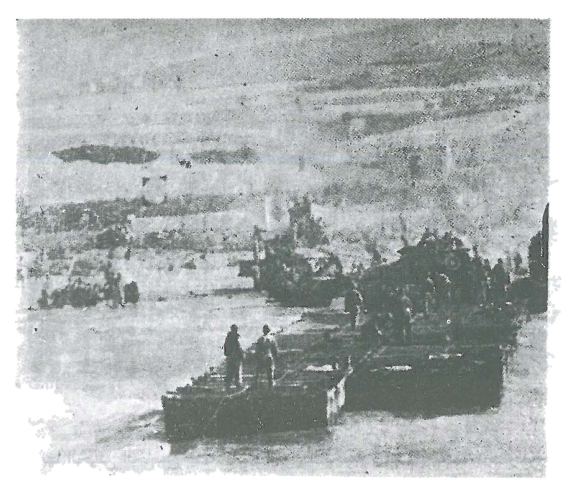


غزو إيطاليا

من الطبيعي أن يجري الحلفاء تعديلات كثيرة على مخططهم الاستراتيجي بعد ظهور ردود الفعل الألمانية في إيطاليا. كان هذا المخطط في شكله الأساسي يستهدف القيام بثلاث عمليات حربية. كان يريد إنزال فرقة كاملة من المظليين فوق روما. وقد تركت هذه الفكرة بعد أن احتل الألمان العاصمة. أما العمليتان الأخريان فإن تنفيذهما ممكن: أولاهما عملية إنـزال الجنود قرب نابولي بحيث تنتهي بسقوط هذا المرفأ الهام، وعملية أخرى في كالابريا عند أبعد نقطة من الحذاء الإيطالي وهي مفصولة عن صقلية بمضيق مسينا. والواقع أن الحلفاء لم يحاولوا استرداد أنفاسهم بعد غزوهم لجزيرة صقلية. إن الطيران الذي أعد الميدان خلال ١٦ يوماً أتـاح لفرقتين من الجيش الثامن فرصة اجتياز المضيق في ٣ أيلول. وقد استطاعت هاتان الفرقتان بمعاونة مدافع البحرية أن تقيما سريعاً رأس جسر طوله ١٦ كلم حول رغيو في كالابريا.



قوات الإنزال على شواطىء إيطاليا

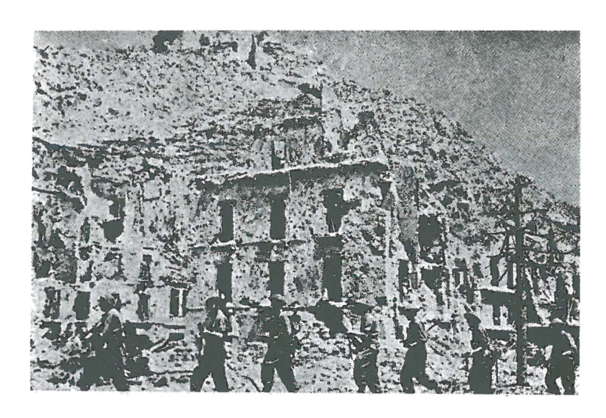


سفن الإنزال على شاطىء إيطاليا

وفي ٩ أيلول غامرت البحرية الإنكليزية بنقل الفرقة الأولى إلى مرفأ تارانت وهو قاعدة بحرية هامة تم الاستيلاء عليها دون قتال، وبقيت مؤسساتها سالمة لم تصب بسوء. وفي ١٢ أيلول استولى الجيش الثامن أيضاً على مرفأين هامين آخرين في بحر الأدرياتيك هما باري وبرنديزي كما احتل ١٠ مطارات.

وفي هذا اليوم بالذات نزل الجيش الإنكليزي الأميركي الخامس بقيادة الجنرال الأميركي مارك كلارك في خليج ساليرنو، جنوب نابولي. ولكن الألمان كانوا ينتظرون هناك وقد اختاروا المرتفعات المسيطرة على الشواطىء وأقاموا فيها بانتظار وصول العدو. وقد أوقفوا الحلفاء وجمّدوهم عند رقبة الجسر التي استولوا عليها. والواقع أن المارشال ألبرت كسلرنغ قائد القوات الألمانية في إيطاليا الجنوبية قد أعد خمس فرق مدرعة ضد قوات كلارك. وابتداء من ١١ أيلول بدأت مدفعيته الثقيلة وقاذفاته المنقضة بقنابلها الجديدة الموجهة لاسلكياً تهاجم العدو.

ووصل الألمان إلى مكان يبعد ٥ كلم عن الشواطىء ولكن القوات الجوية والبحرية الحليفة عدلت الموقف. لقد أتى كننغهام بدوارعه ذات المدفعية الثقيلة



الطيران الحليف يدك معاقل الألمان

وساند بها الجيش الخامس بينما كانت القوات الجوية تهاجم بعنف شديد وقد خرجت في يومٍ واحد ألفي مرة. وقد أصيبت الدارعة الإنكليزية «وورسبايت» والطرادان الأميركيـان «فيلادلفيا» و «سافانا» بالأضرار عن طريق القنابل الموجهة باللاسلكي ولكن تم إنقاذ رقبة الجسر.

في تلك الأثناء كان الجيش الثامن يتنزه عبر كلابريا مطارداً القطعات الألمانية الخفيفة التي كلن يلتقيها. وفي ١٦ أيلول استطاعت الفئات المتقدمة من هذا الجيش أن تتصل بالجناح الأيمن للجيش الخامس ثم تعاون الفريقان على رد فرق كسلرنغ وطردها سريعاً إلى الوراء. وفي ٢٩ أيلول استولى الجيش الثامن على فوجيا، وفي أول تشرين الأول دخل الجيش الثامن إلى خرائب نابولي. هكذا كانت حرب إيطاليا في قسمها الأول حرباً ناجحة: الهدفان الأولان تم الوصول إليهما وسجل الحلفاء تقدماً يبلغ ٣٠٠ كلم في شبه الجزيرة خلال ثلاثة أسابيع. أما الهدفان فهما أهم مرفأ من المرافىء الإيطالية وإن أنزل به الألمان أضراراً كبيرة، ثم أهم مطار من المطارات.

هنا بدأ يدخل في حساب الحلفاء عاملان رئيسيان بالنسبة لمراحل الحرب الإيطالية القادمة. أولاً ـ طوبوغرافية إيطالية، ثانياً ـ اختلاف وجهات النظر بين الحلفاء فيما يتعلق بخطة العمل الحربي في المتوسط. إن مرتفعات «الأبينان» تشكل السلسلة الفقارية لشبه الجزيرة. كل غازٍ يأتي من الجنوب يجب أن يفتح لنفسه طريقاً عبر

٩٠٠ كلم من الهضبات والقمم. وعلى امتداد الطريق تقوم أنهار ومنخفضات ووديان هي بدورها حواجز وعراقيل يصعب اجتيازها. يضاف إلى ذلك وفي هذه الحالة بالذات أن الألمان قد عرفوا كيف يستفيدون من تلك الحواجز والعراقيل وذلك بتقويتها بمهارة وبتحويلها إلى حاجز يتعذر اجتيازه بصورةٍ عملية. إن كل قلعة طبيعية كان يجب أن تهاجم من الأمام مما يؤذن بطول الحرب وتكاليفها الكبيرة.

الوسيلة الوحيدة للتقدم السريع في إيطاليا هي اجتياح هذه المواقع بالدوران حولها بواسطة عمليات برمائية. ولكن الحلفاء لم يكونوا يملكون العدد الكافي من الجيوش كما كانت السفن الموضوعة تحت تصرفهم أقل وأضعف. وكان الأميركيون يزعمون أنهم قد وجهوا قواتهم والمراكب البحرية إلى بريطانيا بسبب الحاجة إليها عند اقتراب التاريخ المحدد لإنزال قوات الحلفاء في نورمانديا من أوروبا الغربية أي في ربيع عام ١٩٤٤. كانوا يريدون أن يمارسوا ضغطاً مستمراً على إيطاليا كما كان يتمنى الإنكليز، ولكن شرط ألا يستعملوا فيها غير القوات التي كانت موجودة بالفعل في البلاد.

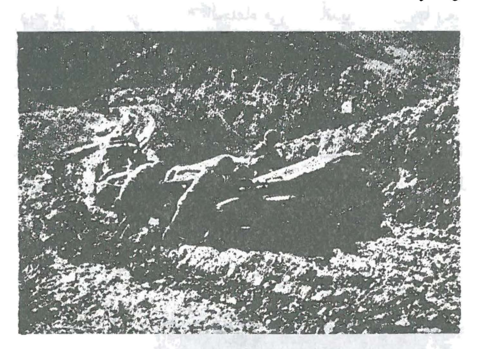
وبدخول فصل الشتاء زادت المتاعب أمام الحلفاء. فإن الأمطار الخريفية قد ضخمت السيول وحولت الطرق إلى مستنقعات وجاء بعدها البرد والثلج والجليد لمضاعفة آلام القوات المسلحة.



جنود يدفعون إحدى سيارات الجيب بعد نزولها إلى البر

وقد حاول كثيرون من المراسلين الحربيين أن يعطوا صورة دقيقة للموقف الحربي في إيطاليا آنذاك. لقد تحدثوا عن قسوة المعارك وتواطؤ المناخ والبلاد على القوات الحليفة ومصاعب السير في الطرقات التي تحولت إلى مستنقعات وأكوامٍ من الوحول، يضاف إلى هذا كله عدد متزايد من الهضاب والمرتفعات الصخرية التي يعجز الجنود عن اجتيازها إلا بشق النفس بينما يكون الألمان منتظرين فوق القمم لسحق كل محاولة تسلل تقوم بها الجيوش الحليفة.

ويقول بعض المراسلين الحربيين: «لذلك كنا مرغمين على الزحف والزحف أيضاً. إن فصيلاً صغيراً من الجنود الألمان كان يستطيع أن يرد لمدة طويلة أقوى الحملات وأعنفها».



الأميركان والانكليز يحاربون جنباً إلى جنب في إيطاليا

يضاف إلى ذلك أيضاً أن الأمطار الغزيرة جعلت الرجال خلال أسابيع طويلة في بلل دائم. كما كان هناك ألوف من الرجال يعسكـرون ليلاً فوق القمم المرشوشة بالثلج وفي برودة تبلغ درجة دون الصفر. وأن ألوفاً أخرى من هؤلاء الرجال كان أفرادها يختبئون أو يتقوقعـون وراء الصخور وفي داخل الكهوف.

ولكن نار الحلفاء كانت من القوة والكثافة بحيث انها استطاعت أن تعوض في المدى الطويل عن المتاعب والآلام التي كانت تسببها تضاريس تلك الأرض الإيطالية، وكانت مدينة روما هي الهدف التالي. ولكن كسلرنغ عاد بجيشه إلى جنوب المدينة وراء التحصينات القوية لخط غوستاف. هذا الخط كان ينتشر على امتداد نهر



الحلفاء في كهوف إيطاليا

غاريغليانو وأحد روافده نهر ربيدو عبر الأبينان حتى قمة كاسّان وعلى امتداد نهر سانغرو حتى بحر الأدرياتيك.

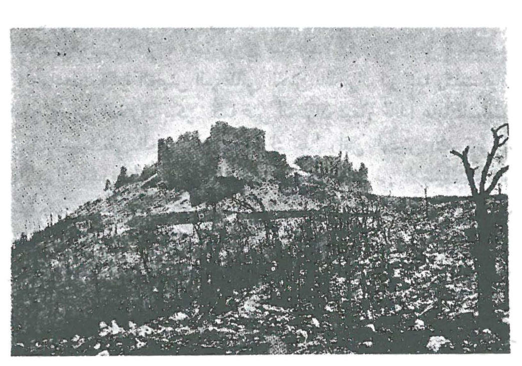
المركز الرئيسي لهذا الخط الدفاعي هو قمة كاسّان (٣٧٠٠ م) حيث كان الألمان يقودون قواتهم الموجودة في وادي ليري وروما. وفي أعلى القمة ينتصب دير سان بونوا الذي كان يمكن أن يكون مرقباً مثالياً لتوجيه نيران المدفعية على القوات الحليفة المتحركة في الوادي دون إضافة أية تحصينات إليه.

وبينما كان العام يقترب من نهايته استدعي ايزنهاور إلى الجزيرة البريطانية ليستلم فيها وظيفته الجديدة كقائد أعلى للقوات الحليفة في عملية «السيد الأكبر» وعين مكانه في المتوسط الجنرال الإنكليزي ميتلاند ولسن. أما مارشال الجو تيدر والجنرالات باتون، برادلي، ومونتغمري فقد عينوا أيضاً في مركز قيادة عملية «السيد الأكبر». وأنيطت قيادة الجيش البريطاني الثامن بالجنرال ليز كما وكلت قيادة الطيران في المتوسط إلى الجنرال بيكر. كما عين الجنرال ديفرز قائداً عاماً للقوات الأميركية في بريطانيا بينما بقي الجنرال مارك كلارك على رأس الجيش الأميركي الخامس. يبقى الأميرال آندرو كننغهام الذي قام بأعمال مجيدة في الاشتباكات الحربية في المتوسط منذ بداية الحرب. فقد استدعي إلى لندن ليصبح فيها لورد الأميرالية الأول. وقد خلفه في قيادة المتوسط البحرية الأميرال جون كننغهام. وكذلك الألمان فإنهم أجروا تعديلات في قيادتهم. فرومل الذي كان في شمال إيطاليا استدعي إلى فرنسا لمهمة خطيرة هي جعل جدار الأطلنتيكي غير قابل للاختراق، وذلك لأن القيادة الألمانية كانت تنتظر أن يجري إنزال قوات حليفة في الغرب. وهكذا أصبحت القيادة العليا في إيطاليا كلها موكولة إلى الجنرال الألماني كسلرنغ.

وقبل أن تنقل السفن البحرية إلى بريطانيا للإسهام في عملية «السيد الأكبر» قرر الجنرال ألكسندر اجتياح الجناح الأيمن لخط غوستاف بإنزال جنوده وراء هذا الخط في الوقت نفسه الذي يتعرض فيه هذا الخط لحملة من الأمام.

وفي ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٤ هاجم الجيش الخامس خط غوستاف من الأمام. وبعد ذلك بعشرة أيام وفي تمام الساعة الثانية من الصباح نزلت قوات إنكليزية أميركية فوق شواطىء انزيو ونتونو على بعد (٩٠ كلم) وراء خط غوستاف وعلى بعد (٥٠ كلم) من روما.

ويؤكد الخبراء أن هذه الحملة قد كانت من الناحية التكتيكية مفاجأة كاملة. لقد فتحت الطريق إلى روما واسعة حتى النهاية ـ وقد ذكر الجنرال الألماني وستفال بأنه لم يكن بين آنزيو والعاصمة الإيطالية غير فوجين من الجنود ـ ولكن القائد الأميركي الجنرال جون لوكس قد تردد أمام المهمة بدلاً من أن يتجه إلى الأمام، وكان يقصد من ذلك تدعيم رقبة الجسر التي احتلها. كما أنه لم يفكر في التقدم لاحتلال المرتفعات التي كانت تشرف على رقبة الجسر هذه. ومضى أسبوع بقي خلاله لوكس في نفس المكان حتى فات الأوان. ذلك لأن كسلرنغ لم يقف مكتوف اليدين. بل على العكس من ذلك فقد تصرف بالسرعة المعروفة عن الجيش الألماني. لقد نقل خلال ٤٨ ساعة رجال فرقتين ألمانيتين إلى التلال القائمة حول آنزيو، أي الى الأمكنة التي كان في وسعه أن يحطم بها قوات لوكس.



دير كاسينو في بداية المعركة



الممر حول دير كاسينو

وفي أول شباط نجح كسلرنغ في رفع عدد الفرق المنقولة إلى ٩ وبذلك أصبح في وسعه أن يلقي بفرق الحلفاء الأربع إلى البحر بعد أن تكبدت المتاعب والمشقات للنزول إلى الشواطىء.

والواقع أن القوات الإنكليزية الأميركية قد قاتلت بحماسة اليائس تساندها غارات جوية رهيبة بينما كانت مدافع البحرية الثقيلة تقيم حاجزاً نارياً لا ينقطع. وقد فقدت مدمرتين وطرادين أمام آنزيو. وأخيراً رد الحلفاء الحملة الألمانية المعاكسة، لكن الموقف قد تغير فقد نجح كسلرنغ في إبعاد الخطر الذي كان يضغط على روما وفي مؤخرتها وحجز الحلفاء في داخل جيب صغير.

أما الآن فقد أصبح حتماً على الحلفاء تحطيم خط غوستاف الذي كانت قمة كاسا نقطة ارتكازه، وكانت هذه القمة تدعى هضبة الداير وبتعبير آخر «هضبة ٥١٦» وهو التعبير الذي كان يستعمل في خرائط المدفعية. وقد قام الحلفاء بحملتين عنيفتين خلال كانون الثاني وشباط دون أن يتوصلوا إلى تحطيم المقاومة التي كانت تبديها الفرقة الأولى للمظليين الألمان. هذا مع العلم أن الدير القائم في أعلى القمة قد أغارت عليه ٥٠٠ قاذفة حليفة، ومع ذلك فإن هذا القصف المريع لم يحل دون



الألمان يقاومون حول دير كاسينو



الصليب الأحمر ينقل الجرحى إلى المستشفى



أسرى ألمان يمرون بقرب القوات الأميركية

صمود الجبهة الألمانية خلال فصل الشتاء كله. ثم تأتي بعد ذلك المحاولة النيوزيلاندية التي جرت في شهر آذار، ومع ذلك فإنها لم تنجح. وأخيراً حدث هجوم عام في ١١ أيار.

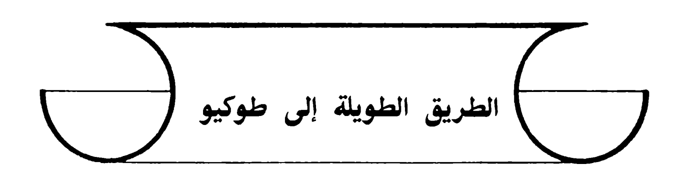
وفي ١٣ من هذا الشهر نفسه استطاع الجيش الفرنسي أن يحطم الحاجز الألماني عند قمم أورانشي. وفي ١٨ منه رفعت كتيبة بولونية علمها فوق خرائب الدير في قمة كاسا. وفي ٢٣ اجتاز الحلفاء خط غوستاف، وبعـد ذلك بيـومين اتصل الجيش الأميركي الثامن بالجيش السادس وكان قـد نجح في الخروج مـن رقبة الجسر في آنزيو. ان القوات الأمامية الحليفة قد استطاعت أن تخرق خط هتلر القائم على بعد ٢٠ كلم وراء خط غوستاف ثم تساقطت آخر المواقع الدفاعية قبل روما بعد أن جرت



سكان بالرمو يستقبلون الدبابات الحليفة

اشتباكات شديدة في جسترنا وفيليتري وفالموتون. وهنا توجهت القوات الحليفة نحو العاصمة التي أعلنها الألمان مدينة مفتوحة وغادروها دون أن تصاب بسوء. ودخلها الحلفاء في ٤ حزيران أي قبل بداية عملية «السيد الأكبر» في فرنسا بيومين وحسب.

هكذا لم تمضِ سنة واحدة تقريباً بعد نزول القوات الحليفة في جزيرة صقلية حتى كانت إحدى عواصم قواتِ المحور الثلاث قد سقطت تحت وطأة الضربات الموجهة من قبل قوة دولية هي الأميركيون والإنكليز والفرنسيون والنيوزيلانديون والبولونيون والهنود والبلجيكيون، وكانت في الوقت نفسه صرخة انتصار ونبوءة تاريخية تلك التي أطلقها الرئيس روزفلت حين قال: «واحدة سقطت وستتبعها الاثنتان الباقيتان».



الطريق الطويلة إلى طوكيو

عندما أقدم اليابانيون على مهاجمة بيرل هاربر كانوا في الحقيقة يخطئون في تقدير رد الفعل الأميركي بالإضافة إلى أنهم لم يستطيعوا إجراء دراسة علمية موضوعية لإمكانات الولايات المتحدة في خلق صناعات حربية سريعة وعملاقة.

كما أنهم في الوقت نفسه لم يقدروا حق التقدير قوة بلادهم واقتصادها وإمكاناته في مواجهة الاقتصاد الأميركي. والواقع أن الأميركيين كانوا قادرين على تحطيم قوات الضرب اليابانية بأسرع مما فعلوا لولا أنهم كانوا يعطون الجبهة الأوروبية الأولوية في التعبئة الحربية. على أن تفكيرهم هذا لم يحل دون انصرافهم إلى خوض معركة الباسيفيك على مستوًى كافٍ من الاهتمام وبقدر كاف من الصلابة والقوة. لقد كان الأميركيون في بداية سنة ١٩٤٣ في جزيرة غوادالقنال وغينيا الجديدة. وكانت قوتهم قد بدأت تفرض نفسها شيئاً فشيئاً.

أما المدار الدفاعي الياباني في الباسيفيك والذي تحدثنا عنه غير مرة فقد بدأ يتفتت ثم يتساقط شيئاً فشيئاً من كل ناحية وفي كل مكان. لقد كانت خطة الحلفاء تستهدف وضع الحلقة الخارجية لا سلسلة المواقع الدفاعية اليابانية تحت سلسلة من الضغوط في النقاط الأربع التالية: جزائر الاليوشين في الباسيفيك الشمالي؛ الشاطىء الشمالي لغينيا الجديدة في الباسيفيك الجنوبي الغربي، وهي الجزيرة الثانية في العالم وطولها ألفا كيلومتر، وجزائر الفيليبين - في متناول يد القوات التي تحتلها؛ جزائر سالومون في الباسيفيك الجنوبي؛ جزائر جلبير ومارشال في الباسيفيك الأوسط.

أما الأهداف المباشرة، رابول في بريطانيا الجديدة، وتراك في جزائر الكالورين فقد كانا من أهم الحصون اليابانية في الباسيفيك الأوسط والجنوب الغربي. وكان على الجنرال ماك آرثر في غينيا الجديدة وهالسي في جزائر سالومون أن يعملا لوضع رابول بين طرفي كماشة ثم يعزلانها ويطهرانها من المدافعين عنها. وبعد ذلك ينقض ماك آرثر على جزائر الفيليبين بينما هالسي ونيميتز يتوجهان إلى جزائر الماريان الحلقة الدفاعية الداخلية لليابان، والمعروف أن نيميتز قد سحق جزائر جلبيز ومارشال.

ونفذت حملة برمائية تنفيذاً رائعاً ودقيقاً. لقد تجاوز الحلفاء المواقع القوية لليابانيين وأنزلوا جنودهم في مواقع لا تتمتع نسبياً بالحماية الكافية.

وقد أقاموا في هذه المواقع مطاراً وقاعدة بحرية متحركة. ولما كانوا سادة في الجو والبحر فقد قطعوا خطوط المواصلات بين الحصون المحاصرة حتى انهم قد جعلوا هذه الحصون أمام خطر الاختناق. وللقيام بمثل هذه السلسلة من «قفزات الخروف» البرمائية تبدو الاستعانة بأسطول من زوارق الانزال الصغيرة وزوارق الهجوم وسفن التموين والنقل ضرورية جداً، على أن تتقدم هذا الأسطول دوارع وحاملات طائرات ومدمرات وطرادات تفتح له الطريق إلى الأمام. ولأول مرة كانت الولايات المتحدة تملك مثل هذه القوة الجوية والبحرية في كل من الأطلنطيك والباسيفيك.

وبعد المعارك التي جرت في غوادالقنال وبوناغونا مرت فترة استراحة حتى ربيع ١٩٤٣. وفي شهر أيار أحاطت القوات الأميركية بحصن كسكا الياباني في جزر اليوشين الغربية ثم انقضوا على أتوا حيث اخرجوا من المعركة حامية مؤلفة من ٢٣٥٠ رجلاً. وعندما حوصر اليابانيون بين أتوا والقاعدة الجوية في امشتكا على بعد ١١٠ كلم شرقي كسكا وهي القاعدة التي بناها الأميركيون في كانون الثاني ـ وجدوا أنفسهم مرغمين على اخلاء كسكا. وفي شهر تموز قام أسطولهم بهذه المناورة بنجاح كبير دون أن تقع عليه انظار العدو. وفي شهر آب احتل الأميركيون الجزيرة التي غادرها اليابانيون من قبل. وتمت استعادة جزر الأليوشين بعد عام كامل من احتلال اليابانيين لها. ولكن هذه الجزر قد بدت قواعد متقدمة تافهة بسبب البرد وأحوالها الجوية السيئة. كل ما تصلح له أن تكون منطلقاً لغارات متباعدة على جزائر كوريل.

وفي شباط، وضمن أغراض المعركة في غـوادالقنال كان الأميرال هالسي قد بدأ يتسلق درجات السلم لجزائر سالومون بالانقضاض على جزيرة راسل على بعد ٩٠ كلم في الشمال الغربي من غوادالقنال. وفي نهاية حزيران نزلت قواته في راندوفالكي تسلط نيرانها على المطار الياباني في ماندا من جورجيا الجديدة. وبعد سلسلة من حواجز المدفعية والغارات العنيفة دخل الأميركيون إلى جورجيا الجديدة لغرض الاستيلاء على مطار ماندا نفسه. وقد اصطدم الاميركيون والاوستراليون مع عدو شجاع وبارع ومقاتل حتى الموت كما كان الشأن في المعارك التي خاضوها في الغابات الرطبة لغينيا الجديدة وسالومون.

وقد كتب الصحفي الأوسترالي أوسكار وايت يتحدث عن اشتباك ليلي وقع في جورجيا الجديدة أثناء المعركة من أجل ماندا قال:

إن قمر جورجيا الجديدة قمر رائع. لقد كانت الغابة تحت ضوئه أشبه ما تكون بصورة فيها سواد وبياض. جوقة الحشرات لم تعد تردد أصواتها تقريباً ولكن صرخات الطيور في مطاردتها لسواها تبدو أكثر حدة وقوة.

وهنا ارتفعت ضجة جديدة، جليدية، في ضوء قمر باهت: أصوات يابانية دقيقة ومرنّة. وكانت طلقات رشاشاتنا الأولى قد حددت مواقعنا بوضوح ولكن اليابانيين لم يكونوا يعرفون مع ذلك أهمية قواتنا كما لا يعرفون شيئاً عن أهدافنا ونوايانا ولذلك فقد أرسلوا مراقبين مهمتهم الاقتراب من خطوطنا ما أمكنهم ذلك:

أحد اليابانيين كان قد انبطح على منخفض صغير على بعد ثلاثين متراً من مواقعنا وراح يردد بطريقة سمجة «النجدة! النجدة! دكتور، النجدة، أنا جريح». وكان يردد هذه الكلمات التي علموه أياها على طريقة الببغاء. والحقيقة أن هذا الصوت كان يجمد الدم في الشرايين تماماً كصرخات «المصروع». ولو جرى هذا الحادث قبل ذلك اليوم ببعض الليالي فإن الجنود كانوا جديرين بإطلاق النار عليه وبذلك تخوننا طلقاتنا النارية وتكشف عن مواقعنا. أما الآن فلا؟

وباستثناء هذه الضجة التي يحدثها هذا الياباني المنبطح في منخفضٍ من الأرض كان صمت الغابة قد أصبح ثقيلاً. الطيور كانت قد سكتت حتى الضفادعَ قد أوقفت نقيقها. ورفعت رأسي مليمتراً بعد مليمتر. ذلك لأن أقل ضجة تصدر عني يمكن أن تواجهها قنبلة يدوية آتية من مكان ما. ولكنني لم استطع أن أتحمل المزيد من الوقت وأنا محروم من رؤية أي شيء حولي. ونظرت فوق الحاجز.

في مساحة صغيرة يضيئها نور القمر وعلى بعد ١٥ متراً من مكاني رأيت يابانياً يقف جامداً كالتمثال. كان في وسعي أن أتبين الأطراف الغامضة لبزته العسكرية ولبندقيته التي كان يحملها ولانعكاسات الضوء على حربته وخوذته. لقد رأيته ورآه معي عشرون واحداً من رفاقي على الأقل ولكن الجميع امتنعوا عن إطلاق النار عليه. كنا نعرف أنه ما كان ليتخذ هذا الموقف ويتعرض للموت إلا لسبب محدد.

كان يجب أن يكون وراءه اثنان أو ثلاثة من رفاقه يحملون قنابلهم اليدوية معدة للرمي. فإذا أطلق أحدنا النار فإن القنابل تنطلق في اتجاهه. وهكذا يموت أربعة أو خمسة من الأميركيين مقابل موت ياباني واحد.

كنت أتمنى أن تكون لي شجاعة الاستمرار في مراقبة هذا الطعم البشري الذي كان ينتظر موتاً مشرفاً ومجيداً، ولكنني لم أفعل. وخفضت رأسي شيئاً فشيئاً وتردد



جنود يابانيون يتربصون لإحدى الفرق الأميركية في أدغال الباسيفيك

صوت معدني مختنق، إن الرجل الذي كان نائماً عند ركبتي يحشو مسدسه. وألصقت فمي على أذنه وهمست قائلاً له: «لا تطلق النار! قنبلة!».

ورد هامساً: «سأطلق النار إذا انقضوا علينا فقد سبق لهم أن فعلوا».

ولكن الياباني لم ينقض علينا. أما المراكز التي كانت موجودة على الطريق فقد فتحت نارها لمدة ثلاثين ثانية. هذه المرة كانت الصرخات التي سمعت صرخات صادقة! وبعد ذلك انسحب الرجل الذي كان صوته أشبه بنعيب البوم قليلاً إلى الوراء وراح يقلد صرخات رجل يطعن بالخنجر ويردد قائلاً: «أيها المسيح لقد أصابني في خاصرتي! لقد طعنت لقد طعنت! ماء، ماء!» وتابع مهزلته الصغيرة خلال نصف ساعة تقريباً وهو يردد هذه العبارة في مدد تتراوح بين ٣٠ و ٤٠ ثانية ثم زحف إلى مكان أقرب الينا وهو ينادي قائلاً: «إيه! أيها الصديق، هل أنت هنا؟ بربك أجبني!».

كان القسم الأكبر من رجال العدو على بعد مئة متر. وعدنا نسمع من جديد أصواتهم وهم يتحدثون. وكان اليابانيون قد أصيبوا بخسائر جدية. فتركوا الحملات التي تكون جسماً إلى جسم وأقاموا رماة مختارين فوق الأشجار. وبين فترة وفترة كنا نسمع صفيراً حاداً: إنها رصاصة تنطلق من إحدى هذه الأشجار. ياباني واحد أو اثنان ألقيا قنابلهما دون هدف معين. وانفجرت قنبلتان فارتفعت منهما كومة من التراب عند طرف الخنادق التي كان فيها بعض رماتنا. ولكن أحداً منهم لم يصب حتى بخدش بسيط.

وفي الأسبوع الأول من شهر آب سقطتماندا، وعند نهاية الشهر انقطعت كل مقاومة منظمة. وفي المدة نفسها جرت اشتباكات بحرية وجوية حول جزائر سالومون الوسطى. لقد جرى اشتباكان بحريان في خليج كولا وفي مياه كولمبنغارا. وكانت الخسائر في السفن هي نفسها تقريباً في المعسكرين لكن الأميركيين اسقطوا من الطائرات اليابانية ثلاثة أضعاف ما خسروه. وفي ١٥ آب هاجمت قوات هالسي فيلالا فيـلا وهي تدور حول كولمبنغارا وقاعدتها الجوية في فيلا. وخسر اليابانيون ثلاثة طرادات في معركة خليج فيلا، وفي بداية تشرين الأول أخرجوا من كولمبنغارا حاميتهم المؤلفة من عشرة آلاف رجل. كما انسحبوا في الوقت نفسه من سانتا ايزابل ومن شوازول. وفي ٩ تشرين الأول استولى الحلفاء على مطار باروكوما في فيلالا فيلا على بعد ٤٥٠ كلم من رابول، لكن انتصاراً بحرياً سجله اليابانيون في فيلالا فيلا سمح لحاميتهم الصغيرة أن تنجو بنفسها.

كان الحلفاء يسيطرون على كل جزائر سالومون الوسطى بعد أربعة أشهر من حرب كلفت البحرية الأميركية ٦ سفن حربية مقابل ١٧ سفينة يابانية. . مدمرتان خفيفتان، ١٠ طرادات و ٥ غواصات.

وهنا قام هالسي وحده بالحملة على جزر سالومون الشمالية، مهملاً شورتلاند. وقد أنزل قواتٍ نيوزيلاندية في جزائر تريزور في ٢٦ تشرين الأول. وبعد معركة جانبية في شوازول بقصد الإلهاء نزلت الفرقة الثالثة للرماة البحريين بدورها في الشاطىء الغربي لجزيرة بوغانفيل وذلك في أول تشرين الثاني.

وكان يحتل هذه الجزيرة والجزر المجاورة لها ما يقرب من ٦٠٠٠٠ جندي وبحار ياباني، ولكن الرماة البحريين الأميركيين هبطوا فوق شواطىء لا تتمتع نسبياً بالحماية الكافية. إنها شواطىء خليج الأمبراطورة أوغوستا. وقد كان لهذا الخليج رصيف يسهل النزول فيه بالاضافة إلى أن في البر أرضاً تصلح لنزول الطائرات في بيفاوتور وكينا. فإذا بنيت المدرجات من قبل الحلفاء فإنها ستسمح لهم بعزل ثلاثة مطارات كان يملكها اليابانيون في بوغانفيل ويستعملونها لمهاجمة رابول التي هي على بعد ٣٢٠ كلم . لم يبذل أي جهد لتجاوز السا.ار الدفاعي القائم حول قواعد جوية وبحرية، أما الباقي من الجزيرة فقد ترك لليابانيين الذين سجلوا خسائر فادحة خلال معركتين بحريتين عنيفتين جرتا في خليج الأمبراطورة أوغوستا وعند رأس القديس جورج في تشرين الثاني دون أن يتوصلوا إلى إزعاج عمليات الانزال الحلبفة أو القيام بهجمات معاكسة فعالة.



التعزيزات الحليفة تصل: رجال ومعدات

وفي ١٤ شباط ١٩٤٤ حقق هالسي قفزة خروف جديدة استولى بها على الجزيرة الخضراء شمالي بوغانفيل مما سمح له بعزل كل القواعد اليابانية القائمة شمالي هذه الجزيرة الأخيرة وبعزل قاعدة كلٍ من بوا وبوكا. في الجزيرة الخضراء

تكون المطاردات الحليفة على بعد ٢٠٠ كلم من رابول. أما طريق التموين الرئيسية نحو تراك فتكون قد نقلت إلى ١١٠٠ كلم نحو الشمال. هكذا كان طرف الكماشة الأيمن ينغلق على رابول.

أما الطرف الأيسر فكان في الوقت نفسه يتقدم على الشاطىء الشمالي لغينيا الجديدة.

وفي سلسلة من العمليات البرمائية الناجحة بالاضافة إلى عمليات نقل جوي اطلق ماك آرثر جيوشه على الجناحين كليهمالنتوء لاي ـ سالاموا عازلاً حاميتيهما. وقد حاصرت فرقتان أوستراليتان هاتين الجزيرتين الأخيرتين ثم دخل جنود الفرقتين إلى لاي في ١١ أيلول بعد معارك عنيفة واحتلوا سالاموا بعد ذلك بخمسة أيام. كما استولوا بعدهما على فنش هافن في ٢ تشرين الأول. وفي منتصف تشرين الثاني كانت شبه جزيرة هوون محتلة من قبل الحلفاء. وقد تمت كل هذه العمليات بنجاح بفضل المساندة الجدية التي كانت تقدمها القوات الجوية.

وفكر ماك آرثر قبل أن يتقدم بعيداً على شاطىء غينيا الجديدة بتأمين جناحه الأيمن ومراقبة المخرج الشمالي لبحر المرجان والاقتراب من رابول. والملاحظ أن جزيرة بريطانيا الجديدة وطولها ٣٨٠ كلم والقائمة مقابل شبه جزيرة هوون في غينيا الجديدة التي يفصلها عنها مضيق فيتياز، الملاحظ أن رابول موجودة قريباً في الطرف الشمالي الشرقي لبريطانيا الجديدة. وفي كل كانون الأول أرسل ماك آرثر قوات من الجيش الأميركي السادس الذي يقوده الجنرال وولتر كروجو للاستيلاء على آراو عند الشاطىء الجنوبي من بريطانيا الجديدة بينما تكون الفرقة الأولى للرماة البحريين بقيادة الجنرال وليم روبرتوس منهمكة بالنزول في الطرف الغربي للجزيرة من أجل الاستيلاء على مطارات رأس غلوسستر التي كانت تشرف على مضيق فيتياز.

ونجح الرماة البحريون في الاستيلاء على رأس غلوسستر خلال منتصف آذار. وقد تم هذا الاستيلاء بعد معارك رهيبة جرت في بحر من الوحل وتحت أمطارٍ غزيرة وفي غابات لا تقل كثافة عن غابات غوادالقنال. وتقدموا على امتداد الشاطىء حتى شبه جزيرة ويلوميز حيث احتلوا مطار تالاسيا. وهكذا لم يعد يفصل بينهم وبين رابول غير ٢٩٠ كلم وكان غربي بريطانيا الجديدة في أيدي الحلفاء.

حملتان جديدتان أخريان برمائيتان ستغلقان اغلاقاً تاماً حلقة القواعد الجوية والبحرية التي تضغط على رابول. ففي أوائل آذار احتل الحلفاء جزائر مانوس

ولوسنيغرس في مجموعة جزر الأميروتي على بعد ٣٨٠ كلم من الشمال لغينيا الجديدة. وبعد ذلك بقليل تم احتلال اميروتي في الشمال الشرقي من ايرلندا الجديدة. هكذا يكون الحلفاء مسيطرين على قواعد جوية بحرية من كل جانب لخطوط التموين العدوة من تراك إلى رابول ومن تراك إلى كافينغ.

وبدأ الطيران الحليف من قواعده في سالومون وغينيا الجديدة بالإغارة على المطارات والموانىء في رابول. يوماً بعد يوم كانت تتكرر الاشتباكات الجوية والغارات التي كانت تشنها حاملات الطائرات التابعة لسرب هالسي رقم ٣٨ . وتم عزل كل هذه الموانىء والمطارات في ربيع ١٩٤٤.

وهنا عاد ماك آرثر إلى غينيا الجديدة، وتقدم على امتداد الشاطىء في سلسلة من قفزات خرفان طويلة. وتم انتقال ثلاث فرق أميركية إلى الغرب على امتداد ٩٠٠ كلم؛ فاحتلت هولونديا وآيتاب في نهاية نيسان بعد أن أحاطت بالحاميات اليابانية القوية في ويويك وخليج الهانز.

وفي ٢٧ أيار انقض ماك آرثر على مسافة ٥٠٠ كلم إلى الغرب لغرض الاستيلاء على جزيرة بياك في مياه الشاطىء الشمالي الغربي لغينيا الجديدة. وفي نهاية تموز قام بقفزة اخيرة حتى الطرف الغربي من غينيا الجديدة للاستيلاء على سانسابور. وبعد ذلك لم يعد بين قواته وبين جزائر الفيليبين غير ٩٠٠ كلم.

بعد كل الذي عرضناه وتحدثنا عنه من الاشتباكات الجوية والبحرية والبرية وبعد معاناة المتاعب والحرارة الخانقة والمطر الغزير والسير في الوحول واجتياز الجبال الوعرة ومقابلة الأوبئة والوقوف أمام الغابات الكثيفة المظلمة مع ما يرافق اجتياحها من آلام؛ بعد كل هذا استطاع الحلفاء خلال عامين اثنين أن يجتازوا ألفي كيلومتر بين ميلن باي وسانسابور وعزلوا بسبب هذه المسيرة الهائلة ١٣٥٠٠٠ جندي ياباني. وانتهت المعركة في ذلك القطاع من الباسيفيك.

تاراوا: دماء وضحايا على المرجان

علمنا في فصول سابقة أن الأميرال نيمتز قد انصرف إلى عزل القواعد الجوية البحرية اليابانية في تراك ضمن جزر كارولين بعد أن استولى الأميرال توماس كنكاد على جزر الأليوشين وفي الوقت الذي كان فيه كل من ماك آرثر وهالسي يفتح طريقاً لنفسه عبر غينيا الجديدة وسالومون.

والواقع أن الأميركيين قد كسبوا خبرة واسعة في الحملات البرمائية على

الغابات. ولكنهم لم يلبثوا حتى اكتشفوا بأن غزو بعض الجزر في الباسيفيك الأوسط هو شيء جديد بالنسبة إليهم. هذه الجزر هي حلقة من المرجان وصخور الشاطىء الوعرة. كان من المنتظر أن يدفعوا غالياً ثمن التجربة الجديدة التي سيقومون بها فوق شواطىء تاراوا المميتة من جزائر جلبير.

وجزائر جلبير موجودة على بعد ١٨٠٠ كلم إلى الشمال الشرقي من غوادالقنال وعلى بعد ٣٨٠٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من هاواي. وهي مستعمرة تابعة للتاج البريطاني، تم احتلالها من قبل اليابانيين خلال أيامٍ قليلة بعد الغارة على بيرل هاربر. وقد أقام فيها اليابانيون قاعدة طائرات بحرية ومطاراً فوق جزيرة صغيرة من جزرها، بيتيو في الزاوية الجنوبية الغربية لجزيرة تاراوا. هاتان القاعدتان أصبحتا الهدفين الرئيسيين لجيش نيمتز الخامس المعد لعمليات الإنزال في تلك المنطقة والذي كان يقوده الأميرال ترنر. أما القوات البرية التي يقودها الجنرال هولند سمث من جيش الرماة البحريين فقد قسمت إلى قسمين في قوتين هجوميتين: فرقة المشاة السابعة والعشرون وكانت تنقصها التجربة ويقودها رالف سمث وقد كلفت بغزو ماركن أي الجزيرة التي بنيت فيها قاعدة الطائرات البحرية، ثم المقاتلون القدامى في غوادالقنال وفولاغي من عناصر فرقة الرماة الثانية التي يقودها الجنرال ميجر جوليان سمث وكان على هؤلاء المقاتلين أن يحتلوا تاراوا.



مدافع الهاون في حرب الأدغال

الملاحظ أن اليابانيين قد حصنوا خلال الخمسة عشر شهراً التي مضت على بيرل هاربر كل كيلومتر مربع في بيتيو. الصخور الوعرة، الشواطىء والجزيرة الصغيرة نفسها قد زرعت كلها بالحواجز والعراقيل والصعوبات: ألغام، أسلاك شائكة، وأعشاش رشاشات ذات نيران موجهة كثيفة.

أما الشواطىء فقد كانت تحميها كل الأسلحة التي يمكن أن يحصل عليها اليابانيون: بنادق، رشاشات، مدافع هاون ومدافع شواطىء كبيرة. يضاف إلى ذلك أن اليابانيين قد برعوا في استعمال جذوع شجر جوز الهند، وصفائح الحديد المتموجة، وجسور الفولاذ، وصفائح التدريع، والباطون، وصخور المرجان والرمال، كل ذلك من أجل أن يبنوا مواقع مدفعيتهم وملاجىء مدرعاتهم وحصونهم الصغيرة حتى انهم لم يكونوا خائفين أبداً من الغارات الجوية ومدفعية القوات البحرية الغازية. وعلى ذلك فلا يدهشنا أن يعلن القائد الياباني في بيتيو وهو الأميرال كيجي شيبازاكي عجز الأميركيين عن احتلال تاراوا وأضاف قائلاً: «وحتى لو استعانوا بمليون رجل واستمروا يهاجمون مائة عام» إن التيارات وصخور المرجان الوعرة وحامية مؤلفة من ٤٠٠٠ من خيرة الجنود كانت كافية لجعل بيتيو ممتنعة على كل غازٍ من الخارج.

على أن بيتيو قد بدأ إمطارها بقنابل الطائرات ومدافع البحرية ثم استمر هذا الامطار الجهنمي ثلاثة أيام. وعندما حاولت فرقة الرماة الثانية أن تقترب من الشواطىء في ٢١ تشرين الثاني استقبلتها نيران قوية ومركزة. واصطدمت الناقلات البحرية بصخور مرجانية مغمورة بالماء وارغم الرماة على اجتياز المياه سباحة وتحت نار قاتلة، وكانت المسافة التي تفصل بين ناقلاتهم الممزقة وبين الشواطىء ٦٠٠ م . والحديث عن هذه الغارة حديث مثير وغريب. هذه الغارة كانت من أشد المذابح هولاً وأبعدها تأثيراً في نفوس رجال المعسكرين المتقاتلين. إن كارل جوناس أحد من كتبت لهم الحياة بعد هذه الغارة كتب يحدثنا عن اليوم الأول لعمليات إنزال الجنود:

كان الشاطىء يبدو لي على شكل عضد ينتهي بكف. وفي نهاية هذا العضد كان رشاش ياباني يمطر خطوطنا الأولى برصاصه، وهناك رشاش آخر كان في وسعه أيضاً أن يمطرنا برصاصه بصورة مباشرة بحيث أصبحنا أمام نارين كثيفتين. ومن ناحية ثالثة كان مدفع هاون يبصق نيرانه إلا أن قنابله كانت تسقط كثيراً إلى الامام أو منحرفة قليلاً إلى يميننا. كنت لا أرى رماة على الشاطىء. لم يكن أمامي غير مراكب محطمة منتشرة هنا وهناك.

مركبان منها يحترقان. وأبعد منهما قليلاً بدا لي حاجز مؤثر غريب هو عبارة عن



أحد الجنود الرماة يختبىء وراء أجمة عند احتدام المعركة

جذوع من شجر جوز الهند تمتد على موازاة الشاطىء من طرف إلى طرف. وغطست تحت الماء ولم تبدُ مني غير خوذتي. ورحت أتقدم في مياه الشاطىء على طريقة الثعلب مع العلم أن العمق في تلك المنطقة لا يزيد على متر واحد رغم أننا كنا على مسافة ٨٠٠ م من الشاطىء. وانحرفت نحو اليمين. لماذا؟ لا أستطيع الاجابة أنا نفسي عن ذلك. . .

تجاوزت جنديين أو ثلاثة جنود جندلهم رصاص العدو. كانت ساقاي رخوتين وكنت أجد صعوبة في حمل بندقيتي فوق الماء. وأخيراً قررت أن أحولها إلى عكاز ولم أبال بابتلالها بالماء. رأيت مركباً يتجه نحوي من بعيد فابتعدت عنه حتى اقترَبت من أعشاش الرشاشات ولكنني كنت أعلم في الوقت نفسه بأن هذا المركب سيجتذب نحوه النيران اليابانية. ورحت أتخفى قدر المستطاع مع متابعة التقدم لا بسرعة شديدة طبعاً بل بسرعة منتظمة. وأخيراً وصلت إلى ما ظننته شاطئاً وعندما وقفت فوقه تبين لي أنه مجرد ركام من الرمل بينما يبتعد الشاطىء خمسين متراً أخرى. فوق هذا الركام كان ١٥ أو ٢٠ من الرماة البحريين بين قتيل وجريح . أحد الرجال ممن كانوا معي على



باصقات اللهب في حرب الغابات

المركب نفسه انزلق إلى جانبي فسألته: «أين الفتيان الآخرون؟» فأجابني قائلاً: «لست أدري وعندما أعرف أين سيكونون سألتحق بهم».

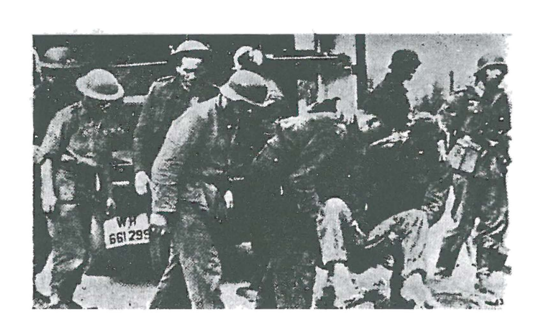
لم تكن عندي أية رغبة في تجاوز هذا الركام من الرمل. ونظرت إلى اليسار حيث كانت نيران العدو أقرب إلي لكن الماء فيه يصلح ملجأ لكل واحد منا. وسألت

نفسي ما إذا كنت أفعل خيراً إن اتجهت إلى اليسار. وقررت أن الوقوف والتأمل أشد خطراً علي من اليسار والتقدم. وبينما كنت أشهد أمامي بعض الرماة منبطحين بين ركام الرمل والشاطىء انتزعني تيار من الماء وشدني إليه ففقدت موطىء قدمي. سبحت قليلاً وعدت إلى الوقوف فوق الرمل. أما الكيس الذي كنت أحمله فوق ظهري فقد زاد ثقله بسبب الماء. فرفعته وأخذت أجره ورائي حتى وصلت إلى الشاطىء. وقد بدا لي أنه الجنة. . . وتمنيت لو كان في وسعي أن أنام هناك دائماً دون أن تتحرك لي عضلة من العضلات.

وفي نهاية اليوم الأول لهذه الغزوة الفريدة من نوعها لم يبق من الخمسة آلاف رجل وهم عدة الموجة الأولى من القوات النازلة إلى البر غير ٣٥٠٠ . وهؤلاء سمرتهم نيران اليابانيين فوق ألسنة من الشاطىء لا توفر الراحة لمن يبقى فيها.

أما غارات الطائرات الأميركية ومدافع بحريتها فإنها لم تستطع أن تحطم مواقع اليابانيين الدفاعية وإن قتلت فيما يقول الأميركيون نصف المدافعين وحطمت طرق المواصلات. وليس أدل على ذلك من أن اليابانيين لم يستطيعوا في تلك الليلة الرهيبة أن يقوموا بأي هجوم جدي لقذف الرماة إلى البحر.

وفي اليوم التالي بدأ الرماة عملهم الدموي الرهيب حقاً. لقد كان عليهم أن ينتزعوا كل مخبأ ياباني على حدة بالقنابل اليدوية أو المتفجرات أو قاذفات اللهب. واحتاج الجنود إلى ٧٦ ساعة من معارك مستمرة يائسة لغزو هذه الجنة الغريبة.



الكنديون ينقلون جرحاهم



يابانيون يخرجون من مخابئهم ويستسلمون

وفي ٢٣ تشرين الثاني قتل ألف جندي من الرماة والبحارة الأميركيين وسقط ٢١٠٠ جريح . ومع ذلك ففي ذلك اليوم تم الاستيلاء على مسافة ٤ كلم التي هي جزيرة بيتيو الصغيرة.

والواقع أن اليابانيين قد قتلوا عملياً حتى آخر رجل منهم فلم يستسلم غير ١١ من اليابانيين و ١٢٩ من الكوريين من رجال حامية بلغ عددهم ٤٦٠٠ .

أما في ماكن على بعد ١٥٠ كلم إلى الشمال من بيتيو فإن فرقة الجيش

السابعة والعشرين لم تلق مثل هذه المتاعب. وبالرغم من أن عدد جنود هذه الفرقة هو عشرة أضعاف عدد رجال الحامية اليابانية فإن فقدان التجربة عند جنود هذه الفرقة قد جعلهم يرهبون الموقف في البداية. وبعد ثلاثة أيام من بداية عمليات النزول أبرق قائد الفرقة يقول: «استولينا على ماكن ولم نفقد غير مائتي رجل».

جزر مارشال، كوجالين، وانوتيوك

وجاء اليوم الذي قرر فيه الأميرال نيمتز أن يحتل جزر مارشال بجيشه الخامس الغني بتجاربه السابقة ولا سيما تجربته في تاراوا. وجزر مارشال تقع على بعد ٨٠٠ كلم إلى الشمال الشرقي من جزر جلبير. وقد كان اليابانيون يشرفون عليها منتدبين من قبل عصبة الأمم ومنذ عام ١٩٢٠. وبدأت طائرات الحاملات البحرية والقاذفات المنطلقة من قواعدها في جزر جلبير تغير على السفن والمواقع الدفاعية والطائرات والمطارات في مارشال قبل بداية عمليات النزول بشهرين. واستمرت هذه الغارات ستين يوماً متتابعة. وشعرت القيادة اليابانية العليا أن عليها الاستعانة بكل شيءٍ للدفاع عن مارشال أمام ضربات هالسي وماك آرثر. وقد استطاع الأميركيون أن يحتلوا المرفأ الهام لجزيرة ماجورو دون مقاومة تذكر، وأن ينقضوا بعد ذلك على الموقع الاستراتيجي لجزيرة كوجالين بعد أن تجاوزوا المواقع اليابانية المحصنة تحصيناً شديداً. أما فرقة الرماة الرابعة فقد اتجهت في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٤٤ نحو جزيرتي روا ونامور وهما قاعدتان يابانيتان هامتان في القسم الشمالي من موقع كوجالين وتم احتلال هذين الموقعين في يومين وحسب.

أما فرقة المشاة السابعة فقد واجهت المزيد من الصعوبات في جزيرة كوجالين بالذات وهي قاعدة بحرية رئيسية لجزائر مارشال. وفي ٦ شباط وبعد أسبوع من معارك لا تقل قسوة عن معارك تاراوا تم تطهير الجزيرة. ثم حقق الأميركيون قفزة خروف جديدة حتى تحصينات أنوتيوك على بعد ٦٤٠ كلم إلى الشمال الشرقي من روا وعلى بعد ١٠٠٠ كلم تقريباً من تراك، هذا بعد أن تجاوزوا مواقع ميل، ووتجي، ومالولاب، وجالويت في المارشال وتركوها تتعفن في مكانها.

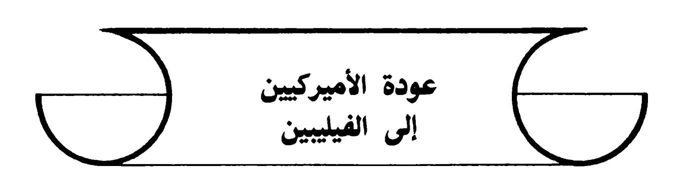
وتعاون الرماة البحارة والجنود مرة أخرى على القيام بعملية مشتركة ضد أنوتيوك، انجيبي، وباري واحتلوا هذه الجزر بعد معارك شديدة ابتدأت في ١٧ شباط وانتهت في ٢٣ منه.

الأميركيون يقولون ان خسائرهم في جزر مارشال قليلة بفضل التجربة التي

حصلوا عليها في تاراوا. يضاف إلى ذلك أن الغارات البحرية والجوية التي تمهد للمعركة قد عنُفت حتى الذروة. والتعاون بين الطيران والبحرية كان تاماً ومفيداً جداً للقوات المغيرة. أما السفن الناقلة والتي كانت مهمتها إنزال الجنود إلى البر فقد بنيت في ضوء المسائل التي طرحتها صخور المرجان. وجاءت الصواريخ لتكمل تسليح السفن والطائرات. أما الأسلحة والأساليب التكتيكية التي استعملت لإخراج اليابانيين من مخابئهم فقد طورت أيضاً. الأميركيون يقولون ان الرماة الذين ماتوا في تاراوا لم يكن موتهم عبثاً.

الآن أصبح في وسع الأميرال نيمتز أن يوجه جهوده كلها لتحطيم تراك. والواقع أن طائراته القاذفة قد أصبحت قريبة جداً من هذه الجزيرة بعد أن استولت القوات الأميركية على المطارات في الاميروتي من جزائر مارشال. كما أرغم الأميرال الياباني ميناشي كوغا على اخراج أسطوله المختلط من مراسيه البحرية التي كان يملكها وإرساله إلى جزر بالوس. وقد جرت غارة جوية بحرية كبيرة قام بها أسطول الأميرال الأميركي سبروانس في منتصف شباط سحقت تراك وأغرقت مدمرتين خفيفتين وأربعة طرادات وثلاث مدمرات مساعدة وكثيراً من سفن الحرب الأخرى في الميناء كما أغرقت أيضاً ٢٤ سفينة تجارية. يضاف إلى ذلك أن عدداً من الطائرات اليابانية يتراوح بين ٢٥٠ و٢٧٥ قد حطم مقابل ١٧ طائرة خسرها الأميركيون، هذا على الأقل ما يؤكده الحلفاء في تقاريرهم.

ولم يأتِ ربيع ١٩٤٤، حتى عزلت جزيرة تراك وأصابها الشلل وتم اختراق المدار الخارجي للمواقع الدفاعية اليابانية.



عودة الأميركيين إلى الفيليبين

سأعود. . .

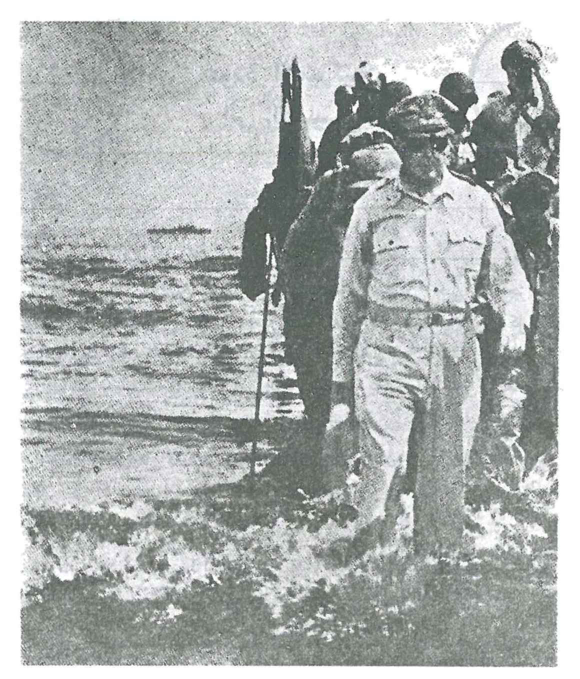
هذه هي الكلمة التي رددها الجنرال ماك آرثر الأميركي حين غادر جزر الفيليبين أمام اليابانيين المنتصرين. وقد ترددت أصداء هذه الكلمة وتكررت في كل مكان من الولايات المتحدة وكانت النتيجة أن ماك آرثر قد عاد فعلاً لينتزع النصر انتزاعاً من أيدي اليابانيين وليقفز بعد ذلك إلى الجزر اليابانية بعد سلسلة من المعارك الطاحنة وعلى أثر الانفجار الذري في مدينتين يابانيتين.

ولكن شيئاً مثل هذه الكلمة لم يتردد على لسان واحد من القادة العسكريين الانكليز حين أرغم هؤلاء على مغادرة البر الأوروبي عبر مدينة «دنكرك» التي كانت النيران تلتهمها من كل جانب.

وقد وقعت كارثة دنكرك دون أن يقول اللورد غورث أو السير جون ديل عبارة تشير إلى تصميمهما على انتزاع المبادرة من الغزاة الألمان.

كل الناس كانوا يعتقدون بعد وقوع كارثة سيدان أن خروج الإنكليز من البر الأوروبي كان خروجاً لا عودة بعده. وهتلر والملايين من أبناء أوروبا كانوا في مقدمة هؤلاء الناس.

ويبدو أن لكل قاعدة استثناءات معينة وقليلة. وقد كان تشرشل السياسي البريطاني واحداً من هذه الاستثناءات. فقد وجه إلى رئيس أركان حربه في الرابع من حزيران عام ١٩٤٠، أي في يوم الكارثة التي نزلت بالقوات البريطانية، وفي الوقت الذي كانت فيه السفن البريطانية تلملم عند سواحل دنكرك الجنود الناجين، رسالة حافلة بروح هجومية عدوانية عنيفة. لقد قال فيها للجنرال إسماي: «يجب ألا نسمح للروح الدفاعية التي ضيعت الفرنسيين أن تهدم في نفوسنا معنى المبادرة». وانطلق تشرشل منذ ذلك اليوم يطالب قادته العسكريين بتأليف فرق عسكرية مائية برية للقيام بغزوات مستمرة على طول السواحل الأوروبية للاحتفاظ بالروح الهجومية من ناحية



الجنرال ماك آرثر يعود إلى الفيليبين بعد استرجاعها

ولجمع المعلومات التكتيكية من ناحية أخرى استعداداً للغزو الكبير المنتظر الذي يجب أن يجتاح البر الأوروبي في يوم من الأيام.

وقد تألفت بالفعل بعد استسلام فرنسا أي في أول تموز من عام ١٩٤٠ «قيادة العمليات العسكرية المختلطة». ولم تمض أربعة أيام على هذا الاستسلام حتى ظن أكبر الرجال العسكريين وألمعهم ذكاء أن بريطانيا ستركع أمام الغزو الألماني خلال شهرين اثنين على الأكثر.

وترددت عبارات هتلر الساحرة عبر موجات الأثير. لقد كان يقول: «إنني اقترح

على الانكليز اخلاء المنطقة الأوروبية التي سيسرهم اختيارها لكي ينزلوا فيها جنودهم فيما بعد بأكبر عدد ممكن». كما ترددت عبارات هتلرية موجهة إلى الواقعية البريطانية: «لا تركبوا رؤوسكم. افهموا أنني لا أريد أن أهدم بلدكم ولا أمبراطوريتكم. الشيء الوحيد الذي يجب أن تنحنوا أمامه هو أن القارة الأوروبية قد أغلقت أمامكم إلى الأبد».

واعتصمت بريطانيا بالصمت. لقد كانت الصدمة عنيفة قاسية. واكتفت باجترار الهزيمة والاستعداد المستمر ليوم الثأر. وأصبحت بريطانيا خلال شهر تشرين الأول من العام نفسه هدفاً لغارات جوية ليلية مستمرة دون استثناء. كما أن هذا الشهر نفسه هو الذي قدمت فيه الحاملة الأولى للجنود ذات القاعدة المسطحة إلى تشرشل والتي كانت ستستعمل بأعداد هائلة جداً يوم الغزو الكبير.

كان تشرشل قد تعلم منذ غزوة الدردنيل الفاشلة عام ١٩١٥ كم هو عسير على الجند أن ينزلوا على السواحل أمام عدو متربص.

لقد كان يعلم أن بلده في حاجة إلى تجهيزات عسكرية ضخمة قادرة على تسهيل مهمة الاقتحام.

لقد راحت المصانع البريطانية تعمل ليل نهار في اعداد هذه التجهيزات في حدود إمكاناتها بينما كان الشعب البريطاني يعيش فترته العصيبة الرهيبة أمام قوى التدمير الجوي الألماني.

وخطرت لتشرشل فكرة أخرى أو هي عادت إليه في الحقيقة. لقد اقترح على قيادة الجيش عام ١٩١٧ ايجاد ميناء اصطناعية للنزول في جزر فريزون. ولكن اقتراحه نام في الادراج آنذاك ثم استيقظ بعد ربع قرن ليتحول إلى عدد كبير من المكعبات الحجرية الضخمة والتي أعدت ليلقى بها قرب سواحل الغزو لتكون ردءاً للسفن من الرياح العاصفة والمياه البحرية الهائجة ومكاناً لهبوط الجنود.

والواقع أن الألمان لم يعرفوا الغاية من هذه المكعبات الموزعة على امتداد السواحل البريطانية إلا في السادس من حزيران عام ١٩٤٤.

ووضعت خطة العودة. وقد تقرر اعداد ١٥ فرقة، ٩ منها مدرعة لانزالها في اليوم الموعود بين مدينة دياب ودوفيل. ثم يعقب ذلك الاستيلاء على الهافر وروان ثم ينطلق الجند بعد ذلك نحو الشمال لاحتلال انفرس والهجوم على منطقة الرور الألمانية.

المشروع كان يدعو إلى السخرية

إن بريطانيا آنذاك لم تكن تملك فرقة واحدة من هذه الفرق. وأقوى الدبابات الانكليزية كانت تحمل مدفعاً من عيار ٣٧ملم. بينما كان في حوزة الألمان ٢٠٠ فرقة، كلها مستعدة لخوض أية معركة من المعارك بالاضافة إلى أن الجبهة الروسية لم تكن قد افتتحت بعد.

وبقيت هذه المشروعات حلماً من الأحلام حتى حدث شيئان عام ١٩٤١.

الأول هو الحرب الألمانية الروسية.

والثاني هو دخول الولايات المتحدة إلى الحرب في جانب البريطانيين.

بعد بيرل هاربر

كان دخان الحرائق يملأ جو بيرل هاربر حين طار تشرشل إلى واشنطن ليضع مع الرئيس روزفلت الخطوط العامة لاستراتيجية مشتركة.

والواقع أن روزفلت قد رفض الدعوة التي ترددت في الولايات المتحدة لضرب اليابانيين الذين هدموا ميناء بيرل هاربر وحطموا عدداً كبيراً من السفن الحربية الأميركية هناك.

وتقرر بعد مؤتمر أركاديا الطويل أن تكون ألمانيا الهتلرية الهدف الأول لحرب الافناء التي أرادها الأميركيون..

في ذلك الوقت، ورغم فشل الجيش الألماني في احتلال موسكو، كان زعماء لندن وواشنطن يعتقدون بأن الجيش الروسي سينهار ما في ذلك ريب. وأن مهمة القضاء على القوى الألمانية منوطة بهم وحسب. وقررت الولايات المتحدة أن تبني جيشاً برياً عدته ٢١٥ فرقة ومزوداً بأحدث الأسلحة الفتاكة يعاونه سلاح جوي ساحق. لقد كان المتطوعون من الجنود الأميركيين يستعملون في تدريباتهم بنادق من الخشب. أما المدفعية الأميركية فقد كانت مؤلفة من مدافع عيار ٧٥ الفرنسية ومن طراز عام ١٨٩٦. ولكن هذا لم يحل دون بروز ٥ ملايين من الرجال المدربين الذين غادروا الشواطىء الأميركية لغزو أوروبا. وكانت الجزيرة البريطانية هي مكان تجمعات هؤلاء الجنود وغيرهم من جنود الدول الحليفة.

وبسحر ساحر تغير الاقتصاد الأميركي فأصبح اقتصاداً حربياً بعد أن كان اقتصاداً

سلمياً وحسب. وكان على الحلفاء أن يسيطروا سيطرة تامة على البحار لإبادة الغواصات الألمانية. أما القادة البريطانيون كرئيس الأركان، آلان بروك، فلم يكونوا يعتقدون بأن الحملة على البر الأوروبي ممكنة قبل عام ١٩٤٦ أو ١٩٤٧.

على أن الحلفاء لم يتخذوا موقفاً عسكرياً سلبياً. لقد كانت هناك حاجة إلى القيام بعمليات عسكرية تمهيدية استعداداً لمواجهة اليوم العصيب. وقد تقرر في مؤتمر اركاديا تنظيم حملة عسكرية على شمال إفريقيا عام ١٩٤٢. أما اجتياز بحر المانش فقد بقي العمل الأخطر والأهم.. ولكن الطريق من دوفر إلى كاليه كان يجب أن يمر عبر تونس.

وفجأة أعيد النظر في كل شيء. لقد وجه روزفلت إلى تشرشل رسالة خاصة ينبئه فيها بوصول رئيس الأركان الأميركي جورج كاتلث مارشال إلى لندن يرافقه الأب جوزف من البيت الأبيض، وهاري هوبكنز. وجاء في هذه الرسالة قوله: «إنهما سيضعان بين يديك خطة أرجو أن تستقبلها روسيا بحماسة بالغة».

وانتظر تشرشل ثم استمع لأقوال الرسولين. لقد تبين له أن الأميركيين يريدون أن يمزقوا الاتفاقات التي وقعوا عليها في مؤتمر أركاديا، وأن يهملوا خطة انزال الجيوش في شمال افريقيا بقصد فتح جبهة ثانية في فرنسا. وهم يرون إقامة رأس جسر في منطقة بريتانيا أو كوتانتان في خريف عام ١٩٤٢ ثم ينطلقون في ربيع عام ١٩٤٣ عبر المانش بقوات عدتها ٤٨ فرقة.

الواقع أن هذا القرار الجريء هو من وحي السياسة. ان الأميركيين في الولايات المتحدة كانوا يعتبرون أن الحرب كانت تسير في طريق غير كريمة. وقد ضغط المتطرفون من المثقفين اليساريين الذين ادخلتهم السيدة روزفلت إلى البيت الأبيض، ضغطاً متلاحقاً لكي لا تترك روسيا وحيدة في حمام الدم. وترددت صرخة في كل النوادي والصالونات عبر أسابيع متتابعة: «الآن جبهة ثانية». هذا الرأي هو الذي حمله كل من مارشال وهوبكنز إلى تشرشل.

كانت مقاومة الرسولين الأميركيين مقاومة يائسة، انه ليس من عسكري بريطاني لا يعيش على أمل العودة إلى دانكرك. ولكنه ليس من عسكري انكليزي لا يرى في المحاولة الأميركية المزمعة انتحاراً قبل أن يتم توازن القوى بين الفريقين. قال بروك معلقاً على موقف مارشال: «إنه رجل خطر وشديد الاعتزاز بنفسه. مخططه لا يتجاوز مرحلة الانزال. إنه لم يفكر حتى الآن فيما يجب أن نصنعه بعد ذلك. هل نتوجه إلى توكيه لنلعب الروليت أو البكارا؟».

ولكن مارشال رجل عنيد. إما أن الانكليز يرفضون مخططه؛ وإما أنهم يصرون على الابتداء بمعركة المتوسط، وإذاً فإننا يجب أن نتركهم. وفي ٧ تموز وجه مارشال مذكرة إلى الرئيس بالاتفاق مع زميله البحري الأميرال كينغ: «ان رأينا النهائي هو أن علينا الالتفات إلى الباسيفيك وتوجيه ضربة قاضية إلى اليابان». وبدأ الحلف يتفتت. ان المبدأ الاستراتيجي الذي يجعل من أوروبا ميداناً رئيسياً للمعركة مهدد بالنكوص الأميركي.

٢٣٧ سفينة تبحر نحو دياب

وعاد روزفلت إلى الحملة. وسافر هوبكنز ومارشال يرافقهما في هذه المرة الأميرال كينغ إلى لندن. وكان في جعبتهم بين الوثائق رأي لعقيد عسكري جعلته ظروف الحرب لواءً ورئيساً لقطاع التخطيط. إنه دوايت آيزنهاور. وأعلن ايزنهاور في هذه الوثيقة بأن نزول الجند في شمال افريقيا لن يفيد روسيا مع العلم أن ايزنهاور نفسه كان سيقود بعد أسابيع قليلة بنجاح كبير عمليات الانزال في الشمال الافريقي. وتكررت المناقشات عنيفة حادة حتى ان هوبكنز تصرف تصرفاً وقحاً مع تشرشل الذي هدد بطرده من بريطانيا رغم كونه ممثلاً لرئيس الولايات المتحدة. كتب هوبكنز إلى روزفلت: «لقد قذفني بدستور المملكة ولكن الدستور بحمد الله وثيقة غير مكتوبة ولذلك لم تكن الخسائر خطيرة». وبقي كل في موقعه، الانكليز يؤكدون أن اجتياز بحر المانش عام ١٩٤٢ يساوي انتحاراً والأميركيون يهددون بالتوجه إلى الباسيفيك بدعوى أن حلفاءهم لا يريدون محاربة هتلر.

وكان روزفلت هو المرجع الأخير. وقد تردد ثمانية أيام. وفي ٢٥ تموز أحضر وزير حربيته وممثلي أركان الحرب بكل فروعهم. ولم تجر مناقشة. كل ما في الأمر أن الرئيس قد أعلن بكل بساطة قراره بإنزال الجنود في افريقيا الشمالية عملاً بالاتفاق الموقع عليه في مؤتمرِ أركاديا.

وهكذا تأجلت الجبهة الأوروبية إلى إشعار آخر.

ولم تمض أيام قليلة بعد القرار الذي اتخذه روزفلت حتى أثبتت إحدى المعارك سلامة موقف البريطانيين. لقد اثبتت هذه المعركة بأن وقت مواجهة القوات الهتلرية فوق البر الأوروبي لم يأتِ بعد.

كانت مدينة دياب تنام كالعادة تحت الأضواء الخافتة مساء ١٩ آب. وكانت مياه

البحر تغسل الأسلاك الشائكة القائمة عند الشواطىء بزبدها. وكانت القلاع المسلحة المنتشرة على امتداد السواحل تبدو وكأنها صورة الأفق. أما الصخور التي كانت تطل على الشاطىء فقد كانت تضع كل شيء فيه تحت رحمة الرشاشات. ويضاف إلى ذلك أن قطعاً من الباطون وعقبات مختلفة ضد الدبابات كانت تسد ساحات المدينة وشوارعها.

الجيوش كانت في حالة استعداد دائم لا لأنها قد عرفت بمجيء الغزاة عن طريق همسة خائنة، بل لأن هتلر من قاعدته المركزية في أوكرانيا كان يشم شيئاً غريباً في الجبهة الغربية فوجه تعليماته المشددة بضرورة اليقظة والحذر.

الحامية الألمانية في دياب كانت مؤلفة من فوجين من الجنود غير المدربين تدريباً حسناً ومن بولونيين جندوا بالقوة ومن متطوعين لم يمض على انخراطهم في الجيش غير بضعة أسابيع. فالحرب الروسية كانت آنذاك تمتص الجيش الألماني فلا تترك للجبهة الغربية غير الشيوخ والأطفال والمشوهين.

٢٣٧ سفينة كانت تحمل ١٠٠٠٠ جندي فوق بحر وتحت سماء لا قمر فيها كما كانت تحمل ٥٨ دبابة. وهي تتجه نحو دياب النائمة. هذه البعثة العسكرية كانت لها سابقة غير بعيدة ولكنها ناجحة؛ ففي ليل ٢٦ ـ ٢٧ من آذار استطاع مركب فدائي أن يعطل رصيفاً في ميناء سان نازير. وقد دفع هذا النجاح الجانب البريطاني إلى وضع خطط أوسع للقيام بغزوات تخترق البر الأوروبي بقوات مدرعة حتى مدينة باريس بحيث يختطف فيها أعضاء رئاسة الأركان في فندق كريون وتوضع النار تحت قوس النصر. كانت الجيوش الألمانية سيدة أوروبا. هذا صحيح. ولكن عدواً بحرياً يستطيع أن يختار الزمان والمكان في وسعه أن يسجل ضدها إصابة عنيفة. وكانت بعثة دياب العسكرية غزوة بل أكثر من غزوة. لقد كان من المنتظر بعد انزال الجنود عند الفجر أن تعاد إلى السفن في الليلة التالية. وكانت أهمية الأسلحة بالإضافة إلى اتساع جبهة الهجوم بمثابة تجربة تمهيدية لعملية الانزال المنتظرة الكبرى. طول الجبهة التي طلب إلى الجنود أن ينزلوا فيها ٣٠ كلم وكانت دياب القطاع المركزي والرئيسي لهذه الجبهة الطويلة. وقد تردد المهاجمون في مواجهة المدينة وقرروا الاستيلاء عليها بحركة كماشة واسعة ولكن الرغبة في التجربة دفعت المهاجمين اخيراً إلى مواجهة المدينة بهجوم مباشر. وقد امتنعت القيادة البريطانية عن ضرب المدينة بقنابل الطائرات حقناً لدماء المدنيين الفرنسيين. وكانت المساندة البحرية الوحيدة التي قدمت إلى رجال البعثة العسكرية هي قنابل ٨ ومدافع عيار ٤ بوصات منطلقة من ٤ طرادات صغيرة.

أما العمل العنيف حقاً فقد جرى فوق شاطىء دياب بالذات. لقد تم انزال الجنود الانكليز تحت حماية موجة من الطائرات المطاردة القاذفة. كما أنزلت إلى البر ٢٧ دبابة تشرشل بواسطة المراكب حاملات الجنود المسطحة والتي كانت تجرب آنذاك لأول مرة. وقد لوحظ أن الجنود المكلفين بإزالة الحواجز قد فشلوا في مهمتهم وأن أكثر المهاجمين نجاحاً لم يتجاوزوا المئة متر. وفشلت الحملة وعاد الجنود إلى السفن تحت وابل من الرصاص وقد فقدوا عدداً كبيراً منهم بين أسير وقتيل وجريح.

١٥ ألف
قلعة مسلحة

منذ الساعة التاسعة ادرك قائد البعثة فشل مهمته وقد أصيب رجاله بهبوط معنوي شديد فاستسلموا لأسلحة الألمان وجرت المعركة في حالة رهيبة من الفوضى. ولم يعد من الجنود الذين نزلوا إلى البر وهم ٦٠٨٦ غير ٢٤٦٣ أي ان ٤٠ في المئة عادوا إلى بريطانيا فقط.

وفي الساعة ١٢ كانت آخر سفينة تبتعد عن الشاطىء تلاحقها موجة من القنابل. وفي الساعة الرابعة بعد الظهر أعلن المارشال فون رانستد أن الهدوء عاد إلى مدينة دياب وفتحت كل المخازن. وبدا مشهد الشاطىء أشبه ما يكون بشاطىء دانكرك عام ١٩٤٠ بجداول الدماء التي تغسلها مياه البحر والدبابات الممزقة وحاملات الجنود المحترقة وأكوام السلاح والتجهيزات. ومرة أخرى راح هتلر يسخر بالغزاة: «إنها المرة الأولى التي سعد فيها العدو باستقبال نماذج كاملة لأسلحة عدوه الجديدة وتجهيزاته».

ولكن هتلر في الوقت نفسه امتنع عن الزعم بأن خطر غزو أوروبا شيء غير قائم. لقد انطلق من هذه الحوادث ليعلن ضرورة تسليح أوروبا. وعقد في مستشارية الريخ مؤتمراً أمر فيه ببناء ١٥ ألف قلعة صغيرة من الباطون المسلح بين هولندا واسبانيا. هكذا برز جدار الاطلانطيك.

وأخذ الأفق يضيء خلال الأشهر التالية. وعندما تلاقى روزفلت وتشرشل في الدار البيضاء في كانون الثاني من عام ١٩٤٣ كانت شمس الانتصار قد بدأت تشرق. ففي ستالينغراد أحيطت ٢٨ فرقة المانية بقيادة الجنرال بولوس بقوات روسية ساحقة ودخلت في النزاع الأخير. أما في الباسيفيك فإن معركة غوادالقنال وهي أول هجوم أميركي معاكس قد انتهت بهزيمة يابانية. الألمان والإيطاليون ما زالوا متشبثين بتونس. أما بقية افريقيا الشمالية الفرنسية فقد أصبحت تحت سلطة الحلفاء. وهزم رومل بصورة حاسمة في العلمين. وشعرت بريطانيا وأميركا أن في وسعهما السير إلى الأمام.

اختلاف جديد

ومرة أخرى ذر الخلاف قرنه بين الحليفين الكبيرين. الانكليز كانوا ملتفين حول تشرشل ولهم أفكارهم وخططهم الواضحة. لقد كان تشرشل يعتقد بأن معركة المتوسط يجب أن تستمر وأن الهجوم يجب أن يوجه إلى ايطاليا المتداعية وأن الوقت الذي تواجه فيه أوروبا الألمانية من الاطلانطي لم يأتِ بعد.

أما الأميركيون فقد كان في خططهم شيء من الغموض والاضطراب، فروزفلت يفقد النظرة الاستراتيجية التي تساعد على تحقيق رؤية سليمة للأحداث العسكرية. شيء واحد كان يضغط عليه هو الرغبة في مساعدة الروس بأسرع ما يمكن. ولرئاسة الأركان الأميركية ٣ رؤوس: البحري كينغ الذي لا يمكنه الاقتناع بأن جبهة الباسيفيك جبهة ثانوية، والطيار أرنولد الذي يعتقد أن في وسعه اخضاع المانيا بالغارات الجوية وحسب، والجندي مارشال صاحب الآراء المتصلبة. انه يقول بأن البحر الأبيض المتوسط هو طريق غير نافذ وأن على الحلفاء أن ينسحبوا منه بأسرع ما يمكن. وكان يتهم تشرشل بسياسة ذات أغراض امبريالية استعمارية وبأنه يريد أن تطول الحرب خدمة للمصالح البريطانية. ولكن تشرشل لم يلبث أن انتصر لسببين، أولاً: فشل غزو دياب وهو برهان ساطع على أن شروط انزال الجند في الغرب لم تتحقق بعد. ثانياً: الحرب البحرية. فقد تزايد عدد الغواصات الألمانية التي كانت تشيع الخراب في المحيط الاطلانطي وكان عدد السفن المغرقة من قبل هذه الغواصات أكثر من السفن التي كانت تخرجها مصانع الحلفاء البحرية. هكذا تقرر الاقتصار على غزو افريقيا الشمالية ثم غزو شبه جزيرة ايطاليا. الأميركيون يريدون جزيرة سردينيا. ولكن تشرشل يريد صقلية وانتصرت وجهة نظر تشرشل لأن صقلية قائمة في الطريق إلى روما واحتلالها هو تمهيد لانهيار الفاشستية.

هكذا لم يشهد عام ١٩٤٣ غير نهاية أحد أضعف فرقاء المحور: وتأجلت غزوة أوروبا الكبرى مرة أخرى.

والواقع أن المعركة التي بدأت في ٦ حزيران ١٩٤٤ والتي اجتاحت البر الأوروبي كانت في حاجة إلى تمهيد طويل دقيق وضخم جداً. وقد أشرف على اعداد مخطط المعركة بكل تفاصيله قائد عسكري لا يعرفه الناس انه فريدريك مورغن. وايزنهاور نفسه لم يشر إليه إلا إشارة سريعة في كتابه «صليبية في أوروبا». واقتصر تشرشل على تسميته في ترجمته التاريخية للحرب. وقد وضع فريدريك مورغن كتاباً

عن هذه الغزوة بعد انتهائها بوقت قصير. ولكن ما كتبه لم يحدث غير تموج ضعيف في بحر الأدب المكتوب الذي صنعته الحرب العالمية الثانية. وراح يقضي شيخوخته بسلام في ضاحية من ضواحي لندن يقرأ الأدب الرفيع ويهتم بالفنون مؤكداً أن التناقض بين الأميركي والانكليزي تناقض تام بحيث أن أحدهما لا يكاد يفهم الآخر.

وقد عين الجنرال البريطاني مورغن لوضع خطط الانزال من قبل رئيس الأركان الأمبراطوري آلان بروك. وقبل روزفلت خلال مناقشات الدار البيضاء بأن تكون قيادة الحملة لجنرال انكليزي. وأحيط بروك علماً بذلك. وأصبح مورغن رئيساً لأركان بروك. وقد أطلق تشرشل على حملة أوروبا اسم «السيد الأكبر» خلافاً للتسمية التي أطلقها الأميركيون عليها وهي «راوند آب» وراح مورغن ومساعدوه يعملون ليلاً نهاراً لتكون المعركة على مستوى الأغراض المطلوبة منها.

المهمة كانت مليئة بالصعوبات. ثلاثة جيوش: انكليزي، كندي، أميركي، كل منها يتميز بعقليـة خاصة شديدة الفردية. ثلاثة ميادين: البر، البحر، الجو، وبذلك لا يمكن أن تعتبر معركة بحرية برية وحسب. المانش بحر في الشمال وهو أكثر البحار اضطراباً في العالم. حرب ذات وجوه متعددة وقيادات وميادين متباعدة متباينة. عدو يحتفظ بهيبة شديدة رغم هزائمه في الشرق. سلسلة من القلاع المسلحة على امتداد شواطىء الاطلانطي يعتبرها الكثيرون مستعصية على كل حملة عسكرية. عامل جديد أحدث بين العسكريين المحترفين قلقاً وخيبة شديدة: إنه المقاومة الفرنسية التي كانت الاستعانة بها ضرورية والتي كان تقدير امكاناتها ودرجة الثقة بها شيئين صعبين جداً. بمثل هذه الأعمال وأمام مثل هذه المسؤوليات كان على مورغن أن يبني آلة ثقيلة: انها وزارة الغزو. وقد خرج من هذه الوزارة مصنع عملاق هو القيادة العليا لقوات الحلفاء والتي كانت ستكون هيئة أركان الجنرال ايزنهاور.

مباراة الجنرال مورغن

الواقع أن سرية إعداد الغزوة الكبرى لم تكن ممكنة أبداً. ان اعداد جيش يتجاوز مئات الألوف إلى آحاد الملايين لا يمكن أن يتم دون أن يعرف العدو شيئاً عنه، وإذا بقي شيء يجهله فهو تاريخ الانزال ومكانه على الشاطىء الأوروبي.

والحقيقة أن اختيار المكان أمر بالغ الصعوبة. فليس هناك قطاع في الشاطىء يمكن أن يفرض نفسه على قيادة الحلفاء ففيه السيئات والحسنات.

إن هولندا مثلاً تقوم في مكان جيد جداً بالنسبة للقواعد العسكرية في بريطانيا ولكن أرضها المنخفضة بسدودها الكثيرة يمكن أن تكون عقبة خطيرة أمام الغزاة. وأما بريتانيا ففيها تسهيلات طيبة لعملية الانزال ولكنها تقوم بعيداً عن الجزيرة البريطانية وطرق المواصلات فيها مع بقية الأرض الفرنسية طرق غير صالحة. وفكر القادة بشواطىء بلجيكا ثم لم يلبثوا أن أقلعوا عن تفكيرهم.

بقي قطاعان وحسب وكان لكل منهما انصاره وخصومه ـ الصراع الخالد لتوكي ودوفيل. أما البادوكاليه فقد كانت قريبة من بريطانيا ولكن صخورها الساحلية الوعرة وتحصيناتها الشديدة ضد كل دعوة إلى النزول فيها، وأما النورمانديا فهي أكثر بعداً عن بريطانيا وأقل تحصيناً ولها شواطئها الواسعة نسبياً كما أنها أكثر انفتاحاً على الداخل. وأعد مورغن فريقين متنافسين يتولى كل منهما أبرز المزايا التي يتمتع بها أحد القطاعين. وأخيراً اعترف فريق البادوكاليه بالهزيمة. وفي هذه الأثناء كانت غلبة الحلفاء على الغواصات الألمانية في مياه المحيط الأطلنطي قد تمت فكان ذلك إيذاناً ببداية معركة (السيد الأكبر) وشرطاً أساسياً لها.

كانت هذه المعركة أعنف ما عرف في الحرب العالمية الثانية من معارك. كان كل شيء يشير إلى اقتراب الغواصة الألمانية من النصر. ان تكتيك الذئاب أو ما يسمى بعمليات الهجوم الجماعي قد حقق من المنجزات ما دفع لندن وواشنطن إلى التساؤل عما إذا كان المحيط الاطلانطي سيكون قبراً لاستراتيجيتها. ولكن الوضع لم يلبث أن تغير رأساً على عقب خلال بضعة أسابيع. لقد أصبح الاطلانطي بالنسبة للحلفاء طريق النصر أما بالنسبة للألمان فقد أصبح مقبرة لآمالهم.

كان كانون الثاني من ١٩٤٣ شهر العواصف الرهيبة. أما شباط فلم تقل عواصفه كثيراً عن سابقه. قوافل بحرية متعددة تفرقت في البحر. عدد كبير من الاحمال البحرية غرق في الماء ثم ضاعت أعداد من سفن الخفر في متاهات المحيط الواسعة. ورغم أن الغواصات قد أصيبت بالخسائر بسبب هذه العواصف فقد استطاعت أن تغرق مئة سفينة حليفة حمولتها نصف مليون طن. وعندما هدأت مياه المحيط في آذار وأصبحت آفاق السماء أكثر وضوحاً تضاعفت نسبة الخسائر ٣ مرات. وطبيعي أن أحداً لا يستطيع أن يفكر بغزو أوروبا بينما هو يدفع مثل هذه الضريبة البحرية الكبيرة.

وفجأة تغيرت اللوحة. لقد أعاد الحلفاء تنظيم قواتهم المضادة للغواصات وترك الأميركيون للانكليز مهمة حراسة القوافل، فعين الانكليز لها الأميرال ماكس هورتن. كما تضاعفت وسائل اكتشاف الغواصات وأسلحة التدمير. هناك سفن تجارية أصبحت

حاملات للطائرات ترافق القوافل. وفي وسط المحيط وبينما تخرج الغواصة الألمانية إلى سطح الماء مرغمة للتزود بأوكسجين الهواء أثناء الليل لا تلبث هذه الغواصة حتى تجد نفسها في وسط الأنوار التي ترسلها السفن الحليفة ثم هدفاً لقنابل هذه السفن بالذات والطائرات المرافقة. وكان الرادار الجديد (١٠ سنتم) الذي اخترعه الانكليز هو الذي يوجه الطائرات نحو ضحاياها. إن الليل الذي كان صديق الغواصات وملجأها لم يلبث حتى خانها.

هتلر يصر على الهجوم

وثارت ثائرة الأميرال دونتز والتمس من الفوهرر أن يستقبله في برغوف. وتمت المقابلة. قال الأميرال: خسرنا في أيار ٣٨ غواصة وفقدنا ألفين من أحسن ضباطنا وبحارتنا وبمعنى آخر خسرنا ثلث قواتنا البحرية في المحيط الأطلنطي. أما خسارة الحلفاء وهي التي بلغت ما حمولته ٢٥٠ ألف طن من السفن فهي شيء تافه بالنسبة للخسارة الألمانية. وقد قرر القادة البحريون الألمان رغم تطوعهم للخدمة في المحيط الأطلنطي، استحالة استمرار الصراع على هذه الصورة هنا أي بغواصات تسير تحت الماء بسرعة ٨ عقد وترغم على الصعود إلى سطح الماء مرة كل ساعة للتنفس. لقد قرروا أيضاً أنهم في حاجة إلى الغواصة التوربينية التي اقترح الاستاذ ولتر بناءها منذ سنوات ولكن المسؤولين لم يبنوها بدعوة أن الحرب ستكون قصيرة. وميزة هذه الغواصة أنها تتزود بالهواء دون أن تخرج إلى سطح الماء. وبانتظار هذه الغواصات قرر دونتز سحب غواصاته من الاطلانطيك الشمالي.

وكان رد فعل عند الفوهرر ذا حيوية وحشية. انه يروح ويجيء في صالونه الكبير وهو يصرخ: ان الاطلانطي هو حفرتي الدفاعية وان خسارة الاطلانطي تعني غزو أوروبا عاجلاً أو آجلاً، وإن معركة الاطلانطي يجب أن تستمر مهما يكن الثمن. وطارت الأوامر واضطربت الأوضاع القائمة واعطي دونتز كل ما يريده وأرغم غورنغ المغرور والفخور بنفسه على وضع قواته الجوية تحت تصرف الأميرال الذي يكرهه ومع ذلك فقد سبق السيف العذل لأن هذه التدابير لم تأتِ في اللحظة المناسبة.

في حزيران من العام نفسه هبط عدد السفن الحليفة المغرقة إلى ١٩. وفي آب هبط أكثر فأكثر إلى ٣. أما في أيلول فقد اختفت الغواصات نهائياً من طريق القوافل. وقد حاولت العودة إليها في تشرين الأول ولكن مطاردة الحلفاء لها جعلتها في حالة انهيار تام. لنتصور مثلاً أن اغراق ١٢ سفينة صغيرة حمولتها ٥٠ ألف طن من

سفن الحلفاء قد جرّت إلى القبر ٢٤ غواصة. وقد بلغ عدد الغواصات المغرقة ٨٥ غواصة عام ١٩٤٢ . وارتفع العدد إلى ٢٣٧ في عام ١٩٤٣.

هكذا تزايد عدد سفن الحلفاء بنسبة هندسية تقريباً. فقد كانت المصانع الأميركية تخرج سفينة من سفن ليبرتي المعروفة مرة في كل ٤ أيام وحمولتها ١١ ألف طن. لقد بنت بريطانيا وأميركا عام ١٩٤٢ اسطولاً من السفن حمولته ٧ ملايين طن وخسرتا في العام نفسه سفناً حمولتها ٥ ملايين طن. وفي عام ١٩٤٣ خسرتا ٣ ملايين وصنعتا ١٤ مليون طن. هكذا بنيت طريق الحملة على أوروبا. لقد تم بناؤها فوق أمواج المحيط قبل أن يتم فوق شواطىء نورمانديا في ٦ حزيران.

تشرشل يحتج

الطريق بنيت ولكن العراقيل لم تذهب كلها. الشكوك بين الأميركيين والانكليز أخذت تتزايد. الأولون مقتنعون بأن الانكليز لا يريدون النزول في فرنسا وأن استعداداتهم الظاهرة هي مجرد خداع للنظر. أما الانكليز فيتهمون الأميركيين بالخفة وعدم الوعي. الانكليز كانوا يخافون من أن تتحول عملية الانزال إلى ظهور رأس جسر تتجمد به المعركة على صورتها عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨. وخلال المناقشات كانت تمر الأطياف الدامية في خيال الانكليز بينما كان الأميركيون لا يقيمون لها وزناً لأنهم لم يصطلوا بنارها. إن ذكريات المذبحة في بشندال وقمة فيني والسوم حيث فقد الجيش البريطاني ٦٠ ألفاً بين قتيل وجريح في المعركة الأخيرة فقط. وإن صوراً أحدث عهداً لمعارك عام ١٩٤٠ كانت تملأ نفوس القادة الانكليز. إنهم يرون في الجيش الألماني قوة زاجرة هائلة رغم ما نزل به من الضعف وأصابه من التفكك. قال مارشال يوماً لبروك: «إن النزول إلى فرنسا هو الطريقة الوحيدة لإنهاء الحرب بسرعة». فأجابه بروك: نعم الطريقة التي تتمناها.

كان الزعماء العسكريون يطيرون باستمرار سعياً إلى تجميع القوى البحرية والجوية المطلوبة. ففي أيار اجتاز تشرشل المحيط الاطلانطيكي على ظهر سفينة من طراز كوين ماري. وعاد عن طريق الجزائر على أمل أن يقوم روزفلت في المرة القادمة بزيارة لندن. ولكن روزفلت لم يلبث أن غير رأيه فاجتمع الرجلان في كويبك المركز الجديد لمجلس الحرب الانكليزي الأميركي. ثم حاول روزفلت بعد ذلك أن يلقى ستالين وحده. فاحتج تشرشل بغضب شديد فتقرر أن يكون ثالثهما ولكن العم ستالين الذي رفض أن يغادر بلاده قد وافق على الانتقال إلى طهران.

لقد كان مؤتمر كويبك خطوة هامة في تاريخ معركة (السيد الأكبر). وقد عين تاريخ الحملة في واشنطن قبل ذلك بـ ٣ أشهر ولكن هذا التاريخ لم يلبث أن تغير ونجح الانكليز في متابعة الحرب ضد إيطاليا. وبقي الأميركيون يعتقدون أن متابعة الحرب في إيطاليا هي مضيعة للوقت. وثارت ثائرتهم حتى ان الوزير الأميركي هنري ستمسون وجه مذكرة إلى روزفلت تبتدىء بالعبارة التالية: «نحن لا نستطيع التأمل في اجتياز بحر المانش والتغلب على الألمان تحت قيادة بريطانية». الهدف الأميركي أصبح واضحاً. إنه انتزاع القيادة لمعركة (السيد الأكبر) من الانكليز وتهدئة الصراع في المتوسط ونقل كل القوى الصالحة للعمل إلى نورماندیا، وفي حالة إصرار الانكليز على موقفهم تنقل الحرب إلى الباسيفيك.

على أن الأميركيين ربحوا أهم ما في الجولة قبل افتتاح المؤتمر. لقد أعلن تشرشل لزميله الرئيس روزفلت وهو يزوره في هايد بارك تنازل بريطانيا عن قيادة العمليات لمعركة (السيد الأكبر). هكذا ستكون مهمة الثأر لهزيمة دانكرك منوطة برجل أميركي.

أسباب هذا التنازل ليست واضحة. تشرشل يزعم أنه قدم هذه القيادة لروزفلت بصورة عفوية. ومهما يكن الأمر فإن تشرشل قد وجد من اللياقة أن يتنازل عن القيادة بعد تزايد القوى الأميركية تزايداً هائلاً في الجبهة. على أن تشرشل الذي بلغ السبعين من عمره آنذاك والذي كان مصاباً قبل قليل بالتهاب رئوي قد أصبح في حالة تهيج دائم حتى انه كان يزعج قادته العسكريين. وفي المؤتمر الرباعي كان ينادي بغزو سومطرة ويعتبر تعيين الأميرال لورد لويس مونتباتن قائداً عاماً لجنوب شرقي آسيا ضرورة أساسية. ووافق الأميركيون على تبادل القيادة فتنازلوا عنها في برمانيا ليحصلوا عليها في نورماندیا. قال آلان بروك: ان ونستون قد اخبرني بانتقال القيادة إلى الأميركيين كما لو أن الأمر شيء عادي جداً ودون أن يعرب عن أسفه ويعتذر عن الضربة التي وجهها إليّ.

إن الشعور بالرضاء الذي اجتاح نفوس الأميركيين يوم أصبحت قيادة أكبر عملية عسكرية لهم لم يدخل الانفراج إلى نفوسهم. فقضية المتوسط بقيت القضية الشائكة في كل مناقشة. وفي جلسة ١٨ آب احتدمت هذه المناقشة وتميزت بعنف بالغ دفع رؤساء الأركان إلى اخراج معاونيهم لكي لا يكونوا شهوداً على فلتات اللسان التي يمكن أن تتردد على أفواه رؤسائهم.

اقتحام الأبواب

من الغرفة المجاورة سمع المعاونون طلقاً خافتاً ثم صرخة ألم فصدى انفجار.

واقتحموا الباب معتقدين أن القادة الأميركيين والإنكليز يقتتلون. والواقع أن هؤلاء القادة كانوا يقومون بتجربة اختراع جديد. إنه عبارة عن زجاج خاص فائق الصلابة مستعصٍ على الذوبان يطالب البعض ببناء جزيرة صناعية منه وزنها مليون طن لتكون قاعدة جوية. وقد حاول القائد الأميركي الجوي أرنولد أن يحطم هذا الزجاج بضربة فأس شديدة ولكنه فشل ومزق كتفه. فكانت الصدمة التي تبعتها صرخة الألم ونهض اللورد مونتباتن فأطلق النار على قطعة الزجاج ففشل أيضاً.

في إيطاليا قتل موسوليني وانتهى غزو صقلية. اقترح الأميركيون تخفيض الحاميات في المتوسط ونقل القوات الإضافية إلى بريطانيا. الإنكليز يصرون على ضرورة استغلال هذا الانتصار والقفز إلى البر الأوروبي ثم الاستيلاء على روما والتوجه شمالاً حتى جبال الألب ثم تقديم العون إلى اليوغوسلافيين الثوار ثم السير نحو فيينا. وأردف الأميركيون أن هذا المخطط سينتهي مرة أخرى إلى إهمال معركة (السيد الأكبر) وإلى السير في طريق بعيدة متعرجة غير مريحة. واحتج الإنكليز قائلين انهم لم يفتأوا منذ عام ١٩٤٠ يستعدون لاجتياز المانش ولكنهم غير مستعدين للمخاطرة بالمعركة ما لم يتأكدوا من النصر، ويجيب الأميركيون بأن هذه حجة لهم تدفعهم جميعاً إلى تركيز قواهم كلها من أجل الإعداد لمعركة نورمانديا. وتستمر المناقشة دون أن يتفق الطرفان.

أما الرجل الذي وضع الحل فهو المارشال بادوليو. لقد أعلن بعد انهيار موسوليني استمرار العمل بالمعاهدة الإيطالية الألمانية. وفي الوقت نفسه أرسل يقول للحلفاء استعداده لانقلاب بلاده على الريخ. وأدرك الأميركيون استحالة السكوت عن هذه الدعوة. فبدأت معركة إيطاليا القاسية.

هل كانت معركة مفيدة؟

الخبراء يقولون إنها أضعفت ألمانيا وطرحت الصعوبات أمامها ثم منعت موسوليني الذي أنقذه المظليون الألمان من فرض نظامه على إيطاليا. ولكن الحرب لم تلبث هناك حتى تخبطت في معارك استحكامات حتى ان روما لم يتم الاستيلاء عليها إلا قبل الاستيلاء على باريس

بأسابيع قليلة وإلا بعد أن زودت الدعاية الألمانية بالصورة الحلزونية للتقدم الإنكليزي الأميركي في الجبهة الإيطالية. وعندما اقتربت مرحلة النجاح وتهيأت أسباب الوصول إلى مناطق الألب توقفت الحرب الإيطالية فجأة لتتحول الأنظار إلى معركة إنزال الجنود في بروفانس التي فقدت كثيراً من معناها لأنها لم تخطط بصورة متناسقة مع معركة نورماندیا.

وشهد مؤتمر طهران آخر التناقضات الأميركية الإنكليزية بشأن العمليات الحربية. وقد حاول تشرشل تأجيل موعد (السيد الأكبر) مرة أخرى من أجل متابعة الحرب في إيطاليا، ولكن وقوف ستالين إلى جانب روزفلت قد حال دون نجاح تشرشل. هكذا دخلت الاستعدادات لمعركة (السيد الأكبر) مرحلتها النهائية وتم اختيار الجنرال دوایت ایزنهـاور لقيادة هذه المغامرة الكبرى. ووصل الجنرال إلى لندن في ١٤ كانون الثاني ١٩٤٤ لتسجيل فصل جديد من فصول الحرب العالمية الثانية.

أيزنهاور يحكي حكاية المعركة

ومن هو أجدر من دوایت أيزنهـاور بحكاية معركة (السيد الأكبر). إنها كانت بالنسبة إليه أشبه بالابنة التي يرافقها بكل عاطفته وعقله وإرادته. ذلك لأنها ينتظر أن تكون مجده وتاريخه الحقيقي.

قال دوایت أیزنهاور ما ملخصه: «لقد اخترنا ٥ حزيران للابتداء بالمعركة. وطبيعي أن أحوال الجو يجب أن تكون حسنة جداً للقيام بعملية الإنزال: القمر، المد البحري، ساعات الظلمة والنور التي يجب أن تكون متفقة مع أمانينا. إن العملية العسكرية هذه لا يمكن أن تنجح إلا شرط الاستفادة من كل هذه العوامل: المد المرتفع عند الفجر ليسمح لنا بهدم الحواجز. والمد العالي بعد ذلك بقليل ليسمح لسفن الانزل بالوصول إلى الشواطىء؛ قمر مضيء يسهل على المظليين إمكانية النزول إلى الأرض وأخيراً على الأقل ساعة رؤية قبيل الإنزال تعطي الأسطول البحري فرصة مناسبة لضرب أهدافه في البر الأوروبي. وإذاً فقد كنا نعرف اليوم الذي سنهاجم فيه والساعة الملائمة من هذا اليوم ولكن تبقى علامة استفهام رهيبة لم تجد جواباً بعد. إنها حول الجو لقد كان علماء الرصد الجوي يعملون على دراسة التغيرات الجوية خلال أسابيع طويلة ويضعون نبوءاتهم لـ ٤٨ ساعة. وقد كان الزعيم ستاغ من قوات الطيران الإنكليزي رئيساً للجنة الرصد الجوي الحليفة وكان يضع في كل صباح خارطة للجو يتنبأ فيها بأحواله ليومين أو ثلاثة أيام. وقد كانت تنبوءاته صحيحة حتى اننا وثقنا ثقة تامة بكل قراراته.



الجنرال أيزنهاور، قائد قوات الغزو الحليفة

ومع ذلك فقد كان من المستحيل التأكد من الشروط الجوية بصورة مسبقة ولذلك فقد قررنا أن المعركة ستكون لصالحنا عندما تبدأ في أي وقت بين ٥ و ٨ حزيران. واخترنا ٥ حزيران مع الاستعداد الكامل لتأجيل هذا التاريخ ٢٤ ساعة إذا اقتضت الضرورة ذلك.

سنهاجم غداً

ويضيف دوايت أيزنهاور أن صورة الجلسة التي أعلنت فيها بداية المعركة مـا تزال مرتسمة في ذاكرتي. لقد أجلت المعركة ٢٤ ساعة والجو صافٍ عملاً بنصيحة الزعيم ستاغ وها أنا اليوم أعلن بدايتها عند فجر اليوم التالي والجو مدلهم بالغيوم وممطر.

طبعاً لم يكن أحد منا يؤمل في أن تنفذ الخطط تنفيذاً دقيقاً وأميناً على مستوى كل سفينة بل كل جزئية من الجزئيات. إن أحداثاً كثيرة يحتمل أن تبرز ولكن الظروف والملابسات التي كانت تحيط بنا قد هيأت لهذه المعركة العدد الأكبر من أسباب النجاح.

وقلت لجموع القادة من حولي أيها السادة غداً سنهاجم. وغداً يعني صباح ٦ حزيران.

الملك يمنع تشرشل من مرافقة العسكريين

يقول دوايت أيزنهاور: لقد تقرر النزول في خمسة أماكن من شاطىء نورمانديا. والواقع أن ضخامة الاستعدادات هي التي دفعتنا إلى تأجيل موعد النزول من أول أيار إلى ٦ حزيران.

المكان الوحيد الذي قاومنا فيه العدو مقاومة فعالة هو الذي أطلقنا عليه اسم (أوماها بيتش). لقد كانت المعركة هناك فوق الشاطىء الرملي معركة دامية قاسية. وبسبب من ضحالة الماء عند ذلك الشاطىء كان رجالنا يتخبطون تحت نار قاسية ترسلها رشاشات العدو عنيفة قاسية. وقد تسمر جنودنا عدة ساعات عند الشاطىء. وبفضل مدافع السفن الحربية التي كانت الطائرات تعين أهدافها لها استطاع جنودنا أن يتقدموا.

كان البحر هائجاً باستمرار. وقد غرق عدد كبير من رجالنا كما فقدنا كثيراً من الدبابات. ومع ذلك فإن خسارتنا كانت أقل مما كنا نقدر، في نظري على الأقل.

أذكر بهذه المناسبة أن ونستون تشرشل جاءني قبيل عملية الإنزال في مركز القيادة العامة ليقول لي إنه قد قرر مرافقة الجيش الغازي فوق سفينة من سفن الأسطول. وحاولت إقناعه بالعدول عن رأيه ففشلت ولكن الملك لم يلبث أن تدخل وحال دون ذلك.

كما أنني قابلت الجنرال ديغول الذي كان قد وصل من إفريقيا وشرحت له تفصيلات المعركة القادمة ووضعت بين يديه نص النداء الذي كنت أنوي إذاعته على الفرنسيين وأطلب إليهم فيه التمسك بالهدوء وعدم القيام بأي عمل قبل أوانه. وقد بدا الجنرال غاضباً أمام بعض التفاصيل ولكن الحقيقة أنه قد فات الوقت فلم يعد يسمح لنا بإجراء تغييرات هامة. وكنت أجهل طبيعة العلاقات القائمة بينه وبين الرئيسين

روزفلت وتشرشـل. على أنهما أمراني بالتعاون معه لضمان مساعدة فرنسا الحرة.

والواقع أن المساعدة التي قدمتها المقاومة الفرنسية لنا كانت هامة جداً. لقد زودتنا بالمعلومات وأنهكت العدو وزرعت الفوضى في صفوف النازيين بصورة عامة. وكان نشاطها مفيداً جداً حول منطقة الإنزال. وفي نورماندیا وبريتانيا بقي العدو متشبثاً بكثير من الجيوب المعزولة رغم مرور قواتنا إلى الداخل. وقد ساعدنا المقاومون على تحطيم هذه الجيوب وقطع مواصلات العدو وتحطيم الجسور ونسف التمديدات ذات الطابع العسكري. وبتعبير آخر كان سلوك المقاومة التي تعمل بقيادة الجنرال كونينغ جديراً بالتنويه والتقدير.

في ليل ٥ و ٦ حزيران حاول المظليون الذين أنزلناهم أن يقطعوا خطوط مواصلات العدو. وفعلت المقاومة مثل ذلك. ووجد الألمان أنفسهم في حالة عجز تام عن القيام بهجوم مضاد فعال وهم الذين كانوا يجهلون ما يدور حولهم. وقد قيل لي ان فوجاً ألمانياً قـد تلقى ٣ أوامر متناقضة فضيّع ١٥ ساعة وهو يتجه في كل اتجاه.

في المخطط الأساسي لم يكن هناك محل لأية وحدة من القوات الفرنسية النظامية في عمليات النزول يوم ٦ حزيران على أنني أذكر في الوقت نفسه أن بين سفن الأسطول البحري طراداً وعدداً من السفن الصغيرة التي ترفع العلم المثلث الألوان. أما الفرقة (لوكلير) فقد وصلت إلى نورماندیا حول أول آب لتشارك في ملاحقة قوات العدو والانقضاض عليها. قليلاً قبل الظهر علمت أن جملة موجات الهجوم الأولى قد بلغت الشاطىء ولكن الحالة في (أوماها بيتش) بقيت خطيرة. وقد اضطرت الوحدتان الممتازتان المكلفتان باحتلال هذا القطاع إلى خوض معركة عنيفة. على أنني أدركت عند الظهر بأنه ليس ما يدعو إلى الخوف لأن عدة الرجال والسلاح في تلك المنطقة كافية للتغلب على المصاعب. وبصورة عامة كنت واثقاً من سير الأمور سيراً حسناً.

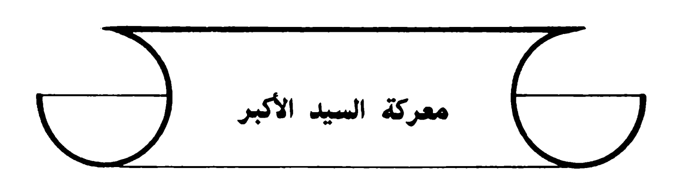
وفي ٧ حزيران عند الساعة السادسة صباحاً غادرت (بورتسماوث) على ظهر طراد إنكليزي. وكنت في عجلة من أمري فطلبت إلى قائد السفينة أن يسرع في سيره ونبهته في الوقت نفسه إلى ضرورة الحذر. ولكن نصيحتي لم تنفع فقد كان هذا القائد البحري واثقاً من دقة خرائطه ورغم هذه الدقة فقد اصطدمت طرادتنا بنتوء رملي. الوضع كان صعباً والأمواج كانت تزلزل السفينة بعنف شديد حتى كنت أظن أن هيكلها سيتفكك وانتقلت إلى طرادة أخرى لمتابعة الطريق.

الحقيقة أن القيام بعملي اليومي مشروط بوجود قيادة اجتمعت فيها كل وسائل

الاتصال وكانت هذه القيادة في (سوثمبتون) ولذلك كان من البلاهة أن أنقل مركز القيادة إلى شاطىء من تلك الشواطىء التي تعج بالجنود. ولذلك فقد كنت أزور منطقة القتال تارة على متن طائرة وأخرى فوق سفينة بحرية.

كانت هضبة هوك وهي عبارة عن مرتفع عمودي صخري مركزاً رئيسياً للمعركة أقام فيها الألمان عدداً كبيراً من المدافع بطريقة تستطيع أن تغطي هذه المدافع معاً بقنابلها منطقتي أوماها وأوتاه . وقد اهتممت اهتماماً خاصاً بتصفية هذه البطارية. وكان على كتيبة من الفدائيين الأميركيين أن تهاجم هذه الهضبة عند الفجر ولكن المد البحري ابتعد بمراكبهم نحوالشرق. ولم يكتشف جنودنا هذا الأمر فراحوا يهاجمون مرتفعاً آخر عندما اكتشف قائد الكتيبة الخطأ الذي وقع. وعادوا إلى المنطقة المعينة. ارتفاع الهضبة العمودي يبلغ ٣٥ م. تسلق هذا المرتفع عمل عظيم ولكن جنودنا قاموا به بنجاح باهر. واكتشفوا أن العدو قد رجع بمدافعه لأسباب خفية إلى الوراء على مسافة ١١٠٠ متر من الشاطىء وتقدم رجالنا فاكتشفوا المدافع وقضوا عليها. وقام الألمان بهجوم معاكس كلف رجالنا خسائر فادحة وعاد الأحياء منهم بعد ذلك بيومين فأنقذهم جنود لنا آخرون من أوماها بيتش . وينهي الجنرال دوايت أيزنهاور جانباً من رسالته التي وجهها إلى مجلة باري ماتش الأسبوعية الفرنسية بقوله:

لو سئلت اليوم ما هو أعظم نهار في حياتك؟ لأجبت قائلاً: إنه يوم ٦ حزيران. ولكن الحقيقة أنه لم يكن أهم يوم في حياتي ولا أكثر يوم إثارة للحماسة ولكن اليوم الكبير هو الذي عشته بعد ذلك بأحد عشر شهراً تقريباً، اليوم الذي وصل فيه جودل يرافقه أركان حربه إلى مدينة ريمس لتوقيع وثيقة استسلام القوات الألمانية. هذا اليوم كان نهاية سعيدة للمعركة العملاقة الرائعة، اليوم الذي سجلت فيه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والبلدان الحليفة الأخرى انتصارها النهائي الذي كافحنا جميعاً من أجله جنباً إلى جنب. إن مبررات هذا الجهد المشترك، هي اليوم كما كانت في غيره راسخة في أعماقنا. لقد دعمت هذه المبررات وحدتنا حتى الآن فلتكن كذلك أبداً.



معركة السيد الأكبر

غزو فرنسا

سنتان انقضتا على الأميركيين والإنكليز وهم يستعدون فيهما للانقضاض على قلعة هتلر الأوروبية. وقد وضعت خطة المعركة بكل تفصيلاتها الصغيرة والكبيرة. وقد تجمع فوق الجزيرة البريطانية التي تحولت إلى ورشة هائلة ومعسكر كبير مليونان من الجند ينتظرون إشارة الهجوم.

وبانتظار ساعة الصفر كانت القوات الجوية البعيدة المدى وذات الأغراض الاستراتيجية تقذف بقنابلها الخطوط الحديدية والطرق في فرنسا وبلجيكا كما كانت تضرب المصانع الألمانية وتحاول إضعاف الإمكانات الألمانية في البلدان المحتلة.

وفي ٦ حزيران عام ١٩٤٤ أعطيت الإشارة كما ذكرنا في فصل سابق. وانطلقت مجموعة من الأساطيل تعداد سفنها خمسة آلاف تحمل مئات الألوف من الجنود مع كل ما يحتاجون إليه من الأسلحة الثقيلة والخفيفة والدبابات لتنزلهم جميعاً فوق شاطىء نورمانديا على امتداد تسعين كلم.

اختيار هذا المكان بالذات بقي سراً حتى الدقيقة الأخيرة واختياره بالذات كان لأسباب أشرنا إليها أيضاً في فصل سابق.

ومع ذلك فإن الألمان استطاعوا أن يكتشفوا مكان النزول وموعده. وهناك أكثر من ذلك. لقد كانت الجاسوسية الألمانية تعرف منذ كانون الثاني ١٩٤٤ بأن المقاومة الفرنسية ستتلقى إشارة الغزو بقراءة بيتين من قصيدة الشاعر الفرنسي بول فرلين عبر إذاعة ب. ب. س. البريطانية عنوان القصيدة هو: (أغنية الخريف).

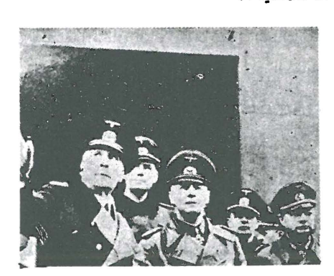
التنهدات الطويلة لكمان الخريف
تجرح قلبي بفتور رتيب

على أن الألمان رغم معرفتهم بهذه الحقيقة لم تكن لهم ثقة تامة بعملاء

استعلاماتهم رغم أن أحدهم كان وصيفاً في السفارة البريطانية في تركيا. لكن همسات وفلتات لسان تسللت إلى الألمان عندما لم يستطع ضـابط أميركي كبير أن يمسك لسانه. وفي مرة أخرى عرف الألمان بمكان الإنزال وموعده حينما أذيع بيان ببداية الغزو قبل اليوم المعين ببضعة أيام.

الألمان لم يقفوا مكتفي الأيدي. لقد كان المارشال جارد فون رانستد يتصرف بستين فرقة بينها عشر من فرق الهجوم. وهي معدة للدفاع عن الساحل الأوروبي الممتد بين هولندا والحدود الأسبانية أي على امتداد ٩٠٠ كلم. وقد وزعت هذه الفرق إلى مجموعتين من الجيوش. مجموعة (ب) التي يقودها رومل والتي كانت تشتمل على الجيش الثامن والثمانين في هولندا والخامس عشر في البادو كاليه والسابع في نورماندیا. ومجموعة (ج) التي يقودها الجنرال يعقوب فون بلاسكوويتس جنوبـي فرنسا. وكان الخلاف بين فون رانستد ورومل قد أتاح للحلفاء أن يلعبوا لعبتهم. إن رانستد كان يقدر بأن جيوشه غير كافية للدفاع عن الشواطىء الأوروبية؛ وكان يعلم أن الكثير من فرقه قد جند رجالها من البلدان المحتلة كما كان يرى بأن جدار الأطلانطيك قليل العمق والمساحة وأنه بالتالي مزحة كبيرة. كانت خطته قائمة على فكرة الاحتفاظ بقوى احتياطية متحركة بعيداً عن الشاطىء. وقد اختار من هذه القوى خير فرقه المدرعة وأعدها للقيام بهجوم معاكس بعد نزول قوات الحلفاء.

أما رومل فقد كان يرى أن الهجوم المعاكس يجب أن يتم قبل أن ترسخ أقدام القوات الحليفة. كان يقول دائماً اننا سنربح المعركة أو نخسرها عند الشاطىء، والساعات الأربع والعشرين الأولى للغزو ستكون ساعات حاسمة. ورومل كان مقتنعاً بأن تفوق الحلفاء في الجو سيمنع القوات الألمانية والمدرعات الاحتياطية من الوصول إلى الشاطىء ولذلك فقد نصح بوضع المشاة والفرق المدرعة إلى جانب جدار الأطلانطيك.



رومل يتفقد قاعدة سان نازير

وتبنى هتلر وجهة نظر رومل في نشرته الدورية رقم ٥١ والتي يأمر بها بإلقاء الحلفاء إلى البحر بصورة مباشرة.

والملاحظ أن رومل قد بادر إلى تقوية جدار الأطلانطي منذ تم نقله إلى الجبهة الغربية في تشرين الثاني من عام ١٩٤٣. وقد تمت التقوية ببناء أعشاش الرشاشات ورفع الأسلاك الشائكة وإقامة حقول ألغام والاستكثار من المدافع الكبيرة والصغيرة. بل فعل أكثر من ذلك فقد لغم جانباً من البحر وزرع الجهات القريبة من الشواطىء بعقبات من كل نوع. أما فيما وراء الجدار فقد غمر الحقول بالماء ومد فوقها الأسلاك الشائكة لمنع المظليين من الهبوط فوقها.

والواقع أن هتلر كان يحس إحساساً عميقاً بأن عمليات الإنزال ستتم في نورماندیا بينما يؤكد قادته العسكريون بأنها ستتم في البادوكاليه.

ولم يتردد الحلفاء في تقوية أوهام القادة وتغذيتها بمسرحيات عسكرية وهمية من ناحية وبتوجيه الطائرات أو بعضها إلى سماء البادوكاليه لقذف مواقعها العسكرية بالقنابل.

وقد تابع الحلفاء عمليات التضليل حتى بعد بداية عمليات النزول في نورماندیا. ولم يكتشف القادة الألمان هذه اللعبة إلا في ٢٤ تموز أي بعد بداية العمليات بستة أسابيع. وفي ذلك الوقت فقط قرروا نقل قسم من الجيش الخامس عشر الذي كان مجمداً في منطقة البادوكاليه. وتم النقل بعد فوات الأوان.

في ٦ حزيران قليلاً بعد منتصف الليل بدأ المظليون يهبطون فوق الأراضي الفرنسية الداخلية. وقد كان على الفرقة المظلية البريطانية أن تحمي الجناح الأيسر من رقبة الجسر التي سيحتلها الحلفاء شرقي منطقة الأورن. أما الفرقتان المظليتان الأميركيتان ٨٢ و١٠١ فقد كان عليهما أن تحميا الجناح الأيمن في مناطق سانت



رومل وأركان حربه يدرسون الجبهة الجديدة الممتدة ١٥٠٠ كلم



التحصينات الألمانية على الشاطىء الفرنسي

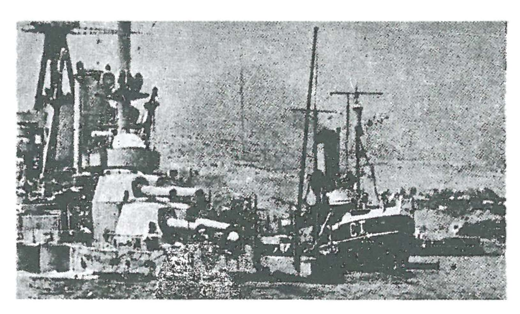
ميراكليز وكارنتان وإيريني. كما كانت مهمة هذه الفرق زرع الفوضى وتخريب طرق مواصلات العدو وضرب المواقع المحصنة التي تحمي الشواطىء.

كثيرة هي الوحدات التي هبطت بعيداً عن المواطن التي خصصت لها. أما الطائرات الشراعية فقد أصيبت بقنابل المدافع المضادة للطائرات فسقط منها عدد كبير



غزو البر الأوروبي

وهلك الجنود الذين كانوا فيها. كما أن جنوداً آخرين من جنود الحلفاء قد قتلوا بسبب اصطدامات جوية أو غرقوا في مستنقعات بعد أن أثقل الماء تجهيزاتهم التي كانوا يحملونها. يضاف إلى ذلك أن مظليين آخرين علقوا بأغصان الشجر فاصطادهم الألمان وهم معلقون في الهواء عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم. ومع ذلك فقد استطاع هؤلاء المظليون أن يؤدوا مهمتهم بنجاح لا بأس به.



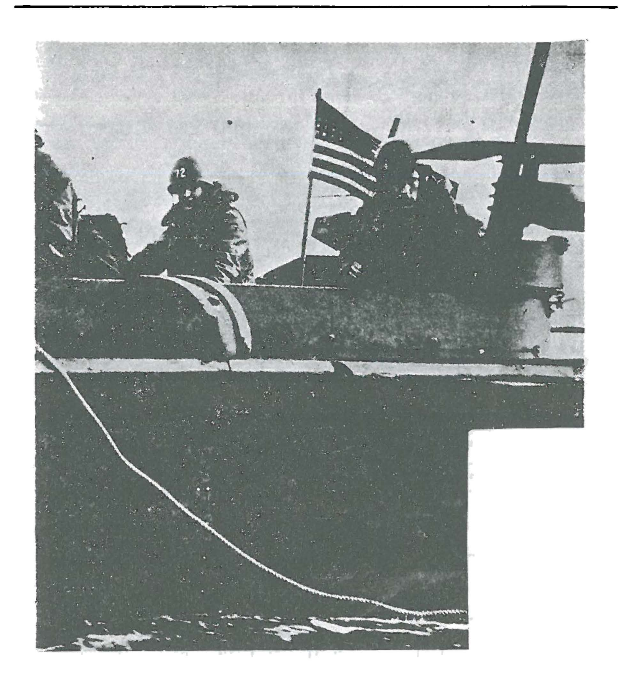
بوارج بانتظار المعركة

ضرب المواقع الألمانية

وخلال هذا الليل نفسه كانت ألفا طائرة حليفة تضرب بقنابلها المواقع الألمانية وطرق المواصلات ولم تكد تأتي ساعة الفجر حتى كانت السفن الحربية تزرع بالقنابل والصواريخ مواقع الجيوش الألمانية التي كانت تحمي الشواطىء. لم تستطع طائرة ألمانية واحدة أو غواصة من الغواصات أن تخترق الستار الحديدي الذي ضربته سفن الحلفاء الحربية وطائراتهم لحماية قوافل الجنود ولكن هذه القوافل دفعت ثمناً كبيراً بسبب ألغام روميل.

نزول الجند

وفي تمام ساعة الصفر أي الساعة السادسة والنصف أخذت أفواج الحلفاء تهبط إلى الشاطىء في مناطق خمس أطلقت عليها أسماء (أوتاه) (أوماها) (غولد) (جونو) و (سورد). الأميركيون في المنطقتين الأولى والثانية، أما الإنكليز والكنديون ففي



جنود الغزو يترقبون ساعة الصفر

المناطق الأخرى. في بعض المناطق كان الهبوط سهلاً إلى درجة تستعصي على التفسير. ولكن معارك عنيفة دامية جرت في منطقتي أوماها وجونو. وفي وسعنا أن نستعير فقرات مما كتبه كورنيليوس ريان عن هذه الحرب:

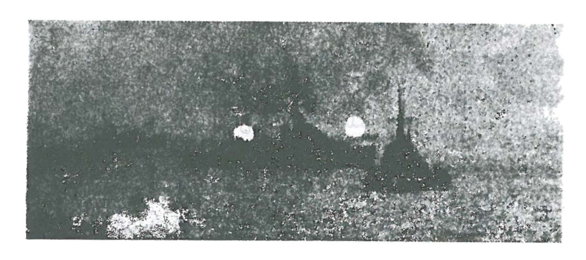
على بعد ميلين في داخل البحر كان الواصلون من الجنود يشاهدون فوق الماء الأحياء والأموات وكان الأموات يتحركون بفعل حركة الأمواج يحملهم المد إلى الشاطىء كما لو أنهم في صميم الموت يسعون إلى رفاقهم. أما الأحياء الذين كانوا يرتفعون فوق الموج ويهبطون فقد كانوا يصرخون ضارعين إلى رفاقهم أن يبادروا إلى مساعدتهم. وكان الرقيب ريجي ماك كلوسكي وقد نجا مركبه الذي يحمل الذخيرة



الساعة الخامسة صباحاً، قوات الغزو تقترب من الشاطىء الفرنسي، ولا يزال الألمان نياما

من الخطر، قد شاهد رجالاً في الماء يصرخون ويطلبون المعونة ويمدون أيديهم إلينا. ولكننا لم نكن قادرين على مساعدتهم. أما ماك كلوسكي فقد صرَّ بأسنانه وأدار رأسه إلى الخلف في الوقت الذي كان فيه مركبه يمر أمام هؤلاء البائسين ثم لم تمضِ ثوانٍ قليلة حتى غلبه القيء. أما النقيب روبرت كانينغهام ورجاله فقد شاهدوا هؤلاء الغرقى يتخبطون. فتوجه بحارة المركب بدافع غريزي نحوهم. ولكن سفينة حراسة حربية سريعة قطعت الطريق عليهم. وتردد صوت يأمرهم بواسطة مكبر للصوت قائلاً:

ـ أنتم لستم مركب إنقاذ! تقدموا! انزلوا إلى البر!

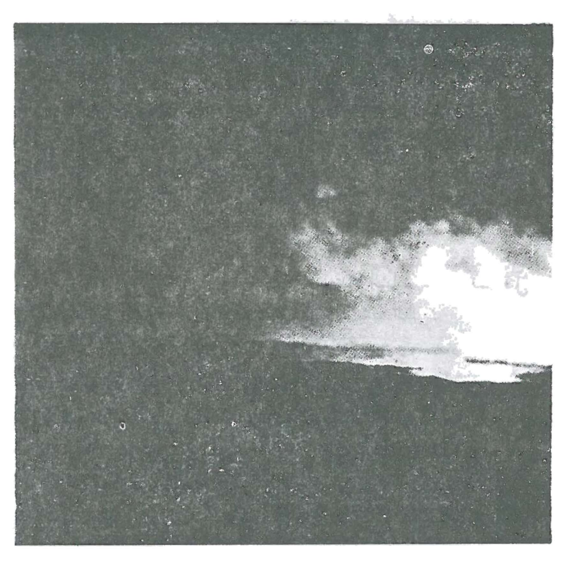


الساعة الخامسة والنصف صباحاً والشاطىء الفرنسي على بعد ٢٠ كلم من قوات الغزو

كانت هذه هي ساعة الصفر

ووضع هؤلاء الرجال المتعبون الذين لا يحسدهم أحد على موقفهم، وضعوا أقدامهم فوق شاطىء أوماها. لهؤلاء الرجـال لم يكن غير التاريخ. . . في شاطىء أوماها كان نزول حواجز المراكب الحاملة للجند إشارة بداية لنار العدو البالغة العنف. . . ونزلت الحواجز وقفز الرجال فوق مياه عميقة بمتر أو مترين ولم تكن في رؤوسهم غير فكرة واحدة: الصعود إلى اليابسة والوصول إلى الملجأ الوحيد الذي هو سفح الهضبة الصخرية الوعرة.

ولكنهم بسبب تجهيزاتهم التي يحملونها فوق ظهورهم والتي زاد ثقلها بسبب الماء وبالتالي عجزوا عن الانتقال السريع، وجدوا أنفسهم أهدافاً سهلة للرشاشات والأسلحة الخفيفة. . .



النار تشتعل في إحدى البوارج



على أهبة الهجوم

كان الرجال يتساقطون أو يتدحرجون على امتداد الشاطىء. بعضهم قتل مباشرة والبعض الآخر كان ينادي على الأطباء بصوت يمزق نياط القلوب بينما كان مد البحر يرتفع ليغرقهم دون رحمة أو شفقة.

أكثر من نصف الجنود نجوا من الموت حتى البر. أما الضباط فقد قتل بعضهم وأصيب البعض الآخر بجراح خطيرة أو اختفى، أما الجنود فقد التصقوا بسفح الهضبة الصخرية طول النهار.

كانت الآلام والكوارث تتراكم فوق رؤوس الرجال في منطقة أوماها واكتشف جنود آخرون انهم قد نزلوا في غير المواضع التي حددت لهم. كما اكتشف جنود آخرون أيضاً أنهم قد بعدوا عن مراكزهم ثلاثة كيلومترات. . . هناك سرايا أعدت لمهاجمة بعض المواقع المحددة ولكنها لم تـرها أبداً. كما أن جماعات أخرى بقيت

مسمرة معزولة فوق أرض لم تتعرف إليها وقد عزلت في الغالب عن ضباطها وعن وسائل المواصلات.

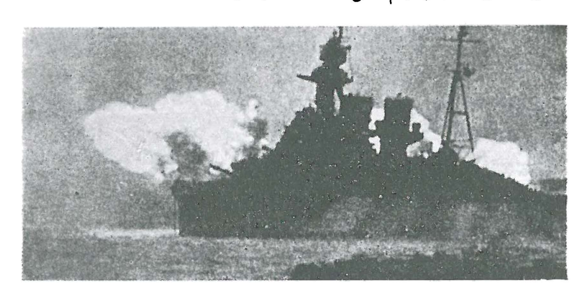
تجمعات صغيرة من الجرحى كانت تملأ الشاطىء. وقد لاحظ الجنود وهم يمرون في المنطقة أن بين الجرحى من يجلس مستقيم الظهر كما لو أنه في حمى من نيران العدو. وكان هؤلاء الجرحى يبدون هادئين وغائبين تماماً عن كل ما يدور حولهم.

ويتابع ريان كلامه فيقول:

وعندما لاحظ الرجال أن في وسعهم التقدم ذهب عنهم الخوف والعجز وحل محلهما غضب عجيب. وقد شاهد الفدائي كارل ويست والنقيب جورج ويتنغتون قائد سريته عش رشاش فيه ثلاثة جنود من الألمان. وبينما كان ويست والنقيب يدوران بحذر نظر أحد الألمان الثلاثة فجأة إلى الوراء فشاهد الجنديين الأميركيين وصرخ ولكن ويتنغتون بادر الثلاثة برصاصه فقتلوا.

أنزل الحلفاء خمس فرق هجومية بالإضافة إلى ثلاث فرق من المظليين أمام سبع فرق من المشاة الألمان بينهم فرقة من فرق الهجوم وفرقتان أخريان بين القوى الاحتياطية. والواقع أن الحظ والمناورات البارعة وأخطاء التقدير والقرارات السريعة وغيرها قد لعبت دوراً خطيراً في المعسكرين.

ولكن الحظوظ السيئة والأخطار لم تحل مع ذلك دون أن يحتل الحلفاء مناطق الشاطىء. وتقول المصادر الحليفة أن خسائر اليوم الأول بلغت ١١٠٠٠ رجل بينهم ٢٥٠٠ من الأموات وهو رقم أقل مما كان يقدره الحلفاء.

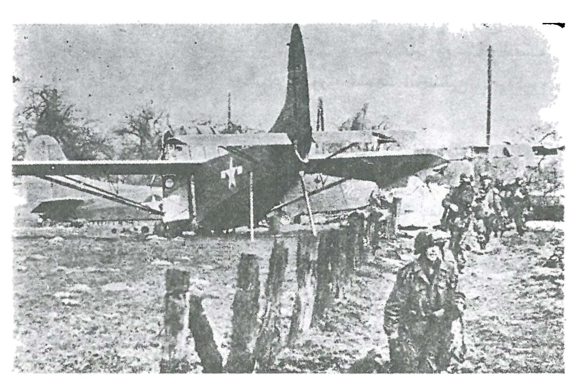


الساعة السادسة صباحاً، قوات الغزو تدخل المعركة مع القوات الألمانية

استمرار الهجوم

كل شيء بعد الهجوم الأول أصبح مرتبطاً بوصول النجدات، والملاحظ أن الغارات الجوية التي قام بها الحلفاء قد أفسدت الطرق وسكك الحديد إفساداً حال دون تمكن الألمان من استعمال طرق المواصلات هذه بالتعاون مع المقاومة الفرنسية.

أما الجنود الألمان الذين يتوجهون إلى الجبهة فقد وصلوا إليها ممزقين متعبين، ومع ذلك فقد كانوا ينقضون على الحلفاء جماعة وراء جماعة ولكن كل هذه الهجمات لم تفلح في رد الحلفاء إلى البحر.



طائرات حليفة تحطمت ولاقى طياروها حتفهم

أما الحلفاء فقد كان في وسعهم بسبب تفوقهم في الجو أن يرسلوا الإمدادات والنجدات دون توقف. وخوفاً من أن يكون الألمان قد خربوا أرصفة الموانىء البحرية وهذا شيء طبيعي فقد بادروا إلى بناء ميناءين صناعيين كل منهما بحجم ميناء دوفر ثم جروهما عبر بحر المانش. الميناء الأول كان مخصصاً للأميركيين والثاني للإنكليز يستعملونه في أرومانش.

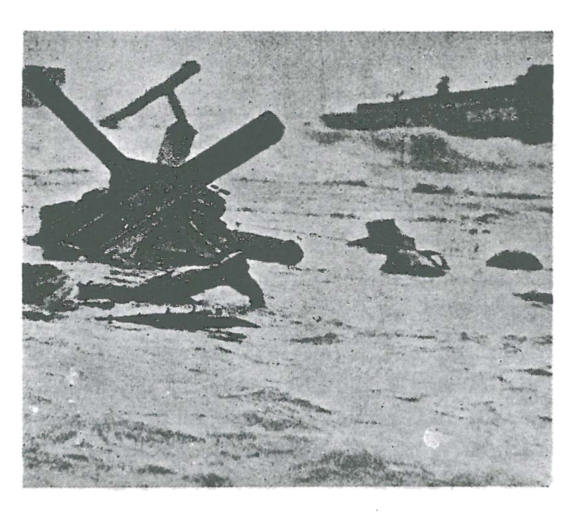
وهكذا استطاعت أفواج من الرجال والعتاد أن تنزل إلى البر بواسطة هذين الميناءين. وعندما نعلم أن الحلفاء قد أنزلوا خلال خمسة أيام ١٦ فرقة عسكرية بكل معداتها نستطيع أن ندرك أهمية هذا العمل. أما بعد شهر كامل فقد وصل إلى نورماندیا

أكثر من مليون جندي وخمسمئة ألف طن من المؤن و ١٧٠٠٠٠ سيارة. وقد شاء سوء الحظ أن تهب خلال شهر حزيران عاصفة عنيفة لم يعرف لها شبيه منذ أربعين عاماً فأغرقت عدداً من السفن وحطمت الميناء الأميركي وأنزلت أضراراً بالميناء الإنكليزي. ولكن العمليات العسكرية بقيت مستمرة. وقد أصلح ميناء أرومانش وبقي يستقبل النجدات والمؤن في طريقها إلى الجيوش الحليفة.

وقد أعرب ستالينُ عن إعجابه بهذين الميناءين اللذين اعتبرهما من أعظم المنجزات الحربية الجريئة التي عرفت في التاريخ.

ولم تمض ستة أيام حتى اتحدت قطاعات الإنزال على الشاطىء وتكوّن بهذا الاتحاد رقبة جسر طولها ١٢٠ كيلومتراً وعمقها في بعض جهاتها ثلاثون كيلومتراً. وفي تلك الأثناء استطاع فوج أميركي أن يمر عبر شبه جزيرة كوتنتان ثم بلغ في ١٧ حزيران الشاطىء الغربي في بارنافيل بحيث ان هذه الأخيرة قد عزلت بصورة نهائية.

ثم توجه فوجان آخران نحو الشمال وهدفهما مدينة شربورغ، وقد استطاعا بين ٢٦



الأمواج العاتية تقلب السفن

و ٢٧ من حزيران نفسه أن يأسرا ٣٥ ألفاً من جنود العدو. ومع ذلك فإن هذين الفوجين قد عجزا عن منع الألمان من تدمير المؤسسات المرفئية.

ولم يكد يتم تدعيم رقبة الجسر هذه حتى حاول الحلفاء أن يتجاوزوها. وقد كانت خطة مونتغمري تقضي بأن يخوض الجيش الإنكليزي معركته الحاسمة عند الجناح الأيسر حول «كان» حيث توجد أكبر تجمعات للجيش الألماني، بينما ينطلق الأميركيون في حملتهم عند الجناح الأيمن. ولكن الأوضاع الجغرافية لنورماندیا لم تشجـع على القيام بمثل هذا الهجوم رغم تفوق الحلفاء في الطائرات والمدرعات وأرغم الفريقان على خوض معركتهما بالسلاح الأبيض تقريباً أو بالبنادق والرشاشات.

أسلحة الانتقام

كان هتلر قد وكل إلى رانستد مهمة إلقاء الحلفاء في البحر في اليوم الأول من أيام الهجوم. وحدد له نصف الليل ميعاداً لتحقيق هذه الخطة. وعندما فشل رانستد أمر هتلر قواته المسلحة بالوقوف حيث هي فلا تتراجع خطوة واحدة. كما أعلن في الوقت نفسه ملكيته لأسلحة جديدة رهيبة سيربح بها الحرب وسيدفع الحلفاء بأسلحة الانتقام هذه ثمناً كبيراً للغارات الجوية التي قاموا بها فوق المدن الألمانية.

والواقع أن رجال الاستخبارات الحليفة ودورياتهم الاستطلاعية الجوية قد أسرفوا في نقل الأنباء حول القنابل الطائرة. وقد وضعت هذه القنابل فوق قاعدة لها في جزيرة من جزر بحر البلطيق «بينحند». وقد تعرضت هذه الجزيرة كما تعرضت قواعد أخرى لهذه القنابل الطائرة، لغارات جوية عنيفة. ومع ذلك فقد استقبلت مدينة لندن بعد أسبوع واحد من بداية الغزو الحليف أول قنبلة طائرة.

هذه القنبلة أطلق عليها الألمان اسم «ف ١». أما اللندنيون فقد أطلقوا عليها اسم «القنبلة الشاخرة».

والواقع أن هذه القنبلة كانت عبارة عن طائرة نفاثة لا قائد لها في مقدمتها مجموعة من المتفجرات وزنها ألف كيلوغـرام. كانت تطير على ارتفاع ألف متر بسرعة ٦٠٠ كيلومتر في السـاعة أقصى هدف لها على بعد ٤٠٠ كيلومتر. وهي تستطيع بلوغ أهداف واسعة كمدينة لندن. وأطلق الألمان مئة منها في كل يوم خلال أشهر الصيف الثلاثة. وصل منها إلى العاصمة الإنكليزية ٢٤٠٠. وقتل بسببها ٨٤١٦ شخصاً وجرح ١٧٩٨١ وأحدثت خسائر كبيرة ولكنها لم تستطع أن تحطم معنويات الشعب الإنكليزي.

وفي بداية أيلول أطلق النازيون القنبلة «ف ٢». وقد كانت أسرع من الصوت تحمل في مقدمتها طناً واحداً من المتفجرات وترتفع إلى علو ٧٥ كيلومتراً وتطير بسرعة ٦ آلاف كيلومتر. القنبلة الأولى يمكن أن ترى بالعين المجردة. ويمكن أن تعترضها الطائرات المطاردة أو أي جهاز دفاعي آخر. أما القنبلة الثانية فلم يكن عند الحلفاء أي سلاح دفاعي يعترض سبيلها. والوسيلة الوحيدة للقضاء عليها هي في الاستيلاء على قواعدها. وقد استطاعت هذه القنابل، التي بلغ عددها ١٣٠٠ والتي سقط منها في لندن ٥٠٠، أن تقتل ٢٧٢٤ شخصاً وتجرح ٦٤٦٧ شخصاً آخر. وهكذا بلغ عدد ضحايا القنبلتين ف ١ و ف ٢ (٣٥ ألفاً). وعندما أطلق النازيون هذه القنابل نفسها فوق أنفرس وبروكسل ولياج بعد احتلال الحلفاء لها أحدثوا عدداً كبيراً من القتلى والجرحى.

مؤامرة ٢٠ تموز

وفي ألمانيا رجال يملكون أسلحة انتقامية. ولكن هذه الأسلحة وجهت ضد هتلر. هؤلاء الرجال هم فئات من الوزراء القدماء والموظفين والاشتراكيين الديمقراطيين، والمثقفين، والشخصيات الدينية إلخ... كل الأجنحة السياسية كانت ممثلة في هؤلاء الرجال المعارضين ابتداء بالمحافظين منهم حتى الراديكاليين. لقد كانوا يعارضون هتلر لأسباب كثيرة، منهم من كانت معارضته لأسباب اعتقادية ووطنية ومنهم لأسباب انتهازية أو تافهة. ولكن الفئة الكبرى من هؤلاء المعارضين كانت تنتسب إلى طبقة ضباط الجيش وأركان حربه. لقد أدرك بعض هؤلاء الضباط منذ انتصار النازية بأن الجيش لن يكون أكثر من أداة في خدمة هتلر. وقد ساروا وراءه في أيام النصر. ولكنهم لم يكادوا يشعرون باقتراب الكارثة حتى بدأوا يتآمرون عليه. وقد كانوا يظنون أن في وسعهم إيقاف هذه الحرب بعد القضاء على هتلر والزعماء النازيين الآخرين. ثم الدخول في مفاوضات صلح مع الحلفاء قبل أن يخسروا كل شيء.

من الذين كانوا يشرفون على المؤامرة اللواء لودفيك بك رئيس أركان حرب قديم وكارل جوردلر محافظ سابق لمدينة ليبزيغ. الرجل الذي اختير لقتل هتلر هو الزعيم الشاب كلوس فون شوفنبرغ، أحد أحفاد ألمع العائلات الألمانية العسكرية، وقد فقد في حرب إفريقيا إحدى ذراعيه وثلاث أصابع من اليد الأخرى وأصيب في إحدى عينيه؛ وكان من الأشخاص النادرين الذين يستطيعون الاقتراب من هتلر بحكم مهماتهم اليومية.

مرتان تراجع هذا الضابط عن قتل هتلر بسبب غياب غورنغ وهملر لأن المتآمرين كانوا يريدون التخلص من هؤلاء الثلاثة مرة واحدة.

وقام شوفنبرغ بمحاولته الثالثة خلال مؤتمر عقد في مقر هتلر في ٢٠ تموز. فوضع قنبلة عند قدمي هتلر تحت المنضدة وداخل حقيبة صغيرة. وقد شاهدها ضابط آخر فأبعدها عن هتلر ثم وضعها عند قائمة من قوائم منضدة المؤتمر. هذه القائمة والمنضدة الثقيلة أنقذتا هتلر من الموت. يضاف إلى ذلك أن المؤتمر قد عقد في بناء خشبي بسبب حرارة الجو فخفف ضغط الانفجار.

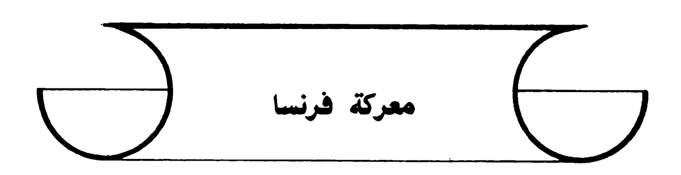
وقد قتل على الأقل أربعة ضباط وجرح عشرون، أما هتلر فقد أصيب بجراح خفيفة.

على أنه لم يتماثل من عنف الصدمة بعد ذلك أبداً.

ومنذ ذلك الوقت أصبح هتلر يعتقد أنه موفد العناية الآلهية لإنقاذ ألمانيا. وقد بلغ من إعجابه بنفسه وإشفاقه عليها أنه بات يعتقد بأن ألمانيا ليست جديرة به.

ولم يطل الأمر بهتلر فقد سحق المؤامرة والمتآمرين. وقام بعملية تصفية واسعة بلغت درجة بعيدة من القسوة الدامية.

ويقدر العارفون بأن عدد الذين أعدموا بسبب هذه المؤامرة قد بلغ ٤٥٠٠ شخص. ويقرر آلان دالس أن ألوفاً من الرجال لوحقوا واعتقلوا وعذبوا لكي يبقى «ريخ الألف عام» ٢٩٠ يوماً آخر.



معركة فرنسا

قرر رانستد ورومل خلال مؤتمر عقده هتلر في مارجيفال بعد أسبوعين من بداية الغزو أن على الجيش السابع أن يتراجع إلى نهر السين، حيث يستطيع مع الجيش الخامس عشر أن يقاتل بصورة أكثر فعالية. ولكن هتلر منعهما من مغادرة متر واحد من نورماندیا. وعندما سقطت قنبلة طائرة من نوع «ف ١» خطأ بالقرب من المكان الذي انعقد فيه المؤتمر عاد هتلر إلى برشتسغادن بدلاً من القيام بدورة تفتيشية في الجبهة كما كان مقرراً من قبل. ثم أعلن هتلر بعد مؤتمر آخر أن سلاحاً جديداً سينزل إلى الميدان فيقلب الوضع العسكري. ولكنه أصر على تنفيذ أمره بعدم الانسحاب من نورمانديا. وعندما سأل الماريشـال ولهلم كيتل زميله فون رانستد عما يجب أن يفعله، أردف هذا الأخير قائلاً: «ابحثوا عن السلام أيها البله! وماذا عساكم تصنعون غير ذلك!؟» وفي اليوم التالي اعتقل رانستد وعين مكانه في الثالث من تموز الماريشال فون كلوج.

في ١٧ تموز أطلقت مطاردة حليفة نار رشاشاتها على سيارة رومل فأصيب بكسر في جمجمته. وهكذا خرج من مسرح القتال أقدم قائدين عسكريين ألمانيين في نورمانديا وحل محلهما فون كلوج. واتهم رومل من قبل أحد زملائه بالاشتراك في مؤامرة ٢٠ تموز بعد ذلك. وعندما شفي من جراحه في تشرين الأول وضع «ثعلب الصحراء» أمام أحد أمرين: أن يحول إلى محكمة الشعب أو أن ينتحر مسموماً. واختار الحل الثاني ليجنب أفراد عائلته وأركان حربه انتقام هتلر. وأعلن هذا الأخير أن رومل قد توفي متأثراً بجراحه.

وفي أثناء ذلك لم تقف الجيوش الأميركية مكتوفة الأيدي. لقد اتجهت من شربورغ نحو الجنوب وحاولت أن تخرج من رقبة الجسر بصورة نهائية. وكان خط الدفاع الألماني مستنداً إلى «كان» ليقاوم البريطانيين وإلى سان لو لإيقاف الأميركيين. وقد دارت معارك عنيفة خلال شهر تموز حول هذين المرتكزين. أما فيما وراء «كان» فقد امتدت مساحة من الأرض صالحة لحرب الدبابات، كما تقوم بعدها مدينة روان ومن وراء هذه الأخيرة تقوم مدينة باريس.

على أن أية ثغرة تحدث في هذه المنطقة قادرة على عزل الجيش السابع عن



انتهت معركة الشواطىء وبدأت معركة نورمانديا

الجيش الخامس عشر. ولذلك عزز الألمان مواقعهم حول «كان» بعدد كبير من الدبابات. وحاولت القوات الأميركية أن تستولي على سان لو في صراع عنيف خسرت فيه خلال ١٢ يوماً ما لا يقل عن عشرة آلاف رجل. وبما أن تلك الأرض كانت مغطاة بالأشجار والنباتات الكثيفة الشائكة فقد بدا لرقيب أميركي «كورتيس كولن» أن يتخيل أداة لاقتحام هذه النباتات وهي عبارة عن شفرتين كبيرتين موضوعتين عند مقدمة الدبابة على هيئة مقص. وقد استطاع الحلفاء أن يفتحوا بها طريقهم وانتهت بذلك متاعب الحرب في تلك البقعة.

ومن سخرية القدر أن هذه الشفرات قد أخذت من حديد الزوايا التي نصبها روميل فوق شواطىء نورماندیا لتكون بمثابة الحواجز المانعة للعدو. واستولى الأميركيون على سان لو وهم يسيرون وراء هذه الدبابات الحاملة للشفرات. وتم الاستيلاء في ٢٥ تموز. بينما استولى البريطانيون على «كان» في التاسع عشر من الشهر نفسه بعد معارك طاحنة قاسية.

وقد استعملت قاذفات القنابل الثقيلة لأول مرة لتفجير الحواجز في كان وسان لو بالتعاون مع الجيوش البرية. لقد اجتاحت هذه القاذفات المدينتين بقنابلها المدمرة وتراكمت بسبب ذلك أكوام الخرائب التي حالت بدورها دون تحرك الدبابات والسيارات المدرعة الألمانية حتى ان كثيراً منها قد سقط في الخطوط الحليفة وأحدثت فيها خسائر هامة. وبين الضحايا اللواء «لسلي ماك نير» قائد القوات البرية الأميركية الذي كان يراقب المعركة في موقع متقدم.

وقد استطاعت قوات الجيش الثالث الذي يقوده الجنرال باتون، تساندها الطائرات المطاردة، وأفواج الدبابات، والسيارات المسلحة، والمدافع المتحركة، أن تخترق افرانش في نهاية تموز وأن تتوجه نحو بريتانيا وسهول فرنسا الوسطى. وتابعت تقدمها إلى الجنوب بعد ذلك بأسبوع واحد فاستولت على «رين» ثم «نانت» قاطعة منطقة بريتانيا إلى قسمين. وهناك أفواج أخرى من قوات الجيش الثالث بلغت أطراف شبه الجزيرة بعد ذلك بخمسة أيام بفضل المساندة التي قدمتها المقاومة الفرنسية؛ وهكذا حصر الألمان في موانىء بريتانيا الثلاث: لوريان، سان نازير، وبرست.

والواقع أن هذه الموانىء لم تعد صالحة لإيواء الغواصات ولكن الحلفاء كانوا يرغبون في استعمالها كموانىء لاستقبال المؤن. وبدلاً من أن يحتلها الجنرال برادلي فقد اكتفى بمحاصرتها بقوات تغطية خفيفة ثم وجه باتون نحو الشرق.

واستدار الجيش الثالث واتجه نحو الشرق. فتجاوز لافال ثم مشى نحو مانس حيث استولى على هذا المركز الهام للمواصلات الحديدية. أما الجيش الأميركي الأول بقيادة كورثني هودجز فقد سار نحو «فير» و«مورتان» بينما أطلق الجيش البريطاني الثاني بقيادة مايلز ومبسي والجيش الكندي الأول بقيادة د. كريرر نحو «فاليز» باتجاه جنوب شرقي كان. وأصبح الألمان بسبب ذلك أمام خطر الحصار. وبدلاً من أن ينسحب كلوج نحو نهر السين فقد قام بهجوم معاكس بأمر صادر من هتلر فأطلق ست فرق مدرعة في السابع من



أيزنهاور يطمئن ديغول
بقرب دخولهم فرنسا

آب عبر ممر افرانش الضيق. ولو استطاع أن يفتح طريقاً له حتى البحر لنجا جناحه الأيسر وهو المهدد بالخطر ولأصبح جيش باتون الثالث مقسوماً إلى عدة أقسام. وبعد أربعة أيام استطاع الجيش الأول، تسانده مدفعية كثيفة وقاذفات مطاردة مكلفة بضرب مواصلات العدو أن يرد الصفوف الأولى لمدرعات كلوج بينما كانت هذه المدرعات قد بلغت أهدافها تقريباً. وقد أسهمت القاذفات المطاردة :نيفون وثندر بولت في ضرب المدرعات الألمانية إسهاماً واسع النطاق.

وبينما كان كلوج يقوم بهجومه المعاكس كان باتون يستولي بجيشه الثالث على مانس. وانقض بعد ذلك على أرجانتان، عبر الانسون ليخترق الجناح الأيسر لجيش الماريشال كلوج. أما البريطانيون والكنديون فقد استطاعوا أن يلجئوا الجيش السابع إلى

أرض غير نافذة وفي نتوء مثلث رأسه في مورتان وقاعدته خط فـاليز أرجانتان. وكانت هذه المنطقة هي الطريق الوحيدة التي يستطيع كلوج أن ينسحب بها إلى الوراء. وقد حاول هذا الأخير يائساً أن ينجو بقواته قبل أن يتم حصار الحلفاء له، ولكن الحلفاء استطاعوا أن يتموا حصارهم بين ١٦ و٢١ آب. ومع ذلك فقد استطاع ثلث الجيش السابع أن يتخلص من الحصار ولكن أكثر المدافع والدبابات والسيارات تركت حيث كانت. وتحول التراجع إلى هزيمة فلاذت وحدات ألمانية بالفرار في الجبهة الأخرى من نهر السين بعد أن شاعت الفوضى في صفوفها.

لقد كانت معارك نورمانديا وفرنسا كوارث حقيقية بالنسبة للألمان لقد فقدوا منذ بداية الغزو ٤٥٠ ألف رجل منهم ٢٤٠ ألف قتيل وجريح و ٢١٠ آلاف أسير.

وبينما كان الألمان على شفير الهاوية في جيب فاليز تابعت قوات الجيش الأميركي الثالث تقدمها نحو أورليانز وشارتر ثم بلغت نهر السين حول باريس، ونانت في الشمال الغربي ومولان في الجنوب الشرقي. والواقع أن الحلفاء لم يكونوا يقصدون مهاجمة باريس.

لقد كانت خطتهم تقضي باستئصال القوات الألمانية في المناطق الريفية. ولكن القوات الفرنسية الداخلية في باريس رأت غير ذلك. فخاضت معركتها ضد الألمان في ١٩ آب رغم أن كلوج قد أعلن باريس مدينة مفتوحة. ورد الألمان وسارع الجنرال أيزنهاور إلى إرسـال الفرقة المدرعة الفرنسية الثانية بقيادة الجنرال لوكلير والفرقة الأميركية الرابعة لمساعدة قوات المقاومة. وفي ٢٥ آب تحررت باريس. واستقبل الباريسيون جنود الحلفاء بعد أربع سنوات من الاحتلال النازي، بالفرح والدموع والأزهار والألعاب النارية والشامبانيا. ووصل ديغول في اليوم التالي حيث أعلن فيها الحكومة الموقتة.



أول خطاب عام
يلقيه ديغول في فرنسا



الألمان يستسلمون للقوات الحليفة



أوتيل ماجستيك في باريس كان المقر العام لهؤلاء الضباط الألمان وبات الآن سجنهم

غزو جنوب فرنسا

حاول تشرشل بعد أن أصبح انتصار الحلفاء في نورماندیا قضية مسلمة، أن يقنع كلاً من الرئيس روزفلت والجنرال مارشال بإلغاء خطط إنزال الجنود في جنوب فرنسا، وهي الخطط التي تعارف العسكريون على اطلاق اسم أنفيل عليها.

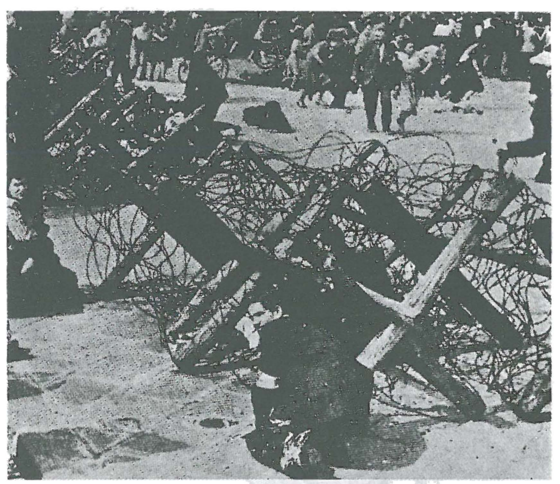
إن تشرشل حين طلب هذا الالغاء، إنما كان يفكر في نهاية الحرب؛ والذي بدأ يشغله آنذاك هو الجانب السياسي من المعركة. لقد بدأ يفكر في مستقبل أوروبا السياسي. وبالتالي كان يتمنى أن ينطلق الحلفاء عبر الأدرياتيك حتى شبه جزيرة إيستري ثم النفاذ بعد ذلك إلى كل من النمسا وهنغاريا ومن بعد إلى الجنوب الشرقي في يوغوسلافيا.



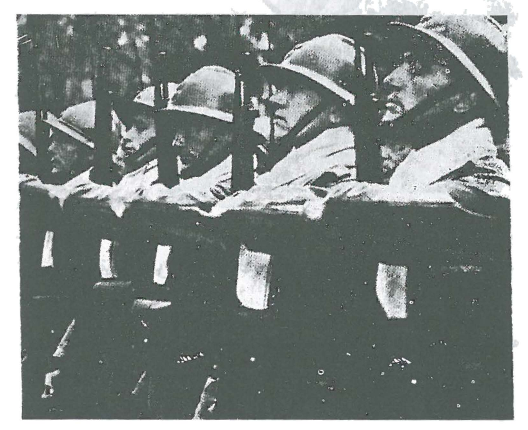
المدافع المضادة للطائرات الأميركية تتخذ مركزها في ساحات باريس

لقد كان يتحدث باستمرار عما يسميه الطغيان السوفياتي؛ ويقول: إذا كانت بريطانيا قد دخلت الحرب للقضاء على الطغيان النازي في أوروبا الوسطى فما ذلك من أجل أن يأتي مكانه طغيان سوفياتي.

أما روزفلت فقد كان يميل إلى تمتين علاقته بستالين الذي عارض نزول الحلفاء في جنوب شرقي أوروبا خلال مؤتمر طهران. يضاف إلى ذلك أن عام ١٩٤٤ كان عام الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة. ولو أن الحلفاء واجهوا صعوبات في معركة نورماندیا لكان ذلك في نظر روزفلت نكسة سياسية في انتخابات تشرين الثاني الذي كان



ساحة الكونكورد في باريس يوم تحريرها



جنود فرنسا الحرة

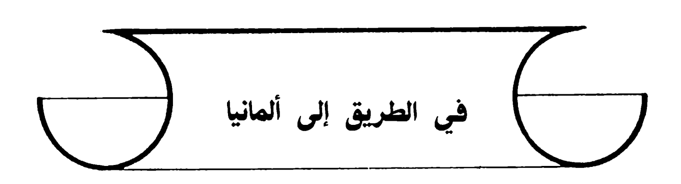


بدأت وفود الأسرى الألمان تساق إلى إنكلترا

يقترب آنذاك. أما أيزنهاور فقد كان، من جانبه، يشكو من أن فرقاً أميركية كانت محجوزة في الولايات المتحدة بسبب عدم وجود المرافىء القادرة على استقبال الجنود في فرنسا.

وانتصرت وجهة النظر الأميركية فجرت عمليات إنزال ابتداء من ١٥ آب لقوات الجيش السابع الذي يقوده الجنرال ألكسندر باتش. وقد تم النزول فوق رقبة جسر طولها ٢٣ كيلومتراً في جنوب غربي كان. خمسون ألفاً من جنود المقاومة الفرنسية بقيادة الجنرال كوينغ جاؤوا للنجدة، مما ساعد على تسهيل العمليات العسكرية. فكانت المقاومة التي أبدتها الفرق العشر الألمانية التي يقودها الجنرال بلاسكوويتس، مقاومة ضئيلة أمام الفرق الأميركية الثلاث والفرق الفرنسية السبع التي كان يقودها الجنرال دولاتر دوتاسيني. واستطاع الجيش السابع أن يصعد وادي الرون بقليل من الخسائر. وسقطت مارسيليا وطولون بعد أسبوعين. وفي ٣ أيلول دخلت قوات الحلفاء إلى ليون، وفي ٥ منه دخلت إلى بيزانسون، وفي ٧ إلى ديجون، وفي ١١ إلى سومبرنون، بين ديجون وبلفورت حيث تمت الاتصالات مع الجناح الأيمن لجيش باتون الثالث.

ولكن بلاسكوويتس استطاع أن يتجنب الحصار، لكن الأميركيين والفرنسيين معاً أسروا ٨٠ ألف جندي وضابط ألماني وحرروا الجنوب الفرنسي كله باستثناء موانىء خليج غاسكوني.



في الطريق إلى ألمانيا

لم تكن باريس غير مرحلة بالنسبة للحلفاء. ففي أواسط ايلول انقض باتش ولوكلير على ثغرة مولهاوس ـ بلفورت. أما الجيش الثالث «باتون» فقد وصل إلى الموزل في اتجاه حوض السار على جبهة عريضة ثم اجتازه بين متز ونانسي؛ أما الجيش الأول لهودجز فقد انتشر في منطقة الأردين، محرراً لوكسمبورغ، ثم اخترق خط سيغفريد في قطاعين اثنين، مهدداً المدن الألمانية في أكس ـ لا ـ شابال وتريف. وكانت الثغرة التي أحدثها البريطانيون في الجناح الألماني الأيسر على قدر أهمية الثغرة التي أحدثها الجنرال باتون الأميركي في الجناح الأيمن عند أرفانش.

لقد استطاعت الدبابات الانكليزية أن تنطلق في هجومها بحيث انها استطاعت أن تجتاز مسافة ٣٨٠ كيلومتراً خلال ستة أيام. لقد اجتازت السين ثم استولت على روان في ٣٠ آب، وفي اليوم التالي سقطت أميان، ثم دياب في اليوم الذي يليه وقد ثأر فيه الكنديون للفشل الذي أصابهم في آب من عام ١٩٤٢، وسقطت بروكسل في ٣ أيلول وانفرس في ٤ منه. وكانت سرعة التقدم الحليف وتدخل المقاومة البلجيكية بصورة ناجحة قد منعا الألمان من تخريب المؤسسات المرفأية.

ولم تمر ثلاثة أشهر تقريباً بعد بداية الغزو حتى كان الحلفاء يحتلون جبهة لا جيوب فيها، ابتداء من أوستاند حتى الحدود السويسرية، ويشرفون على مرفأ أوروبا الثاني بكل مؤسساته التي لم تصب بسوء. على أن الألمان بقوا يشرفون على المنطقة التي تصل انفرس بالبحر على امتداد مصب نهر الايسكو.

وبعد نزول الهزيمة أحل هتلر الماريشال ولتر مودل محل كلوج. وقد انتحر الماريشال المعزول بالسم بعد أن كتب إلى هتلر رسالة يطلب إليه فيها التوقف عن متابعة حربه اليائسة في الغرب. ولكن مودل لم يستمر أكثر من ثلاثة أسابيع رغم أن هتلر قد أذن له بالانسحاب إلى خط سيغفريد. وجاء رانستد الذي استعاد اعتباره للمرة الثالثة. وقد حاول أن يجمع شتات الجيش الألماني في قوة منسجمة وأن يقيم جبهة جديدة تمتد عبر الحدود الهولندية، وعلى امتداد الحدود الألمانية بين أكس ـ لا شابال وبين تريف، ثم



الطائرة الحليفة تمطر المدن الألمانية بالقنابل

على امتداد الموزل عبر الفوج. وراح رانستد يضم فرقاً من الحرس الوطني وجنود الطيران والبحرية إلى القوات البرية. كما بادر في الوقت نفسه إلى تدعيم خط سيغفريد الذي اصيب بضربات عنيفة جداً.

كانت ألمانيا على شفير الهاوية. لقد فقدت بين حزيران وأيلول مليوني جندي بين قتلى وجرحى وأسرى. في الجبهة الغربية وحدها فقدوا نصف مليون من الجنود. كما فقد الحلفاء نصف هذا العدد تقريباً بين قتيل وجريح وأسير أي ٢٣٥ ألفاً، يضاف إلى ذلك أن مئتي ألف جندي ألماني قد جمدوا في موانىء مطلة على بحر المانش أو المحيط الأطلنطي.

وقد ارغم الألمان على ترك كميات كبيرة من تجهيزاتهم العسكرية، في فرنسا وفي الجبهة الروسية. وقد اصيبت مصانعهم التي تنتج البترول الصناعي عندهم اصابات

شديدة منعتهم من أن يستعملوا كل طائراتهم ودباباتههم مرة واحدة في أية معركة من المعارك.

وما دام أن الألمان قادرون على الصمود في المرافىء المحاصرة فقد كان على الحلفاء أن يستمروا في التموين بواسطة المرفأ الصناعي «قلبري» حتى شواطىء أرومانش أو عبر مرفأ شربورغ. كما أن الغارات الجوية الحليفة قد احدثت من التخريبات في المواصلات الحديدية الفرنسية ما أرغم الانكليز والأميركيين على استعمال سيارات الشحن لنقل المؤن والذخائر بين الشواطىء والخطوط الحربية الأولى. وبما أن في أوروبا مليوني جندي حليف، وبما أن كل فرقة من الفرق الستّ والثلاثين بحاجة إلى مؤونة يومية تتراوح بين ٦٠٠ و٧٠٠ طن، فقد وجب على القوات الحليفة أن تنقل يومياً عبر الجبهة ما



الجثث باتت تهدد بانتشار الأوبئة

زنته عشرون ألف طن. المعضلة الأساسية هي معضلة الوقود التي تحتاج المدرعات إليه. وقد مد أنبوب تحت البحر بين بريطانيا وفرنسا لجر الوقود ثم تنقله سيارات خاصة حتى الجبهة في طرق ذات اتجاه واحد وبسرعة هائلة وهي طرق كانت تفتح وراء القوات المتقدمة. على أن القوات الحليفة قد اضطرت للتوقف عند الحدود الألمانية بسبب صعوبات التموين التي طالت خطوطها.

في ذلك الوقت طالب مونتغمري بوضع الأربعين فرقة حليفة تحت قيادته الوحيدة ليتسنى له القيام بحملة واسعة على المانيا قبل أن يدخل فصل الشتاء بحيث يخترق خط سيغفريد ويبلغ ما وراء الرين الأسفل، وهو سهل ألمانيا الشمالية. وفي ضوء هذا المخطط تتوقف عمليات التموين في كل القطاعات الأخرى حتى تتحقق أهداف هذه الحملة. وظهر حل آخر بمنح باتون قيادة الأربعين فرقة وإمكانيات التموين كلها بحيث يجتاح السار ويقسم ألمانيا إلى قسمين. وكان مونتغمري يفضل الغارة على الشمال لأن في وسع الدبابات هناك أن تناور بسهولة فائقة أولاً بسبب طبيعة الأرض ولأن البحر يحمي جناحها الأيسر، بالاضافة إلى قدرتها على احتلال قواعد القنابل الطائرة ف ١، وف ٢، وهي ما تزال في حوزة الألمان. ويقدر مونتعمري أخيراً بأن الرور وبرلين أهم جداً من الناحيتين السياسية والاقتصادية وأعظم خطراً من المنطقة التي تقع في متناول الجنرال باتون.

الخطة كانت جريئة ولكن ايزنهاور لم يكن واثقاً من قدرته على التموين المستمر من ناحية كما لم يكن يشارك مونتغمري في رأيه بقرب انهيار الجيش الألماني. يضاف إلى ذلك أن الجنرالين، برادلي وباتون كانا يمارسان ضغطاً شديداً على ايزنهاور بسبب رغبتهما في متابعة الهجوم في الجناح الأيمن. وقد كان على جيش هودجز أن يصبح تحت قيادة مونتغمري لو تمت الموافقة على خطة هذا الأخير؛ ولكن انتقال القيادة اليه يتنافى مع الاتفاق الذي تم مسبقاً والذي يقرر أن قيادة الجيوش الأميركية يجب أن تبقى أميركية إلى النهاية.

وأمام هذه الحالة بادر ايزنهاور إلى قطع التفاحة قطعتين. فقرر أن يكون الهجوم على جبهة واسعة؛ وفيه نسبة من الخطر أقل، وأن يكون التموين مناصفة بين مونتغمري وباتون. ووافق على أن يقوم مونتغمري بارسال مظليين وراء الرين الأسفل في ارنهام وهي عملية لا تخلو من الخطر.

وفي ١٧ ايلول تمت هذه العملية التي كانت الغاية منها اجتياز خط سيغفريد في جانبه الشمالي وقسم هولندا إلى قسمين مما عزل قواعد القنابل «ف ٢» وجيشاً ألمانياً مؤلفاً من ٥٣ ألف جندي غربي البلاد. وهبط الجنود المظليون للفرقة البريطانية الأولى ثم جنود



على الشاطىء الأيمن لنهر الرين، جنود المظلات يهبطون بسلام

الفرقتين الأميركيتين ٨٢، ١٠١ من الشمال إلى الجنوب؛ وكانت مهمتهم احتلال الجسور الاستراتيجية في ارنهام عند الرين الأسفل، وفي نيماغ عند الوول وفي غراف عند الموز ثم فتح ممر طويل بين الحدود الألمانية ونيماغ. وفي الوقت نفسه انطلقت ثلاث فرق من الجيش البريطاني الثاني من ضفة قناة «موز ـ ايسكو» الشمالية نحو الشمال ليتم اتصالها بالقوى المظلية الهابطة في المواقع المذكورة أعلاه. ارنهام توجد على بعد ١٠٠ كيلومتر وكان على هذه الفرق أن تجتاز المسافة في ثلاثة أيام.

منذ البداية كان سوء الحظ يرافق العملية. فبدلاً من أن يتم انزال المظليين مرة واحدة لمواجهة الألمان بقوات كبيرة امتد الانزال ثلاثة أيام بسبب ندرة الطائرات نسبياً. ثم تدخلت الأحوال الجوية السيئة فحالت دون وصول النجدات والمؤن في الوقت المعين. واكتشف الألمان بفعل المصادفة خطة الحلفاء في طائرة شراعية أسقطوها لهم فعرفوا قوة

الحلفاء وأغراضهم؛ مما سمح لهم بالقيام بهجوم معاكس في الوقت المناسب والمكان المناسب. وفي الوقت نفسه كانت مكاتب استعلامات الحلفاء تجهل أن جيش المدرعات الألماني الثاني «اس. اس» يتجمع في قطاع ارنهام. وقد قذف بهذا الجيش المدرب إلى المعركة. وزاد في الطين بلة أن الفرقة البريطانية الأولى للمظليين قد نزل جنودها بعيداً عن ارنهام ولم يستطيعوا بلوغها بعد ذلك أبداً.

ورغم أن المواقع الأخرى قد احتلتها القوى المظلية الأميركية والفرق البريطانية تساعدها المقاومة الهولندية فإن الممر الذي فتح لم يستطع الصمود أمام الهجمات الألمانية الجانبية، يضاف إلى ذلك أن القوى البرية لم تستطع اجتياز المسافة إلى ارنهام بالسرعة المطلوبة. وهكذا حاصر الألمان قوى المظليين في منطقة طولها ١٤ كيلومتراً وعرضها ٨ كيلومترات ثم جزّأوها اجزاء متعددة. أما الجهود التي بذلها الحلفاء لانقاذ المحاصرين من مظلييهم بالمؤن والنجدات فقد فشلت في تحقيق أغراضها أيضاً. . أما فيما يتعلق بالقوات البريطانية البرية فلم تحتل بسبب المقاومة النازية الضفة الجنوبية لنهر الرين من الجهة الأخرى لمدينة ارنهام. لقد كان بينها وبين المدينة بعض الكيلومترات وحسب. وبعد قتال دام عنيف استمر ٩ ليال و٩ نهارات أمر مونتغمري فرقته الأولى بالانسحاب. واجتاز جنود الفرقة مياه النهر وعادوا إلى خطوط الحلفاء ولم يبق من العشرة آلاف جندي غير ٢٤٠٠ فقط.

وهنا قرر الحلفاء اعداد المرافىء التي يملكونها لاستقبال المؤن والذخيرة بعد أن فشلوا في الاستيلاء على خط سيغفريد بهجوم جانبي. في أيلول استولى الجيش الكندي على ثلاث موانىء عند بحر المانش: الهافر، بولوني، وكاليه. بينما استولى الجيش التاسع الأميركي بقيادة وليام سمبسون على ميناء برست في ٢٠ أيلول وأسر ٣٧ ألف جندي الماني بعد هجمات استمرت ستة أسابيع. ولكن الهدف الأساسي كان في احتلال انفرس التي يحول قربها من الجبهة دون أن يستعمل الحلفاء ميناءها البحري. وكانت معركة قاسية تلك التي خاضها الحلفاء لاخراج الألمان من برسكنس وبيفيلند وجزيرة وولشترين.

وبفضل المساندة التي قدمتها مدافع الحلفاء البحرية وطائرات القوات الجوية الانكليزية استطاع الكنديون والفدائيون الانكليز أن يحرروا مصب نهر الايسكو. وانتهت هذه العمليات في ٩ تشرين الثاني. ودفع الكنديون ثمنها غالياً. فقد تركوا في ميدان القتال ٢٧٦٣٣ جندياً مقابل ١٢٥٠٠ أسير الماني. وقد أنزلت احمال أول قافلة بحرية حليفة في

مرفأ انفرس في ٢٨ تشرين الثاني نفسه، بعد أن رفعت الألغام البحرية على امتداد مئة متر من مصب النهر.

هكذا استطاع الحلفاء أن يجمعوا كميات هائلة من الاحتياطي بعد أن أصبحت كل هذه المرافىء تحت تصرفهم فأصلحوا الجسور والطرق البرية والحديدية الفرنسية. ثم استفادوا من جيش اضافي هو الجيش الأميركي التاسع بعد سقوط برست، فامتدت الجبهة التي يحتلونها من الحدود السويسرية إلى شاطىء البحر: وتوازت على الترتيب؛ الجيش الكندي الأول، الجيش البريطاني الثاني، الجيوش ٩، ١، ٣ و٧ الأميركية وأخيراً الجيش الفرنسي الأول. كل هذه الجيوش خلا الجيش الكندي كانت تهاجم هدفين اثنين رئيسيين



جنود من الجيش الأميركي

بالنسبة للحلفاء: احواض الرور والسار. الشتاء، والمطر والوحل كلها حالت دون استمرار التقدم بسرعة. وتزايد صمود الألمان بعد أن أصبحوا يدافعون عن ترابهم الوطني. على أن الحلفاء بقوا يتقدمون شيئاً فشيئاً. فاخترق جيش هودجز الأميركي الأول خط سيغفريد بعد معركة دامية استمرت ثلاثة أسابيع واحتل أول مدينة ألمانية كبيرة: أكس ـ لا ـ شابال. ثم خاض أعنف معركة واجهها الحلفاء حتى ذلك الوقت في غابة هورتجن، عند روور آخر عقبة قبل نهر الرين.

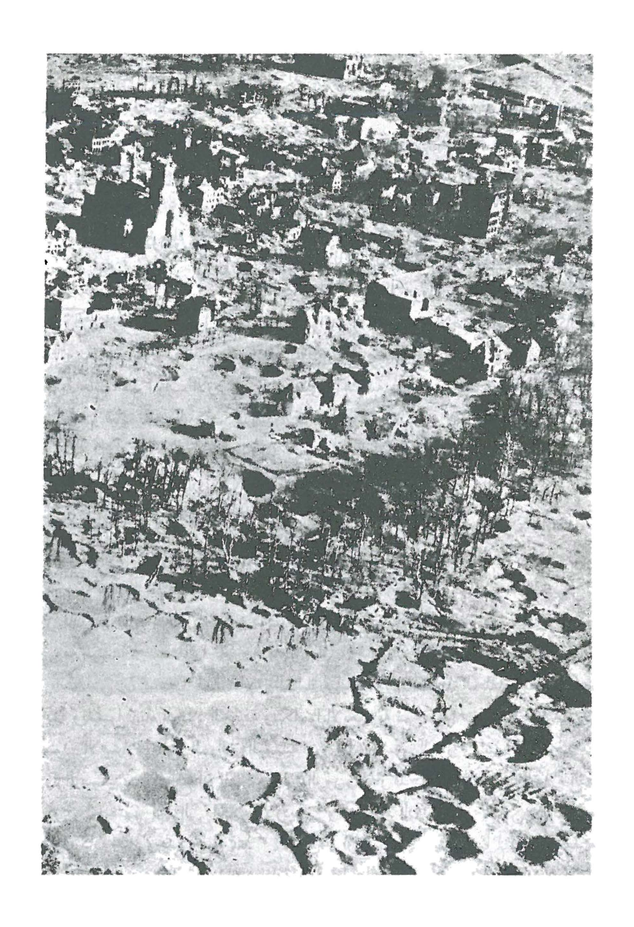
وفي منطقة شمالية كان الجيشان: الثاني البريطاني، والتاسع الأميركي يتقدمان أيضاً باتجاه روور نفسها. وبعد الاستيلاء على متز في تشرين الثاني توجه باتون بجيشه الثالث

نحو حدود السار وأقام ثلاث رقاب جسور في الجهة الأخرى من نهر السار. وفي أواسط كانون الأول احتل جيش باتش السابع الأميركي ستراسبورغ وبلغ نهر الرين في الوقت نفسه الذي بلغه فيه الجيش الأول الفرنسي، ولم يترك للألمان غير نتوء صغير في ضفة النهر الغربية، جيب كولمار.

معركة الأردين

وبينما كان الحلفاء يدعمون مواقعهم العسكرية، فيعيدون تنظيم جيوشهم كان الألمان يستعيدون أنفاسهم، ذلك لأن المقاومة العنيفة التي تميزت بها الحاميات الألمانية المعزولة في المرافىء قد منحت الجيش الألماني فرصة العمل على تدعيم مواقعه الدفاعية. وبالاضافة إلى ذلك كان هتلر قد بدأ منذ شهر أيلول يضع خطة واسعة للقيام بهجوم معاكس ويجمع لهذا الغرض قوات عسكرية هائلة عند أبواب الأردين. ثلاثة جيوش منظمة ومزودة بتجهيزات عسكرية جديدة جمعت تحت قيادة الجنرال فون رانستد. كان هناك ٢٥٠ ألف رجل أي أكثر من ثلاثين فرقة منها ١١ فرقة مدرعة ومعها ألفا دبابة وثلاثة آلاف طائرة وعدد كبير من وحدات المدفعية.

كانت مهمة هذه الجيوش تكرار العمل الكبير الذي قام به فون رانستد ضد الفرنسيين عام ١٩٤٠. لقد كان على هذه الجيوش أن تجتاز منطقة الأردين، ثم تمر بالموز، ثم تصعد بعد ذلك نحو الشمال لاستعادة انفرس. فإذا وصلت هذه الجيوش إلى البحر فإن قوات الحلفاء تتجزأ وتكون منها أربعة جيوش محصورة في هولندا وبلجيكا ومحرومة من أية وسيلة للتراجع أو للهرب. أما الجبهة الفرنسية فتواجه نهايتها. وقد كان على المظليين أن يستبقوا المدرعات والمشاة فيهبطوا وراء خطوط الحلفاء ويقوموا بأعمال تخريبية ويلبسوا ازياء الجنود الحليفة ويتكلموا الانكليزية ثم يقودوا سيارات أميركية، وبذلك يضمنون الاستيلاء على المواقع الرئيسية من مثل جسور الموز ويشيعون الفوضى في مؤخرة الأميركيين. والواقع أن الهجوم على الرور والسار قد دفع الحلفاء إلى اخلاء القطاع المركزي لجبهتهم أي إلى اخلاء الاردين. والملاحظ أن الجيش الثامن بقيادة تروي ميدلتون كان يحتل وحده جبهة تمتد ١٤٠ كلم. اربع فرق، اثنتان منها لم تسترح بعد من معارك غابة هادجن الدامية وواحدة مؤلفة من متطوعين جدد يواجهون الميدان لأول مرة، أما الرابعة وهي فرقة مدرعة فقد كانت تتولى حماية الجبهة كلها. وفي ١٦ كانون الأول، أطلق رانستد في وقت مبكر والضباب يملأ الأفق الجيوش الثلاثة على جبهة طولها ٧٥ كلم بين مونجوا واشترنخ. المفاجأة كانت كاملة. لقد استطاع الجيش الألماني أن يحطم



إحدى القرى الألمانية وقد هدمتها قنابل القلاع الطائرة

الخطوط الأميركية وأن يتجه نحو الموز. ولكن الأوضاع لم تكن كما كانت عام ١٩٤٠. والجيش الألماني لم يعد هو الجيش الذي يقابله جيش فرنسي منهار في معنوياته. صحيح أن وحدات أميركية قد تركت أماكنها وتراجعت ولكن وحدات أخرى تشبثت بمواقعها وراحت تدافع عن الأرض متراً بعد متر.

وبما أن الجو لم يكن يساعد الطيران الحليف على التدخل فقد كانت نتيجة المعركة متعلقة بصورة خاصة بالإشراف على المفارق الكبيرة للطرق. أما الأرض التي كانت مليئة بالتعرجات والغابات فقد حدت من تحرك القوى المدرعة. يضاف إلى ذلك أن شبكة الطرق نفسها لم تكن كافية لمثل هذه المناورة الهجومية. المفارق الرئيسية كانت سانت ـ فيت وباستونيا. هذه المدينة الأخيرة تقوم عند تلاقي سبع طرق كبيرة.

في سانت ـ فيت قاومت الفرقة الأميركية السابعة مقاومة يائسة استمرت ستة أيام. وبذلك أضعفت الانطلاقة النازية نحو الموز. وسقطت سانت فيت في ٢١ كانون الأول. وبينما كانت بقايا فرقة المشاة ٢٨ والفرقتين المدرعتين التاسعة والعاشرة تواجه حملة الألمان في باستونيا، استدعى ايزنهاور فرقة المظليين ١٠١ التي كانت تستريح في ريمس للدفاع عن المدينة. وفي عشرين كانون الأول كان نحو من ١٨ ألف أميركي يدافعون عن باستونيا التي تحاصرها ثلاث فرق ألمانية أي ٤٥ ألف رجل تقريباً.

وقد بذل الألمان كل جهد ممكن لتحطيم ملتقى الطرق هذا. وفي ٢٢ كانون الأول عرضوا على المحاصرين في باستونيا شروط استسلام مشرف ولكن الجنرال ماك أوليف رفض العرض بصورة جازمة.

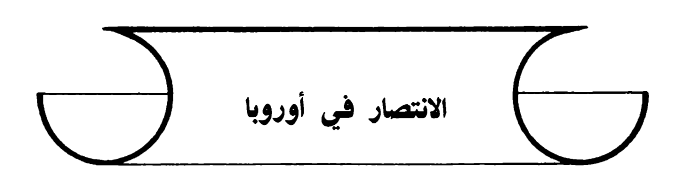
واندفع الألمان في ثغرات على امتداد مئة كلم عبر الخطوط الأميركية ووصلوا إلى نقطة تبعد ٥ كلم عن الموز شرقي دينان. وهناك أوقف انطلاقهم. وكان الرد الاميركي سريعاً وعنيفاً وذكياً في الوقت نفسه. أما المظليون والمخربون الألمان فقد لوحقوا وتساقطوا بين قتيل وأسير. وأما جناح الجيب الذي يمتد على ٥٥ كلم فقد قاوم وصمد وبقيت جسور الموز بين أيدي الحلفاء. واستطاع باتون بمناورة رائعة أن ينقل نقطة ارتكاز الجبهة التي يقف فيها جيشه الثالث من الشرق إلى الشمال ضد النتوء الألماني. أما قائد الجيش الأول هودجز والتاسع سمبسون فقد توجها نحو الجنوب أي ضد الجناح الأيمن للنازي بحيث استطاعا أن يقصا النتوء قصاً. وفي ٢٣ كانون الأول كان الطقس جيداً. فانطلقت الطائرات الحليفة تضرب جبهة الألمان وصفوفهم الخلفية بالقنابل وبرصاص الرشاشات دون توقف. وفي اليوم التالي لعيد الميلاد كانت مدرعات باتون قد أحدثت ثغرة

لها في الخطوط الألمانية التي تحاصر باستونيا. وعندما شعر فون رانستد باقتراب الخطر من جناحيه تراجع بانتظام نحو الشرق.

وفي نهاية كانونِ الثاني كانت المعركة قد انتهت في جيب الاردين واستعادت الخطوط الحليفة مواقعها التي كانت تحتلها قبل الهجوم الألماني.

خسر النازيون ٩٠ ألفاً بينهم ١٣ ألف قتيل. أما الخسارة الأميركية فقد بلغت حوالى ٧٧ ألف رجل منهم ٨٦٠٠ قتيل.

هكذا يكون هتلر قد استنزف كل ما تملكه ألمانيا من قوات احتياطية. فلم يبق عنده شيء يتجنب به الخطر الذي كانت تتحدد معالمه أكثر فأكثر في الجبهتين الشرقية والغربية.



الانتصار في أوروبا

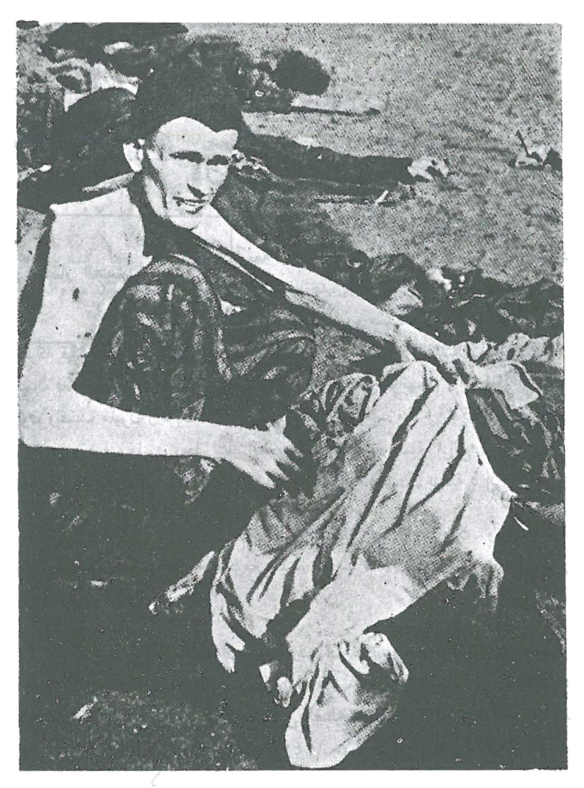
انتصار الجيش الأحمر

كان الجيش الأحمر قد قام بسلسلة من الهجمات بعد أربعة أيام فقط من بداية عمليات إنزال الجنود في نورماندیا. هذه الهجمات لم تحرر الأرض السوفياتية من الغزاة الألمان وحسب ولكنها أيضاً قد أخرجت من المعركة قبل نهاية العام ثلاثاً من الدول التي كانت تدور في الفلك الألماني. ورغم أن الألمان قد جندوا ضد الجيش الأحمر القسم الأكبر من قواتهم - ٢٠٠ فرقة أي أكثر من مليون ونصف مليون رجل - كان الجيش الأحمر المؤلف من ٣٠٠ فرقة مجموع رجالها ٤ ملايين ونصف مليون رجل يتميز بتجهيزات عسكرية بنسبة ٣ إلى ١ من التجهيزات الألمانية. أما تفوقه في الدبابات والمدافع والطائرات فقد كان بنسبة ٥ إلى ١.

الهجوم الروسي الأول كان ضد الفنلنديين، أي في ١٠ حزيران. وتمت مفاوضات دبلوماسية لجهة تحقيق صلح منفرد مع فنلندا منذ شباط ١٩٤٤، ولكن شيئاً لم ينتج عن هذه المفاوضات.

واستطاعت جيوش الجنرال غوموروف أن تحطم خط مانرهيم واحتاجت إلى ١٢ يوماً للاستيلاء على فيبوري. وفي أيلول طلب الماريشال مانرهيم الصلح بعد أن خلف الرئيس رستوريتي. وتم التوقيع على الصلح في ١٦ أيلول. وقد منح هذا الصلح الروس كل ما كانوا يطلبونه من فنلندا عام ١٩٤٠ بالإضافة إلى قطاع بتسامو ثم شبه جزيرة بوكالا على صورة الإعارة وتعويضاً قدره ٣٠٠ مليون دولار.

وبما أن الألمان لا يتراجعون إلا بالقوة فقد نفذوا حين تراجعهم من فنلندا سياسة الأرض المحروقة. وبما أن الفنلنديين لم يوافقوا على هذه الخطة فقد انفجرت الحرب بين الفريقين. أما الروس فلم يتوصلوا إلى تطهير شمال فنلندا من الفرق الألمانية العشر التي كانت هناك ألا في شهر تشرين الأول. فقد دفعوا القوات الألمانية إلى ما وراء الحدود النروجية ثم حرروا بهذه المناسبة المرفأ النرويجي كيركينس.



المجاعة تكتسح أوروبا

كان الروس من أقصى الجبهة إلى أقصاها، من البلطيق إلى البحر الأسود ينقلون هجماتهم دون توقف. وعندما تفتر العمليات الحربية في جزء من الجبهة تنطلق هجمات قوية في جزء آخر. أما الألمان الذين يسعون إلى تحقيق التوازن بينهم وبين الروس فإنهم لم يجدوا فرصة كافية لتنظيم خطوطهم.

في جبهة البلطيق انقض الجيش الأحمر من جانبي بحيرة بييوس وجزر أستونيا. ثم توجه نحو لاتفيا وليتوانيا، وحاصر الألمان في ميمل وفي كورلاند، ثم انتقل إلى نيمن وتابع طريقه نحو حدود بروسيا الشرقية. وأما في روسيا البيضاء فقد سحقت الجيوش السوفياتية خط (فاترلاند) وانقضت بعد ذلك على فيتبسك وموجيلاف وبوبرويسك ثم حاصرت منسك واستولت عليها.. ومنسك هي القاعدة الرئيسية في الجبهة الوسطى. أما في بولونيا فقد استولى الجيش الروسي على بياليستوك وبريست ليتوفسك ولفوف، ثم أخرج الألمان من الفيستول والكاربات بحراب البنادق. وفي قطاع لفوف، اجتاز السوفيات الفيستول وأقاموا رأس جسر طوله ٧٥ كلم وعرضه ٣٤ كلم فوق ضفة النهر الغربية. وبالقدر الذي كانت تظهر فيه وتتأكد معالم الانتصار على ألمانيا، كانت أغراض الروس تبتعد بصورة مطردة عن أغراض الغربيين. وبدا بوضوح أن السوفيات كانوا يستهدفون السيطرة على أوروبا الشرقية والوسطى.

وقد تجسمت الخلافات بطريقة عنيفة في بولونيا. فبينما كانت جيوش الجنرال قسطنطين روكوسوفسكي تقترب من فرصوفيا في الأول من آب،كان الجيش البولوني السري الذي يقوده الجنرال تادوز بوركوموروسكي الموالي للحكومة البولونية في لندن والمعادي للشيوعية وللروس، كان هذا الجيش يرفع علم الثورة على النازيين في العاصمة البولونية. وقد وجه راديو موسكو نداء إلى المقاومين البولونيين ليشاركوا في تحرير بلدهم بعمل مباشر في شوارع فرصوفيا وبيوتها للتعجيل في تحقيق التحرر النهائي وللحفاظ على حياة إخوانهم. وكان البولونيون يأملون في الحصول على استقلالهم من الروس فيما إذا شاركوا في عمليات تحررهم.

وعلى ذلك فقد توقفت صفوف الجيش الأحمر في الجبهة الأخرى من الفيستول تجاه فرصوفيا. وقد أعلن الروس أن توقفهم هذا قد كان بسبب معضلات التموين والنقل وتحت ضغط الهجمات المعاكسة التي كانت تشنها الفرق الألمانية. لقد بقي الجيش الأحمر شهرين كاملين عند مدخل فرصوفيا بينما كان النازيون يقاتلون أربعين ألف رجل هم نواة الجيش البولوني الداخلي من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت مما أحدث ١٥ ألف قتيل بولوني. أما المقاومون الآخرون فقد نقلوا جماعات جماعات إلى معسكرات الاعتقال.

وقد رافقت حرب الشوارع هذه أحداث معينة يهمنا أن نشير إليها.

أولاً: رفض الروس تقديم أية معونة للبولونيين الذين كانوا يخوضون حرباً انتحارية ضد الألمان. وقد أطلقوا على الجيش الداخلي البولوني اسم (عصابة المغامرين).

ثانياً: اعتبر الروس امتناعهم عن تقديم المعونة للجيش الداخلي عملاً مشروعاً بدعوى أن هذا الجيش لم ينسق ثورته مع القيادة السوفياتية العليا وأن هذه الثورة قد لعبت دورها لمصلحة الألمان بسبب ذلك.

ثالثاً: رفض الروس السماح للطائرات الحليفة التي كانت تطير من قواعدها الإيطالية على بعد ١١٠٠ كلم لانـزال المؤن إلى البولونيين بالنزول في مطاراتهم للتزود بالوقـود بـدعوى أن المؤن كانت تسقط بين أيدي الألمان.

وبينما كانت الجيوش الروسية تستعيد أنفاسها بين البلطيق وجبال الكاربات وهو القطاع الذي جمع فيه هتلر أكثر مدرعاته بدأ هجوم روسي آخر في الجبهة الجنوبية بين الكاربات والبحر الأسود.

وفي ٢٠ آب قفز جيشان روسيان بقيادة الجنرالين روديون مالينوفسكي وفيدور طولبوخين إلى ما وراء نهر دنيبر وحطما جبهة العدو كلها. لقد استوليا على جاسي وكيشينيف في يومين اثنين ثم حاصرا الجيش الألماني السادس وسحقاه وانطلقا بعد ذلك يغزوان مولدافيا وبيسارابيا. وفي اليوم الثالث، ٢٣ آب أقال ملك رومانيا ميشال الماريشال أنطونيسكو وعين مكانه الجنرال ساناتيكو وأعلن وقف اطلاق النار بينما انتدب بعض الرجال للسفر إلى أنقره من أجل مفاوضة الحلفاء على عقد الصلح. وفي اليوم التالي أغارت الطائرات الألمانية على مدينة بوخارست بصورة وحشية بقصد الانتقام، وفي اليوم الذي يليه اعلنت رومانيا الحرب على ألمانيا وعلى المجر. وقد ساعدت الفرق الرومانية، الجيش الأحمر على تحطيم المقاومة الألمانية في البلاد، كما ساعدت الروس على أسر عدد كبير من جنود العدو واحتلال الحقول البترولية في بلووستي، ومـوانىء البحر الأسـود وشبكة الطرق الحديدية الرومانية التي لم تصب بأذى. وبسبب ذلك حلت معضلات التموين لدى الروس. وقد تقرر بين شروط معاهدة الصلح الموقعة في موسكو في ١٢ أيلول أن يتنازل الرومانيون لروسيا عن المنطقة التي كان السوفيات قد استولوا عليها عام ١٩٤٠، كما تعهدوا بإعادة أملاك الحلفاء ودفع ٣٠٠ مليون دولار كتعـويضات حرب خلال ستة أعـوام وتسليم بحريتهم التجارية. مقابل ذلك اعتبر الرومانيون محاربين إلى جانب الروس ووعدوا بعد هزيمة المجر بتسلم قسم من ترانسلفانيا.

أما بلغاريا التي كانت منذ شهر تموز تقترح الصلح على الحلفاء، فقد أعلنت خروجها من الحرب في ٢٦ آب ثم رفضت القتال إلى جانب الحلفاء بدعوى أنها بلد محـايد. في هذه الأثناء كانت الجيوش البلغارية الموجودة في اليونان ويوغوسلافيا تتابع

مساندتها للألمان. وفي ٥ أيلول أعلن الروس الحرب على بلغاريا. وبعد ٤ أيام استسلمت هذه الأخيرة واحتلت جيوش طولبوخين أراضيها. وقد أعربت الحكومة البلغارية الجديدة عن نيتها في دخول الحرب مع ألمانيا ولكن الهدنة الموقعة في ٢٨ تشرين الأول طلبت من بلغاريا إعادة الأراضي المسلوبة إلى يوغوسلافيا وإلى اليونان.

وصعد السوفيات وادي الدانوب بعد أن أصبحت رومانيا وبلغاريا خارج المعركة وأرغم الألمان على إخلاء اليونان من قواتهم العسكرية. وقد نجح الألمان في الانسحاب شيئاً ما رغم الهجمات العنيفة التي انقض بها المقاومون اليونان واليوغسلاف عليهم والتي قام بها البلغاريون حلفاؤهم السابقون. كما أن الألمان أرغموا على ترك حامياتهم في جزيرتي كريت ورودس بسبب عجزهم عن نقل رجالهم إلى الأرض الألمانية.

وفي ٤ تشرين الأول نزل البريطانيون في بترا، حيث وجدوا مقاومة ضعيفة. واستولوا على البلاد خلال خمسة أسابيع. إلا أنهم ورثوا وضعاً سياسياً بالغ التعقيد. ففي عام ١٩٤٣ أعلنت الحرب الأهلية بين حركتي المقاومة الرئيسيتين: جبهة التحرر الوطني ذات الميول الشيوعية وقواتها العسكرية من جهة والجيش الوطني الديمقراطي والمعادي للشيوعية من جهة أخرى. وقد لوحظ أن الفريقين قد اقتتلا أحدهما ضد الآخر أكثر من اقتتالهما ضد الغزاة النازيين. ولم يكونا كلاهما يؤيدان الحكومة الملكية اليونانية في المنفى والتي يؤيدها البريطانيون ويرفضان عودة الملك جورج الثاني. وفي نيسان من عام ١٩٤٤ وفي الوقت الذي كانت فيه الجيوش السوفياتية تنقض على بلاد البلقان ويستعد فيه الألمان لإخلاء اليونان من قواتهم العسكرية انفجرت ثورة في البحرية والجيش اليونانيين الموجودين في مصر ضد حكومة المنفى. ولكن هذه الثورة لم تلبث أن خنقت من قبل الجيوش البريطانية. وقد تم تأليف حكومة اتحاد وطني تمثل مختلف التيارات برئاسة باباندريو الاشتراكي الديمقراطي. ومع ذلك فإن حرباً أهلية قد أعلنت في ٣ كانون الأول من قبل جبهة التحرر الوطني ضد هذه الحكومة. فأمر تشرشل الجيش البريطاني المقيم في اليونان بالتدخل وبسحق الثورة مما أثار عاصفة من الاحتجاجات في بريطانيا العظمى وفي الولايات المتحدة ووسع شقة الخلاف بين الحلفاء.

وقد حاول تشرشل أن يدافع عن وجهة نظره فأعلن في مجلس العموم أن الديمقراطية لا تقوم على العنف أو الإرهاب بل على العقل والحرية واحترام حقوق الآخرين. إن الديمقراطية ليست مومساً يلتقطها في الشارع رجل مسلح بالرشاش. وفي عشية عيد الميلاد من عام ١٩٤٤، وفي الوقت الذي كانت تحتدم فيه معركة الأردين طار تشرشل إلى أثينا. وهناك توصل إلى إقامة نظام وصاية اعتبر في نظر المراقبين عملية تسوية

بين مختلف الفرقاء إلا أنه جعل هذه الوصاية لرجل من خصوم الشيوعية هو الأسقف دامسكينوس. وأصبح الجنرال بلاستيراس رئيساً للوزراء، كما قبل الملك جورج الثاني بعدم العودة إلى اليونان إلا إذا وجهت إليه دعوة صادرة عن الإرادة الوطنية الحربة. وهكذا أعاد تشرشل إلى اليونان سلاماً محفوفاً بالصعوبات.

في هذا الموضوع امتنع ستالين عن اتخاذ أي موقف معين. ولكن حياده آنذاك قد دفع ثمنه غالياً. في تشرين الأول عام ١٩٤٤ وبينما كان تشرشل في موسكو وضع هذا الأخير الخطوط العامة لمعاهدة تنص على اقتسام النفوذ في بلاد البلقان. هذه المعاهدة كانت تضمن لروسيا في رومانيا نسبة من النفوذ تبلغ ٩٠ في المئة يقابل ذلك نفوذ إنكليزي أميركي في اليونان له مثل هذه النسبة. أما في المجر ويوغوسلافيا فقد ضمن كل من الطرفين ٥٠٪ بينما احتفظت روسيا في بلغاريا بنسبة ٧٥٪. وقد أفاد ستالين من هذه المعاهدة ليحتفظ لنفسه بحرية كاملة للعمل في رومانيا وبلغاريا. وقد لوحظ أن تشرشل كان يعتبر هذه المعاهدة سارية المفعول حتى انتهاء العمليات العسكرية على أن يعاد النظر فيها بعد مؤتمر الصلح. كما لوحظ أيضاً بأن هذه المعاهدة كانت تكريساً للأمر الواقع باعتبار أن الجيوش السوفياتية كانت تشرف على القطاع كله. ومعنى ذلك أن تشرشل حاول أن ينقذ بهذه المعاهدة ما يمكن إنقاذه.

قلنا في فقرات سابقة ان جواً من البرود والتوتر قد نشأ بين بريطانيا والولايات المتحدة. ونقول الآن ان ستالين الذي اكتشف هذا الوضع بادر إلى وضع يده على جنوب شرق أوروبا فانطلقت ثلاثة جيوش نحو بودابست. وفي تشرين الأول توجهت جيوش الجنرال بتروف نحو سلوفاكيا الشرقية عبر الكاربات باتجاه غاليسيا البولونية. وقد تأخر وصول هذه الجيوش فلم تستطع حماية السلوفاكيين من انتقام النازيين الذين جندلوا من هؤلاء الأخيرين وفي مناطقهم الجبلية ٢٠ ألفاً من الرجال والنساء.

القوات المتقدمة لجيوش بتروف تغلغلت عبر المجر وفي نيتها الانقضاض على جناح الألمان شمال بودابست فترغمهم على الانسحاب من الدانوب. ونشطت هذه القوات السوفياتية في مسكولك لتتصل بالجناح الأيمن لجيش مالينوفسكي، واستولى الفريقان على المدينة في الثالث من كانون الأول. وانطلق مالينوفسكي من بوخارست عبر وادي الدانوب واجتاز نهر تيزا إلى زغد قبل أن يجد الألمان الوقت الكافي لتجميع قواتهم من البلقان ثم تابع طريقه نحو ضواحي بودابست في الأسبوع الثاني من تشرين الثاني. ولما واجه مقاومة ألمانية مجرية عنيفة فضل الانتظار حتى تصل جيوش طولبوخين.

أما طولبوخين فقد انقض نحو الغرب، منطلقاً من بلغاريا إلى يوغوسلافيا حيث

التقى بأنصار تيتو لتحرير بلغراد في ٢٠ تشرين الأول. ثم غيّر اتجاهه واجتاز نهر الدانوب نحو الشمال الغربي ليتصل بالجناح الأيسر لجيش مالينوفسكي وليشارك في حصار بودابست الذي بدأ في نهاية كانون الأول.

في آذار أرسل المجريون إلى تركيا وفداً لمفاوضة الحلفاء على الصلح، وفي وسط تشرين الأول كان الأميرال الوصي ميكلوس هورتي قد طلب الهدنة. ولكن النازيين اعترضوا على هذا الطلب وأقاموا حكومة جديدة من الفاشيست المجريين رئيسها فيرنك سكالازي. ومقابل ذلك شكل السوفيات حكومة أخرى لم تلبث أن أعلنت الحرب على ألمانيا.

الروس لم يكونوا يطمعون في أكثر من أن يتولى تيتو مهمة الجبهة اليوغوسلافية. وتيتو، أو جوزيب بروز، كان زعيماً للحزب الشيوعي اليوغوسلافي منذ عام ١٩٣٧. وقد سبق له أن عاش طويلاً في الاتحاد السوفياتي وطور هناك ثقافته السياسية.

وبعد الغزو النازي ليوغوسلافيا في عام ١٩٤١ استطاع الكولونيل دراجا ميخايلوفيش أن يجمع حوله مجموعة من الصربيين لمتابعة حرب الأنصار ضد العدو. وميخايلوفيش هو إحصائي قديم في مثل هذه الحرب في الجيش الملكي اليوناني. وقد أطلق على هؤلاء الأنصار اسم (شتنيكس).

وبما أن يوغوسلافيا كانت ميداناً لتناقضات عنيفة بين أقلياتها الوطنية من سلوفانيين وكرواتيين وصربيين بالإضافة إلى خلافات سياسية عميقة بين جمهوريين وملكيين وشيوعيين وفاشيست، فإن حرباً أهلية ثلاثية الاتجاهات جعلت بأس الناس بينهم شديداً. فكانت العداوة العنيفة بين الأوستاشي أي الفاشست ثم أتباع ميخايلوفيش وأخيراً أنصار تيتو الشيوعيين. والواقع أن محاولات تيتو لفرض الشيوعية على البلاد وقسوته في القضاء على خصومه السياسيين وتصرفاته العنيفة قد جعلت الحرب عنيفة ضارية بين أنصاره وأنصار ميخايلوفيش. وعندما شعر ميخايلوفيش بعجزه عن مواجهة الضربات التي كانت تأتيه من كل جانب ولا سيما من الألمان أنفسهم فقد سعى إلى تحقيق تسوية مع المحور.

أمام هذا الموقف الذي أثار الشكوك وبعد استحالة الاتفاق بين الشتنيكس والأنصار الشيوعيين منح تشرشل تأييده لتيتو وتنكر لميخايلوفيش. وبالإضافة إلى ذلك ضغط على الملك بيار أن يقيل زعيم الشتنيكس من وظيفته كوزير ملكي للحرب على أمل أن يتفاهم تيتو مع الحلفاء فيمتنع عن فرض النظام الشيوعي على يوغوسلافيا.

يالطا

انعقدت خلال الحرب مؤتمرات كثيرة جمعت بين الإنكليز والأميركيين. ولكن حذر هؤلاء من ستالين جعل هذا الأخير قليل الاتصال بهم. فلم يشهد غير مؤتمر واحد عقد خارج روسيا وهو مؤتمر طهران.

وكانت الغاية من هذه المؤتمرات هي الاتفاق على خطوط العمليات العسكرية من ناحية وتحديد المبادىء الكبيرة التي كان الحلفاء يقاتلون من أجلها ثم تسليط النور على أطماحهم ونواياهم.

وعندما أصبحت هزيمة ألمانيا شيئاً حتمياً شعر الثلاثة الكبار بضرورة اتخاذ قرارات حاسمة حول المعضلات الكبيرة التي ينتظر أن تطرح بين أيديهم. وقد بذل تشرشل جهده خلال خريف ١٩٤٤ لعقد مؤتمر من أجل هذه الغاية. ولكن روزفلت وستالين اتفقا على تأجيل هذا المؤتمر: أما الأول فبسبب اقتراب فترة الانتخابات الرئاسية، وأما الثاني فلأنه كان راغباً في رؤية جيوشه تحتل مرتفعاً أقوى في أوروبا الشرقية والوسطى.

وباقتراب نهاية هتلر لم يعد شبح هذا الأخير كافياً لتدعيم اتحاد هذه القوى الكبيرة الثلاث. والواقع أن مؤتمر يالطا الذي عقد بعد ذلك قد قصد منه تسوية الخلافات القائمة بين الفرقاء الثلاثة. ولكن روزفلت فضل أن يلعب دور الوسيط بين بريطانيا والاتحاد السوفياتي بدلاً من أن يقف إلى جانب الإنكليز، وهذا في الحقيقة هو الذي فجر مأساة يالطا.

كانت الخلافات الإنكليزية الأميركية تنبع من وجهتي نظر: أما الإنكليز فقد كانوا يعتبرون الحرب أداة سياسية تستعمل لأغراض سياسية وهذا شيء يتفق مع واقعيتهم في ميدان السياسة الأوروبية. وأما الأميركيون فقد كانوا بسبب من سذاجتهم وجهلهم يقدرون أن الانتصار على الجيش الألماني هو الهدف الأول الذي يجب أن يبلغوه. أما الخلافات السياسية فهي مهمة السياسيين لما بعد الحرب. هذا هو مصدر الخلاف الأول. أما مصدر الخلاف الثاني فيعود إلى حد ما إلى مصدر الخلاف الأول. فالأميركيون بصورة عامة والرئيس روزفلت بصورة خاصة رغم مقاومتهم للنظام الشيوعي لم يكونوا يعرفون شيئاً كثيراً عن أساليب السوفيات وأهدافهم السياسية.

هكذا تناقض الإنكليز والأميركيون. الإنكليز حذرون لا يثقون بأحد وأما الأميركيون

فيجدون في الخلق الإنكليزي ما لا يساعدهم على تسوية الخلافات مع ستالين والتفاهم معه

الأميركيون كانوا يعتبرون أن الأطماع الأمبـريالية البريطانية تشكل الخطر الأكبر على سلام عادل دائم. ذلك لأن بريطانيا كانت تسعى باستمرار إلى تدعيم مصالحها وأمنها القومي في أوروبا الغربية والبحر الأبيض المتوسط والشـرق الأقصى. وقد نبه تشرشل الرئيس روزفلت ولفت نظره إلى مزالق السياسة الأميركية حينما قال له يوماً: «سيدي الرئيس أعتقد أنك تحاول القضاء على الامبراطورية البريطانية».

وطبيعي أن البريطانيين الرسميين بصورة خاصة كانوا متفقين مع تشرشل بعد حرب استمرت ٥ سنوات على تصريح له: «نحن نريد أن نحتفظ بما هو لنا. فأنا لم أصبح وزير الملك الأول من أجل أن أرئس عملية تصفية الامبراطورية البريطانية».

ومما زاد في شكوك الأميركيين انتشار نبأ المعاهدة التي تم بها الاتفاق على اقتسام النفوذ في بلاد البلقان في شهر تشرين الأول من عام ١٩٤٤ بين تشرشل وستالين.

يضاف إلى ما سبق أن ديغول قد أسهم في توسيع شقة الخلاف بين الحلفاء الغربيين لأنه كان هو أيضاً راغباً في أن تعامل فرنسا على أنها قوة كبيرة وأن تحترم مصالحها في إمبراطوريتها وراء البحار.

ومن وراء هذا كله يبدو الحلفاء الغربيون عاجزين عن تكوين سياسة سلم واضح منسجم.

والخلاصة أن السياسة الحليفة الغربية كانت تريد أن تتجنب الإصلاحات الاشتراكية العميقة التي تطمح إليها الشعوب الأوروبية وقد ظهر ذلك جلياً في إفريقيا الشمالية وإيطاليا وفرنسا وبلجيكا واليونان. لقد كانت هذه السياسة تستهدف إقامة حكومات مستقرة بصورتها التقليدية بحيث ان برامجها لا تخرج عن إطارات البناء الاجتماعي القديم.

أما الاتحاد السوفياتي فقد كان على عكس ذلك. إنه كان يعرف ما يريد وما ينتظره من الحرب. وكان ستالين يتصرف باستمرار في ضوء البناء السياسي لأوروبا المستقبل. وبما أن الجيش الأحمر كان يشرف في شباط من ١٩٤٥ على كل عواصم أوروبا الوسطى والشرقية باستثناء براغ وأثينا فإن ستالين كان يريد من مؤتمر يالطا اعترافاً خالصاً بحقه في هذه العواصم وتأكيداً للسلطة السوفياتية في تلك المنطقة.

المعضلات الرئيسية التي نوقشت في يالطا كانت تتناول ألمانيا، الحرب ضد اليابان، إعادة تنظيم أوروبا الوسطى والجنوبية الشرقية، ومناقشة منظمة الأمم المتحدة وكيفية إقامتها بعد الحرب وهي المنظمة التي كان يرى فيها روزفلت ضمانة لسلم عادل ودائم.

لـم يجد الروس أية صعوبة في الاتفاق على المعضلات الأقـل أهمية، من مثل التصريح حول أوروبا المتحررة والتأكيد على المثل العليا التي طالما نوه بها الحلفاء، وإعادة السلم إلى العالم ومساعدة الشعوب المصابة بالخسائر الفادحة وأخيراً بإقامة حكومات مؤقتة ذات صفة تمثيلية لكل التيارات الشعبية ثم الاستعداد لإجراء انتخابات حرة في أسرع وقت ممكن تخرج منها حكومات متجاوبة مع إرادة الشعب.

ولكن الفرق يبقى كبيراً جداً بين إعلان المبادىء وتنفيذها.

فالمعضـلات المتعلقة بألمانيا كانت معضلات عميقة وشائكة.

هل يجب تمزيق الريخ؟
ما هي بنود الهدنة؟
ماذا يصنع بمجرمي الحرب؟
ما هي التعويضات التي يجب أن تدفعها ألمانيا؟
كيف يتم تحديد مناطق الاحتلال؟
ما هو الدور الذي ستقوم به فرنسا في عملية الاحتلال؟

لقد تم اتفاق نهائي على ضرورة أن يستسلم الريخ دون قيد أو شرط وعلى رفض كل مفاوضة مع مجرمي الحرب النازيّين كما تم الاتفاق على ابقاء ألمانيا موحدة. أما مناطق الاحتلال فقد حددت لكل طرف من الأطراف على أن يشترك الجميع في احتلال برلين. ولكن الغربيين أهملوا تحديد حقوق كل منهم وواجباته بالنسبة لموضوع المرور نحو برلين. يضاف إلى ذلك أن الأميركيين لم يغضبوا حين رفض ستالين اشتراك فرنسا في احتلال منطقة من ألمانيا بخلاف بريطانيا التي كانت ترى غير هذا الرأي.

وبما أن تشرشل كان يعلم مسبقاً بأن الأميركيين قد قرروا سحب جيوشهم من أوروبا بعد مرور سنتين على احتلالهم لها فإنه كان يريد الاعتماد على فرنسا القوية لتساعده في احتلال ألمانيا وإقامة توازن في القوى بين أوروبا الغربية والاتحاد السوفياتي. وأخيراً وافق ستالين على منح فرنسا حق الاحتلال شرط أن تؤخذ منطقتها من كل من المنطقتين البريطانية والأميركية.

يضاف إلى ذلك أن ستالين كان راغباً في تمزيق ٨٠٪ من الصناعة الألمانية الثقيلة وفي المطالبة بعشرين مليار دولار كتعويضات يعود نصفها إلى الاتحاد السوفياتي .أما تشرشل الذي كان يتخوف بالطبع من نشوء ريخ قوي فقد كان شديد الاهتمام بالحيلولة دون ارتكاب الأخطاء التي سبق للحلفاء أن ارتكبوها بعد الحرب العالمية الأولى. لذلك فقد قاوم المطالب الروسية لجهة التعويضات بدعوى أن دفع هذه التعويضات من قبل ألمانيا سيحدث فيها مجاعة وانهياراً اقتصادياً. وستكون نتيجة ذلك أن الحلفاء الغربيين سيرغمون على إطعام الشعب الألماني وبناء بلده كما فعلوا بعد عام ١٩١٨. وبعد مناقشات طويلة وافق الحلفاء على اعتبار رقم ٢٠ مليار دولار رقماً صالحاً للمناقشة. وطبيعي أن السوفيات قد بذلوا كل جهد ممكن بعد ذلك لجعل هذا الرقم رقماً نهائياً. وبينما كان تشرشل يفكر في إعادة القوة النسبية إلى ألمانيا على أمل أن تقف إلى جانب فرنسا وبريطانيا ضد الاتحاد السوفياتي كان روزفلت في مؤتمر يالطا راغباً في معرفة الوقت الذي سيعلن فيه ستالين الحرب على اليابان ومدى استعداد الاتحاد السوفياتي لإشراك قواته المسلحة في هذه الحرب. وطبيعي أن يفكر الرئيس الأميركي في هذا الموضوع بعد ظهور المقاومة اليابانية المستبسلة وظهور الطائرات الانتحارية في معارك الباسيفيك. وقد قدر رؤساء أركان الحرب الأميركيون الخسائر التي ستتكبدها الولايات المتحدة بسبب هذه المقاومة اليابانية بمليون جندي أميركي كما كانوا يقدرون استمرار الحرب مع اليابان بعد الانتصار على أوروبا بثمانية عشر شهراً. أما القنبلة الذرية فقد كانت آنذاك في مراحل صنعها الأخيرة تقريباً كما لم تكن قد جربت بعد، ولذلك لم يكن في وسع الأميركيين اعتبارها عاملاً حاسماً في موضوع الحرب. فمن أجل اختصار هذه الحرب وإنقاذ الأرواح الأميركية كان روزفلت مصمماً على إشراك ستالين فيها مقابل امتيازات معينة يقدمها إلى بلاده. وهو لم يغير رأيه هذا رغم أن الجنرال ماك آرثر والأميرال نيميتز قد قالا له في تموز ١٩٤٤ إن في الوسع القضاء على اليابان بهجوم جوي بحري وبحصار دون أن يعقبه غزو بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة. وقد شاركهما في هذا الرأي القائد الجوي الأميركي الجنرال هنري أرنولد الذي كانت قلاعه الطائرة (ب ٢٩) تغير على الأرض اليابانية خلال مؤتمر يالطا من قواعدها في جزائر الماريان.

وقد وافق روزفلت على مطالب الروس كلها مقابل اشتراكهم في الحرب ضد اليابان خلال الاجتماعات الثنائية التي عقدها مع ستالين. أما جنوب سخالين وجزر كوريل فإن ملكيتها تنتقل من اليابان إلى الاتحاد السوفياتي، وأما «وَارِنْ» فإنها ستدول، وأما منغوليا الخارجية فتتمتع باستقلال ذاتي دائم، وهو يعني بالحرف الواحد الاعتراف بانتماء هذا البلد إلى الفلك السوفياتي.

والامتياز الأهم الذي تعهد روزفلت بالوفاء به هو الحفاظ على مصالح الاتحاد السوفياتي الهائلة في منشوريا، وذلك بالموافقة على تأجيره القاعدة البحرية في مرفأ آرثر ومنحه حق الإشراف مع الصين على طرقها الحديدية في المنطقة الشرقية وفي جنوب ماندشو. هذه الامتيازات لا تعتبر خرقاً للسيادة الصينية وحسب بل هي تنكر عملي لمبادىء روزفلت والولايات المتحدة فيما يتعلق بسلامة التراب الصيني والأوروبي الشرقي وبالاستقلال السياسي لبلدان هاتين المنطقتين من العالم.

هكذا أصبح التوسع السوفياتي في أوروبا الشرقية بداية لانشقاق بين الحلفاء السابقين. وكان أول ما طالب به ستالين هو العودة بالحدود البولونية إلى خط كورزن، الذي سبق لمجلس الحلفاء الأعلى أن حدده في ١٩١٩، متأثراً بالرغبة في إجراء تقسيم عنصري عادل بين بولونيا والاتحاد السوفياتي. كما طالب ستالين الحلفاء الغربيين بالاعتراف بلجنة لوبلين للتحرر الوطني الخاضعة للشيوعيين، باعتبارها حكومة بولونية مؤقتة.

وبما أن الحكومة البريطانية قد دخلت الحرب لمساندة بولونيا والحفاظ على أوضاعها السابقة فقد أصرت على الاعتراف بحكومة المنفى البولونية؛ وراحت تعمل من أجل صنع بولونيا جديدة حرة كما قال المسؤولون فيها. يضاف إلى ذلك أن ١٥٠ ألف جندي بولوني كانوا منخرطين في مجموعة الجيوش البريطانية وأن عدداً من الناخبين الأميركيين من أصل بولوني يتراوح بين ٥ و٦ مليون يجب أن يحسب حسابهم.

وقد حاول تشرشل خلال سنة كاملة أن يوفق بين وجهات النظر لكل من البولونيين في لندن والبولونيين في الاتحاد السوفياتي ولكنه قد فشل.

وبما أن تشرشل كان يتوقع عجز البولونيين في لندن عن القيام بأي دور عملي في بلادهم بسبب الجيش الأحمر الذي يساند لجنة لوبلين فقد دعا رئيس حكومة المنفى ستانيسلاف مكولاجيك لمشاركته في مناقشات المؤتمر الذي عقده بعد ذلك مع ستالين في موسكو خلال تشرين الأول ١٩٤٤. وقبل الرجل ووافق أخيراً على اعتبار خط كورزن حدوداً فاصلة بين بلاده وبلاد الاتحاد السوفياتي مشترطاً على ستالين أن يدع لبولونيا مناطق الكربات البترولية. ولكنه لم يلبث أن استقال لأنه لم يستطع أن يكسب انصاراً لوجهة نظره بين أعضاء حكومته.

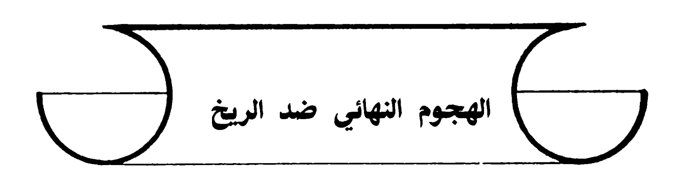
أما في يالطا فقد اتفق الثلاثة الكبار على اعتبار خط كورزن حدوداً فاصلة بين البلدين كما رفض ستالين اعتبار المناطق البترولية ولفوف في الكاربات جزءاً من الأراضي

البولونية. فقرروا عند ذلك منح بولونيا قطاعاً من التراب الألماني على صورة تعويض يشمل كل بروسيا الشرقية جنوبي كونيغسبرغ وغربيها، وميناءي دانتزيغ وستاتن، وكل الجزء الألماني الواقع غربي بولونيا حتى الأودر والنيس. ورغم أن ستالين كان موافقاً على نمو بولونيا وامتدادها حتى النيس الغربية فإن تشرشل وروزفلت اعتبرا النيس الشرقية حدوداً نهائية لها. ومع ذلك فقد تأجل الاتفاق النهائي على تعيين هذه الحدود بصورة حازمة.

والواقع أن المعضلة الكبرى بالنسبة لبولونيا كانت كامنة في اختيار نوعية الحكم والحكام. فبينما كان ستالين يصر على اعتبار لجنة لوبلين حكومة مؤقتة بعد إضافة عدد من أعضاء حكومة بولونيا في لندن، وبينما كان تشرشل يصر على منح بولونيا حقها المطلق في حكم نفسها وفي الإشراف على مقدراتها بادر روزفلت بعد فترة رفض إلى اقتراح حكومة ممثلة لكل الأحزاب البولونية السياسية. وقد انتصرت أخيراً وجهة النظر السوفياتيـة بسبب إصرار الروس ووضوح تفكيرهم. وتم اعتراف الحلفاء بلجنة لوبلين على أنها الحكومة المؤقتة. الفرق الوحيد بين صيغة ستالين والصيغة الجديدة التي تم بها الاعتراف أن لفظة «توسيع» اللجنة قد ألغيت لتوضع مكانها لفظة «إعادة إنشاء». إن الفرق لم يكن يعني شيئاً كثيراً في نظر الغربيين ولكنه في نظر السوفيات تفويض بإنشاء حكومة متجاوبة مع الأغراض والمخططات الروسية.

واتفق الجميع على وجوب إجراء انتخابات حرة في أقرب وقت ممكن وقبل السوفيات بأن تكون الانتخابات تحت رقابة الأميركيين والإنكليز.

والواقع أن الجميع قد غادروا مؤتمر يالطا وهم يشعرون بأن تفاهم الكبار كان مرضياً جداً رغم المسائل الكثيرة التي بقيت معلقة بينهم ورغم الخلافات التي نجمت بين بعضهم والبعض الآخر.



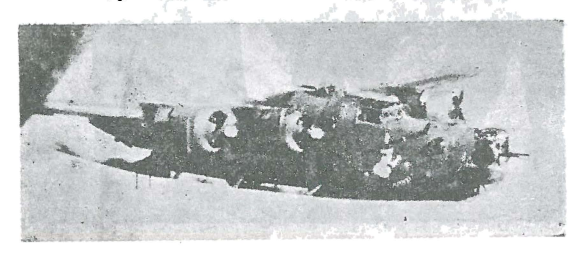
الهجوم النهائي ضد الريخ

كانت خطة الهجوم النهائي ضد الريخ تشتمل على ثلاثة وجوه: التحطيم الجماعي للجيوش الألمانية التي كان يجمعها هتلر عند نهر الرين؛ اجتياز نهر الرين مع الإحاطة بمنطقة الرور؛ احتلال قلب ألمانيا والاتصال بالجيش الأحمر. لم يكن الألمان يملكون أكثر من ٨٢ فرقة عسكرية يقابلون بها ٨٥ فرقة من جيش الجنرال أيزنهاور، يضاف إلى ذلك أن الفرق الألمانية قد انهارت معنوياتها بعد هزيمة الأردين. وقد تشبثت القوات الألمانية بنهر الرين واستندت إليه. ولكن وضعها قد ساء جداً عندما قرر هتلر في شهر شباط من عام ١٩٤٥ أن يقيل فون رانستد ويعين مكانه المارشال البير كسلرينغ. أما خط فاترلاند فلم تبق منه غير الخرائب. وكانت طائرات الحلفاء تضرب في الوقت نفسه المصانع العسكرية في إصرار ودأب وقسوة كما كانت تضرب طرق المواصلات ووسائل النقل وبصورة خاصة معامل الوقودالصناعي ،هذه المعامل التي لم تعد تنتج ما كانت تنتجه من قبل بسبب فقدان مادة الفحم. والواقع أن ألمانيا كانت آنذاك قد فقدت كل مصادر البترول الطبيعي بحيث ان قواتها المسلحة لم تعد تحصل إلا على ربع ما تحتاج إليه من البنزين و ١٥٪ من المازوت وقد تم صنعهما عام ١٩٤٤.

والملاحظ أن وجهات النظر المختلفة حول الاستراتيجية السياسية العامة كانت تجزؤ الحلفاء. فالانكليز مثلاً كانوا يريدون الانقضاض على شمال ألمانيا وعلى امتداد جبهة ضيقة. ووراء إصرار مونتغمري على خوض المعارك في جبهة ضيقة عبر منطقة الرين وفوق سهول وستفاليا كان يختبىء خوف الإنكليز من أن يتقدم الروس الذين بلغوا نهر الأودر إلى موانىء بحر الشمال، بينما يكون الحلفاء منشغلين بتطهير رينانيا في جبهة عريضة واسعة.

أما الأميركيون فقد كانوا يرون غير هذا الرأي. لقد كانوا يعتقدون أن العدو قد أصبح من الضعف بعد معركة الأردين وبعد هزائمه في الجبهة الشرقية بحيث ان أية حملة تتم على جبهة واسعة جديرة بالقضاء على مقاومته. ومن ناحية أخرى، وبما أن الألمان كانوا يضعون القسم الأكبر من قواتهم غربي نهر الرين وبما أن احتياطيهم قد نفد تقريباً،

طائرات مسر شميت ٢٦٢ **الألمانية وقد** عطبتها الغارات **الأميركية**



طائرة حليفة تشتعل النيران في مؤخرتها وقد أبى الطيار إلا أن يعود بها إلى قاعدتها

فإنهم في الحقيقة لم يعودوا يملكون شيئاً يقاومون به تقدم الحلفاء في بلادهم بعد أن يكون هؤلاء الأخيرون قد طهروا رينانيا. وكان الأميركيون على حق في هذه المرة.

والواقع أن أيزنهاور قد وافق على منح مونتغمري قيادة العمليات العسكرية الرئيسية على نهر الرين ولذلك وضع تحت قيادته ٣٧ فرقة بما فيها فرق الجيش الأميركي التاسع. أما المجموعة الثانية عشرة لجيوش الجنرال برادلي التي تضم ٢٥ فرقة فقد تلقت أمراً باختراق المناطق الوسطى بينما تكون المجموعة السادسة لجيوش الجنرال جاكوف ديفرز منهمكة بتغطية برادلي ومونتغمري حتى ينجحا في اجتياز نهر الرين.

كانت تصفية رينانيا هي الشيء الأول الذي يجب أن يقوم به الحلفاء. وقد تولى كل من الجيش الأميركي السابع والجيش الفرنسي الأول مهمة الاعداد لعملية التطهير هذه في جيب كولمار، وبتطهير الضفة الغربية للنهر بين الحدود السويسرية وستراسبورغ.



نموذج للجنود الفتيان الذين زج بهم هتلر في أواخر أيام الحرب



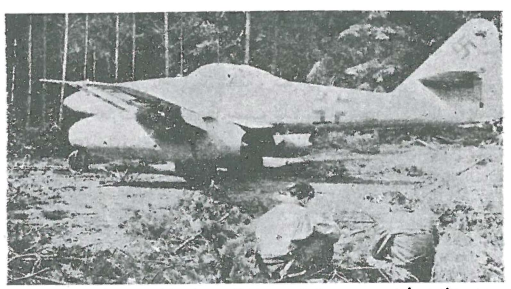
هذا الصاروخ ف ـ ٢ استولى عليه الانكليز في شمالي ألمانيا بحالة جيدة

أما في الشمال فإن الجيش الكندي الأول والجيش البريطاني الثاني قد أخرجا العدو نهائياً بين الموز والرين ثم انطلقا في حملة مشتركة على رينانيا. ولكن الألمان نسفوا سدود الرور لتغطية السهول المجاورة بالمياه. وقد تعثرت المدرعات الحليفة في سيرها هناك ووجدت صعوبات فائقة في اجتياز المنطقة. كما أن حملة الجيش التاسع على الجناح الألماني الأيمن قد تعثرت هي بدورها بسبب هذه المياه بحيث ان النازيين استطاعوا أن ينقلوا جهودهم كلها وقواهم إلى الجبهة البريطانية الكندية. وهنا وجد البريطانيون والكنديون أنفسهم، وهم ١١ فرقة منها فرقة المظليين المشهورة تحت نار ألمانية كثيفة. وكانت المعارك التي جرت في غابات ويتشولد وهوتشولد بين أعنف المعارك التي عرفتها تلك الحرب وأشدها هولاً. وفي تلك الأثناء كانت جيوش مونتغمري تدفع الألمان من الجهة الأخرى من الرين بفضل عمليات عسكرية نصف مائية. وبعد أسبوعين، في ٢٣ شباط، وعندما هبط منسوب المياه أطلق سمبسون جيشه التاسع في المعركة وتم تطهير الضفة الغربية لنهر الرين في وسط آذار بين نيماغ ودوسلدورف.

وكان جيش هودجز الأول عند جناح سمبسون الأيمن قد احتل كولونيا المدينة الألمانية الرابعة بعد أن استولى على سدود الرين وكان ذلك في ٧ آذار. وفي اليوم نفسه استولت فرقته التاسعة على جسر لودندورف في رماجن. فأمر هتلر عند ذلك بأن لا تهدم جسور الرين إلا في الدقيقة الأخيرة ليكون في الإمكان إيصال المؤن بصورة طبيعية وانسحاب الجيوش الألمانية بسهولة. ومهما يكن الأمر فإن النازيين لم ينجحوا في نسف جسر مارجل فثار هتلر وأمر بإعدام الضباط الأربعة الذين اعتبرهم مسؤولين عن ارتكاب هذه الخطيئة. وأطلق الجنرال هودجز في الجبهة الأخرى من الرين خمس فرق من

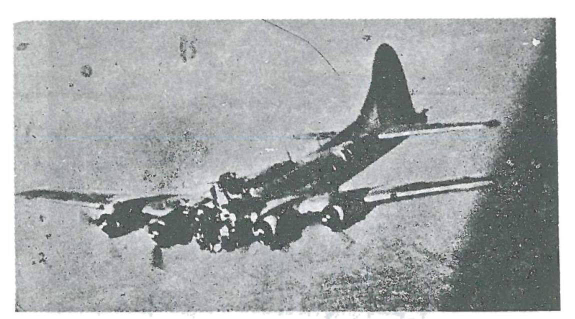
الجيش الأول فاستولت على المرتفعات التي تشرف على النهر وقطعت أوتوستراد فرانكفورت كولونيا. وهكذا تكون هذه الفرق قد احتلت رأس جسر طوله ٤٥ كلم وعرضه ١٤ كلم، حينما انهار جسر لودندورف عند نهر الرين.

وفي يمين هودجز كان باتون بجيشه الثالث يتصل بالجيش الأول في اندرناخ عبر تريف بين رماجن وكوبلانس. كل رينانيا في شمال الموزيل أصبحت الآن تحت إشراف الحلفاء. ولم يبق منها غير المثلث سار ـ بالاتينا، في الجنوب. واجتاز باتون الموزيل بينما كان باتش بجيشه السابع ينطلق عبر خط سغفريد. وقد تولى كلاهما تطهير المثلث بحيث ان الحلفاء احتلوا الرين كله في ٢٧ آذار. وبينما كان أيزنهاور يجمد الجيش الأول في رأس الجسر فوق منطقة رماجن بانتظار هجوم مونتغمري في الشمال في ليل ٢٢ آذار اجتاز باتون الرين بفرقة كاملة عند أوبنهيم بين مامز ومانهيم. وفي ٢٣ آذار



كان الألمان أول من صنع الطائرات النفاثة، وهذه الطائرة استولى عليها الحلفاء في ٢ نيسان ١٩٤٥

وجه مونتغمري ضربة كبيرة إلى وسيل. وقد تم ذلك بهجوم أعد بدقة وسبقته غارات جوية كثيفة وقذائف مدفعية وعمليات هبوط المظليين وراء الخطوط الألمانية. واجتاز مونتغمري الرين بأربع فرق وسحق مواقع الألمان الدفاعية. وهنا تابع الجيشان الأول والثالث الأميركيان هجومهما عبر رأسي الجسر في رماجن وابنهيم وتقدما إلى الأمام. وأحاط الجيش التاسع بطرف الرور الشمالي بينما فعل الجيش الأول مثل ذاك في الطرف الجنوبي وتلاقى الجيشان في لبستاد وتم حصار الرور. وقد استطاع الألمان رغم الخسائر الثقيلة التي نزلت بهم أن ينسحبوا بالقسم الأكبر من جيوشهم من الرين. أما في الرور فقد وجدوا أنفسهم محاطين من كل جانب. وفي ١٨ نيسان تم في جيب الرور استسلام



إحدى القلاع الطائرة تهوي وتتحطم قرب بودابست

٣٢٥ ألف جندي. وقد انتحر قائد هؤلاء الجنود المارشال موديل وهو النازي المتعصب حتى الموت. وبعد احتلال السار وسيليزيا ثم الرور خسرت ألمانيا آخر مناطقها الصناعية الكبيرة. يضاف إلى ذلك ان قواتها المقاتلة قد قضي عليها تقريباً. وهكذا يكون الحلفاء قد تغلبوا على كل عقبة في طريقهم إلى برلين.

أرسل مونتغمري الكنديين إلى الشمال باتجاه هولندا بينما كان الجيش البريطاني الثاني يتجه نحو البلطيق. أما برادلي من جهته فقد أطلق سمبسون هودجز وباتون عبر ألمانيا الوسطى باتجاه الألب. وأما ديفز فقد جعل جيش باتش الأميركي السابع يجتاز الرين في ٢٦ آذار وجعل الجيش الفرنسي الأول يجتازه في ٣١ كما دفع الأميركيين نحو مونيخ وسالزبورغ، والفرنسيين نحو شتوتغارت وسويسرا.



جنود ألمان يستسلمون بالرغم من أوامر هتلر



اختار الجندي الألماني هذا المخبأ المثالي، ولكن هل يحميه من الأسر

الرعب الأكبر

واستمر تقدم الحلفاء فاكتشفوا من الفواجع والمفاجآت ما لم يكن يتصوره أحد من الناس. المفاجأة الكبرى ليست تلك الثروة الخيالية من السبائك الذهبية والنقود الأجنبية المختلفة التي قدر ثمنها بما لا يقل عن ٢٥٠ مليار دولار والتي دفنت في منجم من الملح على عمق ٤٠٠ متر،ولكن المفاجأة الفاجعة كانت في معسكرات الاعتقال التي افتن المراسلون الحربيون والمصورون في إعطاء صورة عنها هي أقل كثيراً من الأمر الواقع.

من هذه المعسكرات الرهيبة معسكر «برجن ربلسن». ستون ألفاً من الرجال والنساء والأطفال كان الموت يغزوهم من كل جانب. والمصيبة أن هذا الموت لم يكن يأتيهم مرة واحدة بل يقترب منهم ببطء شديد؛ تسبقه عمليات إذلال رهيبة للكرامة الإنسانية.

الجوع، والحرمان من الماء، والإهانة، وهي كلها تترك آثارها في معالم الوجوه، في العيون الغائرة، والأطراف الهزيلة، واليأس القاتل الرهيب، والنظرات الزائغة. وأخيراً في الأفران التي تلتهم أجساد الضحايا بالمئات والألوف.

وقد وجد الحلفاء في تقرير وضع عن أعمال حاكم المعسكر خلال الشهر الأخير الذي سبق وصولهم إلى المعسكر، إشارة إلى أن عدد الضحايا الذين التهمتهم أفران المعسكر الوحشي بلغ ١٧ ألفاً بين رجل وامرأة وطفل. وإذا كانت ألوف من جثث

الأموات والمحتضرين كانت تملأ ساحات هذا المعسكر عند وصول الحلفاء فلأن ندرة الوقود قد حالت دون إحراق البقية الباقية.

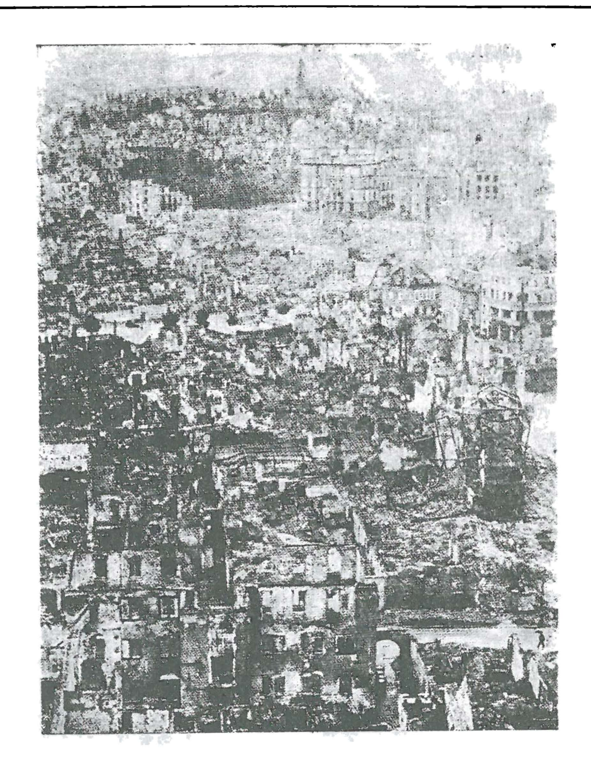
والواقع أنه ليس في وسع الإنسان أن يتصور السقوط الفاجع الذي سجلته ألمانيا النازية، والجرائم العجيبة التي قامت بها ما لم يشهد هو شخصياً معالم هذه الجرائم وميادينها في المعسكرات المنتشرة في طول البلاد وعرضها.

شيء واحد يستطيع أن يعطي تفسيراً تقريبياً لهذه المأساة البشرية؛ الجنون. الجنون الذي يفقد معه صاحبه كل قيمة أخلاقية وكل حس بشري فيتحول به إلى أداة رهيبة للتخريب القذر القاسي الذي لا يمكن أن يصفه قلم أو تنقله عدسة مصورة.

وعندما ينظر الإنسان إلى الألمان بعد الهزيمة أو قبلها لا يمكنه أن يتصور بأن هؤلاء الناس يمكن أن يكونوا صانعي هذه الفواجع الفريدة.



معسكر الموت في داشو



درمشتات وقد قذفتها قنابل الطائرات الحليفة

الجيش الأحمر في ألمانيا

في كانون الثاني انطلق الروس في هجوم على الجبهة الوسطى. وقد بدأ الهجوم على التحديد في الثاني عشر من هذا الشهر حين انطلق كونيف من رأس الجسر بين سادوميارز وبارانوف على نهر الفيستول، وتبعه جوكوف بعد ذلك بيومين تقريباً من فرصوفيا. وقد حطما معاً خط الدفاع الألماني

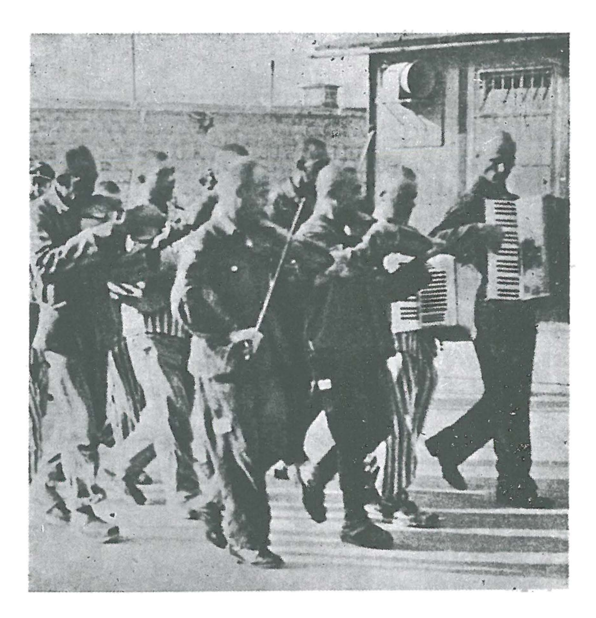
عند الفيستول ثم سارا عبر السهول البولونية إلى ألمانيا حينما لم يجدا أمامهما أية عقبة طبيعية.

أما جوكوف فحاصر فرصوفيا، وأخذها من الوراء في ١٧ كانون الثاني، ثم تابع طريقه نحو الأودر. وفي ١٩ منه استولى كونيف على كركونيا التي غادرها الألمان قبيل ذلك وانطلق بعدها نحو سيليزيا. وفي أواسط شباط كان جوكوف قد بلغ الأودر عند فرانكفورت وكيوسترن على ٧٠ كلم تقريباً من برلين؛ أما كونياف فقد بلغ نيس على بعد ٩٠ كلم وراء بريسلو وعلى بعد ١٥٠ كلم من براغ. لقد كان هذا الانتصار انتصاراً رائعاً للجيش الأحمر وكارثة لألمانيا. وبذلك يكون الروس قد اجتازوا خلال ثلاثة أسابيع مسافة ٤٢٠ كلم، واحتلوا القسم الأكبر من بولونيا واستولوا على مناجم الفحم والمصانع في سيليزيا التي هي الحوض الصناعي الأخير الألماني والذي لم يستطع الطيران الحليف أن يحدث فيه تخريبات كبيرة.

وفي آذار، حاول جوكوف أن يبيد المواقع القوية والجيوب التي تركها محاصرة وراءه. كما أنه استطاع بمعونة روكوسوفسكي أن يحرر جناحه الأيمن من الأخطار التي كان متعرضاً لها. ثم وجه نحو الشمال أفواجاً فتحت طريقاً لها باتجاه مصب الأودر، واستولت على ستاتن وسحقت الحاميات الألمانية في الجيوب المختلفة. وعندما استولت على جيدينيا ودانتزيغ في نهاية مارس لم يبق غير ثلاثة جيوب نازية عند شاطىء البلطيق شرقي الأودر: كورلاند، كونيغسبرغ، كولبيبر في بوميرانيا. وفي ٩ نيسان وبعد معارك عنيفة جرت



الجيش الأحمر في طريقه نحو ألمانيا



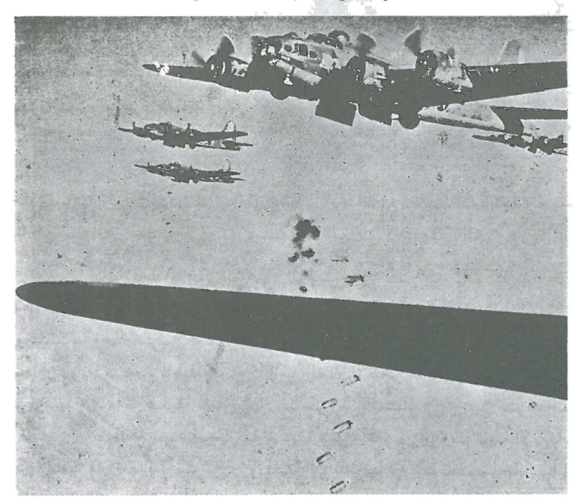
فرقة موسيقية من الأسرى الألمان

في الشوارع سقطت كونيغسبرغ في أيدي قوات فاسيلفسكي. وبتطهير كولبيير كان الروس قد استولوا على خط مستمر يبتدىء من الشمال إلى الجنوب على امتداد الأودر ونيس مما أتاح لجوكوف وكونيف فرصة التصرف بجيشين جديدين لسحق خط الأودر.

أما في جبهة الدانوب فقد سقطت بودابست المحاصرة بين أيدي مالينوفسكي وطولبوخين في ١٣ شباط رغم الهجمات الألمانية المعاكسة وبعد سبعة أسابيع جرت فيها معارك شوارع متوحشة من بيت إلى بيت. ثم وجه المارشالان الروسيان جيشهما نحو فيينا، التي وجدت نفسها في قبضة كماشة قوية. ووصل طولبوخين إلى فيينا من الجهة الجنوبية الشرقية منطلقاً من ضفتي بحيرة بالاتون؛ بينما قاربها مالينوفسكي من الشمال الغربي عبر المجر وسلوفاكيا. وفي ٣ نيسان استولى أحدهما على براتسلافا



جنود روس يرقصون ابتهاجاً بالنصر



القلاع الطائرة الأميركية تغير على ميناء بريمن



المصفحات الأميركية
تخترق شوارع نورمبرغ المهدمة

واحتل ثانيهما ولير نوستاد. بعد ذلك بأربعة أيام وجدت قواتهما نفسها عند ضواحي فيينا ثم سقطت المدينة في ١٣ نيسان بعد معارك دامية في الشوارع.

وبينما كان الحلفاء يسيرون على الجبهتين من نصر إلى نصر كانت وجهات نظرهم المختلفة والمعلقة في مؤتمر يالطا تزداد حدة وشدة. فمن ناحية كان تشرشل وروزفلت قد وعدا ستالين بضمان أمن السوفيات من قبل حكومات صديقة في البلاد المجاورة لروسيا. ومن ناحية أخرى كانا من أنصار الانتخابات الحرة التي لا يمكن أن تخرج منها حكومات صديقة للسوفيات. لم يكن من المنتظر في أوروبا الشرقية آنذاك أن تحصل أية حكومة شيوعية على أية مساندة شعبية عفوية. فإذا لم توجه الانتخابات توجيهاً متفقاً مع تعهدات تشرشل وروزفلت فإن نتائجها لن تكون لمصلحة ستالين.

وهنا أثار ستالين موضوع اقتسام النفوذ الذي وافق عليه تشرشل واتفاقات يالطا

لكي يحصل على اعتراف إنكليزي أميركي بالسلطة السوفياتية في المنطقة. ولم يعترض الزعيمان الغربيان على امتصاص السوفيات للبلدان البلطيقية كما وافقا على أن تكون المبادرة للشيوعيين في كل من يوغوسلافيا والبانيا.

وحيثما كان الجيش الأحمر كان ستالين يستعين بالأقليات الشيوعية المسلحة ويمارس ضغوطه السياسية ليضمن لبلده حكومات صديقة في أوروبا الشرقية. وفي الربيع وصلت المفاوضات بين الشرق والغرب إلى طريق غير نافذ. ولم يبال ستالين باحتجاج تشرشل وروزفلت فأقام نظماً خاضعة للنفوذ الشيوعي في رومانيا وبلغاريا وبولونيا، وحكومات غير شيوعية في النمسا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ولكن الروس قد باركوها. أما فنلندا فقد استطاعت وحدها نسبياً أن تحافظ على سيادتها الوطنية. وهكذا استطاع الروس أن يعيدوا بناء امبراطورية المانيا الشرقية دون الاهتمام بموافقة الأنكلوساكسون.

انتصار الحلفاء

تابع المارشال ألكسندر ضربه للألمان بعد استيلائه على روما في حزيران من عام ١٩٤٤ وذلك ليحول دون أن ينقل هتلر جيشين من أحسن جيوشه في إيطاليا إلى الجبهة الغربية أو الشرقية. ورغم أن قوات ألكسندر قد ضعفت بسبب انسحاب باتش بجيشه السابع الأميركي للقيام



آخن تستسلم للقوات الحليفة، حتى الأطفال حملوا العلم الأبيض



اختفى الصليب المعقوف ورفعت الأعلام البيضاء

بعمليات النزول في جنوب فرنسا، فقد استطاع ألكسندر أن يتقدم ٤٠٠ كلم خلال شهرين ابتداءً من خط غوستاف حتى الخط الغوتي. وفي نهاية شهر آب بلغت جيوشه الضفة الجنوبية لنهر الأرون. وكان كسلرينغ قد سحب قواته بمهارة إلى الغوتي وهو خط يمتد ٢٧٠ كلم وينتشر عمقاً ٣٠ كلم وفيه مواقع دفاعية قوية قائمة بين الأبونين والشاطىء الأدرياتيكي، من لوكا إلى بيزارو. وفي أيلول انقضت الجيوش الحليفة على الخط الغوتي، ولكن المطر والشتاء، وطبيعة الأرض الصعبة، ومقاومة المانية عنيفة قد أوقفت الجيش الخامس الذي يقوده الجنرال مارك كلارك قرب بولونيا والجيش البريطاني الثامن فيما وراء ريميني.

وكانت انتصارات الجيش الأحمر وتصلب السوفيات من الناحية السياسية وتجاهلهم لاتفاقات يالطا قد أحدثت خلافات عنيفة بين الانكليز والأميركيين أنفسهم. مرة أخرى كان على الغربيين أن يقرروا ما إذا كانت إدارة الحرب خاضعة لاعتبارات سياسية أو لأغـراض استراتيجية محض؛ وبعبارة أخرى هل يكون الهجوم في ألمانيا ضيقاً أو عريضاً؟ وكان تشرشل يتمنى في أعماق نفسه أن يشد على أيدي الروس في أبعد نقطة ممكنة من الشرق بعد أن بدأ القلق يساوره من تنامي القوة السوفياتية في أوروبا الشرقية. وبالتـالي كـان يريد أن ينطلق أيزنهاور إلى الأمام ويحتل من الأرض الألمانية أكبر قدر ممكن لتقوية الموقف الانكليزي الأميركي في مؤتمر السلام القادم. وقد كان يهدف من هذه الطريقة ليس فقط التعرف إلى النيات السوفياتية التي كانت قد بدأت تثير شكوكه بل إلى اصطناع موقف يسمح له بالضغط على الروس في الوقت



الجنود الأميركيون مروا من هنا ولم يعترضهم أي ألماني

المناسب. كان تشرشل يعتبر برلين من الناحيتين السياسية والرمزية هدفاً أساسياً. أما الروس فقد كانوا يتصرفون بالنسبة لبرلين خاصة كما لو أنهم قد ربحوا الحرب وحدهم، لذلك كان تشرشل يكتشف أهمية احتلال برلين قبل السوفيات. وكان يأمل من ناحية أخرى أن يستتبع سقوط برلين نهاية المقاومة العسكرية من جانب الألمان.

أما أيزنهاور فلم يكن يرى أية أهمية لبرلين من الناحية العسكرية ولم يكن في نيته أن يخسر ١٠٠ ألف جندي مقابل لا شيء. يضاف إلى ذلك أن جيوشه كانت على



ضحايا الحرب إنهم الآن من الألمان



الجنرال تشويكوف بطل ستالينغراد
كان جنوده أول من دخل برلين

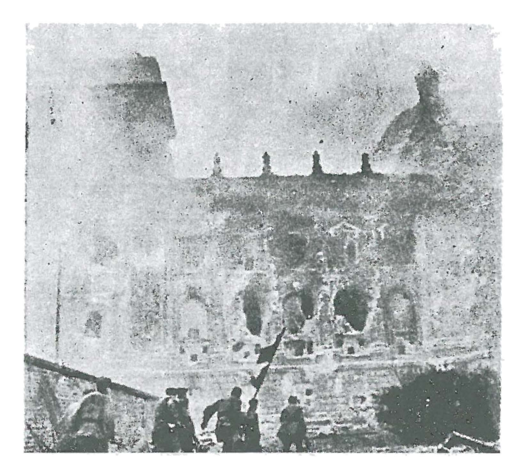
بعد ٣٠٠ كلم من برلين بينما كان جوكوف على أقل من ٦٠ كلم. وبما أن مناطق الاحتلال قد حددت في يالطا من قبل الزعماء السياسيين فهو لا يرى معنى لضرورة احتلال مناطق في الشرق مما سيضطره يوماً للتنازل عنها للجانب الروسي.

وهناك أيضاً المعلومات التي نقلتها إلى أيزنهاور دوائره الاستعلامية والتي تتحدث عن وجود خط نازي لخوض معركة هيستيرية من قبل الألمان في قلعة جبال الألب في بلغاريا. تلك المعركة التي تستهدف تطويل مدة الحرب للحصول على شروط سلام أكثر ملاءمة. وقد قرر أيزنهاور من أجل أن يقضي على هذا المخطط نقل هجومه الرئيسي إلى قطاع بعيد عن برلين حيث يجد مقاومة أقل ويكون في وسعه تحرير جناحه الجنوبي والقضاء على التجمعات الألمانية في بافاريا.

وفي يالطا سمح لأيزنهاور بتنسيق خططه العسكرية مباشرة مع الروس دون أن



الدبابات الروسية تتجه نحو قصر المستشارية في برلين



الريخشتاغ وقد أصابته القنابل

يمر بقيادة رؤساء أركان الحرب المختلطة. وفي هذه المرحلة الأخيرة من المعركة وجد أيزنهاور ضرورة اتخاذ قرارات بالسرعة الفائقة تجنباً لأي اصطدام بين الحلفاء الغربيين والروس بينما تقترب جيوش الطرفين بعضها من البعض الآخر. لقد كان على أيزنهاور إذاً أن يتصرف بحرية. فأبرق إلى المارشال ستالين في ٢٨ آذار ينبئه باستعداده لهجوم كبير على درسولا وعلى برلين ويسأله إطلاعه على الخطط الروسية. وقد وافق ستالين على تكتيك أيزنهاور ولكن تشرشل ورؤساء أركان حرب البريطانيين قد غضبوا وأعلنوا أن أيزنهاور قد تجاوز سلطاته بالتفاهم معه والاتصال به بصورة مباشرة. وقد سجلوا



منظر أخذ من الجو للآلاف من الأسرى الألمان

معارضتهم لخطط أيزنهاور؛ إن ما كانوا يريدونه هو التقدم نحو البلطيق في الشمال ونحو برلين في الوسط وإلى ما وراء الألب على طول الجبهة إلى أبعد حد ممكن لا إلى الجنوب كما أراد أيزنهاور. وحاول تشرشل إقناع روزفلت بإلغاء هذا القرار ولكن روزفلت ورؤساء أركان الحرب الأميركيين ساندوا أيزنهاور حتى النهاية.

مرة أخرى ينفجر خلاف عميق بين الحلفاء بالنسبة للأغراض العسكرية والسياسية في أوروبا. وكما أن تشرشل قد فشل في تدعيم مشروعه سابقاً لغزو أوروبا من جنوبها الشرقي للحيلولة دون احتلال الروس للقسم الأكبر من بلاد البلقان فقد فشل في هذه المرة أيضاً حين حاول أن يحد من امتداد النفوذ السوفياتي في أوروبا الوسطى.



في برلين، الألمان يستسلمون قرب جثة أحد رفاقهم

وفاة روزفلت

إن إصرار الإنكليز وعداوة السوفيات المتنامية كادا يقنعان روزفلت بتغيير رأيه، ولكنه في عزلته في وورم سبرنكر في جورجيا قد أصيب بنزيف دماغي في ١٢ نيسان وقد امتد هذا النزيف عدة ساعات، وفي اليوم التالي كان روزفلت في عداد الضحايا الأخيرة للحرب. واختفى روزفلت في الوقت الذي كانت الخلافات السياسية العميقة بين الحلفاء على أشدها وفي وقت كانت فيه صورة السلام صورة غامضة مبهمة. وجاء هاري ترومان ليأخذ مكان روزفلت فوجد أن الأحداث تجرفه ورأى أن السلامة هي في متابعة خطة روزفلت في الحرب.



برلين الساحة **لقد** ذاقت أخيراً طعم الخراب **والشقاء**

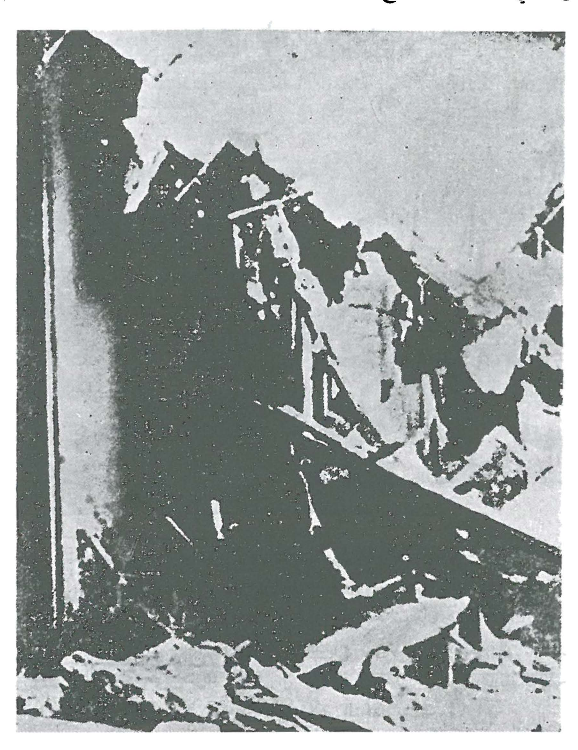
موت الطاغية

كان انهيار الريخ يقترب. وكان هتلر يدرك حتميته ومع ذلك فقد أصر على جر ألمانيا إلى الهاوية. قال يوماً: «إذا خسرنا الحرب فإن على الأمة أن تهلك. هذه إرادة القدر. لا فائدة من السعي إلى أية عملية من عمليات الإحياء حتى أكثرها بدائية... إن الأفراد الذين سيبقون بعد نهاية الحرب سيكونون مخلوقات متخلفة منحطة ذلك لأن النخبة ستنتحر».

وأمر هتلر بالاستعانة بسياسة الأرض المحرقة. ولأول مرة اتفق القادة العسكريون والصناعيون الألمان على رفض هذا الأمر.

في نيسان بدأ الريخ يتفتت من كل مكان.

أما الجيوش الإنكليزية الأميركية فكانت قد بلغت خط الب ـ مولد؛ وقد لبثت فيه أسبوعين بانتظار وصول الجيش الأحمر. في ذلك الوقت كان جوكوف يخرج من رأس الجسر في كيوسنرن وراء الأودر، وكونياف يدور حول نيس ليمشي كلاهما إلى برلين. وفي ٢٥ نيسان استطاع أن يحاصر المدينة. وقد حاول هتلر من مخبأ له قائم



هذا ما فعلته قنابل الطائرات الحليفة في برلين

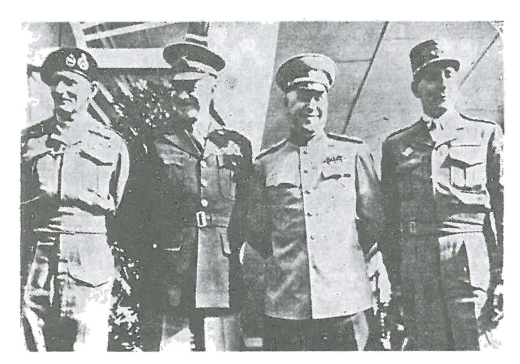


كايتل يوقع وثيقة استسلام ألمانيا

تحت بناء مستشارية الريخ أن ينظم معركة دفاعية متعصبة غير مفيدة.

وأخيراً، وبعد أن اقترب الروس، وفي ٣٠ نيسان على التحديد، تزوج هتلر عشيقته إيفا براون وقتلها بالسم ثم أطلق في فمه طلقاً نارياً. وفي المخبأ نفسه وضع غوبلز السم لامرأته وأطفاله الستة قبل أن ينتحر هو شخصياً بهذا السم ثم أحرقت أجساد الجميع بتوصية منهم.

وفي ٢ أيار وبعد ١٢ يوماً جرت فيها معارك وحشية سقطت عاصمة الريخ بين أيدي جوكوف وكونياف.



المنتصرون من اليسار إلى اليمين: مونتغمري، ايزنهاور، جوكوف، دي لاتر



غوبلز يصافح جندياً عمره خمس عشرة سنة ويقلده الصليب



تشرشل بين ممثل فرنسا الحرة الجنرال ديغول (إلى يساره) وممثل بولونيا الحرة سيكورسكي (إلى يمينه)

النهاية في ألمانيا

أما هودجز فإنه بعد أن احتل ماغدبورغ وليبزيغ بجيشه الأول اتصل بالجيش الأول الأوكراني الذي يقوده كونياف في ٢٥ نيسان في مدينة تورغو عند الألب. أما جيش باتون الثالث فقد اجتاح الحدود التشيكية في ٥ أيار. وقد كان في وسع هذا الجيش أن يجتاز بوهيميا كلها ويسير نحو

براغ دون الاصطدام بجنود كونياف الذين كانوا آنذاك على بعد ١١٠ كلم من العاصمة التشيكية. وقد أعلم أيزنهاور الجانب الروسي باستعداد باتون للتوغل نحو براغ ولكن القيادة السوفياتية العليا اعترضت على ذلك وطالبت بوقوف باتون عند خط بودجوفس ـ بلسن ـ كارلسباد. ورغم أن تشرشل قد ألح على الأهمية السياسية لتحرير براغ وتشيكوسلوفاكيا الغربية من قبل الانكليز والأميركيين، وبالرغم من أن المقاومة التشيكية قد طالبت بمساعدة الحلفاء الغربيين، رأى أيزنهاور أن يحترم اتفاقه مع الروس وأصر على جيوش باتون أن تقف حيث هي. وسحق الألمان الثورة التشيكية وترك أمر تحرير براغ للجيش الأحمر.

أما في الشمال فإن مونتغمري الذي وكل أيزنهاور إليه قيادة وحدات من الجيش التاسع، اجتاز الألب واستولى على لوبك وكيال وحاصر الألمان في الدانمرك. وسبق الإنكليز زملاءهم الروس في سعيهم إلى البلطيق بمدة ٢٤ ساعة؛ وقد واجهوا أفواج روكوسوفسكي العسكرية في وزمار بين لوبك وروستوك.

أما في الجنوب فإن الأميركيين لم يجدوا المقاومة العنيفة التي كانوا يتوقعون مواجهتها في قلعة جبال الألب، وقد توقف الجيش السابع عند أنسبروك في ٣ أيار ينتظر الروس الذين كانوا يصعدون من الجنوب الشرقي، بينما كان الجنرال باتش وجيشه السابع يسيران نحو ممر برينر للاتصال بالجيوش الحليفة المنتصرة في شمال إيطاليا.

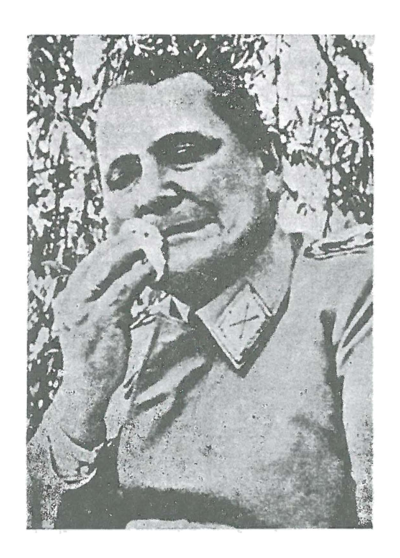
هناك، وفي ٩ نيسان كان الجيش الأميركي الخامس والجيش البريطاني الثامن



جندي أميركي وآخر روسي يتعانقان عند التقاء جيشيهما في ألمانيا



هملر الذي أسره البريطانيون يموت منتحراً بالسم



غورنغ عندما أسره الأميركيون



في هذا المكان انتحر هتلر

يقومان بآخر هجوم لهما فاجتازا خط (بو) والمواقع الدفاعية الألمانية. وأحاط البريطانيون سريعاً بطرف بحر الأدرياتيك ليلتقوا بأنصار تيتو قريباً من ترياستا. أما بالنسبة للأميركيين فقد تابعوا سيرهم نحو ممر برينر ليمنعوا الألمان من الانسحاب في الوقت نفسه الذي كانوا يندفعون فيه نحو الغرب لملاقاة الجيوش الفرنسية الآتية من الريفييرا. وثار الأنصار الإيطاليون في ٢٥ نيسان واحتلوا المدن الإيطالية الرئيسية ولا سيما ميلانو وتورينو وجنوى ثم البندقية. وفي ٢٨ نيسان وعند بحيرة كومو وقفوا



مجندة روسية
تنظم السير في أحد شوارع برلين



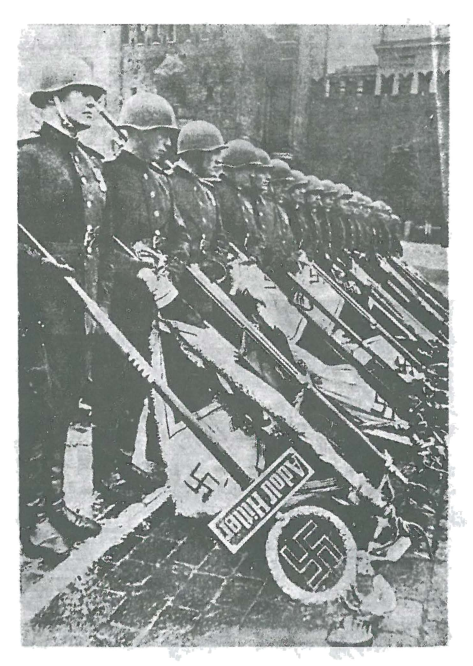
هتلر وإيفا براون

موسوليني وعشيقته كلارا بيتاتشي بينما كانا يحاولان اجتياز الحدود السويسرية فقضوا عليهما دون شفقة وحملوا جثتيهما إلى ميلانو حيث شنقوهما من أرجلهما في حديقة عامة.

موقف الألمان كان موقفاً يائساً. وكانوا يعرفون ذلك حتى انهم حاولوا أن يفاوضوا الحلفاء الغربيين على حدة. وطبعاً فعلوا ذلك ليحولوا دون وقوع القسم الأكبر من جيوشهم بين أيدي الروس. ولكن الأنكلوساكسـون والواثقين من تفوقهم لم يقبلوا

غير استسلام شامل. وأخيراً استسلم زعيم الريخ الجديد الأميرال الكبير كارل دونتز وتم التوقيع على الاستسلام دون قيد أو شرط في ٧ أيار وفي مبنى القيادة العامة لايزنهاور في ريمس بحضور كل الحلفاء. على أن الاستسلام لم يصبح عملياً إلا في اليوم التالي. وقد عقدت جلسة استسلام أخرى في ٨ أيار بين خرائب برلين وهي الجلسة الوحيدة التي يعرفها الشعب الروسي.

وانتهت الحرب في أوروبا بعد خمس سنوات ونصف. وكانت حصيلتها ملايين من الرجال الموتى وملايين من المشوهين أو اللاجئين الذين لا بيت لهم ولا وطن في



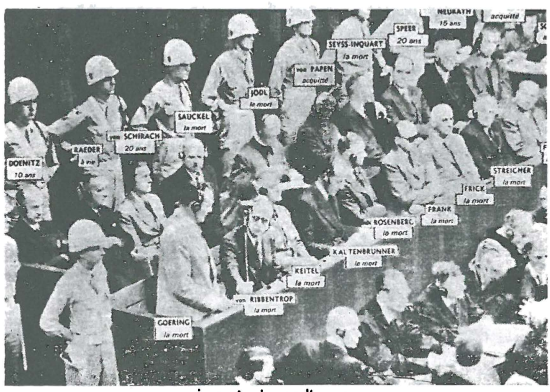
أعلام نازية في العرض العسكري في موسكو في عيد النصر

قارة دميت ونزفت دماؤها حتى قاربت الانهيار. واختفى ريخ الألف عام. وكان مصير القادة النازيين والقواد العسكريين الألمان الموت أو السجن عند الحلفاء. هكذا كانت نهاية المأساة في قارة صنع بعض سكانها آلة الموت باسم التفوق العنصري والرغبة في استغلال شعوب العالم. لقد كانت ألمانيا النازية رمزاً لروح الطغيان الاستعماري في أوروبا. وعندما لم يستطع بعض أوروبا المستعمرة أن يأكل شعوب القارات البعيدة راح يأكل الشعوب الأوروبية تماماً كالنار التي تأكل نفسها حين لا تجد ما تأكله.

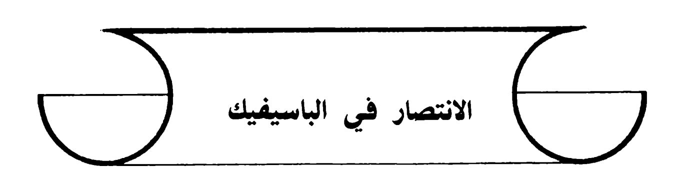
والمؤسف أن أوروبا لم تستطع أن تتعلم الكثير من تجربة هذه الحرب الدامية المدمرة فاستمرت تدفع ثمن الكبرياء والعدوان الاستعماري في أكثر قارات العالم ولا سيما إفريقيا وآسيا فلا تغادر بلداً من بلدان هاتين القارتين إلا على رؤوس الرماح وبطلقات الرصاص والمدافع.

وقد بـدا إصرار أوروبا على التشبث بعقليتها الرجعية التي وجدت في النازية رمزها وعنوانها في الجريمة التي ما تزال ترتكب فوق الأرض الفلسطينية. فإذا كانت النازية تهدف إلى استعباد الشعوب فإن الصهيونية التي يساندها الحلفاء الغربيون أنفسهم تهدف إلى إبادة ١٠٠ مليون عربـي.

هذه هي الحلقة المفرغة التي تدور فيها أوروبا. وقد دفعت الثمن غالياً بسببها ولعلها ستدفع حياتها كلها يوماً ما إن هي لم تخرج من دوامة أسطورة التعصب العنصري والتمييز الديني.



مجرمو الحرب في نورمبرغ



الانتصار في الباسيفيك

كانت جزائر مارشال في حزيران من عام ١٩٤٤ قد أصبحت بين أيدي الأميركيين منذ مدة طويلة، وكانت معركة غينيا الجديدة تقترب من نهايتها، بينما «تراك» ستصبح محايدة عن قريب. هذا كله والأميركيون ينطلقون في هجوم مضاعف لإحداث ثغرة في الحلقة الثانية من جزائر اليابان الدفاعية؛ وبينما تقفز قوات ماك آرثر «قفزة الخروف» من جزائر غينيا إلى موروتا، تهاجم قوات نيمتز جزائر الماريان وبولوس. ثم تنطلقان بعد ذلك نحو الفيليبين.

والواقع أن الماريان المؤلفة من ١٧ جزيرة على بعد ألفي كيلومتر جنوبي طوكيو، تبدو في الطرف الجنوبي منها أربع ذات موقع استراتيجي هام. إنها: غوام، تينيان، روتا، سايبان. وكانت اليابان قد استولت على الجزر التي كانت تملكها ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى ثم أعطت عملية الاستيلاء هذه صفة شرعية بالحصول على انتدابها عليها من قبل عصبة الأمم. أما غوام وهي ملكية أميركية منذ عام ١٨٩٩ فقد انتزعها اليابانيون بعد بيرل هاربر.

وقد كان في وسع نيمتز أن يهاجم جزائر بالوس والفيليبين إلى الغرب وجزائر بونان وريوكيو إلى الشمال وأخيراً الجزائر اليابانية بالذات بعد أن تصبح جزائر الماريان تحت تصرفه ـ منطلقاً من القواعد البحرية والجوية التي تقوم فيها. والاستيلاء على جزائر الماريان لا يقطع طريق التموين على جزيرة تراك فقط ولكنه يضع تحت تصرف الأميركيين مطارات تسمح لطائراتهم بضرب طوكيو من الجو.

وقد قام اليابانيون بهجوم واسع في الصين طردوا فيه القوة الجوية الأميركية الرابعة عشرة من قواعدها الأمامية. وتكون الماريان بذلك منطلقاً لاقلاع الطائرة (ب ـ ٢٩).

على أن الماريان إذا كانت قادرة على منح مثل هذه الامتيازات لمن يحتلها فقد كانت تطرح العراقيل الكثيرة أمام من يحاول احتلالها. الصعوبات التي كانت تتراكم

تبتدىء من شواطئها الصخرية ومن أرضها الممتدة المليئة بالتضاريس والفجوات والملائمة جداً لعمليات الدفاع التي كان يقوم بها، بالإضافة إلى الحامية اليابانية العسكرية، ٣٠٠٠ من سكانها الوطنيين (شامورو) وعدد كبير من أكثر المدنيين اليابانيين ولاء للوطن الياباني. وقد وكل نيمتز مهمة خاصة للقوة البحرية (٥٨) التي كان يقودها الأميرال سبروانس، المشتملة على: ٥٣٥ سفينة، ٢٠٠٠ طائرة، ٣٠٠,٠٠٠ جندي وبحارة ورماة بحريين، هذه المهمة هي انتزاع جزائر سايبان، تينيان، غوام من اليابانيين. وقد أعد سبروانس للحملة على سايبان، فرقة البحارة الثانية وهم من قدماء المقاتلين في غوادالقنال وتاوارا، والفرقة البحرية الرابعة من قدماء المقاتلين في جزائر مارشال، تساندهما فرقة مشاة الجيش السابعة والعشرون وهم من قدماء المقاتلين في ماكين وأنويتوك، بحيث ان مجموع القوات يبلغ ٧٧٦٠٠ رجل. وفي ١٥ حزيران أي بعد ٩ أيام من بداية معركة نورمانديا نزلت هذه القوات في سايبان حيث استقبلها حاجز من قنابل المدفعية الرهيبة.

وقد لوحظ أن اليابانيين لم يكونوا قد استكملوا مواقعهم الدفاعية في سايبان لأنهم قد أعطوا الأولوية لجزائر بالوس لأن ماك آرثر قد سبق له أن نزل بقواته في بياك في ٢٦ أيار. ولذلك فقد كانوا يقدرون توجيه الحملة الأميركية الأولى على بالوس.

ومع ذلك فقد كان في سايبان ٣٢٠٠٠ رجل يقودهم الجنرال جيرو سايتو الذي قاد الحملة بتصميم وبراعة مدهشين. لقد استقبل اليابانيون الجنود والرماة البحريين الأميركيين بموجات متوحشة عنيفة من طلقات المدافع والهاون والرشاشات وهم مختبئون في أعشاشهم المسلحة ومتاريسهم العميقة التي تزرع أرض الجزيرة، فدفع الأميركيون ثمناً كبيراً لكل خطوة سجلوها في الجزيرة. وقد حدثت خلافات في طريقة الاستعداد والخطط التكتيكية وقيادة البحرية سببت مضاعفات وتعقيدات تزايدت بعد ذلك حينما أقدم قائد البحرية (هاولن ـ ماد) سميث على إقالة قائد الجيش البري رالف سميث لأنه اعتبر هذا الأخير بطيئاً في تقدمه، وأن بطئه قد عرض جناح الفرق البحرية للخطر.

لقد احتاج الأميركيون لاجتياز الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها ولاحتلال ثلثها الأدنى إلى أسبوعين من المعارك القاسية المتوحشة وطبعاً لاحتلال مطاريها الكبيرين والمرتفعات الاستراتيجية لقمة تابوتشو. ثم احتاجوا إلى أسبوعين إضافيين لحصر بقايا الحامية اليابانية في نتوء صغير عند طرف سايبان الشمالية. وفي ٤ تموز وبعد أن فقد اليابانيون، غاراپان، عاصمة الجزيرة ـ قاموا بهجومين انتحاريين لم ينتج عنهما غير

مذبحة دامية. وفي ٨ تموز، وبعد ٢٥ يوماً من مذبحة الهجومين الانتحاريين وفشلهما توقفت كل مقاومة يابانية منظمة في الجزيرة. أما عمليات التطهير النهائية فقد استمرت بعد ذلك عاماً كاملاً. أكثر من ٣٠٠٠ أميركي قتلوا في المعركة. واعتبر ١٣٥٠٠ جرحى أو مفقودين. أما الخسائر اليابانية فقد ارتفعت إلى ٢٥٤٠٠ قتيل، ١٧٠٠ أسير عسكري، ١٠٢٥٠ أسيراً مدنياً. والواقع أن هؤلاء المدنيين قد لعبوا دوراً رهيباً في المعركة، وبعد الهزيمة أقدم كثيرون منهم على الانتحار. وقد حاول روبرت شيرون أن يعطي صورة عن المشاهد الانتحارية قال:

مدنيون يابانيون انصرفوا لأنواع غريبة من الطقوس قبل أن يغادروا الحياة. ففي وقت معين شاهد البحارة والدهشة تستولي عليهم ثلاث نساء جالسات فوق الصخور وهن يرجلن شعورهن الطويلة السوداء تماماً على طريقة ليونيداس والأسبارطيين قبل أن يغادروا الدنيا. وأخيراً جمعت النساء أيديهن إلى صدورهن وتوجهن إلى البحر بخطوات بطيئة.

ولكن أروع هذه الطقوس تلك التي قام بها مئة من اليابانيين الذين انحنوا أمام البحارة الأميركيين ممن كانوا ينظرون إليهم من نتوء صخري مرتفع. ثم نزعوا ثيابهم واستحموا في ماء البحر. وبعد أن ابتردوا بالمياه، لبسوا ثيابهم مرة أخرى ورفعوا علماً يابانياً كبيراً فوق صخرة ملساء. ثم وزع زعيمهم عليهم قنابل يدوية فراح كل منهم بدوره يفجر القنبلة التي تمزقه تمزيقاً.

ويضيف روبرت قائلاً:

ما أزال أذكر امرأة كانت تلبس بنطلوناً من الكاكي وقميصاً أبيض اللون، بينما كان شعرها يطفو فوق الماء. وكلما وقع نظري على قميص يشبه قميصها سرت القشعريرة في جسدي. وكانت هناك امرأة أخرى انتحرت بإغراق نفسها بينما كانت تضع وليدها الجديد. كان رأس الوليد قد ظهر وهي تموت ولكنه لم يولد أبداً. وهناك طفل صغير بين الرابعة أو الخامسة قد غرق أيضاً وهو يتعلق برقبة جندي ياباني؛ وكان الجسدان يتأرجحان بصورة جنونية مع تموج الأمواج. الحقيقة أنني رأيت مئات منهم في الماء.

وهناك جنود يابانيون لجأوا هاربين إلى صخور قائمة على بضع مئات الأمتار من البحر. وقد توجه هانسلي باحثاً عنهم مع سرية من السيارات البرمائية، فشهر أحد اليابانيين سيفه وقد بدا أنه من الضباط. وركع أمامه ستة يابانيين كانوا معه فوق صخور

المرجان. فراح الضابط يقطع رأساً وراء رأس. أربعة رؤوس كانت قد تدحرجت فوق الصخور قبل أن تصل سرية السيارات. وهنا حمل الضابط عليها بسيفه، ٧ حاملات طائرات ثقيلة ٨ حاملات طائرات خفيفة فأطلق جنود هانسلي نار رشاشاتهم عليه وعلى الرجلين.

أما قائد الحملة الجنرال سايتو والأميرال ناغومو رجل بيرل هاربر فقد انتحرا في الأيام الأخيرة للمعركة.

بحر الفيليبين

الحقيقة أن غزو جزائر ماريان قد كان تهديداً مباشراً للقيادة اليابانية العليا. فبينما كانت معركة سايبان على أشدها عهد الأميرال سويامو تويودا القائد الجديد للأسطول الياباني المختلط، إلى الأميرال جيزابورو أوزاوا قائد الأسطول الأول المتحرك مواجهة هذا التهديد الجديد. وكان أسطول أوزاوا مؤلفاً من ٥ حاملات طائرات ثقيلة و ٤ حاملات طائرات خفيفة و ٥ دوارع، ١١ سفينة ثقيلة، ٢ خفيفتان، ٢٨ طراداً ولكنه اصطدم بخصم أشد منه، إنه القوة البحرية الضاربة (٥٨) والتي كانت تعد: ٧ دوارع، ٨ سفن ثقيلة، ١٣ خفيفة و ٦٩ طراداً. ولم يكن سبروانس يتفوق على اليابانيين في كل نوع من أنواع السفن تقريباً بل كان يتفوق عليه أيضاً بقوة جوية مضاعفة، ٩٥٦ طائرة مقابل ٤٧٣. كان أوزاوا يأمل في إعادة التوازن الجوي بالاستعانة بالطائرات اليابانية الموجودة في بالوس وغوام وتينيان، وياك وتراك، ولكن النجدات الجوية حولت في الدقيقة الأخيرة ضد ماك آرثر في بياك. ومع ذلك فقد كان تويودا متردداً بزج سفنه كلها في معركة حاسمة. فقد كانت قواته ضخمة جداً لكي تفشل. ولكنها لم تكن من الضخامة بحيث تكفي للقيام بمهمتها بنجاح تام.

أكبر المعارك التي خاضتها حاملات الطائرات في الحرب كلها جرت خلال ٣ أيام بين ١٨ و ٢٠ حزيران ١٩٤٤، وفي هذه المعركة بالذات لم تطلق السفن المواكبة طلقة. لقد استطاع الأميرال مارك ميتشير، قائد سرب حاملات الطائرات السريعة أن ينزل بالطيران الياباني البحري ضربة قاصمة. وانتهت معركة جوية استمرت يومين بهزيمة ساحقة لليابانيين. وهنا وجه ميتشر طائراته ضد أسطول أوزاوا، وبالتعاون مع غواصات الأميرال تشارلز لوكسوود الذي أغرق حاملتي طائرات يابانيتين أغرق هو أيضاً حاملة طائرات ثقيلة وأخرى خفيفة وأحدث تخريبات في حاملتين

أخريين وعدد من السفن الحربية. كانت الخسائر الأميركية ١٣٠ طائرة و ٧٦ طياراً؛ ٣ سفن حربية أصيبت بأضرار خفيفة.

وقد وجهت القيادة العليا لومها إلى سبروانس الذي أتاح لبقية أسطول أوزاوا فرصة الهرب بسبب حذره الشديد ولكن مهمته الأولى كانت في الحقيقة تغطية نزول القوات في سايبان. وبنجاح هذه المهمة أصبح غزو جزائر الماريان ممكناً.

غوام وتينيان

أما غزو غوام فلم يتقرر إلا بعد تراجع الجيش الياباني، وإلا بعد أن أصبح الانتصار مضموناً في سايبان. وبعد ١٧ يوماً من الغارات البحرية والجوية هبطت فوق شواطىء غوام القوات الأميركية التالية: الفرقة البحرية الثالثة، فرقة المشاة ٧٧، فوج البحرية الأول، وكلها تحت قيادة الجنرال روي جيجر. ولكن هذه القوات لم تكد تبلغ اليابسة حتى اصطدمت بقوات يابانية تبلغ تقريباً أكثر من ١٨٥٠٠ جندي ياباني كلهم تحت قيادة الجنرال شوتاكاشيما، فوق أرض شبيهة بأرض سايبان وبمواقعها الدفاعية. وقد واجهت فيها أيضاً حملات انتحارية. وقد تحدث المراسل الحربي الفان جوزيفي عن الهجوم المعاكس الذي جرى في غوام ليلة ٢٥ تموز قال:

عند الساعة الثالثة صباحاً سمع أحد الرماة البحريين، مارتينيز، حفيف عشب أمامه كما لو أن شيئاً كان يتحرك.

فأصاخ بأذنه وسمع صوت صدى معدني. فشعر بالانزعاج. وحملق في الضباب ولكنه لم ير شيئاً. وتلاحقت الأحداث. وانطلقت أعداد من القنابل اليدوية ترسل صفيراً في الجو ثم انفجرت وراءه.

وفي الوقت نفسه انطلق صاروخ برتقالي اللون من الخطوط اليابانية. وتردد في الليل صوت غريب ثم زحف سيل من الأشباح الصارخة أمام عينيه. وشاهد حراب البنادق على نور الصواريخ التي كانت تتفجر بصورة مفاجئة. وكانت هذه الأشباح تتقدم في هجوم صاعق عنيف متجهة نحو جحور الرماة البحريين وسط القنابل اليدوية المتفجرة مرددة عبارة: بانزاي، بصوت رهيب أشبه بأصوات الحيوانات المتوحشة.

وقد بدأت حملة العدو من أقصى الصف إلى أقصاه. والطلقات النارية الحمراء تخترق ظلمة الليل. أما الصواريخ والمشاعل البرتقالية والقنابل المنيرة البيضاء التي

كان يطلقها اليابانيون فقد كانت تكشف عن مواقع الأميركيين وتشع النور في كل مكان من الليل وكأنها ألعاب نارية. وقد أوقفت الحملة من اليمين إلى اليسار. وكلما برز صف جديد من الجند الياباني انبرت مدافع الأميركيين الرشاشة تحصدهم حصداً. ثم تركزت حملة العدو شيئاً فشيئاً على فجوة معينة اجتمع فيها عدد من الدبابات الأميركية. وكانت مدافع الدبابات عيار «٧٥» تطلق قنابلها على جموع اليابانيين الحاشدة التي لا تبالي بالموت. وقد حمل اليابانيون أول الأمر على هياكل الدبابات الفولاذية في جماعات متراصة أشبه ما تكون بجماعات النمل، وهم يطلقون رصاص بنادقهم على هذه الهياكل فترتد عنها ثم يتسلقونها بأنفسهم على أمل أن يقتلوا جنودها في داخل فوهة كل منها. كانوا يصرخون، ويضربون بعنف بالغ، على صورة السكارى، أبراج هذه الدبابات ومع ذلك فلم يحدثوا أي ضرر فيها. وأخيراً غادروا هذه الدبابات وركضوا في صف طويل نحو الشاطىء دون أن يجد أحد تفسيراً لهذا التصرف. . .

وفي ضوء الصواريخ شاهد اليابانيون جندياً أميركياً ينزع حربة من صدر أحد زملائه. وفجأة برزت جماعة منهم وانطلقت نحو الرجلين ثم توقف ثلاثة منهم أمام رشاش وحاولوا توجيه فوهته نحو الجنديين الأميركيين. وفي عجلتهم الهستيرية وقبل أن يتموا إدارة الفوهة وضع أحدهم اصبعه على الزناد فانطلقت رصاصات منه فأصابت مجموعة من اليابانيين كانت تسير فوق هضبة مجاورة. وعندما لم يستطيعوا إدارة الفوهة حاولوا أن يحملوه على قاعدته فأطلق أحد الرماة عدة طلقات من رشاشه أرغمتهم على التوقف. اثنان منهم سقطا فوق الجنديين الأميركيين أما الثالث فقد فجر قنبلة يدوية في جسده. وبعد ثوان قليلة برزت مجموعة أخرى منهم وعادت إلى المدفع الرشاش وكررت المحاولة. وكادت تنجح لولا أن يابانياً في حالة سكر شديد كان يمشي متعباً فتعثر بمشيته وانفجر. وشع نور شديد وتمزق الياباني إرباً إرباً. لقد كان قنبلة آدمية، وبوقوعه انفجر اللغم الأرضي الذي كان يحمله في وسطه.

وفي الساعة السادسة تقريباً وكان قد انقضى على هجوم اليابانيين ثلاث ساعات متوالية أقدمت موجة أخيرة منهم على احتلال قمة الهضبة. هذه الموجة كانت من أشد الموجات سكراً ووحشية. أفرادها يتقدمون في صفوف متراصة صارخين متعثرين يلوحون بسيوفهم أو حرابهم بل وعصيهم أيضاً. بعضهم كان جريحاً قد ضمدت جراحه. وصرخ الرماة البحارة الأميركيون بدورهم وأطلقوا رصاص مدافعهم الرشاشة وبنادقهم السريعة الطلقات. وانتهى الأمر بعد فترة وجيزة. وعندما نعلم أن رصاص

الأميركيين قد أباد الموجة الهاجمة حتى آخر جندي نستطيع أن ندرك معنى هذه الموجة الرهيبة من الجند.

وتم الاستيلاء على هذه الجزيرة، وطولها خمسون كيلومتراً، بعد عشرين يوماً في قتال مستمر أي في ٢٠ آب. الخسائر فيها كانت أقل من الخسائر في سايبان ولكنها بقيت هامة في كل حال. القتلى ١٩٠٠ والجرحى ٧٠٠٠ من الأميركيين. أما من الجهة اليابانية فتقول مصادر الحلفاء بأن عدد القتلى قد بلغ ١٠٩٦١ جندياً و ٨٦ أسيراً. واستمرت عمليات التطهير بعد ذلك عاماً كاملاً. وتقول أرقام الحلفاء أن الخسائر اليابانية قد بلغت في أواسط تشرين الثاني ١٩٤٤ مقدار ١٧٣٢٠ قتيلاً و ٤٦٠ أسير حرب.

وبانتهاء معركة سايبان اجتازت عناصر مسلحة من الفرقتين البحريتين الثانية والرابعة المضيق الذي كان يفصل سايبان عن تينيان بأربعة كيلومترات. هذه الحملة اعتبرت في نظر الخبراء أكمل حملة من الناحية التكتيكية، خطة وتنفيذاً في حرب الباسيفيك كلها. وبفضل تفوق الأميركيين في الجو والبحر وبسبب قدرتهم على إصابة الأهداف في جزيرة تينيان من المدافع المقامة في سايبان فقداحتلوا تينيان خلال تسعة أيام بينما استمرت عمليات التطهير نحو ثلاثة أشهر.

وعندما خسر اليابانيون سايبان وانهزموا في بحر الفيليبين سقطت حكومة الجنرال توجو في ١٨ تموز. وحلت محلها حكومة الجنرال كونياكي كويزو. وقد سببت سايبان تدافع الحوادث، ذلك لأن فئة نافذة من اليابانيين قد بدأت تفكر في الصلح منذ معركة مدواي. وفي كل حال، كانت الانتصارات العسكرية تدعم مركز توجو والعسكريين اليابانيين.

على أن سقوط توجو لم يجهز على نفوذ العسكريين، ولكن بينما كان أركان الحرب يضعون الخطط لحملات أشد عنفاً وضراوة، كانت جماعة «الجوشن» رؤساء الوزارات السابقون، مستشارو الامبراطور، والمركيز كويشي كيدو، وزير العدل، قد بدأوا يعملون في الكواليس لتسوية سلمية تحافظ على النظام الملكي. أما حكومة كويزو المنقسمة على نفسها فقد كانت تتابع أهدافاً مناقضة: من ناحية، التشدد في القتال، ومن ناحية أخرى البحث عن فرصة دبلوماسية لوضع حد نهائي للحرب.

جزائر البالوس ومولوتا

سجل نيمتز وماك آرثر انتصارين آخرين باتجاه الفيليبين. ففي ١٥ أيلول ١٩٤٤، نزلت قوات ماك آرثر في موروتا بعد أن تجاوزت جزيرة الماهيرا المحصنة تحصيناً شديداً. وموروتا جزيرة واقعة في الشمال الغربي لغينيا الجديدة.

وفي اليوم نفسه الذي جرى فيه النزول في موروتا، هاجمت القوات الأميركية التي يقودها الأميرال وليام بول هلسي جزيرة «بليليو» في البالوس. هلسي كان يقود الأسطول الثالث تحت قيادة نيميتز. هذا الأسطول الكبير كان يحمي «الأسطول الثالث» حين كان بقيادة هلسي و«الأسطول الخامس» حين أصبح تحت قيادة سبروانس. لقد كان سرب حاملات الطائرات في القيادتين واحداً في كل حال. وكان يدعى الأسطول الخامس باسم «القوة ٥٨» وفي الأسطول الثالث باسم «القوة ٣٨». أما قائد السرب الدائم فهو الأميرال ميتشر. أما سبب وجود قيادتين مستقلتين للأسطول نفسه فعائد إلى أن واحدة منهما كانت تضع الخطط بينما كانت الثانية تنفذها.

ورأى هلسي أن يتجنب الأميركيون جزائر البالوس بعد أن رؤي التراجع الوقتي عن احتلال ياب وتراك. لكن نيمتز رفض هذا الاقتراح؛ فغزو البالوس يكمل الحصار حول جزائر كارولين ويقدم قواعد عسكرية ملائمة أقرب إلى الفيليبين.

وانقضت فرقة البحارة الأولى من قدماء المقاتلين في غوادالقنال ورأس غولسستر على بليليو، بينما كانت فرقة المشاة «٨١» تستولي على أنغور وأوليتي.

ويقول المؤرخ الرسمي للقوات الأميركية، صاموئيل ايليوت موريسون، إن المعارك الرهيبة التي جرت في بليليو جعلت الخبراء يقدرون أن هلسي على حق حين اقترح تجنب جزائر البالوس. لقد اضطر الأميركيون حينما واجهوا ١٣٦٠٠ جندي ياباني في المعركة أن يجمدوا ٤٢٠٠٠ رجل من جنودهم قتل منهم ١٨٥٠ وجرح ٨٥٠٠.

العودة إلى الفيليبين

الآن وقد زالت كل الحواجز أمام ماك آرثر عبر جنوب الباسيفيك وأما نيمتز فقد عبر الباسيفيك الأوسط فقد تقرر الانطلاق نحو جزائر الفيليبين، التي هي مفتاح المواقع الدفاعية للخط الياباني الداخلي. فتحرير الفيليبين إذا لم يكن لأغراض سياسية وحسب، بل كان سقوطها وسيلة لعزل اليابان عن

كل مصادر البترول والمواد الأولية الموجودة في جنوب شرقي آسيا وفي الهند النييرلندية.

كانت ردود الفعل اليابانية الضعيفة أمام الغارات الجوية للأسطول الثالث خلال شهري آب وأيلول ١٩٤٤ قد اقنعت هلسي بأن احتلال الفيليبين ممكن جداً مع تجنب جزائر منداناو دون التعرض لأي خطر، وتقرر غزو «ليت» في ٢٠ تشرين أول. ومعنى ذلك أن الأميركيين سينزلون في قلب الأرخبيل الفيليبيني وسيحدثون ثغرة في صميم ٢٥ ألف جندي ياباني وزعيمهم الماريشال تاروشي فوق لوسون ومنداناو.

وراحت الطائرات الأميركية تغير على القواعد اليابانية لجزيرة ماركوس في منداناو وجزائر كوريل في بورنيو، مع تركيز الجهود على أوكيناوا وفورموزا حيث تستطيع الطائرات والجيوش أن تبلغ «ليت» من خلالهما. كل ذلك على صورة تمهيد لعملية الغزو المنتظرة. هذا التمهيد استمر ستة أسابيع، فحطمت طائرات هلسي ألفي طائرة يابانية وأغرقت أو أصابت بالأضرار حوالى ٤٥٠ سفينة، هذا عدا المصانع والمطارات والمؤسسات الأخرى التي أبيدت إبادة تامة.

وقد تمت عملية الإبادة أو بلغت أقصى عنفها خلال المعركة الجوية التي جرت فوق فورموزا بين ١٢ و ١٥ تشرين الأول.

وفي يوم الصفر نزلت القوات الأميركية العسكرية إلى أرض الشاطىء الشرقي لجزيرة ليت من أسطول يبلغ عدد سفنه ٧٠٠. وكان الجيش السادس للجنرال ولتر كروجر، قوة الغزو بقيادة ماك آرثر، يساندها الأسطول السابع بقيادة الأميرال توماس كنكاد. وقد كان على سفنه القديمة من دوارع وحاملات طائرات أن تغطي بمدافعها وطائراتها تلك العملية البرمائية. أما هلسي بأسطوله الثالث، وبما يحتويه من حاملات طائرات سريعة يقودها ميتشر، ودوارع قوية حديثة، فقد كان عليه أن يدافع عن عملية الإنزال أمام أية حملة فجائية قد تأتي من جهة البحر.

والواقع أن علمية الإنزال لم تواجه أية معضلة بسبب ضعف المقاومة. ونزل أكثر من ١٠٠,٠٠٠ جندي إلى البر خلال يومين، ووجه ماك آرثر إلى الفيليبينيين نداء قال فيه: «أيها الشعب الفيليبيني، ها أنا أعود إليك. إن قواتنا تقف اليوم فوق البر الفيليبيني بعون الله القدير ورعايته... انضموا إليّ ولتنبعث في نفوسكم الروح الصلبة لمعركتي باتان وكوريجيدور...».

اليابانيون كانوا ينتظرون منذ زمن طويل أن تحيط بهم كماشة الباسيفيك. وقد

كانوا متأهبين لمواجهة كل احتمال بمخططهم «شو» الذي وضعوه لهذه الغاية. لقد كان عليهم أن يربحوا المعركة أو تكون نهاية اليابان. ومنذ علموا بالنزول بادر الأميرال تويودا إلى تنفيذ المخطط «شو».

وقد قذف تويودا إلى المعركة بكل ما بقي له من القوات تقريباً رغم أن السفن البحرية اليابانية لم تكن قد استعادت أنفاسها وأن طياري حاملات الطائرات قد فرقوا فوق فورموزا.

لقد وضع مخطط «شو» بصورة دقيقة جداً للاستفادة إلى أقصى حد ممكن من أسطول أضعفته المعارك، وفي ضوء توبوغرافية الفيليبين، والروح الانفعالية عند الأميركيين. وقد اشتركت في المعركة ثلاثة أسراب يابانية. القوة الشمالية بقيادة الأميرال جيزابور اوزاوا، التي تشتمل على حاملة طائرات كبيرة، دارعتين، حاملتي طائرات، ٦ طرادات، ٣ سفن خفيفة، ٥ سفن ثقيلة؛ توجهت كلها نحو شمال لوسون. لقد كان على هذه الأسراب أن تستدرج هلسي بأسطوله الثالث فتبعده عن رأس الجسر في ليت. القوة الوسطى يقودها الأميرال تاكايو كوريتا وهي تحتوي على: دارعتين كبيرتين حمولة ٦٨ ألف طن: «ياماتو» و «موازاشي» مزودة بمدافع عيار ٤٦٠، ٥ دوارع أخرى، ١١ سفينة ثقيلة، ٢ خفيفتين و ١٩ طراداً، وقد توجهت من سنغافورة نحو بحر الصين الجنوبي، عبر مضيق سان برناردينو، الذي يفصل لوسون عن سمار. القوة الجنوبية، موزعة إلى سربين متميزين، أحدهما كان يقوده الأميرال شوجي نيشيمورا وفيه دارعتان وسفينة وأربعة طرادات، وثانيهما كان يقوده الأميرال كيوهيد شيما ويحتوي على ٣ سفن و ٤ طرادات. وقد أمرت هذه القوة باجتياز بحر سولو والدخول إلى مضيق سوريجاوو بين منداناو وليت. فبينما يطارد هلسي أوزاوا بعيداً إلى الشمال تنقض القوتان الأخريان على رأس الجسر المحروم من الحماية البحرية في ليت ثم تسحقه. لقد كانت خطة ممتازة وكانت على وشك النجاح...

وبين ٢٣ و ٢٧ تشرين الأول ١٩٤٤ جرت أضخم معركة بحرية في التاريخ. لقد شاهدت غواصتان أميركيتان يوم الثالث والعشرين من تشرين الأول العمارات البحرية للقوة اليابانية الوسطى التي يقودها كوريتا وأنذرتا هلسي. وابتدأت المعركة فأغرق الأميركيون سفينتين جوالتين وأنزلوا أضراراً بجوالة ثالثة. وردت الطائرات اليابانية بالغارة على حاملة الطائرات الخفيفة برنستون التي أصيبت بأضرار فادحة حتى ان الأميركيين اضطروا لإغراقها في البحر. وعلى طول اليوم التالي، ٢٤ تشرين الأول، انطلقت طائرات هلسي تضرب بقنابلها سفن كوريتا في بحر سيبوي، فأغرقت الدارعة

العملاقة موزاشي وأحدثت أضراراً في عدد كبير من السفن الأخرى. وعندما شاهد هلسي أسطول كوريتا يتحول إلى اتجاه آخر تأكد له أنه قد حطمه وأن هذه الحركة هي حركة تراجع. وفي هذه الأثناء أعلنت طائرات الاستطلاع الأميركية لهلسي عن وجود حاملات الطائرات التي يقودها أوزاوا. واستخفته الرغبة المتحمسة في سحق الأسطول الياباني فنسي حماية رأس الجسر. وهو وإن كان يتصرف بعدد كافٍ من الدوارع وحاملات الطائرات للانقضاض مرة واحدة على كوريتا وأوزاوا إلا أنه لم يتخذ أية حيطة فيترك وحدة من الوحدات لغرض تغطية مضيق سان برناردينو ثم مطاردة أوزاوا بعد ذلك.

أما كنكاد قائد الأسطول السابع فقد وجه مساعده الأميرال جس أولدندورف لملاحقة القوة اليابانية الجنوبية التي كان ينتظر وصولها في الليلة نفسها إلى مضيق سوريغاو دون أن يعلم بأن مضيق سان برناردينو قد أصبح مفتوحاً وبالتالي أن جناحه الشمالي قد أصبح مكشوفاً للعدو. أما أولدندورف فقد كان سربه مؤلفاً من ٦ دوارع قديمة، منها ٥ نجت من كارثة بيرل هاربر، ٨ سفن جوالة، ٢٦ طراداً، ٣٩ سفينة سريعة من قاذفات الطوربيد. وفي ساعة متأخرة من الليل وضع أولدندورف سفن نيشيمورا في كمين، خلال معركة رائعة في التخطيط والتنفيذ. وانتهت المعركة بالطبع بهزيمة نيشيمورا ثم لم ينج من سفنه غير طراد واحد. وعندما وصلت مجموعة شيما إلى سوريغاو بعد ذلك بقليل ضربت سفينته الجوالة الوحيدة وأغرقت وقرر شيما الانسحاب من المعركة.

وفي هذه الليلة بالذات عاد كوريتا قائد القوة الوسطى، وبمناورة فائقة المهارة دخل إلى مضيق سان برناردينو الذي لم يكن يراقبه أحد. وفي صباح اليوم التالي، وفي وقت مبكر جداً انقض كوريتا على رأس جسر ليت، ولكنه على بعد ٣ ساعات من الجزيرة وبينما كان يجتاز سامار وجد أمامه أسطولاً صغيراً لحاملات الطائرات الأميركية المرافقة لقافلة الغزو ومن حوله ستار من الطرادات وقفت كلها حاجزاً أمامه وأنزلت أضراراً بسفينة ثالثة له. أما حاملات الطائرات الصغيرة وطراداتها فقد قاتلت كما تقول رواية الحلفاء بشجاعة واستماتة ثم أرغمت على التراجع نحو رأس الجسر. ثلاث ساعات مضت على كنكاد وهو يطلق الرسالة تلو الرسالة إلى هلسي يسأله فيها العودة بسرعة لقطع الطريق على كوريتا أو للإغارة بطائراته على الأسطول الياباني قبل أن يبلغ رأس الجسر. وفجأة، ودون أن يعرف سر المناورة عاد كوريتا وانسحب باتجاه سان برناردينو ولما يبق بينه وبين رأس الجسر غير ساعتين. إن أحداً لم يستطع أن يفسر

سر هذا الانسحاب اللهم إلا في حالة واحدة، أن يكون كوريتا قد التقط رسالة لاسلكية تعلن إغراق سفن نيشيمورا باستثناء واحدة منها وحسب. الثابت في كل حال أنه قد عاد بعد أن أصبح النصر في متناول يده.

وبينما كان كل هذا يجري هناك، كان أسطول هلسي يبيد سرب أوزاوا. لقد اغرقت طائرات ميتشر أربع حاملات طائرات، سفينة جوالة واحدة، وطرادين، وأنزلت أضراراً خطيرة بالدارعتين حاملتي الطائرات وبسفينتين جوالتين خفيفتين وبأربعة طرادات. وتحول هلسي نحو الجنوب متأثراً ببرقية نيمتـز التي تسأله: أين القوة الضاربة ٣٤؟ ثم لم يترك وراءه غير بعض الطرادات والسفن الجوالة مما لم يكن كافياً للقضاء على البقية الباقية من أسطول أوزاوا. وبينما كان هلسي يعود، كان كوريتا قد دخل مضيق سان برناردينو، ولكن طائرات هلسي توصلت إلى إنزال أضرار بالسفن المتخلفة.

إن هزيمة خليج ليت قد أصابت قلب البحرية اليابانية. حصيلة المعركة: ٢٦ سفينة غرقت - ٣ دوارع، ٤ حاملات طائرات، ١٠ سفن جوالة و ٩ طرادات - مقابل ٦ سفن أميركية - ١ حاملة طائرات خفيفة، سفينتا مواكبة و ٣ طرادات. لقد كان ما جرى انتصاراً كبيراً للأميركيين.

وفي نهاية ١٩٤٤ تم الاستيلاء على ليت ولكن المعارك استمرت أيضاً ٦ أشهر في جزر الفيليبين بسبب سوء الجو وصعوبات الأرض والمقاومة اليابانية العنيدة. ولم تتحرر بقية الفيليبين إلا في تموز ١٩٤٥ بعد سلسلة من المعارك الهائلة من برمائية وجوية أو بقوات هابطة من الجو. وكانت الهزيمة في الفيليبين كارثة يابانية أخرى. نصف البحرية اليابانية ضاعت، ٩٠٠٠ طائرة تحطمت، ٤٠٠,٠٠٠ جندي بين قتيل ومفقود وجريح. كما أن الأميركيين دفعوا ثمناً كبيراً. لقد ذكروا أن خسائرهم قد بلغت ٦٠,٠٠٠ رجل يضاف إليهم الكثير من الأنصار الفيليبينيين. وقد زعم الأميركيون أن الجرائم التي ارتكبها اليابانيون في جزائر الفيليبيـن تستعصي عـلى الوصف وأن القسوة التي ظهرت في معاملتهم للأنصار المسلحين والمدنيين العزل كانت قسوة رهيبة.

الجبهة المتروكة

كانت بورما مسرحاً من أصعب مسارح الحرب. إن أرضها سلسلة من الغابات الرهيبة والجبال والأنهر المتوحشة التي تصدر الملاريا والديزانتاريا والتيفوس بالإضافة إلى تعذر القتال فيها خلال فصل الأمطار

أي بين أيار وتشرين الأول. كانت بورما قائمة عند طرف طريق تموينية طويلة تبتدىء من بريطانيا والولايات المتحدة. المواصلات كانت مزعجة غير كافية حتى تلك التي تنطلق من القواعد الهندية. والواقع أن الحلفاء قد اعتبروا بورما ميداناً ثانوياً للحرب حينما وضعوا خطتهم العامة ضد المحور ولذلك فقد احتفظوا فيها بعدد قليل من الرجال والعتاد مما لم تكن لهم به حاجة. يضاف إلى ذلك أن المنازعات الشخصية والعسكرية والسياسية كانت تمزق صفوف الحلفاء حتى ان المراقب ليظن في الغالب أن كلاً من الصين وبريطانيا والولايات المتحدة تخوض حرباً مستقلة لأغراض مستقلة أيضاً.

أما الأميركيون فقد كان أعظم ما يهمهم هو إعادة فتح طريق بورما التي قطعها اليابانيون عام ١٩٤٢ بحيث يستطيعون تزويد الصين بالمساعدات والاحتفاظ بها في الحرب. أما البريطانيون الذين لم يكونوا يهتمون بالنشاط العسكري الصيني فقد كانوا منشغلين بتدعيم قواعدهم في ماليزيا وسنغافورة وإبعاد الخطر الياباني عن البلاد الهندية. وأما تشان كاي شك الذي كانت تشغله هموم الاحتفاظ بسلطته وسلطة أنصاره، والاستعداد لتسوية حسابات ما بعد الحرب مع ماوتسي تونغ الشيوعي، فلم يكن يهتم إلا بالعتاد الذي يمكن للحلفاء أن يقدموه إلى حكومته وجيوشه. يضاف إلى ذلك أن شعبه وجيوشه قد بدأوا يملون من حرب مستمرة منذ عام ١٩٣٧. الصينيون والأميركيون يخططون لمعركة في شمال بورما؛ البريطانيون كانوا يميلون إلى الهجوم على بورما الوسطى والجنوبية.

هكذا كانت الخلافات بين قيادات الحلفاء المشتركة تعقد الموقف العسكري. وأكثر ما كانت هذه المنازعات بين المارشال ويفيل والأميرال مونتباتن من التابعية البريطانية ثم بين مونتباتن والأميركي ستلول، وبين ستلول، شان كاي شك، والجنرال شينو الأميركي أيضاً. بعض هؤلاء القادة يولي المعارك البحرية اهتمامه الأكبر والبعض الآخر يفضل المعارك الجوية بينما يميل البعض الثالث إلى العمليات البرية. وجهات نظرهم لم تكن تتلاقى أبداً. وقد رغب تشرشل تجنباً للمعارك فوق أرض صعبة وجو متعفن أن ينظم حملة برمائية على رانغون من الجهة الأخرى من خليج بنغال. ولكن قوارب نقل الجنود الصغيرة التابعة للحلفاء كانت مشغولة بعمليات أكثر أهمية في أوروبا والباسيفيك. ستلول كان يقدر أن هزيمة اليابانيين لا تتم إلا بمعركة برية كبيرة تشارك فيها الصين بجنودها. ولكن تشانك كان يرفض تقديم جيوشه لمثل هذه المعركة. أما شينو قائد القوة الجوية الأميركية الرابعة عشرة فقد كان يؤكد بأن في وسعه

التغلب على اليابانيين بأسرابه الجوية الصغيرة التي كانت تعد ١٠٠ مطاردة و ٥٠ قاذفة. أما في واشنطن فإن روزفلت ورؤساء أركان الحرب لم يكونوا يطلبون من طياري شينو وقوات ستلول البرية غير معارك جانبية لتجميد جيوش وسفن وصناعات يابانية بينما كان نيمتز وماك آرثر يعدان غزو اليابان في جزائر الباسيفيك.

مع كل هذه المعضلات وبعد عام ونصف من جمود مستمر لم تذهب رتابته إلا في فترات متباعدة يقوم فيها الفدائي الأسطوري الجنرال أوردونغيت ورجاله من الشنديت وراء الخطوط اليابانية انطلق الحلفاء في حملة هجومية على بورما. لقد حاول ستلول أن يحرر بورما الشمالية بفرقتين صينيتين مدربتين على الطريقة الأميركية ووحدة أميركية مدربة على طريقة الشنديت ثم فريق ماريل.

أما في الجبهة الوسطى فإن الجيش الانكليزي الهندي الرابع عشر بقيادة الجنرال وليم سلم كان عليه أن ينطلق من آسام عبر نهر كوهيما ـ امغال باتجاه مندالاي لتحرير بورما الوسطى ثم النزول بعد ذلك على امتداد نهر إراوادي حتى رانغون لتطهير الجنوب من اليابانيين. وهناك معركة ثالثة أشرف عليها الجنرال أ. كريستسون اشتركت فيها فرق هندية وأخرى من جنوب أفريقيا اجتازت شواطىء خليج بنغال ونزلت شبه جزيرة أراكان حتى أكياب.

وبعد ١٨ شهراً جرت فيها معارك قاسية كانت نسبة الوفيات فيها بين الرجال من الجوع والمرض أو الجراح أكثر من نسبة الوفيات بسبب العمليات الحربية. وقد نجحت الجيوش الثلاثة. وسجل اليابانيون هزيمة هامة في سهل كوهيما ـ امغال في تموز ١٩٤٤، وانفتحت طريق بورما مرة أخرى عام ١٩٤٥. ومع ذلك ورغم هذه الانتصارات فقد جعلها تأخرها غير ذات قيمة أساسية في تطوير الحرب. في أيار جرى هجوم مختلط بين جيوش سلم ومظليين وقوات برمائية انتهى بسقوط رانغون وبذلك تمت العودة نهائياً إلى بورما.

الحرب هناك كانت في نهايتها كارثة لليابانيين. أما في الفيليبين فقد كانت هزيمتهم البرية الكبرى التي خسروا فيها ٣٠٠,٠٠٠ رجل منهم ١٠٠,٠٠٠ قتيل. وأما الحلفاء فقد خسروا كثيراً من الرجال بين ضحايا السلاح الياباني والأوبئة المنتشرة.

وقد أيدت الأحداث أفكاراً معينة لبعض قادة الحلفاء. فإن تقديرات تشرشل حول إمكانيات تشان كاي شك الضعيفة في القتال قد ثبتت صحتها رغم الطيران الأميركي القوي الذي زود الصين بالمساعدات عبر الشمال الشرقي للهند وبالطيران

فوق جبال هملايا التي يرتفع بعض قممها ٨٠٠٠ متر، ورغم المعجزة التي قامت بها فرق الهندسة الأميركية وجماعات العمال الصينيين والتي توصلت إلى بناء طريق ليدو الجديد للاتصال بطريق بورما القديمة. إن هجوماً يابانياً في جنوب الصين خلال ربيع ١٩٤٤ قد انتهى بالاستيلاء على مطارات شينو. وعلى ذلك فإن رأي ستلول كان رأياً سلبياً حينما كان يقول دائماً: منذ الفترة التي تبدأ فيها طائرات شينو بإزعاج اليابانيين حقاً فإن هؤلاء سيستولون على قواعده الجوية. أما انتصارات نيمتز وماك آرثر فقد أثبتت خطأ ستلول الذي كان يزعم بأنه لا سبيل إلى الانتصار على اليابان إلا فوق البر الآسيوي وبجيوش صينية.

إيوجيما، مقبرة الشيطان

بقيت طوكيو بعيدة عن متناول الطائرات الأميركية بعد الغارة عليها بواسطة طائرات دوليتل في ١٨ نيسان ١٩٤٢ أكثر من سنتين تقريباً. ولكن طائرات «ب ٢٩» قد بدأت عهد الغارات من جديد في تموز ١٩٤٤ فقذفت قنابلها فوق مصانع الحديد في ياواتا عند منطقة كيوشو في الشمال. والواقع أن المصانع الثقيلة في هونشو والجزائر اليابانية بالذات لم تصبح في متناول القلاع الأميركية الطائرة إلا بعد أن احتل الأميركيون جزائر الماريان في تشرين الأول ١٩٤٤. وجزائر الماريان تقع على بعد ٢٠٠٠ كلم من طوكيو بحيث ان الطائرات تجتاز في غدوها ورواحها ٤٥٠٠ كلم تقريباً أي ١٦ ساعة طيران أو أكثر في بعض الأوقات. هذا النوع من الطيران ذو فعالية نسبية بالإضافة إلى الخسائر المرتفعة التي يصاب بها بسبب بعد المسافة والعجز عن تغطيته بالطائرات المطاردة. يضاف إلى ذلك أن وزن القنابل يكون أقل مما إذا كانت قواعد الانطلاق قريبة من الأهداف. إنها لم تكن تتجاوز ثلاثة أطنان مع العلم أن في وسع هذا النوع من الطائرات أن يحمل عشرة أطنان من القنابل في الغارات العادية القريبة.

يضاف إلى ذلك أن اليابانيين قد جعلوا من إيوجيما في جزائر بونان في وسط الطريق بين سايبان وطوكيو قاعدة للطائرات المطاردة ومحطات الرادار يعترضون بالأولى طريق قاذفات القنابل وينذرون بالثانية قواعدهم في طوكيو. كما أن إيوجيما كانت قاعدة لقاذفات القنابل اليابانية التي تغير على قواعد القلاع الطائرة في الماريان. فإذا استولى الأميركيون على إيوجيما أصبح في وسع المطاردات الأميركية «موستانغ ب ـ ٥١» أن تواكب هذه القلاع في غاراتها على المدن اليابانية. كما تتحول إيوجيما إلى محطة تجميع وتصليح وترميم وتموين في الطريق إلى اليابان. وبناء على ذلك فقد

تلقى الأسطول البحري والرماة البحريون أمراً باحتلال إيوجيما.

وبينما كان ماك آرثر في الفيليبين ومونتباتن وسْلِمْ وسلطان في بورما يسددون ضربات موجعة للجيوش البرية اليابانية، كانت الحملة على إيوجيما تتهيأ بغارات جوية وبحرية لمدة سبعة أشهر. وقد قذفت إيوجيما يومياً خلال ٧٤ يوماً حتى ١٩ شباط ١٩٤٥ أي يوم الصفر الذي تعين لإنزال الجيوش الأميركية إلى الشاطىء. وفي هذه الأثناء كانت غارات عنيفة، لغرض العزل، تصب قنابلها فوق فورموزا، أوكيناوا، والتراب الياباني نفسه. وقبل الموعد بثلاثة أيام كان الأسطول الخامس الذي يقوده سبروانس يضرب العشرين كيلومتراً مربعاً التي هي مساحة الجزيرة بكل ما يمكن من الأسلحة.

وطبيعي أن اليابانيين كانوا يعرفون قيمة ايوجيما. ولذلك فقد احتفظوا فيها بجيش مدرب عدته ٢٣ ألف رجل بقيادة الجنرال كوريباياشي، وراء قلاع فائقة التحصين. لقد كانت أرض الجزيرة مغطاة بأكوام من أعشاش الرشاشات ومخابىء المدافع وانفاق في باطن الأرض تصمد لأشد القنابل وأقواها بحيث انها لا تتأثر إلا حين تصيبها إصابة مباشرة.

كانت خطة كوريباياشي التكتيكية تحقيق نوع من القتال المشترك على الشاطىء وفي الأعماق بحيث ان المواقع اليابانية المحصنة كانت تمتد فوق مكانين استراتيجيين: الأول في الطرف الجنوبي حول قمة سورياباشي، التي هي بقية بركان منطفىء ارتفاعه ٢٠٠ متر، يقف فوقه المراقبون اليابانيون فلا تخفى عليهم خافية في الشواطىء، وتنطلق منه قنابل المدافع التي تسيطر سيطرة تامة على الشاطئين الوحيدين الصالحين لهبوط الجند المغير؛ الثاني في أوسع جزء من الجزيرة حول قرية موتوياما في شمال إيوجيما. مدافع من كل العيارات تحميها حقول واسعة من الألغام أقيمت هناك بحيث تصبح الجزيرة كلها تقريباً واقعة تحت نار كثيفة مركزة.

وتأتي بعد الشواطىء المغطاة هناك بالرماد البركاني مرتفعات شديدة الوعورة تنتهي إلى الهضبة الوسطى في إيوجيما، حيث كان يوجد مطاران يابانيان صالحان للعمل بينما تستمر الأعمال في مطار ثالث. وقد كان على الرماة الأميركيين أن يواجهوا بالإضافة إلى قمة سورياباشي سلسلة وعرة من المهاوي والكهوف المحصنة.

وقد أعد الأميركيون للاستيلاء على هذه الجزيرة الفائقة التحصين أسطولاً من ٨٠٠ سفينة و ١٥٠٠ طائرة وثلاث فرق تساندها قوات البحرية وقد بلغ مجموعها ٦٠ ألف رجل.

وفي صباح ١٩ شباط ١٩٤٥ توجهت الفرقتان البحريتان الرابعة والخامسة نحو الشاطىء في الجنوب الشرقي لإيوجيما حيث واجهتا ناراً كثيفة لا تنقطع. وبعد أكثر من ٢٤ ساعة مضت على عمليات الإنزال استطاعت الفرقة الخامسة أن تعزل قمة سوريباشي وأن تقسم إيوجيما إلى قسمين باتجاهها نحو الشاطىء الغربي. أما الفرقة الرابعة فقد انطلقت نحو الداخل فاستولت على مطار قرية موتومايا رقم واحد. وبعد قتال استمر ثلاثة أيام أصبح ثلث الجزيرة في حوزة الأميركيين. كما أصبح في وسع الفرقتين التوجه شمالاً. وفي ٢٣ شباط وصلت دورية أميركية إلى قمة سوريباشي ورفعت فوقها العلم الأميركي.

وفي اليوم التالي، ٢٤ شباط، أنزل رجال الفرقة الثالثة التي احتفظ بها كقوة احتياطية فانطلقت في خط مستقيم نحو الفرقتين الرابعة والخامسة. وتلاحق الزحف نحو الشمال دون أن تجد القوات البحرية والجوية فرصة صالحة لتقديم مساعدات كبيرة. التقدم كان بطيئاً جداً. فقد كان على الأميركيين لإخراج اليابانيين من كل موقع محصن أن يستعملوا كل سلاح: الدبابات، البازوكا، قاذفات اللهب، قنابل تفجير، قنابل يدوية، رشيشات، بنادق وحراباً. كان التقدم متراً وراء متر من ملجأ إلى ملجأ. والشيء الرهيب حقاً أنه قد كان في وسع اليابانيين أن يعودوا خلف القوات الأميركية عبر أنفاق تحت الأرض ويطلقوا النار عليها من ملاجىء كان المظنون أنها قد طهرت منهم.

لم يستسلم جندي ياباني كما لم يحاول جندي أن يهرب من الجزيرة. لقد قاتل اليابانيون بقوة وقسوة حتى ١٦ آذار، حينما أرغموا على التراجع إلى القسم الشمالي الغربي لإيوجيما ثم أبيدوا في منطقة كيتانو. والواقع أن العمليات لم تتوقف إلا في ٢٦ آذار وأن التطهير لم ينته إلا بعد ذلك بشهرين اثنين. لقد كانت معركة إيوجيما أكثر إنهاكاً من معارك تاراوا وبليليو. ٢٢٣٠٠ جندي قتلوا فيها أو حشروا في المغاور. ولم يؤسر غير عدد قليل جداً. أما الرماة البحريون فقد فُقد ثلثهم بين قتيل وجريح. الأميركيون يقولون إنهم خسروا ٢٠ ألف جريح و٦ آلاف قتيل.

يضاف إلى ذلك أن الطيارين الانتحاريين قد أنزلوا أضراراً فادحة بحاملة الطائرات ساراتوغا، وأغرقوا حاملة الطائرات المواكبة «بسمارك سي» وأحدثوا أضراراً خفيفة في عدد كبير من السفن الحربية. كما قتل أو جرح حوالى ٢٨٠٠ بحار.

لقد أعلن قائد البعثة البحرية «هولن ماد» أن معركة إيوجيما كانت أقسى معركة اشتركت فيها القوات البحرية الأميركية عبر ١٦٨ عاماً من تاريخها.

اوكيناوا

لم يكن الهدوء قد عاد إلى ايوجيما، ولم يكن ماك آرثر قد اخرج اليابانيين نهائياً من الفيليبين حين قامت القوات الأميركية بغزو جديد على بعد ١١٠٠ كلم غربي ايوجيما في جزيرة أوكيناوا. وهي الجزيرة الأساسية في ارخبيل ريوكيو وطولها ١٠٠ كلم. لقد كانت أوكيناوا ذات مركز استراتيجي هام. فبإقامة القواعد العسكرية هناك تستطيع القوات الأميركية أن تغير على كيوشو وفورموزا والصين. . . كلها على بعد ٥٠٠ كلم تقريباً. كما يكون في وسعها أن تهاجم في الشواطىء اليابانية وبحر الصين الشرقي القوافل المحملة بالمواد الأولية المجلوبة من الصين ومن الجنوب الشرقي الآسيوي. كما أن أوكيناوا تصلح لأن تكون منطلقاً لغزو اليابان نفسها.

وقبل بداية الغزو الحاسم لأوكيناوا بأسبوع واحد تم احتلال كيرا ماريتو من قبل الفرقة ـ ٧٧ ـ بقيادة الجنرال اندرو برس. وهي على بعد ٢٣ كلم غربي أوكيناوا. هذه الجزيرة الصغيرة كان ينتظر أن تكون قاعدة أمامية للتموين وللطائرات البحرية ولرسو السفن. ثم تم احتلال «كيس شيما» وهي جزيرة صغيرة أخرى عشية الانقضاض على أوكيناوا وأقيمت فيها مدفعية ثقيلة تطلق قنابلها على جنوب أوكيناوا حيث تقوم على بعد ١٢ كلم.

عشرة أيام من الغارات الجوية والبحرية هيأت لعمليات في شهر آذار، وذلك بعد أن أحدث الأسطول الخامس إصابات شديدة في كيوشو وهونشو، وفي الوقت الذي كانت فيه القلاع الطائرة «ب ٢٩» تضرب التراب الياباني منطلقة من جزر الماريان.

هذه الغارة العظيمة أعدت لها قوات الجيش الأميركي العاشر الذي يقوده الجنرال سيمون بوليفار بوكنر مع أسطول بحري مؤلف من ١٤٥٠ سفينة وأسطول جوي، ١٥٠٠ طائرة للتغطية، يساندها سرب بريطاني بحري يشتمل على ٢ دوارع، ٤ حاملات طائرات ثقيلة للقتال، ٥ سفن جوالة وأكثر من ٢٤٠ طائرة. أما الجيش العاشر فقد كان يتألف من: القوة البرمائية الثالثة التابعة للبحرية، بقيادة الجنرال روي جيجر، القوة الرابعة والعشرين للجيش بقيادة الجنرال هودجز. . . ومجموع كل هذه القوات يبلغ ٤٥٠ ألف رجل.

وفي تمام الساعة الثامنة والنصف من صباح أول نيسان ١٩٤٥ نزل جنود الفرقتين البحريتين الأولى والسادسة ثم جنود فرقتي المشاة ٧ و٩٦ على شواطىء

هاغوشي في الجنوب الغربي لجزيرة أوكيناوا. وكانت المفاجأة كبيرة وغريبة حين لم يواجهوا غير مقاومة يسيرة. واحتل الرماة البحريون مطار «يونتان» ثم توجهوا نحو الشمال بينما كان الجيش يحتل مطار «كادينا» ثم يتوجه نحو الجنوب. وتم الاستيلاء على المهمات والأجهزة اليابانية في حالة سلامة تامة تقريباً.

ولئن تم النزول بمثل هذه السهولة فلأن الجنرال ميتسورو أوشيجيما قائد جزيرة أوكيناوا قد قرر الانسحاب بقواته التي تبلغ ١٠٠ رجل إلى خطوط محصنة في الجزء الجنوبي من الجزيرة.

هذه الاستراتيجية اليابانية لم تكن الأولى في تاريخ الحرب ولكنها لم تستعمل على نطاق واسع. لقد وضعت فقط من أجل الدفاع عن المناطق ذات العلاقة الخاصة بأمن اليابان المباشر وسلامتها الوطنية. ولذلك فقد بدىء بها في الفيليبين عند ليت ولنغاين وكذلك في إيوجيما. وبما أن الخسائر في السفن والطائرات والطيارين كانت في تزايد مستمر فقد رؤي اللجوء إلى التكتيكات الانتحارية التي نفذت في معارك معينة أشرنا إليها في فصول سابقة ثم طبقت بعد ذلك بأسلوب أكثر ايجابية في العمليات البحرية والجوية.

وبما أن اليابانيين قد نجحوا بهذا التكتيك في إغراق ١٦ سفينة وإنزال الأضرار بـ ٨٧ سفينة أخرى في الفيليبين، وبما أنهم قد شلوا حاملة الطائرات «ساراتوغا» وأغرقوا الحاملة المواكبة «بسمارك سي» في بحر ايوجيما؛ فقد أملوا في تطبيق هذا المخطط بطريقة أكثر تناسقاً في المعركة. لقد وكلت مهمة القضاء على الأسطول الأميركي أو إغراق سفنه أمام أوكيناوا إلى مراكب وطائرات انتحارية بقصد حرمان القوى النازلة في الجزيرة من المؤونة والمساندة الجوية والبحرية. وكان أوشيجيما يأمل إبادة الجيش العاشر بعد التوصل إلى عزله بهذه الطريقة.

ولكن الأميركيين قد وفقوا باحتلال كيراماريتو إلى الاستيلاء على ٤٠٠ مركب انتحاري كانت ترسو في تلك القاعدة. فحرم اليابانيون من هذا السلاح الفتاك الرهيب. أما أخطر الأسراب الانتحارية فقد كانت قواعدها في كيوشو وفورموزا. والوصول إلى هذه القواعد كان من الصعوبة بمكان بعيد. هذه الأسراب كانت تشكل ما يسمى بقوات الهجوم الخاصة والتي يطلق عليها اليابانيون اسم «كاميكاز» أي «الريح الإلهية» إشارة إلى العاصفة التاريخية التي مزقت أسطول كوبلاي خان عام ١٢٨١ في الوقت الذي كان يحاول فيه هذا الأمبراطور المغولي النزول في أرض اليابان. وقد نظمت هذه القوة الانتحارية الحديثة بإشراف الأميرال تاكيجيرو أوينشي

على أمل أن ترد هذه «الريح الالهية» مرة أخرى الأساطيل العدوة التي كانت تهدد أرض اليابان بالخطر.

هذه الطائرات الانتحارية إما أن تكون مطاردات قديمة محشوة بالمتفجرات أو قنابل طائرة يقودها طيارون وتندفع بقوة الصاروخ بسرعة ألف كيلومتر في الساعة يبلغ وزن المتفجرات فيها طناً واحداً. والقنابل هذه كانت تحملها قاذفات قنابل ضخمة حتى إذا اقتربت من الهدف أطلقتها وتركت للطيار مهمة قيادتها. وكانت حاملات الطائرات هي الهدف المختار لهذه الطائرات. أما طريقة الهجوم فتتم في موجات كثيفة متتابعة أو طائرة أو في مجموعات صغيرة تواكبها وتحميها حتى تصبح فوق أهدافها مطاردة عادية.

وفي ٦ نيسان أطلق اليابانيون ٦٩٩ طائرة منها ٣٥٥ انتحارية للهجوم على الأسطول الأميركي في أوكيناوا. وبذلك كانت المرحلة الأولى لمعركة يابانية يستهدف أصحابها الموت عن سابق إصرار وتصميم أحدثت في الأسطول الأميركي خسائر فادحة رهيبة.

طيار انتحاري

وفيما يلي حكاية يرويها واحد من هؤلاء الطيارين عن أحد زملائه:

الراية اليابانية كانت تعصب جبهة كل واحد من الزملاء، أما الشمس المشرقة فتقع تماما فوق عينيه. انطلاق الطيارين يتم باحتفالات رائعة عظيمة. انخاب، خطب وطنية حماسية... لا شيء يهمله القادة من أجل إثارة روح الفداء في نفوسهم.

كانت الكلمات هي نفسها اسمعها في الغالب وهي تتردد على الأفواه. وعندما يهم الطيار بمغادرة القاعدة كان صوت الزعيم يتردد في الفضاء دقائق معينة. ثم تنتهي الخطبة بالعبارة التالية: «والآن أيها الرفاق الشجعان... ابتسموا وأنتم تذهبون... إن أجدادكم قد حفظوا لكم إلى جانبهم مكاناً مختاراً. إن ساموراي السماء، وكل المحاربين الأموات هم هناك يستعدون لاستقبالكم».

وأخيراً نغني جميعاً نشيدْ المعركة:

ان لون الطيار هو لون زهرة الكرز

انظرا إلى ازهار الكرز وهي تتساقط فوق روابي يوشينو

فإذا كنا الأطفال الأعزاء لعنصر ياماتو

فلنمت ونحن نقاتل في السماء!

ثم تأتي الأنخاب الأخيرة. أكواب شراب «الساكي». إننا نرفعها ثم نصرخ قائلين: يحيَ الأمبراطور.

هذا الجو من الحماسة الحربية يساعد بالطبع على ازالة التجاعيد في وجوه الزملاء الانتحاريين. لقد كانوا يضحكون ويمزحون وهم يصعدون إلى طائراتهم وهي طائرات قديمة أو طائرات تدريب يعلوها الصدأ والعفن. ولكن هذا غير مهم فهي تذهب لكي لا تعود...

والآن لم يعد في وسعي إلا أن أفكر في رجل واحد منهم... لقد كان هناك مع ناكامورا... وكان يسير في اتجاهي. كل شيء فيه يبدو غير حقيقي. الفكر في عزلة تامة بينما جسده يتحرك لتنفيذ ما طلب إليه تنفيذه. وكانت هناك ابتسامة غريبة ترتسم على هذا الوجه الشمعي.

«قلت في نفسي: قل له... قل له انك سترافقه حتى النهاية، وانك ستموت معه. ولكن لا... إنه لا يريد ذلك... هيا ان دورك سيأتي قريباً يا كوواهارا...»

شيء ثقيل كان يضغط على صدري، ويسحق كل ما كنت أريد أن أقوله. تاتسونو... أنا... تصافحت أيدينا. ناكامورا كان يقف إلى جانبنا، محنياً رأسه.

وقال أخيراً... اذكر أننا كنا نريد دائماً أن نطير معاً.

حملقت في عينيه ثم احنيت رأسي:

«سألحق بك قريباً» هذا ما قلته في همسة سريعة.

وهنا أعطاني شيئاً.

قال: «خذ هذا واحتفظ به ذكرى مني. انه ليس شيئاً هاماً. ولكن حاول أن تسلمه إلى أهلي».

ولويت برأسي. لقد أعطاني تاتسونو أصبعه الصغير. ان الرجال الذين كتب عليهم الانتحار كانوا يتركون شيئاً وراءهم... شيئاً منهم: خصلة من الشعر، أظافر، أو اصبعاً أيضاً يقدر له أن يحرق حتى يتحول رماداً ثم يستقر الرماد في وعاء

صغير يقف إلى جانب صور الأجداد في مكان من المنزل العائلي. ويأتي الكاهن مرة في كل عام ليصلي أمام هذا الأثر.

كان طيارونا الانتحاريون ينطلقون ثلاثة ثلاثة. انهم سهام الموت تتوجه نحو السفن الأميركية.

أوكيناوا! كانت تتمدد أمامنا. الجزيرة التي طالما تنازعناها مع العدو وهي هدف هذه المهمة.

من بعيد شاهدت صفوفاً من السفن الأميركية. وفي وسط هذا الأسطول الهائل كان هدفنا العسكري: أربع حاملات طائرات تحرسها الدوارع واعداد كبيرة من الطرادات.

وانقض الطيار الأول عبر شبكة النار. إنه لن يصيب حاملات الطائرات ولكنه قد يصيب سفينة جوالة. فهل يبلغها؟ كلا... لقد أصيب زميلنا وتحولت طائرته إلى فتات محترق.

طياران آخران أصابهما المصير نفسه فانفجرا في وسط الطريق. أما الرابع فسيكون أسعد حظاً. لقد اخترق ستار المدافع المضادة للطائرات ثم اتجه افقياً نحو طراد أصابه عند خط الغاطس. انفجار هائل! ثم آخر، ثم آخر أيضاً. هذا حسن جداً... لقد انقسمت السفينة إلى قسمين. ودخل الماء فيها ثم غرقت.

تاتسونو هو الآن وحده. لقد حقق طيراناً رائعاً وانطلق نحو هدفه. تاتسونو! تاتسونو! دفة الطائرة الخلفية تحترق. ولكنه تابع طيرانه. النيران تبلغ جسم الطائرة. الطائرة تكاد تصبح لهباً كلها. ولكنهم لم يستطيعوا ايقافها.

تاتسونو يتوجه نحو حاملة بترول. كانت قريبة! إنها تقترب أكثر فأكثر. ويتردد انفجار رهيب. اطنان من الوقود تحترق. عمود هائل من الدخان الأسود يشيع الظلمة في الفضاء. حاملة بترول تغرق. تموجات واسعة وبركة واسعة من البترول تبدو فوق المكان الذي جرت فيه هذه المأساة...

هكذا مات خير صديق لي

لم يعد هناك طيارون انتحاريون. لقد اغرقنا طراداً وحاملة بترول وأنزلنا أضراراً بسفينة جوالة ثم علمت بعد أن دارعة قد أصيبت إصابة خطرة...

كانت الأسراب الانتحارية سلاحاً يائساً ولكنه سلاح فعال. فبين النزول في خليج ليت ونهاية معركة أوكيناوا أغرق الطيارون الانتحاريون أو تركوا اصابات شديدة في ٤٧٥ سفينة. إن الطرادات التي كانت تكلف بمراقبة وصول هؤلاء الطيارين قد تحملت القسم الأكبر من الضربات. وإذا كان الطيارون الانتحاريون لم يغرقوا سفناً أكثر أهمية من حاملات الطائرات المواكبة، فقد أنزلوا اضراراً شديدة بـ ١٢ حاملة طائرات قتال، ١٥ دارعة، ١٦ حاملة طائرات خفيفة أو مواكبة، وفي أوكيناوا فقط سببت هجمات انتحارية فردية عددها ١٩٠٠ وعشرة هجمات كثيفة بالإضافة إلى الغارات العادية، غرق ٣٠ سفينة أميركية واصابة ٣٦٨ سفينة بالأضرار و٩٧٠٠ بحار قتيل. ان سبع الخسائر العامة في رجال البحرية خلال الحرب العالمية الثانية كلها قد تم في معركة أوكيناوا.

في ٥ نيسان، اليوم الذي انطلق فيه طيارو الانتحار، أرسل قائد الأسطول الياباني المختلط سومو تويودا الأميرال ساشي ايتو من جون توكوياما على رأس سرب مؤلف من ١٠ سفن بينها الدارعة العملاقة «ياماتو» والسفينة الجوالة الخفيفة «ياهاغي» و٨ طرادات، لتحقيق نوع آخر من الهجمات الانتحارية. هذا السرب كان يحمل من الوقود أكثر مما يحتاج إليه للوصول إلى شواطىء أوكيناوا ولكن الوقود لم يكن كافياً للعودة إلى اليابان. يضاف إلى ذلك أنه لم تكن لهذا السرب أية تغطية جوية. مهمة ايتو الوصول إلى شاطىء هاغوشي عند فجر ٨ نيسبان وسحق عمليات النزول. ولكن أسطوله قد انكشف، في الوقت الذي كان يغادر فيه مضيق يانغو، بين كيوشو وشيكوكو، من قبل الغواصات الأميركية. وقد أحيط الأميرال سبروانس علماً بذلك. فوجه إليه طائرات استطلاعية. وفي ٧ نيسان أطلق الأميرال ميتشر ٢٨٠ مطاردة وقاذفة منقضة وقاذفات طوربيد. وقد تم التلاقي عند جنوب غربي كيوشو فخسر السرب الياباني بعد ظهر ذلك اليوم الدارعة ياماتو والسفينة «ياهاغي» و٤ طرادات.

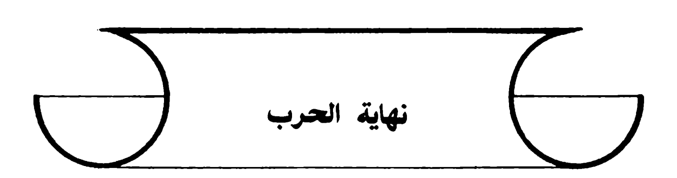
وفي ذلك الوقت كان الأميركيون قد احتلوا أربعة أخماس أوكيناوا. الرماة البحريون سحقوا اليابانيين في شبه جزيرة موتوبو، وفي ١٦ نيسان، نزل رجال فرقة المشاة - ٧٧ - في شيما، وهي جزيرة صغيرة غربي أوكيناوا بنى فيها اليابانيون ثلاثة مطارات. وتم الاستيلاء عليها بعد معركة قاسية استمرت خمسة أيام.

أما في الجنوب فقد كان الأميركيون يواجهون الخط الدفاعي لاوشيجيما. وقد تلاحقت المواقع الدفاعية فيه في ثلاثة صفوف عبر عنق عرضه ٥ كلم ابتداء من ناها عند الشاطىء الغربي حتى يانابارو عند الشاطىء الشرقي مروراً بشوري في الوسط.

وقد استغل اليابانيون طبيعة الأرض الوعرة هناك فأخفوا فيها مجموعة هائلة من المواقع المحصنة. ومن هناك أطلق اليابانيون نيران مدفعية كثيفة دقيقة. وابتداء من ١٩ نيسان بدأ الجنود والرماة البحريون يندفعون في مجموعات من الحملات المختلطة «دبابات ومشاة». وقد ردوا بخسائر هائلة سببتها لهم الهجمات اليابانية المعاكسة، في الوقت الذي كانوا يتخبطون فيه في بحر من الوحول أحدثها أسبوع من المطر الشديد.

وأخيـراً، وبعد سلسلة طويلة من المعارك المميتة الرهيبة، استطاع جنود بوكنر ورماته البحريون أن يخترقوا المواقع اليابانية بثمن كبير. سقطت ناها في ٢٧ أيار، ثم تبعتها شوري بعد أيام قليلة. وفي ٢٢ حزيران انتحر كل من أوشيجيما ورئيس أركان حربه ايزاماكو على طريقة الهاراكيري. وتوقفت كل مقاومة؛ ولكن الجنرال بوكنر لم يكن موجوداً ليشهد الانتصار النهائي. لقد قتل في أول حزيران. قتلته قنبلة يابانية بينما كان يتابع إحدى هجمات الرماة البحريين من أحد مراكز المراقبة.

لقد كانت معركة أوكيناوا واحدة من أطول معارك الباسيفيك وأقساها، فبعد ثلاثة أشهر من حرب ضروس دفع المعسكران خسائر: ١١٠,٠٠٠ جندي ياباني تقريباً قتلوا، ولأول مرة يستسلم عدد كبير منهم نسبياً في أوكيناوا وقد بلغ ٧٤٠٠ أسير، ولم يسبق للجيش الأميركي أن أسر مثل هذا العدد خلال حرب الباسيفيك كلها. وقد كان في الإمكان تجنيب اليابانيين جزءاً كبيراً من هذه الخسارة لو رضي أوشيجيما بالاستسلام الذي عرضه عليه الجنرال بوكنر حين أصبح وضع القوات اليابانية وضعاً يائساً. كما خسر اليابانيون فيما تقول الرواية الأميركية، ٧٨٠٠ طائرة وأكثر من ١٢ ألف طيار، والقسم الأكبر من تجهيزاتهم الثقيلة وجزءاً غير قليل مما بقي لهم من أسطولهم الذي كان كبيراً. أما الأميركيون فقد فقدوا: ٧٦٠ طائرة، ٣٦ سفينة مغرقة و٣٦٨ سفينة مصابة بأضرار. يضاف إلى ذلك ٩٧٠٠ بحار مغرقون و٧٦١٣ قتيلاً، ٣١٨٠٧ جريح و٢٦ ألف رجل اخرجوا من المعركة لأسباب غير الحرب. وبصورة عامة دفع الأميركيون غالياً ثمن أوكيناوا. ولكنهم بعد الاستيلاء عليها قد وجدوا أنفسهم عند عتبة اليابان، وقد أعدوا العدة ليدوسوا بأقدامهم تراب الوطن الياباني المقدس.



نهاية الحرب

لقد استطاعت الحكومة اليابانية أن تقنع الشعب بدعايتها الماهرة وبالرقابة الدقيقة التي طبقتها بأن جيوشها وأساطيلها في الطريق إلى النصر رغم التخريبات الرهيبة التي احدثتها القلاع الأميركية الطائرة «ب ٢٩» فوق الأرض اليابانية. أما النخبة اليابانية القائدة فقد كانت بالطبع أعرف بما كان يجري ولكنها منقسمة على نفسها بالنسبة للقرارات التي يجب أن تتخذ. أما الفئة العسكرية «غامبوتسو» التي يقودها الجنرالات، فقد كانت تطالب بالحرب حتى النهاية مرددة سلسلة من الشعارات من مثل «مئة مليون سيموتون في سبيل الشرف» أو «الموت أولى من أن نلتمس أمناً مهيناً»، وبما أن القسم الأكبر من جيوش هؤلاء الجنرالات ما يزال سليماً من كل أذى، وبما أنهم لم يشتركوا في أية معركة بعد ولم يتذوقوا مرارة الحرب فقد كانوا يأملون في تنظيم دفاع يائس عن البلاد بفضل مليون ونصف من الجنود المقيمين فيها وقرابة ١٠ آلاف طائرة بينها كثير من الطائرات الانتحارية بحيث يوقفون الغزو الذي يهددهم، أو على الأقل يسببون الخسائر الهائلة للأميركيين فيرغمونهم على القبول بسلم كريم والموافقة على تسوية تحفظ عزة اليابان. وفي هذه الحالة كان الجنرالات يفكرون لا في أنفسهم وحسب بل في الحصول على أحسن الشروط للأمة.

أما الكتل الصناعية «زاباتسو» فقد اتفقت مع الامبراطور، بينما وقف زعماء الأسطول البحري الذين خسروا أكثر سفنهم إلى جانب رؤساء الحكومات السابقين «جوشن» في محاولتهم العاقلة الحذرة لإنهاء الحرب.

وبعد معركة سايبان استطاع مستشارو الامبراطور ووزير العدل المركيز كيدو، أن يبعدوا توجو عن رئاسة الحكومة، ولكن الوزارة الجديدة، رغم وجود نائب رئيسها «جوشن» الأميرال ميتسومازا يونا، لم تستطع أن تتصرف لغرض إنهاء الحرب بصراحة، بسبب وجود الجنرال كونياكي كويـزو على رأسها وتأييد الجنرالات له. وقد حدث العكس فقد أصبحت الحرب بسببها أكثر ضراوة وشدة. وفي ٥ نيسان ١٩٤٥ أي بعد نزول الأميركيين في أوكيناوا بخمسة أيام سقطت حكومة كويزو، وبعد ذلك

بيومين أصبح الأميرال كانتارو سوزوكي رئيساً للوزراء وهو في التاسعة والسبعين من عمره، يسانده كل من كيدو ومستشاري الأمبراطور. وقد كان في وسع سوزوكي الاعتماد على ثلاثة أصوات لثلاثة رجال من أنصار السلام في مجلس الحرب الأعلى، إنها أصوات وزير الخارجية شيناغوري توغو، ووزير البحرية ميتسومازا يونا ثم صوته، ولكنه اصطدم بمعارضة شديدة من قبل وزير الحرب ورؤساء أركان الجيش والبحرية.

وفي اليوم الذي سقطت فيه حكومة كويزو تنكر الاتحاد السوفياتي لمعاهدة عدم الاعتداء التي وقعها مع اليابان عام ١٩٤١. وهكذا سجل ستالين أول خطوة نحو الحرب، عملاً بالتعهد الذي قدمه للحلفاء منذ زمن طويل والذي طُلب إليه تنفيذه في مؤتمر يالطا. ثم كانت ضربة أخرى شديدة مؤلمة نزلت باليابان بعد استسلام ألمانيا. وبقيت اليابان وحيدة وأدرك زعماؤها أن قوات الحلفاء ستتوجه كلها إليها عما قريب.

وفي أثناء ذلك كان عدد من الدبلوماسيين الأميركيين من بينهم وزير الحربية هنري ستمسون ووزير الخارجية بالوكالة غرو يضغطون على ترومان ليعلن أن الاستسلام غير المشروط لن يقضي على الأمة اليابانية وعلى نظامها الملكي. وقد كانوا يظنون أن مثل هذا التدبير قد يعجل في انهاء الحرب دون اهراق المزيد من الدماء بسبب الغزو المنتظر. ولكنه تردد بسبب حداثة عهده بالرئاسة. وكانت هناك دوائر أميركية مختلفة بالإضافة إلى الصين والاتحاد السوفياتي تقوم بضغط شديد من أجل اعتبار هيروهيتو مسؤولاً عن الحرب ومعاملته كمجرم من مجرمي الحرب أيضاً. ومن ناحية أخرى كان عدد كبير من القادة الأميركيين يظن بأن هذا التصريح هو علامة ضعف. ومرت الأيام دون أن يصدر هذا التصريح أبداً.

وقد حدث العكس. فإن عمليات حربية قد جرت بعد ذلك لإبادة القوة البحرية والجوية عند اليابان قبل أن يبدأ غزوها من قبل القوات الأميركية. لقد كان الأسطول الثالث بقيادة هلسي يجوب البحار على امتداد الشاطىء الياباني الشرقي دون أن يجد أية مقاومة، فيضرب الموانىء والمصانع والمؤسسات المختلفة بمدافعه بينما تغرق طائرات ميتشر ما تلتقيه من السفن وتسحق المطارات وتسقط الطائرات. وفي سلسلة من الغارات المخربة على القواعد البحرية في كور ويوكوسوكا، أغرقت طائرات ميتشر أو انزلت الضرر بكل ما بقي من سفن الأسطول الياباني ولا سيما ٨ دوارع وحاملات طائرات. أما القلاع الطائرة فقد تابعت غاراتها على المدن اليابانية الكبيرة وحولتها إلى خرائب. حدث هذا بينما كان الحلفاء يستعدون لاستعمال سلاح جديد ورهيب.

القنبلة الذرية

في شهر آب من عام ١٩٣٩ كتب العالم الفيزيائي البرت اينشتاين إلى الرئيس روزفلت بأن تفتيت الذرة قادر على احداث قنبلة أكثر تخريباً من كل القنابل التي ظهرت حتى ذلك الوقت. وبسرية تامة، وبالتعاون مع كندا وبريطانيا، سمح روزفلت بإجراء بحوث علمية واسعة في هذا الميدان.

وبما أن السرية في هذا الموضوع ضرورية جداً فقد أصدر أمره دون العودة إلى مجلس الشيوخ. وبعد خمس سنوات من القيام بعمل اشترك فيه ١٢٥ ألف رجل في الولايات المتحدة وكلف ميزانية تبلغ ملياري دولار أصبحت القنبلة حقيقة واقعة.

وفي ١٧ تموز تلقى ترومان الرسالة التالية: «طفل ولد ولادة جيدة» بينما كان يشهد مؤتمر بوتسدام. وقد قصد بذلك أن التفجير التجريبي الأول لقنبلة ذرية في منطقة الأماغوردو قد نجح. والأماغوردو موجودة في صحراء المكسيك الجديدة. وقد وافق ترومان بتأييد من تشرشل على استعمال هذه القنبلة ضد اليابان للتعجيل في انهاء الحرب وتجنب الخسارة الهائلة التي سيسببها النزول على الأرض اليابانية.

وفي ٢٦ تموز ١٩٤٥ وجه الرئيس ترومان «نداء إلى الشعب الياباني» عرف فيما بعد بنداء بوتسدام، وكان يطلب فيه من اليابان استسلاماً غير مشروط تحت طائلة عملية تخريبية سريعة وشاملة دون أن يشير إلى القنبلة الذرية. والواقع أن هذا النداء كان أكثر من دعوة إلى الاستسلام. خلاصته أن اليابان ستحرم من كل ملكياتها وأن سيادتها لن تتجاوز حدود جزائرها الوطنية، وأن العسكريين اليابانيين سيحاكمون وسيعاقبون بينما «ستضمن حرية الكلام والدين والفكر وتحترم الحقوق الأساسية للإنسان.» وأن اليابان ستشهد نهاية صناعتها وجيشها وستدفع تعويضات الحرب ثم تحتلها قوات الحلفاء. أما إذا قبلت اليابان بالاستسلام السريع فإن جنودها سيسمح لهم بالعودة إلى بلادهم ثم تقصر مدة احتلال الحلفاء لأراضيها. وأضاف الحلفاء قائلين: «نحن لا ننوي استعباد الشعب الياباني ولا القضاء على الوطن الياباني».

ورغم أن هذا النداء قد وجد التأييد في مجلس الحرب الأعلى الياباني وقبله الأمبراطور من الناحية المبدئية، إلا أن اليابانيين قد فضلوا الانتظار على أمل أن تجري وساطة سوفياتية. وأعلن سوزوكي رئيس الوزراء خلال مؤتمر صحفي عقده في ٢٩ تموز أنه لا علم له بنداء بوتسدام ولم يصدر أي جواب رسمي. وأخيراً تقرر القاء القنبلة الذرية.

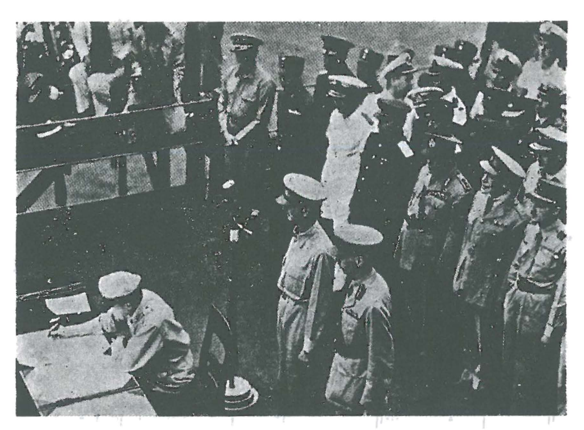
وفي ٣ آب أمر ترومان باستعمال القنبلتين الذريتين الموجودتين. وعينت أربعة أهداف محتملة لها: هيروشيما، كوكورا، نيفاتا، وناغازاكي. وحملت القنبلتان إلى جزيرة تينيان حيث توجد مجموعة قلاع طائرة خاصة «ب ٢٩» لحملهما. وفي ٦ آب انطلق سرب من ثلاث طائرات «ب ٢٩» باتجاه هيروشيما. واحداها تحمل القنبلة الذرية يقودها الكولونيل بول تيبتس جيروم. أما الطائرتان الأخريان فقد كانت للمواكبة والاستطلاع. وكانت آثار القنبلة التخريبية من الاتساع بحيث ان الكولونيل اكتفى بإرسال البرقية التالية: «رأيت المدينة وهدمتها».

وقد يكون من المناسب أن نتحدث قليلاً عن هذه القنبلة الذرية الأولى فنردد ما ورد على لسان أحد اليابانيين في حديثه مع مارسيل جونو، ممثل الصليب الأحمر، عن ماهية هذا الانفجار الرهيب قال:

وفجأة ظهر في السماء ضياء وردي باهت اللون شديد جداً، يرافقه اهتزاز غير طبيعي ثم لحقت به مباشرة موجة من الحرارة الخانقة ورياح عاصفة كانت تجتاح كل ما تجده أمامها.

وفي ثوان قليلة احترق الآلاف من الناس الذين كانوا يسيرون في الشوارع أو يجلسون في الحدائق العامة القائمة في وسط المدينة. كثيرون قتلوا بالحرارة الهائلة التي انتشرت في كل مكان. وآخرون كانوا يبقون فوق الأرض، صارخين من الألم وقد انتشرت في أجسادهم حروق مميتة. كل ما كان قائماً فوق منطقة الانفجار ـ جدران، منازل، مصانع وأبنية أخرى ـ قد أبيد إبادة تامة؛ واندفع فتات هذه الأشياء نحو الفضاء في دوامة رهيبة. الحافلات الكهربائية انتزعت من خطوطها الحديدية وانقذفت كما لو أنها فقدت وزنها وتماسكها. القطارات ارتفعت هي بدورها وكأنها مجموعة من لعب الأطفال. الخيول والكلاب والماشية أصابها ما أصاب البشر. كل ما كان من الأحياء قد فقد حياته في وضع مؤلم يعز على الوصف. واختفت الأشجار في اللهيب، وفقدت شتلات الأرز خضرتها، واحترق العشب الأخضر كما يحترق القش اليابس.

أما ما وراء منطقة الموت فقد انهارت المنازل وأصبحت أكواماً من الألواح الخشبية والقرميد والأعمدة الحجرية. لقد انهار كل شيء كما تنهار بيوت الكرتون في دائرة قطرها ١٠ كلم. أما الذين كتبت لهم النجاة من الموت فقد وجدوا أنفسهم محاطين بستار من اللهب. أما الأفراد القليلون الذين استطاعوا اللجوء إلى مخبأ من المخابىء فقد ماتوا بعد عشرين أو ثلاثين يوماً من الألم بتأثير إشعاعات «غاما» المميتة.



الجنرال ماك آرثر يوقع وثيقة استسلام اليابان

وفي المساء بدأت النيران تنخفض ثم ماتت. إذ لم يعد هناك شيء تأكله هذه النيران. لقد انتقلت هيروشيما إلى العدم.

وبعد ذلك بيومين، سعى فيهما السفير الياباني إلى اقناع السوفيات بالتدخل كوسطاء، أعلن هؤلاء الأخيرون الحرب على اليابان. وأطلق المارشال الكسندر فاسيلفسكي جيشه الأحمر على منشوريا في ثلاث مناطق مختلفة. ومهما يكن جيش الكوانتانغ، وعدته ٧٠٠ ألف رجل، والذي كانت تحميه مواقع دفاعية محصنة، فقد ضعفت قوته بعد أن بادر إلى إنجاد الجزائر التي تحتلها القوات اليابانية في الوطن الأم وفي المناطق المحتلة. واندفع الجيش الأحمر نحو منشوريا والنصف الجنوبي من جزيرة سخالين.

وبينما كان مجلس الحرب الأعلى يناقش بنود نداء بوتسدام ألقيت القنبلة الذرية الثانية فوق ناغازاكي في ٩ آب وفي تمام الساعة الحادية عشرة من الصباح. لكن النتائج التخريبية لهذه القنبلة لم تكن من الاتساع كما كانت عليه نتائج القنبلة الأولى بسبب النتوءات المرتفعة في أرض المدينة. وقد بلغت الخسارة مع ذلك ٧٣٨٨٤ قتيلاً و٦٠ ألف جريح.

وفي ١٤ آب قرر مجلس الحرب الأعلى الاستسلام وأعد الكلام الأمبراطوري

الذي يعلن هذا الاستسلام بالذات. وعندما علم العسكريون المتعصبون بهذا القرار، حاولوا اللجوء إلى العنف للحيلولة دون العمل به. وفي مساء ذلك اليوم أقدم بعض الضباط من وزارة الحربية ومن صفوف أركان الحرب على القيام بانقلاب عسكري. وقضي على الانقلاب من قبل الضباط الكثيرين الموالين للأمبراطور بسرعة بالغة. وفي اليوم التالي، ١٥ آب، أذاع الأمبراطور على شعبه، بلغة البلاط اليابانية الخاصة التي لم يفهمها الكثيرون بأن الحرب قد انتهت دون أن يستعمل كلمة «استسلام».

ومع ذلك فإن المعارضين لهذا القرار لم يستسلموا للأمر الواقع فقد وقعت سلسلة من الاصطدامات والتظاهرات، وجرت عمليات انتحارية مسرحية، بين كبار ضباط الجيش والبحرية بصورة خاصة.

وقد حال تدخل الامبراطور دون تحول هذه الاضطرابات إلى ثورة واسعة النطاق.

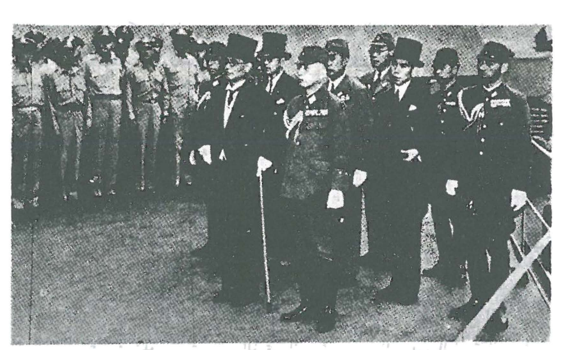
وفي تمام الساعة التاسعة وأربع دقائق من اليوم الثاني من شهر أيلول تم التوقيع على وثيقة الاستسلام فوق الدارعة «ميسوري» الراسية في مياه طوكيو. حدث ذلك بعد ثلاث سنوات وثمانية أشهر وأسبوع واحد من غارة الطائرات اليابانية على بيرل هاربر، وبعد ست سنوات ويوم واحد من الهجوم الألماني الصاعق على بولونيا و١٤ سنة من غزو منشوريا بقوات الكوانتانغ.

الجنرال ماك آرثر وقع الوثيقة باسم الحلفاء بينما اشترك في التوقيع عن الجانب الياباني كل من وزير الخارجية مامورو شيجامتسو ورئيس أركان الحرب يوشيجيرو أومازو، على مرأى من القادة العسكريين الأميركيين، والبريطانيين والفرنسيين والروس والصينيين مجتمعين. وقرعت أجراس الكنائس في العالم كله وانطلقت أصداء الصفارات في كل مكان. وانتشت الشعوب وسكنت سورة المدافع وانتهت الحرب.

لقد كان ثمن السلام مرتفعاً جداً حتى ان أحداً لا يستطيع تقديره على التحديد.

وكيف يمكننا أن نتخيل هذا الثمن حين نعلم أن ١٧ مليوناً من الجنود و١٨ مليوناً من المدنيين قد قتلوا خلال خمسة أعوام ونصف؟

الخبراء يقولون: ان النفقات العسكرية وحدها قد بلغت ١١٠٠ مليار دولار. أما الخسائر التي سببتها الحرب فقد بلغت ٢١٠٠ مليار دولار. يضاف إلى ذلك المدن



الوفد الياباني فوق ظهر البارجة «ميسوري» بعد توقيع وثيقة الاستسلام

المخربة، والأراضي المحروقة، والحقول المغمورة بالمياه، والمصانع والمناجم التي توقف العمل فيها ثم قطعان الماشية التي تمزقت وتبددت؟

ولم تكد الحرب تنتهي حتى بدأت المجاعات والأوبئة تهدد كلًا من أوروبا وآسيا. بالإضافة إلى الملايين من المشردين والمهاجرين الذين لم يعودوا يعرفون لأنفسهم بيتاً ولا عملاً. وملايين آخرون من الجرحى والمشوهين كان عليهم أن يكافحوا طويلًا ليحيوا حياة عادية ولو في الظاهر على الأقل. ثم ملايين من المقاتلين عادوا إلى بلادهم سالمين ولكنهم شعروا أنهم قد أصبحوا في عالم غريب عنهم لا تربطهم به أية رابطة.

لقد كان سلاماً بالغ الصعوبة.

كان سلاماً يحتاج إلى عقول الملايين وسواعدهم وحسن نياتهم من أجل أن يسترد استقراره وأمنه الدائم وطمأنينته إلى المستقبل.

والمؤلم أن البشرية لم تتعلم شيئاً من هذه الحرب الضروس. انها لم تقتنع بعدها بأهمية السلام، وبعبارة أخرى بقيت البشرية عرضة لسلسلة من الفواجع الرهيبة في كل ميدان من الأرض وعلى كل مستوى من المستويات.

لقد فرضت حدود جديدة لأكثر الشعوب. وظهرت تناقضات عنيفة بين معسكرات مختلفة. وانفجرت حروب محلية سببت الكوارث والآلام وصنعت سلسلة من المآسي.

كانت حرب كوريا التي ذهبت ضحيتها مئات الألوف وما يدرينا أن تكون هذه المئات من الألوف قد بلغت الملايين من المدنيين والعسكريين.

وكانت حرب الهند الصينية ثم فيتنام الجنوبية وسلسلة من الثورات القومية مثل ثورة الجزائر التي ذهب ضحيتها مليون من الرجال والنساء بين أفراد الشعب الجزائري وحده بالإضافة إلى عشرات الألوف من جنود الاستعمار الفرنسي.

ثم كانت حرب بور سعيد التي فضحت طغيان الاستعمار وكشفت عن مخططاته... وبين هذه الحرب وتلك كانت الكارثة الفلسطينية التي شردت مليوناً من أبناء فلسطين وقتلت عشرات الآلاف من الأبرياء أو أصابتهم بجراح.

ومن وراء هذا كله تبدو لنا خسائر معنوية أخرى. الخسائر التي تبرز في الأعصاب المتعبة والقلق المضني والذعر المستمر من الحرب الباردة التي استمرت سنوات عديدة ووضعت العالم كله أمام هاوية حرب نووية مدمرة.

ومما يزيد في تغذية روح التشاؤم عند الملايين من البشر أن تناقضات جديدة قد بدأت تظهر في داخل المعسكر الواحد من المعسكرات الدولية.

التناقضات في المعسكر الشيوعي تبدو أكثر حدة في كل يوم... وهي أشد ما تكون في هذه الفترة بين الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي... كما أنها تكسب المزيد من الأرض في صميم المعسكر الرأسمالي نفسه.

وتخرج من التناقضات الرأسمالية الشيوعية كتلة دول عدم الانحياز التي تمثل اطماح الشعوب النامية ومخططاتها في تجنب الاستعمار الجديد بكل ما يحمله من الأخطار ومحاولات التدخل في شؤونها الداخلية ووسائله الاقتصادية والسياسية في الضغط عليها. وقد كانت الكارثة الفلسطينية وما نشأ عنها من فرض دولة اسرائيل الغاصبة ضد كل الاعتبارات الشرعية والقوانين الدولية والمقاييس الأخلاقية وما تزال حتى يومنا هذا آية وعلامة على فشل المحاولات التي تقوم بها قلة من القادة والزعماء لصنع عالم مستقر وسلم دائم؛ عالم يعمل من أجل الرفاهية ويقرر نهائياً أن يستغني عن ميزانيات الحروب الوقائية وسياسات التسليح التي تستهلك القسم الأكبر من الطاقات الإنشائية البناءة في الشرق والغرب.

إن العالم اليوم يعيش في أزمة الذعر من الحرب. وقد تبلغ هذه الأزمة درجة من الشدة يخيل لنا معها أن فواجع الحرب العالمية الثانية وأخطارها الرهيبة قد أصبحت شيئاً منسياً في ذاكرة هذا العالم بالذات.

على أننا رغم هذا كله نؤمن بالسلام. . . ونثق بالقلة من القادة والمصلحين الذين ما يزالون يعملون ضد الحرب وينادون باستلال الأحقاد من النفوس ويعلنون رأيهم في ضرورة العودة إلى الإيمان بالله وبعنايته السماوية التي نرجو مخلصين أن تبلسم جراح القلوب وتتيح للمظلومين فرصة الحصول على حقوقهم، وأن توفق البشرية الخائفة إلى تجميع قواها وتنمية ارادتها وتنظيم صفوفها سعياً إلى الحرية والسلام والاستقرار من أجل رفاهية كل الشعوب وسعادتها في العالم كله. . .

فهل عسانا نذكر جميعاً شعار السلام الذي يردده المسلمون في كل صلاة وعند كل لقاء؟!

وهل عسانا نذكر شعار المحبة الذي تتميز به دعوة المسيحية؟

وهل عسانا نذكر أخيراً أن السلام هو هبة السماء للأرض وطريق الإنسانية إلى البقاء؟؟

وهل سيتذكر العالم كلمات الرئيس الأميركي فرنكلين روزفلت التي رددها في ١٨ حزيران ١٩٤٢؟!

«ليست أرضنا غير نجمة صغيرة في الكون. إن في وسعنا، إذا أردنا ذلك، أن نجعل منها كوكباً لا تقتله الحرب، ولا يضنيه الجوع والخوف، والمنازعات بين العناصر والأديان وألوان البشرة. لتكن لنا الجرأة الكافية بحيث نبدأ هذه المهمة منذ اليوم وليكون في مكنة أطفالنا وأحفادنا أن يعتزوا باسم الإنسان».

نرجو أن يتذكر القادة في واشنطن وموسكو وغيرهما من عواصم العالم الكبيرة مثل هذه الأقوال وأن يعودوا قليلاً إلى نفوسهم ليشهدوا فيها الدعوة الخالدة إلى السلام والأخوة والمحبة. . .

فهرست

تحرص دار العلم للملايين على أن تبقى كتبها رائدة وطليعية من حيث المضمون والإخراج . ويهمّها أن تتواصل مع قرائها وأن تطّلع على آرائهم في منشوراتها.
فإذا كان لديك ، عزيزي القارئ ، رأيٌ أو ملاحظةٌ مهمّة حول هذا الكتاب نرجو أن تكتبَ إلينا على العنوان المدوّن أدناه . ويمكنك أيضاً أن تطلب قائمةَ منشوراتنا مجاناً للاطلاع على جميع إصداراتنا وأسعارها.
دار العلم للملايين ص. ب: ١٠٨٥ ـ بيروت ـ لبنان